السيد محمد تقي المدرسي

من هدى القرآن

الجزء الخامس عشر

سورة الفاتحة - سورة البقرة - سورة آل عمران

دار القارئ

بسم الله الرحمن الرحیم

من هدى القرآن

كاتب:

آیت الله سید محمد تقی مدرسی

نشرت فی الطباعۀ:

دار محبی الحسین (علیه السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیۀ باصفهان للتحریات الکمبیوتریۀ

الفهرس

من هدى القرآن المجلد ۱۵

اشاره

سرشناسه:مدرسی، محمدتقی، - ۱۹۴۵

عنوان و نام پدیدآور:من هدی القرآن/ محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر:تهران: دار محبی الحسین، ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری:ج ۱۸

شابک:۱۸--ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳ ؛ ۱۸--ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳

وضعیت فهرست نویسی:فهرستنویسی قبلی

یادداشت:عربی

یادداشت:کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر شده است

یادداشت:کتابنامه

موضوع:تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

رده بندی کنگره:BP۹۸/م ۴م ۸ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی:۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی:م ۷۷-۱۲۵۶۱

ص :۱

اشاره

سوره الحدید

اشاره

ص:۳

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

فضل السوره:

عن جابر الجعفی عن أبی جعفر علیه السلام قال :«من قرأ المسبّحات کلّها قبل أن ینام(یعنی السوره التی فاتحتها التسبیح مثل الحدید و التغابن و الحشر و الجمعه) لم یمت حتی یدرک القائم،و إن مات کان فی جوار رسول اللّه (صلی اللّه علیه و آله)».

نور الثقلین/ج /۵ص ۲۳۱ و

روی العرباض بن ساریه قال :«إنّ النبی(صلی اللّه علیه و آله)کان یقرأ المسبّحات قبل أن یرقد،و یقول:إنّ فیهنّ آیه أفضل من ألف آیه».

نور الثقلین/ج /۵ص ۱۳۱

ص:۵

الإطار العام

ترتكز أغلبيه آيات السوره حول محورين رئيسيين:

الأوّل:الإنفاق فى سبيل اللّه،من دون تحديد نوع منه،فقد يتحقّق بالإنفاق من النفس أو من المال أو من أىّ شىء آخر.و يحرّضنا الذكر الحكيم على ذلك من خلال منهج واقعى و نافذ هو:

١-إنّ اللّه هو المالك الحق لكلّ شىء،و له الولايه التامّه خلقا و قدره و علما و تدبيرا،و إنّه الذى يحيى و يميت و إليه ترجع الأمور،أمّا نحن فلسنا سوى مستخلفين من قبله فيما ملّكنا،فلا ينبغى أن نرفض أمره بالإنفاق إذ أنّه هو المالك الحق.

٢-و الإنفاق هو الشاهد الصادق على التزام الإنسان بالميثاق،ذلك الميثاق الذى أخذه اللّه عليه فى عالم الذر.

٣-و لماذا يبخل الإنسان بالمال و هو لا يبقى له؟!فأمّا يرحل عنه أو ينتقل إلى

غیره.بلی،قد یستخلف فیه برهه من الزمن،و لکنّه یموت عنه کلّ أهله لیعود إلیه تعالی.

۴-ثمّ أنّ الإنفاق لا یزید اللّه شیئا و هو الغنی الحمید،إنّما النفع و الضرر یعودان علی الإنسان نفسه،فهو إن أنفق نمی ماله،و بنی مجتمعه،و صار إلی ثواب اللّه و رضوانه،أمّا إذا بخل فلن یحصد إلاّ التلف،و التخلّف فی الدنیا،و ألوان العذاب فی الآخره.

و تعالج السوره أیضا قضایا تتصل بالإنفاق.

الثانی:العداله الاجتماعیّه کهدف تنزّلت له جمیع رسالات اللّه،و سعی من أجله کلّ الأنبیاء و الأولیاء،کما ینبغی أن یتحرّک لتحقیقه کلّ المؤمنین الرسالیین،و لا تقوم العداله إلاّ بالقائد الصالح(رسولا أو ولیّا)،و النظام الصالح فی البعد السیاسی و الاجتماعی و الاقتصادی و التربوی،و بالمیزان الذی یشخص المخطئ من المصیب،و بالسلاح المنفّذ للنظام.

و هناک علاقه وثیقه بین محور العداله و الإنفاق فی السوره یتمثّل فی أنّ الإنفاق فی سبیل اللّه یساهم بصوره فعّاله فی إقامه العداله و نصره الحق.أو لیس قام الإسلام بسیف علی و مال خدیجه؟ و من هذا المنطلق نهتدی إلی أفضلیه الإنفاق و القتال قبل الفتح علی الذی بعده.

إن الحرکات الرسالیه تنشد العداله و إقامه الحق،و الأمّه مسئوله أن تتحمّل مسئولیتها الحاسمه فی دعمها و الوقوف إلی صفّها بالإنفاق نصرا للّه و رسله و أولیائه علی الظالمین.

سوره الحدید

ص:۹

[سوره الحدید (۵۷): الآیات ۱ الی ۶]

اشاره

بِسْمِ اَللَّهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . سَبَّحَ لِلَّهِ مٰا فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ هُوَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ (۱) لَهُ مُلْكُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ هُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۲) هُوَ اَلْأَوَّلُ وَ اَلْآخِرُ وَ اَلظّٰاهِرُ وَ اَلْبٰاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۳) هُوَ اَلَّذِي خَلَقَ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيّٰامٍ ثُمَّ اِسْتَوىٰ عَلَى اَلْعَرْشِ يَعْلَمُ مٰا يَلِجُ فِي اَلْأَرْضِ وَ مٰا يَخْرُجُ مِنْهٰا وَ مٰا يَنْزِلُ مِنَ اَلسَّمٰاءِ وَ مٰا يَعْرُجُ فِيهٰا وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مٰا كُنْتُمْ وَ اَللَّهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (۴) لَهُ مُلْكُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ إِلَى اَللَّهِ تُرْجَعُ اَلْأُمُورُ (۵) يُولِجُ اَللَّيْلَ فِي اَلنَّهٰارِ وَ يُولِجُ اَلنَّهٰارَ فِي اَللَّيْلِ وَ هُوَ عَلِيمٌ بِذٰاتِ اَلصُّدُورِ (۶)

ص:۱۰

لَهُ مُلْکُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ

هدی من الآیات:

فی فاتحه سوره الحدید التی تأمرنا بالإنفاق لتحقیق العداله التی هی هدف رسالات اللّه،یذکّرنا القرآن بأنّ ما فی السموات و الأرض یسبح للّه(فلا یجوز أن نقدّس شیئا منها)فهو العزیز الحکیم المالک للسموات و الأرض(و هو غنی عن إنفاقنا،و نحن المستفیدون من العطاء)و هو الأوّل بلا أوّل کان قبله،و الآخر فلا یتغیّر بالأزمنه سبحانه،و الظاهر علی کلّ شیء بالغلبه،و الباطن العلیم بکلّ شیء.

و قد خلق السموات و الأرض فی سته أیّام،شهاده علی کمال قدرته،و واسع علمه،و حسن تدبیره،و أنّه المهیمن علی حرکه الأشیاء و تطوّرها،فهو یعلم ما یدخل فی الأرض من الغیث و المواد و الأشعّه،و ما یخرج منها من الأبخره و النبات،و ما ینزل من السماء من رحمته عبر ملائکته،و ما یعرج فیها من ملائکه و أعمال و نیّات،و هو مع خلقه أنّی کانوا.

و هو المالک الحق للسموات و الأرض،و إليه ترجع الأمور،فهو المقدر المدبّر و إليه المصير،و آيه تدبيره توالج الليل و النهار فی الصيف و الشتاء و علمه بذات الصدور.

كلّ ذلک يحملنا على الإنفاق فی سبيل اللّه،و هو موضوع الدرس التالی.

بينات من الآيات:

[١]إنّ للكائنات شعورا يسبّحن عبره بحمد ربّهن،كلّ بقدره و بلغته،إذ سواء و عين ذاتهن أو بصرن آفاق الخلق فهنّ يرين تجليات الرب،و بعجز ذاتها تستدل على قدرته تعالى،و بزوالها تستدل على بقائه سبحانه،و بحدوثها تستهدی إلى أنّه القيّوم الذی لم يزل و لا يزال و لن يزول،و أمّا عن الآفاق فهی أنّی رمت ببصرها ترى آثار خلقه و تدبيره تعالى،لذا فالخلق كلّهم ينزّهونه عن النقص و العيب.

سَبَّحَ لِلّٰهِ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ إنّه تسبيح قديم قدم كلّ مخلوق،إذ يبدأ معه منذ اللحظه الأولى التی ينشأها بارئها من بعد العدم،و لكن كيف تسبّح الأشياء ربّها؟! نتصوّر لذلک معنيين:

الأوّل:أنّ خلقه كلّ شیء تهدی إلى نقصه و عجزه و محدوديّته،و ذلک بدوره شاهد صدق على كمال خالقه و قدرته و تعاليه عن الحدّ و القيد،و بالتالی شاهد صدق على أنّه سبّوح قدّوس متعال منزّه عن أیّ نقص و عجز و تحديد.

الثانی:أنّ الأمر لا يقف عند هذا الحد،بل لكلّ شیء إحساس بقدره يعرف

به الخالق،و لغه مخصوصه يعبّر بها عن معرفته،فإذا به يسبّح له.

و نحن بنظرنا و تفكّرنا نهتدى إلى التسبيح بالمعنى الأوّل،و لكنّنا نقصر عن فهم المعنى الثانى،يقول تعالى: تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰاوٰاتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لٰكِنْ لاٰ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ (١)،و قال يحدّثنا عن حضاره داود عليه السلام : وَ سَخَّرْنٰا مَعَ دٰاوُدَ الْجِبٰالَ يُسَبِّحْنَ وَ الطَّيْرَ وَ كُنّٰا فٰاعِلِينَ (٢)، و الخلق كلّهم متساوون تكوينيا فى التسبيح للّه،و إنما يتفاوتون و يختلفون فى النوع الآخر،و إن أحدا لا يستطيع أن ينكر وجود شعور و لغه عند كلّ شيء،فما أوتينا من العلم إلاّ قليلا،و جهلنا لا يغيّر من الواقع شيئا،فنحن لا زلنا فى البوصه الأولى من طريق ذى آلاف الأميال فى مسيره العلم و المعرفه،قال ربّنا سبحانه: وَ مٰا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاّٰ قَلِيلاً ،و يكفينا عقلا و حكمه أن نعترف بأنّ ما لا يحط به علما قد يكون موجودا فلا نعادى ما نجهل.

و لسنا بحاجه الى تأويل« مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ »لينصرف إلى ما يعقل، و ذلك لأنّه يخالف ظاهر اللغه العربيه التى اعتبرت«ما»لغير العاقل،و ما دام الوجود كلّه يسبح للّه فإنّ عدم تسبيح الإنسان يعدّ تخلّفنا عن عهده التكوينى الفطرى مع ربّه،و شذوذا عن واقع الكائنات.

إنّ من مشاكل البشر أنّه ينبهر بالطبيعه أو بجانب منها،فإذا به يتخذ ما فيها إلها،و يغتر بما فيها من ظاهر الزينه و القوّه و الإبداع،بينما لو تدبّر فيها مليّا عرف أنّها هى الأخرى تسبّح بحمد ربّها،فكيف يتخذها شريكا لبارئها،بل و تتأذى الطبيعه حينما يعبدها أحد من دون اللّه،ففى الأخبار أنّ البقر نكّست رؤوسها منذ

١- ١) الإسراء/٤٤

٢- ٢) الأنبياء/٧٩

عبدها الناس عند ما أضلّهم السامری،و لعلّه لذلک جاءت خاتمه الآیه الکریمه تذکیرا بعزّه اللّه و حکمته.

وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ إنّه کذلک سواء سبّحه الخلق أو لم یسبّحوه،فهو بذاته عزیز لا یزیده التسبیح عزّا،و حکیم تتجلّی حکمته فی النظام الدقیق الذی فطر علیه خلقه و حکمه به، کما تتجلّی فی تدبیره لشؤونه المختلفه،و لیس بحاجه إلی الاعتراف من قبلنا بحکمته سبحانه،کما لا تنصرف هاتان الصفتان إلی غیره لو اعتقدنا بألوهیّته، و لعلّ الحکمه من بیان هاتین الصفتین أنّ اللّه لا یدبر الکائنات بقوته و حسب،بل بالحکمه أیضا،و أنّه یحقّ للکائنات أن یسبّحنه لأنّه تعالی مهیمن علیها بالقوّه و الحکمه فهو أهل لذلک.

[۲]و تتصل الآیات بعضها حتی الآیه السادسه تعرّفنا بربّنا عزّ و جلّ من خلال صفاته و أسمائه و أفعاله التی تتجلّی فی الخلیقه و التی تهدینا إلی أنّه یحقّ علینا تسبیحه،و إنّما یشرک الإنسان بربّه لجهله به تعالی،أما إذا عرف عظمته و هیمنته المطلقه علی الخلیقه فسوف تنسف تلک المعرفه کلّ الأفکار و العقد الشرکیه لدیه، إنّنا نشرک ببشر أمثالنا لأنّهم أعطوا شیئا من الملک و القوه،و یحجبنا ذلک عن الإله الحق،بلی.إنّهم قد یملکون رقعه من الأرض و بعضا من النعیم،أو یکون لهم سلطان علی الناس،و لکنّ ذلک کلّه محدود،لا یصیّرهم آلهه،و لا یقاس بما عند اللّه.

لَهُ مُلْکُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ بما فیهما،و هو حقّا ملک واسع مطلق و حقیقی،أمّا تملّک الناس للأشیاء فهو

اعتبارى محدود زمنا لأنّهم يموتون عنها،و كمّا لأنّه قليل جدا بالنسبه إلى ملك اللّه الذى ينضوى تحته كلّ الوجود و كيفا لأنّ قدرتهم على التصرف فيه محدوده،و للّه الملك المطلق و القدره اللاّمحدوده،و التى من مظاهرها الإحياء و الإماته.

يُحْيِي وَ يُمِيتُ كيف يشاء،و متى أراد،لا يمنعه عن ذلك مانع أبدا،و ليس لسواه هذه القدره فى الملك،و الهيمنه عليه. و ما دامت حياه الإنسان بيد اللّه فهل هو المالك أم اللّه؟ و كيف يملك شيئا من لا يملك حياته.أو ليس الإنسان يملك ما يملك بحياته التى تمكّنه من الحركه و التصرّف؟ و مع أنّ الحياه و الموت من أبرز مظاهر الملك و الهيمنه الإلهيه على الخلق،إلاّ أنّ قدرته تعالى ليست محدوده فى ذلك حسب،بل هى مطلقه.

وَ هُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أمّا نحن فلا نستطيع ان نفعل كلّ شىء و كيفما نشاء فيما نملك.

[٣] هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ لم يكن مثله أحد فهو أزلى،و حيث تأخّر الوجود عنه فهو محدث من صنعه عزّ و جل،و تتجلّى هذه الحقيقه مره اخرى حيث يصير الخلق الى العدم و يبقى وجهه تعالى،و لأنه الاول فهو الذى أحيا الخلق و أوجده،و لأنه الآخر فهو الذى يميته بقدرته و حكمته،كما انه الظاهر بلا خفاء،فالوجود كلّه آيات تهدينا إليه،لأنه القاهر فوق عباده.

وَ الظّٰاهِرُ وَ الْبٰاطِنُ

ص:١۵

ظاهر بأسمائه و صفاته و تجلّياته فی الوجود،تدرک ذلک حواس الإنسان،و يراه قلبه و عقله،و هو باطن بذاته التی لا يعلم كنهها أحد من خلقه،و لكنّ ذلک لا يعنی انّه غائب عن الخلق،بل انّه نافذ علمه الی أعماق كلّ شیء.

وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ سعه علمه كسعه قدرته،و تكفی هذه الآيه تحسيسا للإنسان بشهود ربّه،و ردعا له عن اقتحام المعصيه.و هناك صله بين الآيتين وَ هُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ بالآيه وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فالعزّه بالقدره المطلقه،و الحكمه بالعلم المطلق،الذی هو أبرز جوانبها و مقوّماتها،و ربنا بعلمه يقدّر و يقضی، و بقدرته يمضی ما قضاه.

و قد وردت بعض الاخبار فی تفسير هذه الآيه الكريمه تزيدنا بصيره بها.ذكر المفسّرون دعاء عن النبی صلی الله عليه و آله اعتبروه تفسيرا للآيه،و هو

قوله :«اللهمّ أنت الاول فليس قبلک شیء،و أنت الاخر فليس بعدک شیء،و أنت الظاهر فليس فوقک شیء،و أنت الباطن فليس دونک شیء،اقض عنّا الدين،و أغننا من الفقر » (1).

و

روی عن الامام الرضا عليه السلام و هو يبين ان الكلمات تشترک بيننا و بين ربّنا اشتراكا لفظيّا لا معنويّا،و يستعرض بعض أسماء اللّه التی تختلف معانيها عمّا يوجد عندنا من أمثالها،الی أن قال فی معنی الظاهر و الباطن:

«و أمّا الظاهر فليس من أجل أنّه علا الأشياء بركوب فوقها و قعود عليها و تسنّم لذراها،و لكنّ ذلک لقهره و لغلبته الأشياء و قدرته عليها،كقول الرجل:

1- 1) نور الثقلين/ج /5ص 234

ظهرت على أعدائی،و أظهرنی اللّه على خصمی،یخبر عن الفلج و الغلبه،فهکذا ظهور اللّه على الأشیاء،و وجه آخر انّه الظاهر لمن أراده،و لا یخفى علیه شیء، و أنّه مدبّر لکلّ ما برأ،فأی ظاهر أظهر و أوضح من اللّه تبارک و تعالى،لأنّک لا تعدم صنعته حیثما توجّهت،و فیک من آثاره ما یغنیک،و الظاهر منا البارز لنفسه و المعلوم بحدّه،فقد جمعنا الاسم و لم یجمعنا المعنى،و اما الباطن فلیس على معنى الاستبطان للأشیاء بأن یغور فیها،و لکنّ ذلک منه على استبطانه للأشیاء علما و حفظا و تدبیرا،کقول القائل:أبطنته،یعنی خبرته،و علمت مکتوم سرّه، و الباطن منا الغائب فی الشیء المستتر،و قد جمعنا الاسم و اختلف المعنى » (۱).

و

جاء عن الامام الصادق علیه السلام شرح و توضیح لمعنى القبل و البعد فقال :«جاء حبر من الأحبار الى أمیر المؤمنین علیه السلام فقال:یا أمیر المؤمنین!متى کان ربک؟ فقال له:ثکلتک أمک!و متى لم یکن حتى متى کان؟کان ربّی قبل القبل بلا قبل،و بعد البعد بلا بعد،و لا غایه و لا منتهى لغایته،و انقطعت الغایات عنده فهو منتهى کلّ غایه » (۲).

و

جاء فی خطبه لأمیر المؤمنین علیه السلام یذکّر بأسماء اللّه،و یبین ضمنا معانیها،ما یلی:

«الذی لیست له فی اولیّته نهایه،و لا فی آخریته حد و لا غایه. الذی لم یسبقه وقت،و لم یتقدّمه زمان.الاول قبل کل شیء،و الاخر بعد کل شیء، و الظاهر على کل شیء بالقهر له » (۳).

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۳۴.

۲- ۲) المصدر ص ۲۳۳

۳- ۳) المصدر ۲۳۵

و

قال أبو يعفور :سألت الامام الصادق عليه السلام عن قول اللّه عز و جل:«الاول و الآخر»و قلنا:أمّا الاول فقد عرفناه،و أمّا الآخر فبيّن لنا تفسيره؟فقال:«إنّه ليس شيء إلاّ يبدأ و يتغيّر أو يدخله التغير و الزوال،و ينتقل من لون إلى لون،و من هيئه الى هيئه،و من صفه الى صفه،و من زياده الى نقصان،و من نقصان الى زياده،إلا رب العالمين،فانّه لم يزل و لا يزال بحاله واحده،و هو الاول قبل كل شيء،و هو الاخر على ما لم يزل،و لا تختلف عليه الصفات و الأسماء،كما تختلف على غيره مثل الإنسان الذى يكون ترابا مره و مره لحما و دما و مره رفاتا و رميما،و كالبسر الذى يكون مره بلحا و مره بسرا و مره رطبا و مره تمرا،فتتبدّل عليه الأسماء و الصفات،و اللّه عزّ و جل بخلاف ذلك » (1).

[۴] هُوَ الَّذِی خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ فِی سِتَّهِ أَیّٰامٍ فالخلق آيه على عزّته و قدرته،و التقدير«فى سته أيام»آيه لعلمه و حكمته، و مره أخرى نطرح هذا التساؤل:لماذا خلقهما فى سته أيام،و هو القادر على خلقهما فى أقلّ من لحظه« وَ مٰا أَمْرُنٰا إِلاّٰ وٰاحِدَهٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ »؟ قد سبق فى سوره الأعراف بأن ذلك قد يدلّ على سنّه التكامل فى الخليقه حيث يبارك اللّه فيها و ينمّيها طورا فطورا،يوما فيوما،لحظه بلحظه،مما يجعل لعامل الزمن تأثيرا كبيرا فى العالم، بتعبير آخر:الأيام السته هى ظرف المخلوق،و لا بد أن نعرف المخلوقات من خلال ظرفها الزمنى حيث نستلهم ذلك من قوله سبحانه« مٰا خَلَقَ اللّٰهُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَیْنَهُمٰا إِلاّٰ بِالْحَقِّ وَ أَجَلٍ مُسَمًّى » (2)مما يوحى بأنّ الأجل المسمى مساوق للحق فى أنّه جزء من حقيقته،و اللّه العالم.

۱- ۱) المصدر/ص ۲۳۲

۲- ۲) الروم/۸

كما أنّ خلق السموات و الأرض فی سته أيام أصدق دلاله و أوضح شهاده علی التقدير و التدبير،و فی ذلک تفنيد لشبهه القائلين بالصدفه،فان كان أصل الوجود صدفه فكيف يكون تدبير أمرها و تكميل مسيرتها صدفه؟!و بتعبير آخر:عمليه الخلق مستمره و هی شاهده علی الخالق سبحانه.

و ربنا حيث خلق الخلق لم يعتزله أو يتركه سدی،إنّما جعله تحت تدبيره و رعايته،بلی.لقد أركز فيه سننا و أنظمه حاكمه،بل و قدر فيه كل شیء من قبل أن يبرأه،و لكن كانت له اليد العليا و البداء،لحاجه الخلق إليه،و لان كل شیء و حتی القوانين و السنن لا يقوم إلا به تعالی،و هكذا استوی علی العرش.

ثُمَّ اسْتَویٰ عَلَی الْعَرْشِ و هو رمز القدره و الملك و التدبير،يحمله أربعه من الملائكه المقربين،و اليه يستوی الملائكه يتلقون أوامر اللّه لهم،و استواء اللّه عليه يعنی سلطته،و انه يهيمن علی الخليقه و يدبّرها،و لكن ليس تدبيرا اعتباطيا،بل حكيما قائما علی أساس علمه بكل شیء.

يَعْلَمُ مٰا يَلِجُ فِی الْأَرْضِ وَ مٰا يَخْرُجُ مِنْهٰا وَ مٰا يَنْزِلُ مِنَ السَّمٰاءِ وَ مٰا يَعْرُجُ فِيهٰا و«ما»تدل علی الإطلاق،أی كلّ شیء يلج فی الأرض من الغيث و الاشعه و المواد،و كذلك كلّ شیء يخرج منها من النبات،و كذلك كلّ شیء ينزل من السماء أو يصعد إليها من ملائكه اللّه و أعمال العباد. وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مٰا كُنْتُمْ

فی بر أو بحر،ظاهرین أو مستورین،کما قال« أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ یَعْلَمُ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ ما یَکُونُ مِنْ نَجْوی ثَلاثَهٍ إِلاّ هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَهٍ إِلاّ هُوَ سادِسُهُمْ وَ لا أَدْنی مِنْ ذلِکَ وَ لا أَکْثَرَ إِلاّ هُوَ مَعَهُمْ أَیْنَ ما کانُوا ثُمَّ یُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا یَوْمَ الْقِیامَهِ إِنَّ اللّهَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ » (۱)و ربنا لیس فقط علیم بظاهر خلقه،بل هو بصیر أیضا بباطنهم،ینفذ علمه الی لطائف الأمور و مغیباتها.

وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ یعلم ظاهر العمل،کما یبصر صاحبه،و یعلم الدوافع الحقیقیه عنده،فقد یکون ظاهره الصلاح و لکنّ باطنه الریاء و حبّ الشهره و المصلحه،و یکفی بهذه الآیه أن تدفعنا إلی المزید من العمل الصالح،و السعی نحو المزید من الإخلاص و الإنفاق،فان مصائرنا رهینه أعمالنا،و ناقد أعمالنا بصیر بصیر.نعم.قد نخدم الناس أو نخدع أنفسنا بمظاهرنا و حسن أعمالنا،و لکن هل نخدع اللّه؟!کلاّ..

[۶-۵]و هذه الآیات تعتبر تمهیدا للحدیث عن الإنفاق،لأنها تعرفنا ربنا عز و جل من خلال صفاته الحسنی،و منها الغنی،فهو حین یدعونا الی الإنفاق فلیس لیربح علینا بل لنربح علیه،إذ لا یزیده إنفاقنا شیئا.

لَهُ مُلْکُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فما عسی أن یزید إنفاقنا فی ملکه؟!بل إنفاقنا لا یکون إلاّ فی جزء من ملکه استخلفنا فیه،فهو أما من الأرض،أو من السماء،و المالک الحقیقی هو الذی خلقهما،ثم ان ظاهر الأمور بأیدینا مما یوحی بأننا نملک ناصیتها،إلاّ أنّ واقعها بید اللّه فإلیه ترجع الأمور،و کم یدبّر العبد أمرا ینقضه تدبیر اللّه؟و کم یقدر شیئا یقیله

۱- ۱) المجادله۷/

منه أمر اللّه؟ وَ إِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الْأَمُورُ و نهتـدى من هذا المقطع إلى أن المالک الاول هو اللّه حين ابتدع كلّ شـىء ابتداعا،و خلقه بعد العدم،و انه المالک فى المسـتقبل،و هو المالک الآن،لأنه الأحد، العالم بكل شـىء،كما أنّه القادر على التصـرّف فيه كيف و متى شاء.إنّه الذى يميت و يحيى،و لک ان تلقى ببصـرک فى آفاق الخليقه ابتداء من نفسک لترى آثار الحكمه و التدبير الالهى المنطبعه فى كل شىء،بلى.قد تنكر دور الاراده الالهيه فى دقائق حياتک،زاعما بأنک الذى تصنع كل شىء فيها،و لكن من الذى يحرّک ملايين المجرات السابحه فى الفضاء بهذا النظام الدقيق؟و من الذى يبدّل الفصول و الليل و النهار؟إنّه اللّه.

يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهارِ وَ يُولِجُ النَّهارَ فِى اللَّيْلِ فاذا ولج أحدهما فى الآخر أخذ منه و اسـتطال عليه،و هذا التناقص و التزايد المستمر و المتقابـل فى الحركه اليوميه للأرض حول نفسـها و بسـبب حركتها حول الشـمس ينتهى الى تبـدّل الفصول،فاذا بالليل يلـج فى النهار الى الأقصى فى منتصف الشتاء،بينما يلج النهار الى الأقصى فى منتصف الصيف،و يتعادلان فى الربيع و الخريف تقريبا.

وَ هُوَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ إنّ علمه لاـ يقف عنـد مـا يظهره الإنسـان دليلا على ما فى قلبه، و علامه على نيته، إنّما ينفـذ الى ذات الصدور نفسها،و لعلّ سائلا يقول:ما هى العلاقه بين شطرى الآيه،أو بتعبير آخر:ما هى علاقه إيلاج الليل فى النهار و العكس بعلم اللّه ما فى

الصـدور؟و الجواب:إنّ الاثنين يحتاجان الى اللطف و العلم و الحكمه،ثم أنّه تعالى لا يشـغله شأن عن شأن،فتدبيره لشؤون الكون لا يصـرفه عن علم أدقّ الأمور،إنّما يهيمن على كل شـىء،و ذلك يسـير على اللّه..كما تحتمل الآيه ردّا على الـذين قالوا بأنّ اللّه تفرّغ للأمور الكبيره كحركه الكواكب و الأرض و فوض سائر الشؤون الى خلقه.

[سوره الحديد (۵۷): الآيات ۷ الی ۱۵]

اشاره

آمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفِقُوا مِمّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ أَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (۷) وَ مٰا لَكُمْ لاٰ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ
اَلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَ قَدْ أَخَذَ مِيثٰاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۸) هُوَ اَلَّذِي يُنَزِّلُ عَلىٰ عَبْدِهِ آيٰاتٍ بَيِّنٰاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ
اَلظُّلُمٰاتِ إِلَى اَلنُّورِ وَ إِنَّ اَللّٰهَ بِكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ (۹) وَ مٰا لَكُمْ أَلاّٰ تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ وَ لِلّٰهِ مِيرٰاثُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ لاٰ يَسْتَوِي
مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ اَلْفَتْحِ وَ قٰاتَلَ أُولٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ اَلَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَ قٰاتَلُوا وَ كُلاًّ وَعَدَ اَللّٰهُ اَلْحُسْنىٰ وَ اَللّٰهُ بِمٰا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (۱۰) مَنْ ذَا اَلَّذِي يُقْرِضُ اَللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضٰاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (۱۱) يَوْمَ تَرَى اَلْمُؤْمِنِينَ وَ اَلْمُؤْمِنٰاتِ يَسْعىٰ
نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمٰانِهِمْ بُشْرٰاكُمُ اَلْيَوْمَ جَنّٰاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا ذٰلِكَ هُوَ اَلْفَوْزُ اَلْعَظِيمُ (۱۲) يَوْمَ يَقُولُ
اَلْمُنٰافِقُونَ وَ اَلْمُنٰافِقٰاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا اُنْظُرُونٰا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ اِرْجِعُوا وَرٰاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بٰابٌ بٰاطِنُهُ
فِيهِ اَلرَّحْمَةُ وَ ظٰاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ اَلْعَذٰابُ (۱۳) يُنٰادُونَهُمْ أَ لَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قٰالُوا بَلىٰ وَ لٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَ تَرَبَّصْتُمْ وَ اِرْتَبْتُمْ وَ غَرَّتْكُمُ
اَلْأَمٰانِيُّ حَتّٰى جٰاءَ أَمْرُ اَللّٰهِ وَ غَرَّكُمْ بِاللّٰهِ اَلْغَرُورُ (۱۴) فَالْيَوْمَ لاٰ يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَ لاٰ مِنَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوٰاكُمُ اَلنّٰارُ هِيَ مَوْلاٰكُمْ وَ
بِئْسَ اَلْمَصِيرُ (۱۵)

اللغه

۱۱[يقرض]:القرض ما تعطيه غيرك ليقضيكه،و أصله القطع فهو قطعه عن مالكه بإذنه على ضمان رد مثله.

ص:۲۳

۱۳[نقتبس]:نستضیء،الاقتباس أخذ النار،و یقال قبسته نارا و اقتبسته علما.

۱۴[و تربصتم]:أی تربصتم بالمؤمنین الدوائر،و قیل:لم تسارعوا فی إطاعه أوامر اللّه لأنّ التربّص الترقّب و الانتظار.

ص:۲۴

آمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفِقُوا

هدى من الآيات:

توجّهنا هذه الآيات إلى اليمان باللّه و بالرسول،و تأمرنا بالإنفاق باعتباره من أعظم ثمرات الايمان،و لما فيه الأجر الكبير،و هو محك الميثاق الذى أخذ من كلّ الناس فى عالم الذر،و هو بند من بنود العهد الذى قطعه المسلم على نفسه عند بيعته للقياده الرساليه..و لا يحدد القرآن نوعا من الإنفاق بذاته،و ان كان الظاهر هو إنفاق المال،كما لا يدعو الى كميه معينه من الإنفاق،لان الأهم الكيف و ليس الكم،لذلك نجد تفريقا بين الإنفاق استجابه لأمر اللّه و دعوه الرسول إذا كان قبل الفتح و إذا كان بعده،و التأكيد على ان الاول هو الأفضل عند اللّه،لأنه الأصعب، إذ يتعرّض المؤمن يومئذ لكثير من الصعاب كضغط السلطه التى تعتبر الإنفاق من أجل الحق جريمه تستحق العقاب،و ضغط المجتمع المثبط الذى يعتبره مغرما و سفها، اما بعد الفتح فتنتفى الكثير من الضغوط،و ربما يصير الإنفاق بابا الى الشهره، و تأكيدا على النوع فى الإنفاق يدعونا ربنا الى قرض حسن فى سبيله،لا لحاجه منه

الیه،و انما لکی یرده علینا أضعافا مضاعفه فی الدنیا،و لیجعله نورا فی الآخره و ثوابا و فوزا عظیما.

ثم ینقل لنا الوحی مشهدا من الا-خره،حیث المؤمنون و المؤمنات یسعی نورهم بین أیدیهم و بأیمانهم التی مدّوها بالإنفاق و القرض الحسن فی سبیل اللّه،فهم فی نعیم الجنه خالدون،بینما یتخبط المنافقون الذین بخلوا أو أنفقوا لغیر وجهه تعالی فی ظلمات و عذاب مقیم،و هنالک لا یقبل منهم فدیه فی مقابل الخلاص من العذاب، و لو کان قدرها ملء الأرض ذهبا،بینما کان بامکانهم ان یعتقوا أنفسهم من جهنم بإنفاق حسن محدود فی الدنیا لوجه اللّه و طاعه لرسوله و أولیائه،لکنّهم فتنوا أنفسهم و تربّصوا و ارتابوا و غرتهم الامانی و خدعهم الشیطان.

بیّنات من الآیات:

[۷]بعد ان عرّفنا ربنا نفسه من خلال صفاته کالقدره علی کل شیء،و العلم بکل شیء،و انه الاول و الآخر و الظاهر و الباطن،و انه الخالق الذی له الملک الواسع و بیده التدبیر،یدعونا الی الایمان به تعالی،معتبرا ذلک أساسا للایمان.أو لیس الایمان الحق هو الذی یقوم علی المعرفه؟ آمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفِقُوا یسأل البعض:هل الخطاب موجه الی المؤمنین فهو تحصیل حاصل لأنهم مؤمنون،أم هو موجه لغیر المؤمنین فهو غیر جائز لان الأمر یلزم المؤمن فقط؟! و الجواب: أولا-:إنّ الایمان درجات فیصحّ ان یکون الخطاب للمؤمنین یدعوهم الی درجه أرفع من الایمان،و الإنفاق المأمور به فی الآیه هو أحد درجات الایمان، فلیس کل المؤمنین منفقین.

و ثانيا:إنّ الأمر بالايمان و الإنفاق قائم و ملزم حتى لغير المؤمن،فان كان مسلما لمّا يدخل الايمان قلبه فدعوته لذلك جائزه،و لو افترضناه كافرا فهى قائمه و ملزمه أيضا،فهذا رسول اللّه صلى الله عليه و آله يدعو الكافرين و المشركين الى التوحيد بما اشتهر عنه:

«قولوا لا إله الاّ اللّه تفلحوا »،فلا يعنى ذلك أنّ أمره صلى الله عليه و آله قبيح،و لا أن دعوته غير ملزمه،فالأمر حينما يكون عقليّا يلزم كل ذى عقل،و حينما يكون شرعيّا يلزم كل من بلغته الحجه و لو لم يذعن،و الدليل الى ذلك توعد اللّه المخالفين لأوامره بالعذاب،و الأمر بالايمان-و من ثم الإنفاق-يتسم بالعقلانيه،كما هو مقتضى الشريعه.

و إذا كانت المعرفه مرتكز الايمان فانّ الايمان مرتكز الإنفاق،إذ لا قيمه لانفاق بغير إيمان،و لغير وجه اللّه،قال تعالى:« إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللّهِ شَيْئاً وَ أُولئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ* مَثَلُ ما يُنْفِقُونَ فِي هذِهِ الْحَياةِ الدُّنْيا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيها صِرٌّ أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَ ما ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَ لكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ » (١)، و الايمان ليس يوجّه الإنفاق الى أهدافه الصحيحه،و يجعله ضمن منطلقاته و دافعه المطلوبه و حسب،بل هو الذى يعطى الإنسان الاراده و القدره على تجاوز حرص النفس و شحّها و سائر الضغوط و الحوافز المعاكسه،فالمؤمن يعطى فى سبيل اللّه لاعتقاده بأن ذلك يؤدى الى النماء، و الى الجنه،و الى رضوان اللّه و هو الأهم،فلا يعتبر إنفاقه خساره،بل هو ربح فى الواقع و المستقبل،ثم هب أنّه لم يحصل على نماء فى الدنيا فانّه سوف يجد أجرا كريما فى الاخره.

و من الحوافز الموضوعيه الى الإنفاق بالاضافه الى الايمان هو المعرفه الراسخه باننا لا ننفق من عند أنفسنا،إنّما ننفق من ملك اللّه الذى استخلفنا فيه،فلما ذا الشح

١- ١) آل عمران١٦/-١٧

ما دام الآمر بالإنفاق هو المالک؟لذلک یؤکّد القرآن قائلا:

مِمّا جَعَلَکُمْ مُسْتَخْلَفِینَ فِیهِ و قد قیل فی«مستخلفین»معنیان أحدهما:انّ الإنسان یأتی خلفا لسلف فی الملک،فیکون المعنی:أنفقوا من قبل أن یستخلف اللّه أحدا غیرکم باماتتکم،أو نقل مالکم إلیه،و الثانی:إنّکم لستم المالک الحقیقی بل اللّه،و انما أذن لکم بالتصرّف فیه،و خوّلکم صلاحیه العمل فیه،کما لو کنتم خلفاءه فیه،و کلا المعنیین سواء فی التحریص علی الإنفاق،و لکنّ الاول أظهر لقوله تعالی: وَ أَنْفِقُوا مِنْ مّا رَزَقْناکُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ یَأْتِیَ أَحَدَکُمُ الْمَوْتُ فَیَقُولَ رَبِّ لَوْ لا أَخَّرْتَنِی إِلی أَجَلٍ قَرِیبٍ فَأَصَّدَّقَ وَ أَکُنْ مِنَ الصّالِحِینَ (1).

فَالَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ أَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ کَبِیرٌ أما الذی یؤمن و لا ینفق فان کان امتنع عن الإنفاق الواجب فله العذاب،و ان کان مستحبا فانّ أجره لن یکون کأجر المنفقین.

[8]و لماذا یرفض الإنسان الایمان بربّه و هو الذی خلقه و یرزقه و یرعاه؟! وَ ما لَکُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الرَّسُولُ یَدْعُوکُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّکُمْ و هذه الدعوه لیست بدعه و لا باطلا،إنّما تتفق مع الحق المودع فی فطره کلّ خلق منذ عهده مع ربّه.قال تعالی:

1- 1) المنافقون/10

وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قٰالُوا بَلیٰ شَهِدْنٰا أَنْ تَقُولُوا یَوْمَ الْقِیٰامَهِ إِنّٰا کُنّٰا عَنْ هٰذٰا غٰافِلِینَ* أَوْ تَقُولُوا إِنَّمٰا أَشْرَکَ آبٰاؤُنٰا مِنْ قَبْلُ وَ کُنّٰا ذُرِّیَّهً مِنْ بَعْدِهِمْ أَ فَتُهْلِکُنٰا بِمٰا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ* وَ کَذٰلِکَ نُفَصِّلُ الْآیٰاتِ وَ لَعَلَّهُمْ یَرْجِعُونَ (۱).

وَ قَدْ أَخَذَ مِیثٰاقَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ أی ان کنتم أعطیتم المیثاق الاول بالطاعه للّه و للرسول فأنفقوا.

قال البعض:إن میثاق عالم الذر لا یصلح للتحریض،لاننا لا نتذکّر ذلک المیثاق فکیف یکون حجه علینا؟قال عطاء و مجاهد و الکلبی و المقاتلات:یرید حین أخرجهم من ظهر آدم،و قال:« أَ لَسْتُ بِرَبِّکُمْ قٰالُوا بَلیٰ »،و ردّ علیهم الفخر الرازی:و هذا ضعیف،و ذلک لأنه تعالی إنّما ذکر أخذ المیثاق لیکون ذلک سببا فی انه لم یبق لهم عذر فی ترک الایمان بعد ذلک،و أخذ المیثاق وقت إخراجهم من ظهر آدم غیر معلوم للقوم إلا بقول الرسول(و مضی یردّ علی رأیهم حتی قال:)فعلمنا أنّ تفسیر الایه بهذا المعنی غیر جائز (۲)،و الحال أنّ اللّه لم یأخذ المیثاق و یشهد بنی آدم علی أنفسهم إلاّ لکی یستأدیه فی یوم من الأیام عبر رسله و أولیائه،و حججه،و هو مودع فی قلوبهم بصوره معرفه و ایمان فطری،و الشاهد و المتقدّم من سوره الأعراف ظاهر و ظهیر لهذا المعنی.

و یحتمل ان یکون معنی الایمان هو الجانب العملی منه المتمثّل فی الإنفاق، فیکون المعنی:إن کنتم مؤمنین حقّا استجیبوا لدعوه الرسول بالإنفاق.

و قال البعض:إنّ معنی الایه:آمنوا إن کنتم ممن تکفیه هذه الشواهد.

[۹]و مره أخری نتساءل:لماذا یرفض الإنسان الایمان،انه لیس خساره،بل هو ربح عظیم،لأنه یخرجه من الظلمات الی النور،من ظلمات الظلم الی نور

۱- ۱) الأعراف ۱۷۲/-۱۷۴

۲- ۲) التفسیر الکبیر عند تفسیر الآیه.

العداله،و من ظلمات العقائد السخيفه التى تحجب العقل عن الحقائق الى نور الحنفيّه السمحاء التى تثيره الى معرفتها،و من ظلمات العقد النفسيه التى تسلبه لذّه الحياه الى نور الوعى،و كل ذلك يتم برساله اللّه الى الإنسان.

هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلىٰ عَبْدِهِ آيٰاتٍ بَيِّنٰاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمٰاتِ إِلَى النُّورِ القرآن يرسم لنا خريطه شامله متكامله و صحيحه لجوانب الحياه،و يحرّر العقل و النفس من الأفكار الضالّه و العقد.إنّه يزكّى النفس من الحسد و الحقد و سوء الظن و الشك،و هذه كلها ظلمات،و فى المقابل يزرع فيها الوئام و المحبّه و حسن الظن و الالفه،كما أنّ من أهم الظلمات التى تستهدف الرسالات الالهيه إخراج الناس منها هى الانظمه الفاسده التى تتسلّط على رقاب الناس،و تمنع الامه من التقدم، و على الناس أن يعلموا بان الايمان الأصيل،و الإنفاق الذى تدعوهم اليه القيادات و الحركات الرساليه يهدف تحريرهم من تلك الظلمات الى نور دوله الحقّ و العدل، و هذا لا ـ شك يكلّفهم شيئا من التضحيات،و لكن ليعلموا انّه فى صالحهم و لخيرهم فى الدنيا و الآخره.إنّ الايمان و الإنفاق يستهدفان بناء مجتمع متحضّر نفسيا و اجتماعيا و سياسيا و اقتصاديا و ثقافيا..كل ذلك من رأفه اللّه و رحمته بعباده.

وَ إِنَّ اللّٰهَ بِكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ بلى.إنّ الايمان يحملنا بعض المسؤوليه،و نحتاج حتى نلتزم به أن نخالف أهواءنا،و لكنّه ليس مغرما كما يتصوّره البعض،فقد يطالبنا بالإنفاق و لكن ليس ليستنفع به اللّه سبحانه و تعالى،انما ليعود النفع علينا نحن البشر،و ذلك لأنه يزكّى نفوسنا و يربينا،و يبنى مجتمعا متكاملا قويا،و ينمّى اقتصادنا،إضافه الى كونه يسبب رضى اللّه و ثوابه فى الآخره،و قد قال تعالى: خُذْ مِنْ أَمْوٰالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ

وَ تُزَکِّیهِمْ بِهٰا وَ صَلِّ عَلَیْهِمْ إِنَّ صَلاٰتَکَ سَکَنٌ لَهُمْ وَ اللّٰهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ (۱)،و قال:

یَمْحَقُ اللّٰهُ الرِّبٰا وَ یُرْبِی الصَّدَقٰاتِ (۲)،و قال: قُلْ إِنَّ رَبِّی یَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ یَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ وَ یَقْدِرُ لَهُ وَ مٰا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَیْءٍ فَهُوَ یُخْلِفُهُ وَ هُوَ خَیْرُ الرّٰازِقِینَ (۳).

و لنا أن نلمس حقیقه الرساله،و رأفه اللّه و رحمته عن قرب،لو رجعنا الی الوراء قلیلا-فی الزمن لنقارن بین واقعین فی تجمّع واحد کان یعیش علی شبه الجزیره العربیه،واقعه قبل الإسلام،و واقعه بعده،لقد کان قبله مجتمعا ضعیفا متمزّقا عرضه للطامعین و عرضه للتناحر و الحروب،فأصبح قویا متحدا و رمزا للتحضّر، و قال تعالی مشیرا الی هذه النعمه العظیمه:« وَ اذْکُرُوا نِعْمَتَ اللّٰهِ عَلَیْکُمْ إِذْ کُنْتُمْ أَعْدٰاءً فَأَلَّفَ بَیْنَ قُلُوبِکُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوٰاناً وَ کُنْتُمْ عَلیٰ شَفٰا حُفْرَهٍ مِنَ النّٰارِ فَأَنْقَذَکُمْ مِنْهٰا کَذٰلِکَ یُبَیِّنُ اللّٰهُ لَکُمْ آیٰاتِهِ لَعَلَّکُمْ تَهْتَدُونَ » (۴)،و

قالت فاطمه الزهراء علیه السلام تعکس محتوی هذه الآیه و شبیهاتها:«ابتعثه إتماما لأمره،و عزیمه علی إمضاء حکمه،و إنفاذا لمقادیر رحمته،فرأی الأمم فرقا فی أدیانها،عکّفا علی نیرانها،عابده لاوثانها،منکره للّه مع عرفانها،فأنار اللّه بأبی محمّد صلی الله علیه و آله ظلمها، و کشف عن القلوب بهمها،و جلی عن الأبصار غممها،و قام فی الناس بالهدایه، فأنقذهم من الغوایه،و بصّرهم من العمایه،و هداهم إلی الدین القویم، و دعاهم الی الطریق المستقیم..إلی أن تقول:و کنتم علی شفا حفره من النار،مذقه الشارب،و نهزه الطامع،و قبسه العجلان،و موطئ الاقدام،تشربون الطرق، و تقتاتون القد،أذلّه خاسئین،تخافون أن یتخطّفکم الناس من حولکم،فأنقذکم اللّه تبارک و تعالی بمحمّد صلی الله علیه و آله بعد اللتیا و التی » (۵).

۱- ۱) التوبه۱۰۳/

۲- ۲) البقره۲۷۶/

۳- ۳) سبأ۳۹/

۴- ۴) آل عمران۱۰۳/

۵- ۵) الإحتجاج/ج ۱ ص ۹۹-۱۰۰

[۱۰]فلما ذا لا يتبع البشر الآيات و يطبقونها إذا كانت تخرجهم من الظلمات الى النور؟هل الظلمه خير من النور؟!أم العذاب خير من رأفه اللّه و رحمته؟! وَ مٰا لَكُمْ أَلاّٰ تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَ لِلّٰهِ مِيرٰاثُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ كل نعمه هى أمانه بيد الإنسان،روحه و جسده و ماله و كل شيء،و يأتى يوم تسترد هذه الامانه منه لتعود الى مالكها و هو اللّه،ليسأل كل واحد عن موقفه منها، « ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ » (۱)،« وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ » (۲).و لماذا يمسك مال اللّه و أمانته دون أمره،أ فلا يستحق بعدها الجزاء؟« وَ مٰا ذٰا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَنْفَقُوا مِمّٰا رَزَقَهُمُ اللّٰهُ » (۳)؟! و كما يختلف الإنفاق فى سبيل اللّه عن الإنفاق لأغراض أخرى،بأنّ الاوّل مقبول مجزى عليه،و الآخر مردود و ربما معاقب بسببه،فانّ الاوّل يتفاضل على بعضه أيضا،نظرا لمستوى إيمان صاحبه،و للظروف و المعطيات المحيطه به،فالذى ينفق قبل الفتح و الانتصار لا شك أنّه أعظم درجه و فضلا،و ذلك لاسباب أهمّها:

۱-سبقه الى الحق و العمل الصالح،و لعلّ الكثير من اللاحقين إنما اهتدوا بسببه،فهو يصدق عليه

حديث الرسول صلى الله عليه و آله :«من سنّ سنّه حسنه فله أجرها، و أجر من عمل بها الى يوم القيامه،لا ينقصهم من أجرهم شيئا »،كما أنّه مصداق لقوله تعالى: وَ السّٰابِقُونَ السّٰابِقُونَ أُولٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (۴).

۲-دوره فى إقامه حكومه اللّه فى المجتمع،و هو لا شك فضل كبير،و الكثير من

۱- ۱) التكاثر/۸

۲- ۲) الصافات/۲۴.

۳- ۳) النساء/۳۹

۴- ۴) الواقعه/۱۰-۱۱

الإنفاق و القتال الـذی یلی الفتـح إنّما بفضل الانتصار الذی ارتفع بسـببه الحرج، و صـلحت الظروف المضاده،و الکثیر من الناس مسـتعدون للإنفاق فی ظل المجتمع المسـلم أکثر من استعدادهم للإنفاق فی ظل الحرکه بالذات إذا کانوا یستضعفونها، و لعلّه لو لم ینبر لدعم الرساله أولئک السابقون ما کانت تقوم لها قائمه.

۳-لأنّ الإنفاق و القتال قبل الفتـح أکثر صـعوبه و تحـدیا بالنسـبه للإنسان،فقـد یجر علیه الکثیر من الویلات و المشاکل،إذا عرفه أعـداء الرساله کالانظمه الفاسـده، و یکفیه فضـیله أنّه یقاوم به فی ظروف أکثر معاکسه و تحـدیا،حیث الناس کلّهم متقاعسون،و النبی صلی الله علیه و آله یشیر الی هذه الحقیقه إذ یقول:

«خیر الأعمال أحمزها».

أما بعد الانتصار و الفتح فقد یکون الإنفاق سبیلا الی المجد الاجتماعی.

إنّ الإنفـاق قبـل الفتـح یـدلّ علی عمق الایمـان،لان علی المنفق یومئـذ أن یجتاز ثلاث عقبات:عقبه حب المال،و عقبه الضـغوط السیاسـیه،و عقبه التحـدّیات الاجتماعیه..کـذلک یکون إقدامه علی القتال و إنفاقه نابعا حینها من روح ایمانیه خالصه،و لیس من اختلاط الدوافع و الدواعی.

لاٰ یَسْتَوِی مِنْکُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قٰاتَلَ أُولٰئِکَ أَعْظَمُ دَرَجَهً مِنَ الَّذِینَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَ قٰاتَلُوا و لکن لا ینبغی أن یکون هـذا التفاضل سـببا للتعالی عند فئه،و لا للیأس و الاحساس بالضـعه عند الأخری،کما لا یعنی أن اللاحقین لا حظّ و لا فضل لهم، کلاّ..

وَ کُلاًّ وَعَدَ اللّٰهُ الْحُسْنیٰ یعنی الجنه و الرضا و الجزاء،و یؤکّد القرآن فی نهایه الآیه أنّ التفاضل لیس

لمجرد الانتماء الى صفوف المجاهدين الرساليين قبل الفتح،و لا لعوامل ذاتيه تنحصر فى ذلك الجيل،كلا..إنّما التفاضل بالأعمال الصالحه التى يحيط بها علم اللّه.

وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ إذ لا يكفى أن يقتات الجيل السابق بأمجاده الغابره،و يتوقّف عن العمل اعتمادا على ذلك التفضيل،و لعلّ فى هذه الخاتمه إشاره لطيفه إلى موقف الإسلام من صراع الأجيال،ففى الوقت الذى يعترف فيه بوجود الأجيال بل بتمايزها،لا يدعوها للصراع،بل يدفعها باتجاه الالتحام و التعاون و التسابق البنّاء فى ميدان السعى و العمل.

[۱۱]و يجادل البعض:ما دام للّه ملك السماوات و الأرض،و هو على كلّ شىء قدير،فلما ذا يأمرنا بالإنفاق؟و يقول ربنا عن مثل هؤلاء:« وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَ نُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشاءُ اللّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ » (۱)،كل ذلك تبريرا لتخلّفهم عن الحق،و سعيا للتملّص من المسؤوليه،و لكنّ المؤمنين يدركون غنى اللّه،و أنّه إنّما فرض الإنفاق ليبتلى عباده و يستأديهم ميثاقه بالطاعه له.

قال أمير المؤمنين عليه السلام :«أسهروا عيونكم،و أضمروا بطونكم،و استعملوا أقدامكم،و أنفقوا أموالكم،و خذوا من أجسادكم فجودوا بها على أنفسكم،و لا تبخلوا بها عنها،فقد قال تعالى: إِنْ تَنْصُرُوا اللّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ ،و قال تعالى: مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ،فلم يستنصركم من ذل،و لم يستقرضكم من قل، استنصركم و له جنود السماوات و الأرض،و استقرضكم و له خزائن السماوات و الأرض،و هو الغنى الحميد،و إنّما أراد أن يبلوكم أيّكم أحسن عملا،فبادروا

۱- ۱) يس/۴۷

بأعمالكم تكونوا من جيران اللّه فى داره » (۱).

نعم.إنّه تعالى لا يحتاج إلينا،و لا لأحد من خلقه،و إنّ ما نملك من شىء فهو من فضله و رزقه،و دعوته لنا الى الإنفاق فى صالحنا،فبالانفاق فى سبيله نعالج مشاكلنا الاقتصاديه و السياسيه و الاجتماعيه،و نزكى أنفسنا،و فى الاخره أجر و ثواب عظيمان،فلنستمع لندائه،و لنستجب دعوته:

مَنْ ذَا الَّذِی یُقْرِضُ اللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً إنّه لا يريدنا ان ننفق كل أموالنا فى سبيله،انما يريد بعضها،فالقرض هو الاقتطاع،و لعلّ فى الكلمه اشاره الى الصعوبه التى يواجهها الإنسان عند الإنفاق و التى تشبه القرض.أو ليس يريد مخالفه هواه،و حبه للمال؟ اذن فليتحمل، و ليعلم انه فى صالحه دنيا و آخره.

و ربنا لا يريد اى إنفاق،انما الإنفاق الحسن،و لا يكون كذلك الا إذا اشتمل على المواصفات التاليه:

۱-أن يكون من المال الحلال..

قال أبو بصير عن أبى عبد اللّه عليه السلام فى قوله عز و جل:« أَنْفِقُوا مِنْ طَیِّبٰاتِ مٰا کَسَبْتُمْ »فقال:«كان القوم قد كسبوا كاسب سوء فى الجاهليه،فلما أسلموا أرادوا ان يخرجوها من أموالهم فيتصدقوا بها،فأبى اللّه عز و جل ان يخرجوا إلاّ من أطيب ما كسبوا» (۲)و فى قوله تعالى: وَ لاٰ تَیَمَّمُوا الْخَبِیثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ قال:«كان الناس حين أسلموا عندهم مكاسب من الربا، و من أموال خبيثه،فكان الرجل يتعمّدها من بين ماله فتصدق بها،فنهاهم اللّه

۱- ۱) نهج/ج ۱۸۳ ص ۲۶۷

۲- ۲) وسائل/ج ۶ ص ۳۲۵

عن ذلك،و ان الصدقه لا تصلح الا من كسب طيب » (۱)و

قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله :«إنّ اللّه تعالى طيّب لا يقبل إلاّ الطيّب » (۲)،و لعلّ تأكيد الأحاديث و الآيات على هذا الشرط لان البعض يحاول تبرير مكاسبه الحرام،و الالتفاف على الشرع بمختلف الحيل،كانفاق بعضها فى بناء المساجد و الحسينيات،و المساهمه فى المشاريع الخيريه،و لكن ليعلم هؤلاء ان ذلك لا يخلعهم عن المسؤوليه أمام اللّه،و لا يعود عليهم بالنفع.

۲-أن يكون مخلصا لوجه اللّه،قال تعالى: إِنَّمٰا يَتَقَبَّلُ اللّٰهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (۳)، و هذه سيره أوليائه عليه السلام : وَ يُطْعِمُونَ الطَّعٰامَ عَلىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً* إِنَّمٰا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّٰهِ لاٰ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزٰاءً وَ لاٰ شُكُوراً* إِنّٰا نَخٰافُ مِنْ رَبِّنٰا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً (۴)،أمّا إذا أنفق الإنسان تزلفا الى الطاغوت،أو طمعا فى منصب، و قضاء حاجه لدى القياده الرساليه،أو رئاء الناس و لهثا وراء الشهره و السمعه، فهذا ليس قرضا حسنا،إنّما هو سيء يستوجب العقاب،لأنه قد يكون طريقا الى الفساد و الإفساد فى المجتمع،و على القياده الرساليه ان تتنبه لهذه النوعيه من أصحاب الأموال،الذين يتظاهرون بدعم الحركه و الدوله الاسلاميه،و لكنهم فى الواقع لا يريدون من وراء ذلك الا بلوغ مصالحهم،و التغطيه على أخطائهم و تلاعبهم بالاقتصاد و المجتمع،و لا ريب ان الكلام الحسن خير من هذا النوع من الإنفاق، و قد قال اللّه تعالى:

۱- ۱) تفسير العياشى/ج ۱ ص ۱۴۹

۲- ۲) مجمع البيان/ج ۹ عند الآيه

۳- ۳) المائده/۲۷

۴- ۴) الإنسان/۸-۱۰

اَلَّذِینَ یُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمْ فِی سَبِیلِ اللّٰهِ ثُمَّ لاٰ یُتْبِعُونَ مٰا أَنْفَقُوا مَنًّا وَ لاٰ أَذیً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لاٰ خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لاٰ هُمْ یَحْزَنُونَ* قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَ مَغْفِرَهٌ خَیْرٌ مِنْ صَدَقَهٍ یَتْبَعُهٰا أَذیً وَ اللّٰهُ غَنِیٌّ حَلِیمٌ* یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تُبْطِلُوا صَدَقٰاتِکُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذیٰ کَالَّذِی یُنْفِقُ مٰالَهُ رِئٰاءَ النّٰاسِ وَ لاٰ یُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ کَمَثَلِ صَفْوٰانٍ عَلَیْهِ تُرٰابٌ فَأَصٰابَهُ وٰابِلٌ فَتَرَکَهُ صَلْداً لاٰ یَقْدِرُونَ عَلیٰ شَیْءٍ مِمّٰا کَسَبُوا وَ اللّٰهُ لاٰ یَهْدِی الْقَوْمَ الْکٰافِرِینَ (۱).

۳-أن یصیب الإنفاق موارده المشروعه،فیکون الإنسان أقرض اللّه بالفعل، بلی.لیس مطلوبا منه أن یفتّش عن عقائد الناس و یحقّق معهم،و لکن ینبغی له أن یعلم این یضع ماله،و

فی الخبر المشهور :«لا تجوز قدما عبد علی الصراط حتی یسأل عن خمس(منها:)و عن ماله من أین اکتسبه و فیما أنفقه »و قال اللّه عز و جل: إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقٰاتِ فَنِعِمّٰا هِیَ وَ إِنْ تُخْفُوهٰا وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَرٰاءَ فَهُوَ خَیْرٌ لَکُمْ (۲)و

قال الامام الصادق علیه السلام :«لو أن الناس أخذوا ما أمرهم اللّه به فأنفقوه فیما نهاهم عنه ما قبله منهم،و لو أخذوا ما نهاهم عنه فأنفقوه فیما أمرهم اللّه به ما قبله منهم،حتی یأخذوه من حق،و ینفقوه فی حق » (۳).

بالطبع الثواب یکون علی النیه،و الإنسان مطالب أن یعمل بالظاهر،و لکنّه إذا أخلص نیته و أصحاب هدفه فهو أجزل ثوابا من الذی یخلص و لا یصیب،بالذات إذا کان ذلک یسبب الإهمال،فان الإنفاق إذا أخطأ موارده قد یؤدی الی حالات سلبیه معاکسه اجتماعیا و سیاسیا و اقتصادیا.

و من أهم الموارد الامام المعصوم و من یخلفه فی قیاده المجتمع المسلم أو التجمع الرسالی الذی یجاهد من أجل اقامه حکم اللّه،و تحریر البلاد و العباد من ربقه الظلم و الفساد و التبعیّه،

قال الامام الصادق(علیه السلام): «إنّ اللّه لم یسأل خلقه ما

۱- ۱) البقره۲۶۲/-۲۶۴

۲- ۲) البقره۲۷۱/

۳- ۳) وسائل/ج ۶ ص ۳۲۶

فی أیدیهم قرضا من حاجه به الی ذلک،و ما کان للّه من حق فانّما هو لولیّه » (۱)و

فی روضه الکافی عن أبی الحسن الماضی علیه السلام فی قوله تعالی: مَنْ ذَا الَّذِی یُقْرِضُ اللّهَ (الآیه)قال:«صله الامام فی دوله الفسّاق » (۲).

و لتعلم الامه انها کلما دعمت الحرکات الرسالیه و القیادات الصالحه کلما تقدمت نحو النصر،و ساهمت فی استقلال طلائعها المجاهده،فهناک الکثیر من المشاریع فی طریق الجهاد و النصر تنتظر العون الذی یصیّرها واقعا علی الأرض، و زوجه الرسول الأکرم خدیجه بنت خویلد(علیهما السلام)أسوه حسنه لنا.فلقد و هبت مالها للإسلام ابتغاء مرضاه اللّه،و جهادا فی سبیله،و إذا کانت هذه المسؤولیه تقع علی الامه فردا فردا،فانها لا ریب تترکز عند الذین أنعم اللّه علیهم بالثروه،و هم مطالبون أمام اللّه و الامه و التاریخ ان یتحمّلوا مسئولیتهم و یؤدوا واجبهم فی الصراع الحاسم بین الباطل(ممثلا بالأنظمه الجاهلیه)و بین الحق(ممثلا بالقیادات و الحرکات الرسالیه و الصادقه)،و لیطمئن کل منفق أنّ انتصار الحق لن یکون فی صالح الامه و حسب،بل فی صالحه هو شخصیّا أیضا،و أن المال الذی ینفق منه لن ینقص،بل سیبارک اللّه له فیه.

فَیُضاعِفَهُ فی الدنیا.و یضرب القرآن مثلا لهذه المضاعفه إذ یقول: مَثَلُ الَّذِینَ یُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِی سَبِیلِ اللّهِ کَمَثَلِ حَبَّهٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِی کُلِّ سُنْبُلَهٍ مِائَهُ حَبَّهٍ وَ اللّهُ یُضاعِفُ لِمَنْ یَشاءُ وَ اللّهُ واسِعٌ عَلِیمٌ (۳)،و

قال الامام علی علیه السلام :الصدقه تنمی

ص:۳۸

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۳۹

۲- ۲) المصدر/نقلا عن الروضه

۳- ۳) البقره۲۶۱/

المال عند اللّه (۱)،و لا يقف الجزاء عند هذا الحد،انّما تعم البركه جوانب حياته،و تمتد الى من حوله،و الى الأجيال من بعده،

قال الامام الصادق عليه السلام :«ما أحسن عبد الصدقه فى الدنيا الا أحسن اللّه الخلافه على ولده من بعده » (۲)، و كذلك يشمل الجزاء الآخره،فيكون هناك أكثر و أفضل.

وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ فى مقابل شكر الإنسان لربّه،و تصرّفه الحسن فى نعمه يشكره اللّه.و نحن نعلم كم تكون العطيه كثيره إذا امتدت بها يد الكريم من الناس،و لكننا لا نستوعب سعتها و نوعيّتها إذا كانت من عند رب العالمين الذى وسعت رحمته كل شىء! و يجدر بنا فى خاتمه تفسير الآيه أن ننقل هنا نص كلام العلامه الطبرسى فى بيان شروط القرض الحسن:

قال أهل التحقيق:القرض الحسن أن يجمع عشره أوصاف:أن يكون من الحلال،لأنّ

النبى(صلى اللّه عليه و آله)قال :«إنّ اللّه تعالى طيّب لا يقبل إلاّ الطيب »،و أن يكون من أكرم ما يملكه دون ان يقصد الردىء بالإنفاق،لقوله:

« وَ لاٰ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ »،و ان يتصدّق و هو يحب المال و يرجو الحياه،

لقوله صلى الله عليه و آله لمّا سئل عن الصدقه:«أفضل الصدقه أن تعطيه و أنت صحيح، شحيح،تأمل العيش،و تخشى الفقر،و لا تمهل حتى إذا بلغت النفس التراقى قلت:لفلان كذا،و لفلان كذا »، و أن يضعه فى الاخل الاحوج الاولى بأخذه، و لذلك خص اللّه أقواما بأخذ الصدقات و هم أهل السهمان،و ان يكتمه ما أمكن، لقوله:« وَ إِنْ تُخْفُوهٰا وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَرٰاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ »،و ان لا يتبعه المن و الأذى،

۱- ۱) بح/ج ۷۷ ص ۲۶۸

۲- ۲) المصدر/ج ۹۶ ص ۲۶۸

لقوله: لاٰ تُبْطِلُوا صَدَقاٰتِكَمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذىٰ ،و ان يقصد به وجه اللّه و لا يرائى بذلك لان الرياء مذموم،و ان يستحقر ما يعطى و ان كثر لان متاع الدنيا قليل،و ان يكون من أحب ماله اليه،لقوله: لَنْ تَنٰالُوا الْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوا مِمّٰا تُحِبُّونَ ،فهذه الأوصاف العشره إذا استكملتها الصدقه كان ذلك قرضا حسنا» (۱).

[۱۲]و جزاء اللّه و أجره لا ينحصر فى الدنيا،ففى الآخره يكون الجزاء الأعظم و الأعم.

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ يَسْعىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ لأنهم بعثوا أعمالهم الصالحه قبل ان يرحلوا الى تلك الدار.

وَ بِأَيْمٰانِهِمْ التى ما برحت حتى الرمق الأخير تنفق فى سبيل اللّه حيث تتحول صحيفه أعمالهم التى يحملونها بأيمانهم الى نور و بشرى بالجنه،و النور هو تجل واقعى للأعمال الصالحه،و الهدى الذى اتبعوه من آيات الرساله التى تنزلت على الأنبياء،و الامامه الصالحه التى اختاروها و سلموا لها و اتبعوا بصائرها،

قال الامام الباقر عليه السلام :و هو يفسّر الايه:أئمه المؤمنين يوم القيامه تسعى بين يدى المؤمنين و بأيمانهم حتى ينزلوهم منازل أهل الجنه (۲)،و لا غرابه فى ذلك و ربنا يصف نبيّه بأنّه نور و سراج منير و يقول: يٰا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنّٰا أَرْسَلْنٰاكَ شٰاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً* وَ دٰاعِياً إِلَى اللّٰهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرٰاجاً مُنِيراً* (۳).و هذا النور موجود فى الدنيا،و لكن الإنسان لا يراه بعينه،انما يراه البصير بقلبه،و فى الاخره يكشف اللّه عنه.و نهتدى من التدبّر فى المقطع

۱- ۱) مجمع البيان/ج ۹ ص ۲۳۵

۲- ۲) نور الثقلين/ج ۵ ص ۲۴۰

۳- ۳) الأحزاب۴۵/-۴۶

« يَسْعىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمٰانِهِمْ »أنّه ينبغى للمؤمن ان لا يكتفى بالنور الـذى ينير له الطريق من الخارج،بل لا بد ان يكون بيده نور و عنده بصيره الاستفاده من ذلك فى الوقت المناسب.

و من دقائق التعبير هنا قوله تعالى وَ الْمُؤْمِنٰاتِ دون ان يكتفى بـذكر المؤمنين التى هى لغه القرآن الشامله للجنسين،و ذلك لكى لاـ تتصوّر النسـاء أنّ الإنفـاق و الجهاد فى سبيل اللّه من وظائف الرجل وحـده،كلاّ..فهنّ مكلّفات بقـدرهنّ أيضا،و من الخطأ أن تعتمد المرأه على ما يقدّمه وليها أو أقرباؤها،فلكل عمله و سعيه،و نوره و جزاؤه يوم القيامه.

و حيث يتقدّمون نحو الجنه و يعبرون الصراط تأتيهم البشاره من اللّه تحملها الملائكه.و أى بشرى تلك؟!إنّها عظيمه حقّا.

بُشْرٰاكُمُ الْيَوْمَ جَنّٰاتٌ كثيره و مختلفه،باختلاف الأعمال و قدرها.

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا و هذه من أفضل نعم الجنه،نعيم دائم و حياه أبديّه.

ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ حيث الخلاـص من جهنّم،و الوصول إلى أعظم تمنّيـات الإنسـان ألا و هى الخلود،و كلّ إنسان يشـعر فى نفسه كم ينغّص الخوف من الموت و النهايه عيشه و سعادته،و قد ضمن اللّه الخلود للمؤمنين.

ص:۴۱

و يبدو أنّ«بشراكم»مبتدأ و خبره«جنّات»،كما لو قلنا:أملك السلطه.

[۱۳]أمّا المنافقون الـذين لم يتبعوا الآيات البيّنات،و لـم يسـلّموا للقياده الرساليه و الإمامه الصالحه،و لم يعملوا الصالحات كالجهاد و الإنفاق،أو عملوا ذلك لغير اللّه،فهم يظلّون فى الظلمات و العذاب،ذلك أنّ هذه العوامل هى التى تخرج الإنسان من الظلمات« لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمٰاتِ إِلَى النُّورِ »و حيث لم يتمسّكوا بها لم يخرجوا منها،هكذا يقول لهم المؤمنون.

يَوْمَ يَقُولُ الْمُنٰافِقُونَ وَ الْمُنٰافِقٰاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونٰا أى انتظرونا حتى نستضىء بنوركم.

نَقْتَبِسْ مِنْ نُـورِكُمْ و هـذا لا ـ يمكن،لأ نّ الإنسـان هـو الـذى يرسم مصـيره بنفسه،و« كُـلُّ امْرِئٍ بِمٰـا كَسَبَ رَهِينٌ » (۱)،فإن عمل الصالحات جنى النور و الثواب،و إنّ عمل السـيئات جنى الظلمه و العذاب،ثمّ أنّ الآخره ليست محلاّ ليستزيد فيها أحد عملا،إنّما الدنيا هى دار العمل،و هناک حساب و لا عمل،لذلک يأتيهم النداء أن عودوا إلى الدنيا.

قِيـلَ ارْجِعُوا وَرٰاءَكُمْ فَـالْتَمِسُوا نُوراً و هـذه الآـيه لا ـ تخصّ يوم القيـامه،إنّمـا تنفعنا فى الـدنيا أيضا،و ذلک بأن نعلم بأنّها الفرصـه الوحيـده التى يمكن فيهـا التغيير و الرجوع عن الخطأ بالتوبه و العمل الصالـح،و ربّنا ينقل لنا هـذه الصوره من القيامه لنتصور واقع الحسره فنسعى

ص:۴۲

۱- ۱) الطور۲۱/

لاجتنابها و نحن فی الـدنیا، و لأنّ الآخره دار الفصل فإنّ اللّه لا یـدع للمنافقین فرصه للاختلاط بالمؤمنین،بلی.ربما اسـتطاعوا فی الـدنیا أن یخفوا نوایـاهم و شخصـیّاتهم الحقیقیه،فتعـایشوا وسـط المجتمع المؤمن متطفّلین،ینتفعون بظاهر الإیمان من مکتسـبات الأمّه،و یغتنمون الفرص لینزوا علی مصالحهم و یحقّقوا أهدافهم،أمّا فی الآخره فلا یجدون طریقا إلی النفاق.

فَضُرِبَ بَیْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بٰابٌ بٰاطِنُهُ فِیهِ الرَّحْمَهُ من جهه المؤمنین.

وَ ظٰاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذٰابُ أی ذات البـاب فیه عـذاب لکی لاـ یـدنوا منه المنـافقون،و ربمـا جعل اللّه فی السور بابا لکی یلـج منه التائبون،و المشـفوع لهم بإذن اللّه،و من تطهّر بالنار من النفاق، فهناک من المنافقین من هو فی أسفل درک و هؤلاء یخلدون فی العـذاب،و هناک من عنـدهم نسب محـدوده من النفاق یعذّبون بسـببها ثم یدخلون الجنه،و قد قال اللّه تعالی: وَ یُعَذِّبَ الْمُنٰافِقِینَ إِنْ شٰاءَ أَوْ یَتُوبَ عَلَیْهِمْ إِنَّ اللّٰهَ کٰانَ غَفُوراً رَحِیماً (۱)، و إنّما یؤکّد اللّه هـذه الحقیقه لتتبیّن لنا رحمته،و لکی لا ییأس أحد من التوبه بعد التورّط فی الخطأ،و لو کان ذلک أ أ فی مستوی النفاق.

[۱۴]و بعـد أن یضـرب السـور بین الفریقین فی الآـخره ینـادی المنـافقون المـؤمنین، و النـداء یختلـف عن القول بـأنّ القول یعنی المخاطبه عن قرب،أما النـداء فهو المخاطبه عن بعد،أو من وراء حجاب،و بصورت مرتفع یقصد به المنادی إسـماع الطرف الآخر کلامه.

۱- ۱) الأحزاب۲۴/

يُنٰادُونَهُمْ نداء استغاثه و حسره.

أَ لَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ و هناك يجيبهم المؤمنون بما هو قول فصل:أوّلا:ببيان حقيقه الانتماء،بأنّه ليس مجرّد التشدّق اللفظى،إنّما يتحقّق الانتماء بالعمل المتجانس،و الخطّ المشترك،و هذا ما لم يتحقّق فى واقع المنافقين،لأنّهم أوقعوا أنفسهم فى الفتنه حين اجتنبها المؤمنون،و تربّصوا حين أقدموا،و شكّكوا حين تيقّنوا،و اغترّوا بالأمانى حين سعوا،و استجابوا لنداء الشيطان حين استعاذوا منه،و أمسكوا بخلا و أمروا الناس به حين أنفقوا.و ثانيا:ببيان مراحل التسافل و الهلاك عند الإنسان،و هذه أوضح آيه فى القرآن من حيث ترتيبها بالتتالى،و هى:

المرحله الأولى:الافتتان،و الفتن لغويّا هو وضع المعدن كالذهب فى النار، و سمّى الابتلاء فتنه لأنّ الإنسان أثناءه يكتوى بنيران الحوادث و المتغيّرات، و يواجه التحدّيات و الضغوط الصعبه و الحاسمه بعض الأحيان،و السؤال :كيف يفتن الإنسان نفسه؟ و نجيب:حينما يريد الإنسان أن يكون مخلصا لربّه،بعيدا عن الضلاله و الانحراف،يجب أن يتجنّب مضلّات الفتن و مظانّها،فلا يدخل فيها و لا يتفاعل معها،إنّما يكون كما

نصح أمير المؤمنين عليه السلام :«كن فى الفتنه كابن اللبون، لا ظهر فيركب،و لا ضرع فيحلب » (١)،فلا يسافر فى البلاد التى تصرعه فيها الفتن،أو يقع فيها بيد الظالم،و لا يقرأ أو يتصفح الكتب و المجلّات التى تضلّه،

۱- ۱) نهج/حكمه ۱

و لا یدخل فی الصراعات السیاسیه و الاجتماعیه التی تضرّ بدینه،و

قد قال الإمام علی علیه السلام :«لا تقتحموا ما استقبلتم من فور الفتنه،و أمیطوا عن سننها،و خلّوا قصد السبیل لها » (۱)،و هذا هو حال المؤمن.إنّه یحتاط لدینه،و یمشی فی الأرض کما یمشی المقاتل فی حقل الألغام،أمّا المنافق و الکافر الذی یبحث عن المغانم الدنیویه فإنّه یقتحم الفتن،و یخوض فیها خوضا،لهثا وراء الدنیا،کما تبیّن الآیه.(۲۰).

قٰالُوا بَلیٰ وَ لٰکِنَّکُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَکُمْ أی أدخلتموها فی الفتنه بإرادتکم،بهدف اللهو و اللعب و الزینه و التفاخر و التکاثر فی حطامها و ملذّاتها،و هناک فرق بین من یتعرّض للفتنه عن غیر إراده ثمّ یتبع منهج الإسلام فی التعامل معها أو یدخل نفسه لیقاومها،و بین من یدخل نفسه فی الفتن بإرادته لا لیتحدّاها،إنّما لیکون غرضا لها،و لتکون الدنیا و الهوی غرضه من دخولها.و لعلّ الاغترار بالدنیا أظهر مصادیق فتن النفس،و فی الکلمه ظلال لمعنی أضللتم،تشابها مع قول اللّه لنبیّه:« وَ احْذَرْهُمْ أَنْ یَفْتِنُوکَ عَنْ بَعْضِ مٰا أَنْزَلَ اللّٰهُ إِلَیْکَ » (۲)أی یضلّوک.

المرحله الثانیه:التربّص.

وَ تَرَبَّصْتُمْ بتسویف الالتزام بالحق،و انتظار التغییر فی المستقبل،ذلک أنّ الإنسان مهما توغّل فی الانحراف و دخل فی الفتن،فإنّ اللّه یبیّن له الحق لیقیم علیه الحجه و لو فی

۱- ۱) غرر الحکم

۲- ۲) المائده۴۹/

لحاظات،إمّا بيقظه الضمير أو بموعظه داعيه،أو من خلال اصطدامه بمشكله تتبّهه إلى خطئه،و لكنّه فى الغالب لا يلزم نفسه الحقّ مباشره،إنّما يسوّف التوبه، و يستمرّ فى الفتنه حتى تفوته الفرصه،و

الإمام على عليه السلام يحذّر من هذه الحاله إذ يقول:«فاتقى عبد ربّه،نصح نفسه،و قدّم توبته،و غلب شهوته،فإنّ أجله مستور عنه، و أمله خادع له،و الشيطان موكل به،و يزيّن له المعصيه ليركبها، و يمنّيه التوبه ليسوّفها،إذا هجمت عليه منيّته أغفل ما يكون عنها،فيا لها حسره على كلّ ذى غفله أن يكون عمره عليه حجه،و أن تؤديه أيّامه إلى الشقوه » (١).

المرحله الثالثه:الارتياب و الشك.

وَ ارْتَبْتُمْ إن اللّه يبصّر الإنسان بالحق،و يبيّن له الخطأ الذى هو عليه،فإنّ أقدم على التغيير اهتدى،و إلّا فإنّ التربّص يحوّل يقينه إلى شك،و

الإمام على عليه السلام يقول :

«لا تجعلوا علمكم جهلا،و لا يقينكم شكّا،إذا علمتم فاعملوا،و إذا أيقنتم فاقدموا » (٢)،و الإنسان حينما يقدم عمليّا على الالتزام بالحق تتعمّق قناعته به، قال تعالى: وَ الَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا (٣)،و فى غير هذه الصوره يبدأ يشكّك نفسه ليتخلّص من و خز الضمير و ملامه النفس اللّوامه،فإذا نصحه إخوانه بالأوبه إلى هذه الصوره أخذته بالعزّه بالإثم،و أنكر الحق،و قال كما قال الكافرون للذين آمنوا: لَوْ كانَ خَيْراً ما سَبَقُونا إِلَيْهِ (۴)،و هذه الصفه تنفى انتماءهم للمؤمنين لقوله تعالى بالحصر: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا

١- ١) نهج/ح ۶۴ ص ٩۵

٢- ٢) نهج/حكمه ٢٧۴

٣- ٣) العنكبوت ۶٩/

۴- ۴) الأحقاف ١١/

وَ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِی سَبِیلِ اللّهِ أُولٰئِکَ هُمُ الصّادِقُونَ (۱)و ادّعاء المنافقین أنّهم من المؤمنین و معهم مجرّد محاوله لإلصاق أنفسهم بهم و التخلّص من العذاب،و إلاّ فهم لم یؤمنوا باللّه و لا برسوله و لم یستجیبوا لدعوته المتمثّله فی الآیات البیّنات المنزله علی رسوله صلی الله علیه و آله فبقوا فی الظلمات.

المرحله الرابعه:الاغترار بالأمانی،ذلک أنّ الحق واضح مبین تتلاحق أمام الإنسان آیاته،و له ثقل عظیم علی الواقع و منافع لا تحصی،و ینسجم مع فطره الإنسان و سنن اللّه فی الخلیقه،و الانحراف عن مثل ذلک یتطلّب جهدا،و لا یکون إلاّ بوسائل،و من وسائله الغرور بالأمانی التی تتلاحق فی وعی المنحرفین کشلاّل أسود لا یکاد المبتلی به یقدر علی مراجعه قراراته و التدبر فی عواقب أموره.

إن الشک و التردّد إمّا یحسمه الإنسان باتجاه الحق من خلال التوبه و العمل، و إلاّ فإنّه سیبقی علی الباطل حتی یوافیه الأجل،و تضیع منه فرصه التغییر،بسبب الأمانی التی ینفخ فیها الشیطان،کالتشبث بالقشور و بعض الأعمال الجانبیه التی یسعی البشر لتبریر أخطائه الفادحه بها،و من الأمانی أیضا النظره الخاطئه لغفران اللّه،و الاعتماد علی شفاعه الأولیاء،و لذلک حذّر أئمه الهدی شیعتهم من المنی،

قال الإمام علی علیه السلام :«و سابقوا إلی مغفره من ربّکم من قبل أن یضرب بالسور، باطنه الرحمه و ظاهره العذاب،فتنادون فلا یسمع نداؤکم،و تضجّون فلا یحفل بضجیجکم » (۲)،و

قال الإمام الصادق علیه السلام :«تجنّبوا المنی فإنّها تذهب بهجه ما خوّلتم،و تستصغرون بها مواهب اللّه جلّ و عزّ عندکم،و تعقبکم الحسرات فیما وهمتم به أنفسکم » (۳)،و إنّما ینال ما عند اللّه بالعمل و السعی،قال تعالی:

۱- ۱) الحجرات/۱۵

۲- ۲) نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۴۱

۳- ۳) المصدر/ص ۲۴۲

وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلاّ ما سَعىٰ (۱)،و التمنّی یوقف مسیره الإنسان باتجاه التغییر و العمل،لأنّه یستبدل السعی بالأحلام و الوهم،و ربّنا یستنکر علی المنافقین و الکافرین تمنّیاتهم إذ یقول:« إِنْ یَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَ ما تَهْوَی الْأَنْفُسُ وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدیٰ* أَمْ لِلْإِنْسانِ ما تَمَنّیٰ » (۲)؟!! وَ غَرَّتْکُمُ الْأَمانِیُّ أی خدعتکم،و الأمانی هی الأحلام و الظنون التی یصنعها الإنسان بخیاله المنبعث من شهواته، و الذی یدخل فی هذا النفق قد لا یتخلّص منه،بل یبقی فی غروره حتی الموت،و هذا ما صار إلیه المنافقون.

حَتّیٰ جاءَ أَمْرُ اللّهِ أی نصره المؤمنین،أو أجله الذی لا تأخیر فیه،و حینها لا تنفع التوبه،فإذا جاءت المنیّه بطلت الأمنیّه،و قبل أن یختم ربّنا الآیه یشیر إلی دور الشیطان فی خدع الإنسان الذی یتمثّل فی تزیین المعاصی،و تأکید الأمنیات فی النفس،و لیس له سلطان علی أحد،و

فی الدعاء بعد أن یشکو الإمام عدوّه الأوّل إلی اللّه و هو النفس یقول:«إلهی أشکو إلیک عدوّا یضلّنی،و شیطانا یغوینی،قد ملأ بالوسواس صدری،و أحاطت هواجسه بقلبی،(یعاضد لی الهوی):و یزیّن لی حبّ الدنیا، و یحول بینی و بین الطاعه و الزّلفی » (۳).إنّ دوره الأساسی هو المعاضده و الإعانه علی الانحراف،و تأکید النصوص الإسلامیه علی هذه الحقیقه(و ذکره فی هذه الآیه فی صیغه الإستدراک)کلّ ذلک یأتی لکی لا یعتبر البشر وساوس الشیطان تبریرا

۱- ۱) النجم/۳۹

۲- ۲) النجم/۲۳-۲۴

۳- ۳) الصحیفه السجادیه/مناجاه الشاکین

للانحراف و الضلاله،و أنّه مجبور عليها.

وَ غَرَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ يعنى الشيطان إنسيا كان أو جنّيا.و«الغرور»صيغه مبالغه،تدلّ على أن ذلك عمله و ديدنه،و لا ريب أنّ الاعلام المضلّل الذى ينشر ثقافه الفساد كتابه و صورا و صوتا، و كذلك الأنظمه الفاسده التى تركز حبّ الدنيا و اتباع الهوى فى المجتمع،هما من أبرز مصاديق هذه الآيه الكريمه،كما أصدقاء السوء من مصاديقها.

[١۵]و كم تكون حسره الإنسان إذا صار فى الدنيا غرضا للفتن،و فريسه للأمانى و همزات الشيطان،و عاش بينهما متربّصا مرتابا حتى يجىء أجله،و تضيع الفرصه قبل أن يخلّص نفسه من النار،ليصير إلى بئس المصير!إنّه يبخل بالمال فى الدنيا،و لكنّه يتمنّى لو أنّ له ملء الأرض ذهبا و فضه يفتدى به نفسه يوم القيامه، « وَ لَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مٰا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذٰابِ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ وَ بَدٰا لَهُمْ مِنَ اللّٰهِ مٰا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ* وَ بَدٰا لَهُمْ سَيِّئٰاتُ مٰا كَسَبُوا وَ حٰاقَ بِهِمْ مٰا كٰانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ » (١)نعم.هناك تتبدّد ظنونهم و أمانيّهم التى لا تغنى من الحق شيئا.وهب أنّهم كان لهم ما فى الأرض و مثلهم و أرادوا فدو أنفسهم فإنّه لا يقبل منهم،و يأتيهم النداء بأنّ الدنيا هى دار العمل و لم تعملوا.

فَالْيَوْمَ لاٰ يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَهٌ وَ لاٰ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوٰاكُمُ النّٰارُ فى مقابل الجنه التى يفوز بها المؤمنون و المؤمنات.و مفارقه أخرى أنّ ولى المؤمنين هو اللّه و الأنبياء و الأولياء و الصالحين الذين يتقدّمون بهم إلى الجنه نورا يسعى بين

١- ١) الزمر/۴٧-۴٨

أیـدیهم،أمّـا المنافقون فلا یجـدون ولیّا و لا نصـیرا و لا مأوی إلاّ النار،و حیث یبحثون عن أولیائهم الـذین اتبعوهم فی الـدنیا من الظلمه و الشیاطین فیأتیهم الجواب:

هِیَ مَوْلاـکُمْ إنّهم رفضوا دعوه اللّه« آمِنُوا بِـاللّهِ وَ رَسُولِهِ »،إذ نـافقوا بـدل الایمان،و اتبعوا القیادات الضّاله بـدل الطاعه للرسول،و حیث یقال أنّ النار هی مولاکم یعلمون عین الیقین بأنّهم إذ تولّوا الظالمین إنّما تولّوا النار.

وَ بِئْسَ الْمَصِیرُ و هذا المقطع یقابل قوله تعالی عن المؤمنین: ذٰلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ و أیّ مصیر أسوأ من ظلمات القیامه،و عذاب النار،و سخط الرب؟!و هذا الأخیر أشدّ عذابا من کلّ شیء أنّ الإنسان یصیر غرضا لغضب اللّه،و بعیدا عنه،و

فی الدعاء :

«فهبنی یـا إلهی و سیّدی و مولاـی صبرت علی عـذابک فکیف أصبر علی فراقک، و هبنی صبرت علی حرّ نارک،فکیف أصبر عن النظر إلی کرامتک..و لأبکین علیک بکاء الفاقدین،و لأنادینّک أین کنت یا ولیّ المؤمنین » (۱).

و ما دامت الفـدیه لا تؤخـذ ذلک الیوم فلنقـدّمها الآن،و نکون من المتقین الذین صـیح بهم فانتبهوا و علموا أن الدنیا لیست لهم بدار فاستبدلوا،و

«صبروا أیّاما قصـیره،و أعقبتهم راحه طویله،تجاره مربحه یسّرها لهم ربّهم،أرادتهم الـدنیا فلم یریدوها،و أسـرتهم ففدوا أنفسـهم منها » (۲)بینما أراد المنافقون الدنیا،و بقوا فی أسرها حتی الأخیر.

۱- ۱) دعاء کمیل للإمام أمیر المؤمنین علی علیه السلام

۲- ۲) نهج/خ ۱۹۳ ص ۳۰۴

إنّ المتقين و المؤمنين استجابوا للّه و للرسول إذ قال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكَمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكَمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ* تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ* يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ يُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١)و المتدبّر يكتشف العلاقه الوثيقه فى العبارات و المعنى بين هذه الآيات و آيات هذا الدرس من سوره الحديد.

ص:۵۱

١- ١) الصف ١٠/-١٢

[سوره الحدید (۵۷): الآیات ۱۶ الی ۲۴]

اشاره

أَ لَمْ یَأْنِ لِلَّذِینَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِکْرِ اَللّٰهِ وَ مٰا نَزَلَ مِنَ اَلْحَقِّ وَ لاٰ یَکُونُوا کَالَّذِینَ أُوتُوا اَلْکِتٰابَ مِنْ قَبْلُ فَطٰالَ عَلَیْهِمُ اَلْأَمَدُ
فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ کَثِیرٌ مِنْهُمْ فٰاسِقُونَ (۱۶) اِعْلَمُوا أَنَّ اَللّٰهَ یُحْیِ اَلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا قَدْ بَیَّنّٰا لَکُمُ اَلْآیٰاتِ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ (۱۷) إِنَّ
اَلْمُصَّدِّقِینَ وَ اَلْمُصَّدِّقٰاتِ وَ أَقْرَضُوا اَللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً یُضٰاعَفُ لَهُمْ وَ لَهُمْ أَجْرٌ کَرِیمٌ (۱۸) وَ اَلَّذِینَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَ رُسُلِهِ أُولٰئِکَ هُمُ
اَلصِّدِّیقُونَ وَ اَلشُّهَدٰاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ وَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا وَ کَذَّبُوا بِآیٰاتِنٰا أُولٰئِکَ أَصْحٰابُ اَلْجَحِیمِ (۱۹) اِعْلَمُوا أَنَّمَا
اَلْحَیٰاةُ اَلدُّنْیٰا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِینَةٌ وَ تَفٰاخُرٌ بَیْنَکُمْ وَ تَکٰاثُرٌ فِی اَلْأَمْوٰالِ وَ اَلْأَوْلاٰدِ کَمَثَلِ غَیْثٍ أَعْجَبَ اَلْکُفّٰارَ نَبٰاتُهُ ثُمَّ یَهِیجُ فَتَرٰاهُ مُصْفَرًّا
ثُمَّ یَکُونُ حُطٰاماً وَ فِی اَلْآخِرَةِ عَذٰابٌ شَدِیدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اَللّٰهِ وَ رِضْوٰانٌ وَ مَا اَلْحَیٰاةُ اَلدُّنْیٰا إِلاّٰ مَتٰاعُ اَلْغُرُورِ (۲۰) سٰابِقُوا إِلیٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ
رَبِّکُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهٰا کَعَرْضِ اَلسَّمٰاءِ وَ اَلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِینَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَ رُسُلِهِ ذٰلِکَ فَضْلُ اَللّٰهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشٰاءُ وَ اَللّٰهُ ذُو اَلْفَضْلِ
اَلْعَظِیمِ (۲۱) مٰا أَصٰابَ مِنْ مُصِیبَةٍ فِی اَلْأَرْضِ وَ لاٰ فِی أَنْفُسِکُمْ إِلاّٰ فِی کِتٰابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهٰا إِنَّ ذٰلِکَ عَلَی اَللّٰهِ یَسِیرٌ (۲۲) لِکَیْلاٰ
تَأْسَوْا عَلیٰ مٰا فٰاتَکُمْ وَ لاٰ تَفْرَحُوا بِمٰا آتٰاکُمْ وَ اَللّٰهُ لاٰ یُحِبُّ کُلَّ مُخْتٰالٍ فَخُورٍ (۲۳) اَلَّذِینَ یَبْخَلُونَ وَ یَأْمُرُونَ اَلنّٰاسَ بِالْبُخْلِ وَ مَنْ
یَتَوَلَّ فَإِنَّ اَللّٰهَ هُوَ اَلْغَنِیُّ اَلْحَمِیدُ (۲۴)

اللغه

۱۶[الأمد]:الوقت الممتد و هو المدّ أی الزمان.

۲۲[نبرأها]:أی نفطرها و نخلقها.

۲۳[تأسوا]:تحزنوا.

ص:۵۳

وَ مَا الْحَيَاهُ الدُّنْيَا إِلاّ مَتَاعُ الْغُرُورِ

هدى من الآيات:

إذا كان المنافقون يتورّطون فى الضـلال و الانحراف الذى يسـتمرّ معهم حتى النهايه،بسـبب نفاقهم و نفوسـهم المريضه،فإذا بهم يفتنونها،و يتربصون، و يرتابون،و تغرّهم الأمانى،و يتسلّط عليهم الشيطان،فيصيرون،إلى بئس المصير، فإن المؤمنين فى خطر آخر متمثّل فى قسوه القلب بسبب طول الأمـد حيث يفقدون جذوه الإيمان ثمّ ينتهى بهم شـيئا فشـيئا إلى تحوّل خطير يلخصه القرآن بكلمه (الفسوق)،أى الانحراف عن الطريق السـليم،و بسـبب الفسق و الخروج عن إطار القيم الربانيه و التعاليم القرآنيه فإنّ الـدنيا تتزيّن فى أعينهم فيتخـذونها لعبا و لهوا و تفاخرا و زينه و تكاثرا فى الأموال و الأولاد،بـدل أن يجعلوها ميدانا للتسابق إلى الخير، و يسـتبدلونها بالآخره بـدل أن يجعلوها مزرعه للمسـتقبل،و إذا أصابت أحـدهم مصـيبه أكدت عنده اليأس و الأسف،و إذا أوتى خيرا و نعمه تشبّث بالدنيا بصوره

ص:۵۴

أكبر.

و نتيجه لعاملى اليأس و حبّ الدنيا تجده يبخل بالإنفاق فى سبيل اللّه،لاعتقاده بأنّه لا يغيّر شيئا أو يضرّ بدنياه،و لا يكتفى بذلك بل يتسافل دركا آخر إلى الحضيض بمحاربته الإنفاق،و دعوته الآخرين للبخل،و هكذا ينتهى اليأس إلى الفسوق و التولّى عن الحق،و يحدث انقلابا خطيرا و جذريا فى حياه الإنسان،من الإيمان إلى التولّى،كما حدث لأهل الكتاب،الذين بدأوا بحركه إلهيه يتزعمها الأنبياء من أولى العزم و غيرهم،و إيمان صادق مخلص،ثم انتهوا لمّا طال عليهم الأمد و نخر فيهم اليأس إلى حركه و زعامه فاسقه،و أهداف خبيثه كمحاربه المؤمنين،و استغلال الشعوب و ظلمهم،و نحن نرى الآن كيف أنّ زعامه النصرانيه (الفاتيكان)و زعامه اليهوديه(الكنيست)يخطّطون جنبا إلى جنب المؤسسات الاستكباريه للقضاء على الإسلام،الذى كانوا ينتظرونه يوما من الأيّام على أحرّ من الجمر،و لظلم البشريه التى جاءت كتب التوراه و الزبور و الإنجيل لهدايتها و سعادتها،و الإمام الصادق عليه السلام يشير إلى ذلك الانحراف فى روايه سوف نأتى عليها فى البيّنات.

بيّنات من الآيات:

اشاره

[۱۷-۱۶]كما الشجره إن سقاها و راعاها صاحبها نمت و أثمرت،و إن تركها ذبلت و يبست،كذلك الإيمان إذا حافظ الإنسان على عوامله تعمّق و تجذر و نمى و أثمر،و إلا خبأ ضوؤه و صار إلى النقصان،و ذكر اللّه و رسالته هما وسيله نموّ الإيمان فى النفس،إذا تساقطت عنها الحجب و خشعت،أما إذا قست و تكلّست لا تنتفع بالذكر،كما لا تنتفع الشجره اليابسه بالماء الفرات،و لذلك يحذّر اللّه المؤمنين من قسوه القلب،و يعاتبهم على عدم خشوعهم لذكره و للحق،فيقول:

أَ لَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّهِ وَ ما نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ قال ابن مسعود:ما كان بين إسلامنا و بين هذه الآيه إلاّ أربع سنين،فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضا،و قيل:أنّ اللّه استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاثه عشر سنه من نزول القرآن بهذه الآيه(عن ابن عباس)،و قيل:كانت الصحابه بمكه مجدبين فلما هاجروا و أصابوا الريف و النعمه فتغيروا عمّا كانوا عليه، فقست قلوبهم،و الواجب أن يزدادوا الإيمان و اليقين و الإخلاص،فى طول صحبه الكتاب(عن محمد بن سعد).و مع اختلاف هذه الأقوال إلاّ أنّها تلتقى فى نقطه واحده هى أنّ الآيه جاءت تعالج تحوّلا سلبيّا فى حياه الأمّه،و هذا يظهر عنايه اللّه من خلال وحيه ببناء المجتمع المؤمن و توجيه حركته نحو الحق و الأهداف الساميه، و لكنّ اللّه لا يبدأ العلاج من الظواهر،إنّما يوجّه الرسول و المؤمنين أنفسهم إلى جذور المشكله،ألا و هى القلوب التى تغيّر موقفها من ذكر اللّه و من تطبيق الرساله.لقد كانوا فى البدء أمّه مؤمنه حقا ببركه ذكر اللّه،و كانوا ملتزمين غايه الالتزام بالحق، يتسابقون إلى تطبيق الرساله،و يسلّمون لما فيها تسليما،أمّا الآن فقد بدأ الخشوع ينحسر عن قلوبهم،كما صاروا يتباطئون فى تطبيق رساله ربّهم،و يتخلّصون عن دعوه قيادتهم إلى الإيمان و الإنفاق،و هذا لا ريب إن لم يبادروا إلى علاجه سوف يخرجهم من دائره المؤمنين.أو ليس اللّه يقول: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيماناً وَ عَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ* الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ مِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ* أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (1)؟!! فلما ذا إذا لا توجل قلوبهم،و لا يزدادون إيمانا،و لا ينفقون؟!الإشكال ليس

1- 1) الأنفال2/-4

فی قلّه ذکر اللّه،و لا فی قلّه الآیات،و لا فی عدم وجود الواعظ،فهذا الرسول یصیح فیهم: آمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفِقُوا و یدعوهم للإیمان و الآیات بیّنه مستفیضه متواصله ینزّلها اللّه علی عبده لیخرجهم من الظلمات إلی النور،و لکنّ الإشکال فی قلوبهم المریضه.

و لنا أن نعرف کم ینبغی أن یکون القلب مریضا و قاسیا حتی لا یتأثّر بالقرآن إذا تدبّرنا فی قوله تعالی: لَوْ أَنْزَلْنا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلیٰ جَبَلٍ لَرَأَیْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْیَهِ اللّهِ وَ تِلْکَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنّاسِ لَعَلَّهُمْ یَتَفَکَّرُونَ (1)،فلم لا یحرّض القرآن المؤمن علی الخشوع،و الخشوع هو الذی یجعل الإنسان مستعدا للتسلیم إلی الحق نفسیّا،و تطبیقه عملیّا فی الواقع؟ و تأکید القرآن علی أنّ ما نزل حق یهدینا إلی أنّ قسوه القلب تورّط الإنسان فی الباطل،و هناک علاقه متینه بین ذکر اللّه و بین رسالته النازله من عنده،لأن اللّه تعالی یتجلّی فی کتابه.

و فی الشطر الثانی من الآیه یلفتنا القرآن إلی تجربه أهل الکتاب لنتعظ بتجارب الأمم الأخری.إنّهم کما الأمّه الإسلامیه أوتوا کتابا من عند اللّه،أنقذهم من الطغاه کفرعون،و أخرجهم من الظلمات إلی نور الإیمان و العلم،و لکنّهم ابتلوا بقسوه القلب فما ذا کانت عاقبتهم؟ وَ لا یَکُونُوا کَالَّذِینَ أُوتُوا الْکِتابَ مِنْ قَبْلُ و کان ینبغی أن یطبّقوا ما فیه حتی یصلوا إلی أهدافهم و سعادتهم،و لکنّهم کانوا لا یریدون تحمّل المسؤولیه فراحوا یلتفّون علی آیاته،و یتخلّفون عن تطبیقها،

1- 1) الحشر/21.

لأنهم يريدون إيمانا بلا تكلفه و تضحيه،و مجدا بلا مشقه و سعى،فعلموه أمانى كما قال تعالى: وَ مِنْهُمْ أَمِّيُّونَ لاٰ يَعْلَمُونَ الْكِتٰابَ إِلاّـ أَمٰانِيَّ وَ إِنْ هُمْ إِلاّ يَظُنُّونَ (١)، و بدل أن تكون الرساله قائدهم و إمامهم يكيفون أنفسهم وفقها،أصبحوا يفرضون شهواتهم عليها،و يحرّفون الكلم عن مواضعه،و ربما عادت بينهم كتابا مألوفا، و جزء من التراث،فوقفوا عند حروفه و كلماته دون العمل به.

و لأنّهم فعلوا ذلك ما عاد الكتاب ينفعهم فتبدّل إيمانهم به إلى الشك فيه، و ارتابوا فى بشائره و وعوده،و الحقّ الذى اشتمل عليه،و حيث تعاقبت الأجيال الواحد تلو الآخر و هم ينتظرون شيئا من ذلك يتحقّق دون جدوى-لأنّهم اتخذوه أمانى و لم يسعوا إلى تطبيقه-انتهت فى نفوسهم جذوه الإيمان،بالذات و أنّ كلّ جيل يأتى يورث سلبياته الذى بعده.

فَطٰالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ لقد ابتعدوا عن الدّين كل جيل بمسافه بعده عن جيل الروّاد الأوائل،الذين آمنوا بالكتاب حقّ الإيمان،و طبّقوا ما فيه كما أراد اللّه،و لأنّهم نبذوا الكتاب الذى به حياه القلوب ذهب خشوعهم،و

قد جاء فى الأثر عن الإمام الصادق عليه السلام :

لم يزل بنو إسماعيل ولاه البيت،و يقيمون للناس حجتهم و أمر دينهم، يتوارثونه كابر عن كابر(عظيما عن عظيم)حتى كان زمن عدنان ابن أدّد « فَطٰالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ »و فسدوا،و أحدثوا فى دينهم،و أخرج بعضهم بعضا (٢)و إذا صحت الروايات و التفاسير التى تقول بأنّ الأمد طال على المؤمنين من أهل الكتاب فى انتظار الرسول صلى الله عليه و آله الذى ينصرهم على أعداء اللّه، و يخلّصهم من الضلال و العذاب،فإنّنا نهتدى إلى أحد أسباب قسوه القلب بعد طول

١- ١) البقره٧٨/

٢- ٢) نور الثقلين/ج ۵۴ ص ٢۴٢

الأمـد هو اليأس من روح اللّه،و الشك فی وعـد اللّه الـذی لا يخلف! و هذه المشـكله يمكن أن تتورّط فيها الكثير من الحركات الإسـلاميه،خصوصـا تلـك التی تناضل من خارج الوطن،حيث يخشـی أن تتناقص فيها تلك الحيويه و الفاعليه التی كانت لـديها عنـد انطلاقهـا،و قـد يصـاب بعضـهم بالاسترخـاء نتيجه الرضـا ببعض المكاسب الأوليه التی يحصـلون عليها،فإذا بالـدنيا تحلو فی أعينهم فيخلدون إلی أرض الخفض و الدّعه،و يرفضون خشونه الجهاد و عنف المواجهه و يبدءون مسيره التبرير،و يرفعون شعار المعاذير و يحرّفون الكلم عن مواضـعه،كما حدث لقوم موسـی عليه السلام « إِذْ قالَ مُوسیٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً »فراحـوا يجـادلونه و تباطـأوا فی تطـبيق قراراته فَذَبَحُوها وَ ما كادُوا يَفْعَلُونَ (١)،و مرّه أخری حينمـا دعـاهم إلی اقتحـام بيت المقدس: قالُوا يا مُوسیٰ إِنَّ فِيها قَوْماً جَبّارِينَ وَ إِنّا لَنْ نَدْخُلَها حَتّی يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنّا داخِلُونَ.. قالُوا يا مُوسیٰ إِنّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِيها فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقاتِلا إِنّا هاهُنا قاعِدُونَ (٢).

فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ لماذا كان طول الأمـد سـببا لقسوه القلب؟ لعلّ فی الآيه إشاره إلی قانون الـدورات الحضاريه الذی ذهب إليه كثير من فلاسـفه التاريـخ فقـالوا:كمـا الإنسـان الفرد يمر بمراحـل الصـبا فالشـباب و الكهـوله ثم الشـيخوخه و الهرم،كـذلك المجتمع الإنسانی يمر بـذات المراحل،فأيّام شـبابه تكون عنـد ما تبعث فيه فكره خلاّقه فتفجّر طاقاته،و لكن مع مرور الزمن يغفلون الفكره الحضاريه التی آمنوا بها بسلبياتهم و شهواتهم،و يفقدون روح التحدی و التضحيه،

١- ١) البقره/۶٧-٧١

٢- ٢) المائده/٢١-٢۴

و يصيرون إلى ما يشبه حاله الشيخوخه،و ربما نستوحى هذه الفكره من قوله سبحانه:« فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضٰاعُوا الصَّلاٰهَ وَ اتَّبَعُوا الشَّهَوٰاتِ ».

و هكذا أشارت الآيه إلى هذا القانون الطبيعى لكى نتحداه،و لا ندع طول الأمد يسبّب فينا قسوه القلب.

ثم إنّ فلاسفه التاريخ قسموا الأجيال فى كل حضاره إلى ثلاثه: جيل البناه، و جيل الرعاه،و الجيل الذى يليهما و الذى تتوقف الحضاره عندهم عن التطور و الإبداع.و لكنّ الفضل بين الأجيال الثلاثه ليس فصلا دائما،إذ قد تتعايش فى برهه زمنيه واحده نماذج من هذه الأجيال جميعا،فتجد طبقه من الناس لا يزالون فى حاله الزياده و هم الذين قد تمكنت الفكره الحضاريه من أنفسهم،بينما تجد فى ذات الوقت طبقه من الناس منافقين يبحثون عن مصالحهم و يحرفون الكتاب بما يتلاءم و شهواتهم،و تجد آخرين ممن يعيش الحاله الوسطى بين الحالتين.

بلى.إنّ الأغلب هو تلاحق هذه الأجيال،إلاّ أن قدره الإنسان على تحدى الظروف المعاكسه،و اغراءات الدعه و الرخاء تعطى الناصحين فرصه إصلاح الناس،و مقاومه عوامل الانحراف! فقد ينبعث فى الجيل الثالث فى المسلمين و ما بعده مصلح كبير يفسر القرآن بما ينسجم و تحديات عصرهم،و يعيد إليهم نضارته و طراوته و صفاءه بعيدا عن زيف التحريفيين،و تأويل المعذرين،و لعله إلى ذلك تشير الأحاديث التى تؤكد على ظهور مجدد للدين على رأس كل قرن من الهجره النبويه الشريفه.

و الآيه الكريمه التى نفسرها لا تستصدر حكما قطعيا واحدا على كل أهل الكتاب،إنّما تفرق فيهم بين جيل و جيل،فهناك المؤمنون حقا كما يؤكد القرآن

ص:٦٠

ذلـك فی مواضـع منه،مثـل قوله تعـالی فی نهـایه السوره« فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ » (۱)و هناک المتزمتون الذین صـعّبوا الدین و تصوّفوا،و من بینهم من قست قلوبهم،الذین یشـکلون الأکثریه الساحقه فیهم! وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ إلی هنا یکون القرآن قـد حـذر المـؤمنین مـن مرض القسـوه الـذی قـد یتورطـون فیـه، کمـا بیّن لهم عـواقبه السـیئه من خلاـل الإشـاره الی سـیره أهل الکتاب،أما الآن فالسیاق بآیاته یشرع بمعالجه المشکله الی جنب بیان أسبابها.

المؤمنون الذین خاطبتهم الآیه السابقه لم ینحرفوا انحرافا کلیا کأکثر أهل الکتاب،و انما سلبوا الخشوع،فقست قلوبهم قلیلا،و دبّ فیهم الیأس من إصلاح أنفسهم فأخذ القرآن یعطیهم الثقه بربهم.

اِعْلَمُوا ربما ابتدأ بالعلم لأن الخشیه میراث العلم،أو لم یقل تعالی:« إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » (۲)؟ و السؤال:ما هی تلک الحقیقه الکفیله بزرع الأمـل فی نفوس المؤمنین و إنقـاذهم من الیأس؟ أَنَّ اللَّهَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا أ رأیت کیف تنبسط علی الصعید حله خضراء بعد ان کانت الأرض هامده

ص:۶۱

۱- ۱) الحدید۲۷/

۲- ۲) فاطر۲۸/

كأنها مقبره مهجوره؟انظر الى الحياه التى تدب فيها،و تفكر فى قدره اللّه،أليس الذى أحياها بقادر على ان يحيى ميت القلوب؟فما ذا اليأس بلى.قد تحيط بالمؤمنين ألوان المشاكل،فتمسهم البأساء و الضراء،و نقص من الأموال و الأنفس و الثمرات و يزلزلون،و ربما استطال اليأس بسبب ذلك حتى على نفوس المخلصين« حَتّی یَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ مَتی نَصْرُ اللّهِ » (۱)؟!و لكن ليعلموا أن انتصارهم حتميه فرضها اللّه كما فرض كتابه عليهم« إِنَّ الَّذِی فَرَضَ عَلَیْکَ الْقُرْآنَ لَرادُّکَ إِلی مَعادٍ » (۲)،نعم.قد يتأخر لحكمه يعلمها اللّه(كتصفيه قلوب المؤمنين من أدرانها،و لكى يكون النصر أكبر و أشمل و أنفع)،فلا ينبغى للمؤمنين المجاهد ان يقنط و ييأس لان اليأس من العوامل الرئيسيه و الخطيره التى تجمد الطاقات،و تكبل الإنسان عن السعى،لأنه معه لا يرى فائده من التحرک، فلما ذا يسعى نحو السراب؟!و الحركه الناجحه هى التى تجنب أفرادها السقوط فى أشراكه،و تبادر الى علاج حالاته و ظواهره كلما بدت، بإعطاء المزيد من الأمل فى اللّه،و الثقه به،و التوكل عليه.

و لهذه الآيه الكريمه تأويل يتصل بحياه الأرض المعنويه التى تعنى اشاعه العدل و السلام فى ربوع البلاد!و معلوم انّ اللّه لا يحييها-حسب هذا المعنى-كما يحييها بالمعنى الاول بالمطر،بل بأيدى الصالحين من عباده،و لكنّ السؤال بماذا يحيى اللّه الأرض؟إنّه لن يبعث ملائكته الشداد الغلاظ ليقوضوا الانظمه الفاسده،أو يطهروا الأرض من دنسها و رجسها،انما سيحييها وفق سننه التى فطر الوجود عليها،سيحييها بأهلها من المؤمنين المجاهدين،و القيادات الصالحه،الذين يتصدون للجهاد فى سبيل اقامه حكومه الحق و العدل على ربوع المعموره،

قال الامام

۱- ۱) البقره/۲۱۴

۲- ۲) القصص/۸۵

الباقر علیه السلام :«یحیی اللّه تعالی بالقائم(الأرض)بعد موتها،یعنی بموتها کفر أهلها،و الکافر میت » (۱).و

قال الامام الحسین علیه السلام :«منا اثنی عشر مهدیا أولهم أمیر المؤمنین علی ابن أبی طالب،و آخرهم التاسع من ولدی،هو القائم بالحق،به یحیی اللّه الأرض بعد موتها،و یظهر به الدین الحق علی الدین کله و لو کره المشرکون » (۲).

و هذا الوعد الالهی لا یعنی ان نحیل المسافه بیننا و بینه ساحه للتقاعس و الامنیات الزائفه،فاقامه العدل لیست من مسئولیات القائم علیه السلام وحده،انما هی تکلیف کل مسلم بنص القرآن: فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ (۳)و نصوص اخری کثیره،و إذا کان هذا التأکید علی الامام قد کثر و تواتر فی تأویل هذه الآیه،فهو من باب التأکید علی الأحیاء الأعظم،و الا فإصلاح الإنسان لنفسه و مجتمعه احیاء أیضا کائنا من کان،بل ان تحقق الوعد الالهی بظهور القائد الذی یملأ الأرض عدلا و قسطا بعد ما ملئت ظلما وجورا بإجماع المسلمین و کل المذاهب و الأدیان مرهون بنا بقدر ما،لان ربنا سبحانه و تعالی یقول: إِنَّ اللّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ،و لأنه جاء فی بعض النصوص انه علیه السلام لا یظهر الا بعد اکتمال أصحابه الذین هم بعدد أصحاب النبی یوم بدر(۳۱۳)فردا و اللّه العالم.

وهب ان الحجه علیه السلام ظهر بیننا فانه سوف یقاتل بنا،و لهذا یأتی أمر اللّه و تأکیده علی ضروره العلم بهذه الحقیقه،لان العلم یقود الی العمل و السعی،اما الامنیات فانها تکرس السلبیه عند الإنسان،و تشل طاقاته العملیه،إذ لا تثیر فیه

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۴۲

۲- ۲) المصدر/ص ۲۳۴

۳- ۳) التوبه۱۲/

سوی الخیال و الظنون التی لا تغنی من الحق شیئا،و لعل قوله تعالی اِعْلَمُوا یقال قوله أَمْ حَسِبْتُمْ ،فهو دعوه لنبذ التمنیات و الظنون،و التمسک بالمعرفه و العلم،و إذا کنا نرید التأکید من هذه الحقیقه فنعرف کیف یحیی اللّه الأرض بعد موتها،فما علینا الا الرجوع بنظره موضوعیه شامله الی آیاته و رسالته.من هنا یؤکد الحق تعالی بقوله:

قَدْ بَیَّنّا لَکُمُ الْآیاتِ إن العود الی الآیات الشاهده علی تلک الحقیقه،سواء المتجلیه فی التاریخ،أو فی القرآن کفیل بان یعید للمؤمنین الثقه بأنفسهم،و یصیرها علما ثابتا تستوعبه عقولهم،مع کونها عظیمه و کبیره یصعب علی غیر المؤمنین التسلیم لها.

لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ حیث من أهم اهداف القرآن هو تبصیر الإنسان و استثاره عقله.و توجیه اللّه لنا إلی آیاته فور تأکیده علی انه یحیی الأرض بعد موتها،یهدینا الی ان الآیات هی المنهج السلیم الذی ینبغی للإنسان الانطلاق منه فی الإصلاح،سواء إصلاح القلب الذی یموت بالقسوه،أو إصلاح الأرض و المجتمع اللذان یفسدان بالجور و الظلم، کما یهدینا الی ان عدم خشوع قلوب المؤمنین و تعرضهم شیئا فشیئا للقسوه ناجم عن ابتعادهم عن القرآن،کما قست قلوب أهل الکتاب،و فسقوا بنبذ الکتاب وراء ظهورهم و لا سبیل لهم لعلاج هذه المشکله المستفحله إلاّ بالعوده الی آیاته،التی تخرج من الظلمات الی النور،و قبل ان نمضی الی تفسیر الایه اللاحقه هناک ثلاث ملاحظات حول الآیتین:

الاولی:ان الیأس من التغییر قد ینطلق من زاویه محدوده فی تفکیر الإنسان

المؤمن(فردا،و حركه،و أمه)و هی أنّه يقيس المسافه بينه و بين التغيير،و ينظر إليها من خلال قدراته و إرادته الذاتيه،فيری الأعداء أكثر منه عـددا وعده و خبره، فيسـتنتج انه لا يمكنه تحقيق الانتصار عليهم بامكانياته المحدوده،الأمر الذی يزرع اليأس و الهزيمه فی نفسه،و ربما يقوده الی التراجع عن المسـيره و الاستسلام للواقع عمليا،و هذا خطأ خطير يجب علاجه بالتوكل علی اللّه،و الثقه بنصره،و أنّه يحيی الأرض بعد موتها،و ينصر من يتحركون الی هذا الهدف بإرادته المطلقه التی لا يعجزها شیء.

الثـانيه:ان الأـرض بمن عليهـا و بمـا فيها تصـبح ميته فی ظل حكومات الجور، فهی تميت قلوب الناس بالتضـليل،و لا تبقی لأحد منهم حرمه فی مـاله،و عرضه، و لاـ دمه، وَ إِذا تَوَلّی سَـعی فِی الْأَرْضِ لِيُفْسِـدَ فِيها وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ (۱).ثم إنها توجه طاقات الشـعوب فی دمارها،و تشعل الحروب لاطماعها الرخيصه،ثم تدفع الناس ضحايا و قرابين من أجلها،و لنا ان نتصور أحـد معـانی الموت فی ظلهـا بنظره خـاطفه الی النظـام الاسـتكباری الـذی يحكم العالم اليوم،و الی ترسانات الاسـلحه المـدمره،التی تكفی لتـدمير الأـرض أكثر من(۲۰۰) مره،و هی تزرع الآـن الخـوف فی كـل العـالم،كمـا تمتص ثروات النـاس،و تمنعهم من الانتفـاع بهـا فی سبيـل تقـدمهم و رفـاههم! ثم ان مقياس الحياه و بالـذات عنـد المؤمن ليس القيام بالوظائف الماديه الضـروريه كالأكـل و الشـرب و التنفس و الحركه و..إنمـا مقياسـها علی ضوء الاهـداف و القيم الانسـانيه و الالهيه،و ما هی قيمه الإنسان إذا جرد من حريته و كرامته؟!لا ريب ان الموت أهون عليه من الحياه بدونها،و لذلك

قال الامام الحسين عليه السلام :

إنی لا اری الموت الا سعاده،و الحياه مع الظالمين الا برما ،و

قال الامام

ص:۶۵

۱- ۱) البقره۲۰۵/

علی علیه السلام لأصحابه بصفین :«فالموت فی حیاتکم مقهورین،و الحیاه فی موتکم قاهرین » (۱).

و

حینما یسأل الامام الصادق علیه السلام عن معنی الحیاه بعد الموت فی الآیه یقول:

العدل بعد الجور (۲).

الثالثه:و الی جانب هذا التفسیر السیاسی الجاد للآیتین نجد هناک تطبیقات اخری یتسع لها المعنی،من بینها ان القلوب تموت بالضلال و الانحراف،و لکن لیس من الصحیح ان ییأس الإنسان من التغییر و قبول ربّه التوبه،فهو واسع المغفره،إذن فلا یقنط من رحمته،فقلبه یمکن ان تعود الیه الحیاه مره أخری،لو تراجع عن خطئه،و بدأ مسیره الثوره علی الذات بالتوبه و العمل بما یوافق رساله اللّه و آیاته،و قد تناقل المفسرون ان الفضل بن یسار أحد مصادیقهما،حیث کان ضالا یقطع الطریق و قد تواعد مع جاریه،فلمّا أتاها من جهه الجدار متسلقا سمع تالیا یتلوهما فنزل من علی الجدار و هو یقول بلی قد آن،بلی قد آن.. فتاب من ذنوبه و تحول من قاطع طریق الی مؤمن زاهد.

و کلمه أخیره:

لننظر الی الأرض القاحله التی لا زرع و لا ضرع فیها،کیف یجعلها اللّه واحه خضراء بالغیث؟!لعلنا نعرف المسافه الشاسعه بین الحیاه و الموت،التی تشبه المسافه بین العدم و الوجود،فنزداد بهذه المعرفه ثقه بربنا العظیم و توکلا علیه لان هذه الظاهره تتجلی فیها قدرته و سائر أسمائه الحسنی،و رحمته المطلقه الکفیله بنصرنا و إیصالنا الی اهدافنا،فلا داعی اذن للیأس و القنوط،و لنتفکر فی عظمه القرآن

۱- ۱) نهج/ج ۵۱ ص ۸۸

۲- ۲) نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۴۳

الـذی تغیر ایه واحـده منه حیاه إنسان أمتهن الجریمه،الی حیاه حافله بالتقوی و الکرامه!انه حقا أهل ان یأخذ بأیدینا الی العلاج و السعاده و النصر،لو رجعنا الیه،و تفکرنا فی آیاته،و عملنا بمضامینها.سوف یحیل ذلنا عزه،و هزیمتنا نصرا، و قسوتنا خشوعا،و تخلفنا تقدما و حضاره،و بکلمه سوف یحول موتنا حیاه.

[۱۸]و یعود القرآن بعد ان حذر المؤمنین من عاقبه النفاق یوم القیامه،و من مصیر أهل الکتاب فی الدنیا لیؤکد اهمیه الإنفاق و معطیاته لیتصل بما تقدم فی الآیات(۷،۱۰،۱۱)و لیکون طریقا لتطهیر القلب و خشوعه کما قال ربنا:

خُذْ مِنْ أَمْوٰالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِهٰا (۱)و لنتخذه مقیاسا للایمان، فمتی ما تصدق المؤمنون و أنفقوا دلّ ذلک علی صدقهم،ثم فاعلیتهم بعد الجمود بسبب الانصراف إلی الدنیا،و الذی ینتهی إلی قسوه القلب.

و بما أن الآیتین السابقتین جاءتا لتنتشلا بعض المؤمنین من هذا الدرک الذی یتوسط المؤمنین الصادقین،و درک المنافقین،قبل أن یتسافلوا إلی الفسوق،حیث درک المنافقین الذین بخلوا بأموالهم،و لم ینفقوا فی سبیل اللّه،قال تعالی:

وَ يَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللّٰهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنٰافِقِينَ هُمُ الْفٰاسِقُونَ (۲)،حیث کان أحدهم یعاهد اللّه لَئِنْ آتٰانٰا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَ لَنَكُونَنَّ مِنَ الصّٰالِحِينَ* فَلَمّٰا آتٰاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَ تَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ* فَأَعْقَبَهُمْ نِفٰاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمٰا أَخْلَفُوا اللّٰهَ مٰا وَعَدُوهُ وَ بِمٰا كٰانُوا يَكْذِبُونَ (۳)،فکان من الطبیعی إذا أن یلحق اللّه بتلکما الآیتین دعوه إلی الإنفاق فی سبیله:

۱- ۱) التوبه/۱۰۳

۲- ۲) التوبه/۶۷

۳- ۳) المصدر/۷۵-۷۷

إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَ الْمُصَّدِّقاتِ و الصدقه هی ما یصدّق به الإنسان ربّه،فلأنّه الذی أمر و وعد بالثواب ینبعث إلی الإنفاق،و سمّیت الصدقه صدقه لأنّها تثبت صدق الإیمان بالعمل و تثبته، و لا تنحصر فی إنفاق المال المستحب و الفرض،إنّما تشمل کل الأعمال الصالحه، و إن کان ظاهر السیاق کما الکلمه یدلّان علی بذل المال،و

فی الحدیث:قال رسول اللّه(صلی اللّه علیه و آله و سلّم) :«کل معروف صدقه إلی غنی أو فقیر » (۱)و

قال :إماطتک الأذی عن الطریق صدقه،و نهیک عن المنکر صدقه،و ردّک السلام صدقه (۲)و من ذلک العام یخصّ اللّه القرض بالذکر،و إذا کان للقرض الاجتماعی الذی یستهدف رفع حاجات الناس میزه علی سائر الإنفاق،فإنّ الإنفاق فی الجهاد أرفع درجه و أسمی،حیث یبدو أن التفریق بین الإنفاق قبل الفتح و بعده فی القرآن إشاره إلی هذا النوع من الإنفاق،حیث أنّه قبل الفتح یستهدف إقامه حکم اللّه،بینما یستهدف الإنفاق بعده بناء المجتمع.

وَ أَقْرَضُوا اللّهَ قَرْضاً حَسَناً قال بعضهم:أی و أقرضوا اللّه تعالی قرضا حسنا بالصدقه و النفقه فی سبیل اللّه جلّ جلاله،(و)عن الحسن:«أی کل ما فی القرآن من القرض الحسن فهو التطوع»،(و)قیل أی هو العمل الصالح من الصدقه و غیرها محتسبا صادقا،(و) قیل أی أنفقوا فی سبیل اللّه تعالی لإعلاء کلمه الحق،و تحطیم أرکان الباطل(ثم أضاف)أقول:و الأخیر هو الأظهر،و علیه أکثر المفسرین (۳)و بضمیمه الروایات المتقدمه فی معنی القرض الوارد فی الآیه(۱۱)التی جاءت بعد الکلام عن الإنفاق

۱- ۱) بح/ج ۹۶ ص ۱۲۲

۲- ۲) بح/ج ۷۵ ص ۵۰

۳- ۳) تفسیر البصائر/ج ۴۴ ص ۹۷

و القتال و الفتح يتأكد هذا المعنى.

يُضاعَفُ لَهُمْ برکه من اللّه،ذلک لأنّ التکافل الاجتماعی یدور الثروه، مما یؤدی إلی بناء المجتمع اقتصادیا و حضاریا،قال تعالی: وَ ما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (۱)،أضف إلی ذلک حب الناس و احترامهم و دعاءهم فی الدنیا،و فی الآخره الثواب،

فقد روی عن الإمام الصادق علیه السلام أنّه قال :علی باب الجنه مکتوب:«القرض بثمانیه عشر و الصدقه بعشره » (۲)وَ لَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ [۱۹]أمّا الباب الأوسع للدخول إلی مقام الصدیقین و الشهداء فهو التسلیم نفسیا و عملیا للّه و لرسله و القیادات الرسالیه من بعدهم،و أساسا الإیمان و الإنفاق یتکاملان،و یکمّلان شخصیه الإنسان الربانیه،و لا یکفی أحدهما دون الآخر، و من هذا المنطلق یأتی التلازم الکثیر فی القرآن بینهما کما فی الآیه السابقه من هذه السوره،أو بصیغ تختلف کالإیمان و الجهاد أو العمل الصالح.و لعلّ التعرض لموضوع الإیمان بعد التحریض علی التصدّق و القرض تأکید علی أنّهما لا ینفکان عن بعضهما.

وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ إیمان تسلیم مطلق للحق و عمل صالح مخلص بما فی رسالته یستمر مع الإنسان حتی الموت،و لا یمکن لأحد أن یحقق ذلک إلاّ بالطاعه للقیادات الرسالیه أنبیاء

۱- ۱) الروم/۳۹

۲- ۲) نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۳۹

و رسلا و أئمه و من يمثل خطهم فی الحیاه قال تعالی: یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ (۱) لأنّهم حجه اللّه،و بابه الذی یؤتی منه، و الانتماء إلیهم و التسلیم لقیادتهم جزء لا یتجزأ من الإیمان الحق،الذی یرفع الإنسان إلی درجه الصدیقین و الشهداء،و هل یصدّق الإیمان إلاّ تولی الأولیاء و التجرد عن کل قیاده سواهم؟!و هل تتم شهاده الأمه الوسط إلاّ بشهاده الرسول علیها؟!...لذلک عطف اللّه علی الإیمان به الإیمان برسله قائلا:

وَ رُسُلِهِ کلّهم لأن مسیرتهم واحده متکامله،و ما جاؤوا به من القیم و بیّنوه من العظات و جسّدوه من السّیر الصالحه ذخر للحضاره ینبغی للبشریه و بالذات المؤمنین أن ینتفعوا به،و إن کانت الطاعه العملیه تبقی للرسول فیما تناسخ من الشرائع و إنّما تتابعت الرسالات لتکمیل المسیره.

و لعلّ الحکمه فی التأکید علی الإیمان بالرسل جمیعا أنّه حیث انتقد آنفا أهل الکتاب و بیّن انحرافهم کان من الممکن أن تنصرف بعض الأذهان إلی أن الطعن متوجه إلی الرسالات،فأزال السیاق هذه الشبهه بالتأکید علی ضروره الإیمان بها جمیعا.

و إذا ارتفع بشر إلی مستوی الإیمان المتقدم بیانه صار صدیقا أو شهیدا و شملته اشاره القرآن:

أُولٰئِکَ هُمُ الصِّدِّیقُونَ وَ الشُّهَدٰاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ و نقرأ فی آیه أخری وَ مَنْ یُطِعِ اللّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولٰئِکَ مَعَ الَّذِینَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَیْهِمْ مِنَ النَّبِیِّینَ وَ الصِّدِّیقِینَ وَ الشُّهَدٰاءِ وَ الصّٰالِحِینَ وَ حَسُنَ أُولٰئِکَ رَفِیقاً (۲)و أی تجمع

۱- ۱) النساء۵۹/

۲- ۲) النساء۶۹/

أنبل من هؤلاء و أقرب إلى اللّه؟بالطبع اختلف المفسرون و القراء عند هذه الآيه فوقف بعضهم عند كلمه«الصدّيقون»،و اعتبر الواو فى قوله تعالى: وَ الشُّهَدٰاءُ للاستئناف فألحق« عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ »بالشهداء و أوقفه عليهم، و الذى يظهر أنّه منصرف إلى الإثنين(الصديقون و الشهداء)،لأنّ الشهاده فى القرآن ليست منصرفه إلى القتل بالسيف و إنّما هى تنصرف لكل من وافاه أجله مؤمنا باللّه و رسله متحملا لمسؤوليته الرساليه و هى بمعنى الشهود و الحضور و الميزان و التأثير.

روى العياشى عن منهال القصّاب قال :قلت لأبى عبد اللّه(عليه السلام)أدع اللّه أن يرزقنى الشهاده فقال:«ان المؤمن شهيد،و قرأ هذه الآيه » (1)و

عن الحارث بن المغيره قال :كنّا عند أبى جعفر(عليه السلام)فقال:العارف منكم هذا الأمر المنتظر له،المحتسب فيه الخير،كمن جاهد و اللّه مع قائم آل محمد بسيفه،ثم قال:بل و اللّه كمن جاهد مع رسول اللّه(صلى اللّه عليه و آله و سلم) بسيفه،ثم قال الثالثه:بل و اللّه كمن استشهد مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه و آله و سلم)فى فسطاطه!و فيكم آيه من كتاب اللّه.قلت:و أيّه آيه جعلت فداك؟قال:قول اللّه: وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَ رُسُلِهِ أُولٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَ الشُّهَدٰاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ،قال:صرتم و اللّه شهداء عند ربّكم. (2)و

قال الصادق عليه السلام :«نزلت هذه الآيه فى المهاجرين الذين أخرجهم أهل مكه من ديارهم و أموالهم » (3).

إنّ تصديق الشهاده الحقيقيه يتجلى فى الإيمان باللّه،و الطاعه للقياده الرساليه، لأنّ المهم أن يكون الإنسان فى خدمه الدين ليكون صدّيقا أو شهيدا ثم لا يهم أين

1- 1) نور الثقلين/ج 5 ص 244

2- 2) المصدر

3- 3) المصدر/ج 3 ص 503

یکون،فقد یکون دوره ضمن أجهزه الأنظمه الفاسده و مؤسساتها لأغراض تعلمها القیاده کما فعل مؤمن آل فرعون و فعلت زوجته آسیه،و قد یکون مشغولا بالقراءه و التألیف،أو سائحا فی البلاد لمصلحه العمل،أو ما أشبه.

لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ أمّا الأجر فیتمثل فی الآخره بالجنات،أمّا فی الدنیا فقد یتجلی فی النظام الحیاتی المتکامل بماله من معطیات حضاریه کریمه.و أمّا النور فیتمثل فی الآخره بالضیاء الذی یفقده الناس فی المحشر،أمّا فی الدنیا فهو ذلک الهدی الذی یمشی علیه المؤمن فی کل حقول الحیاه.

وَ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا أُولئِکَ أَصْحابُ الْجَحِیمِ فی الدنیا لأنهم کذّبوا بالرساله التی تشتمل علی النظم و المناهج لأبعاد الحیاه السعیده،و بینما اختاروا الأنظمه الفاسده التی لا ینتج عنها إلاّ الدمار و الانحطاط و العذاب،و فی الآخره لأنّ الطریق الذی اختاروه یهدیهم إلی النار.

[۲۰]و حیث أنّ حبّ الدنیا رأس کل خطیئه،فإنّ الموقف الخاطئ تجاهها یسلب الإنسان خشوع القلب،و یجرّه إلی الفسوق،و لکنّ الدنیا فی ذات الوقت مزرعه الإنسان للآخره و فرصه التی یحدد فیها مستقبله الابدی،فلا بد أن یتخذ منها موقفا سلیما،و هذا ما تعالجه بقیّه آیات هذا الدرس التی تبصرنا بحقیقه الدنیا،و رساله الإنسان فیها،و موقف المؤمن منها.

أولا:ما هی حقیقه الدنیا؟

لقد اختلفت البشریه فی الإجابه علی هذا السؤال الحساس الذی یراود فردا فردا

منّا إلى مـذاهب عديـده:قال المثاليون أنّ الـدنيا لا واقع لها و ما هى إلاّ خيال، و ذهب المتصوّفه إلى أنّ الدنيا شـرح محض،و أنّ الجسم سـجن الروح،و بالتالى فإنّ وظيفه الإنسان فى الحياه هى السـعى الحثيث و المستمر لبناء الروح على حساب الجسد،و لا بد لـذلك من احتقـار الـدنيا و تجنب مـا فيهـا لأنّها تغـذى شـهوات النفس المنبعثه من حاجات الجسم،الأمر الـذى يشـد الروح إلى التسافل،و يمنعها من التسامى فى آفاق الملكوت المعنوى،أو الوصول إلى رضوان اللّه و الجنه، و قال المادّيون أنّ الـدنيا وجـدت بالصـدفه فليس بعـدها من حيـاه و لاـ مسـئوليه،انطلاقـا من الكفر بالغيب،و عليه فإنّ السـعيد فيها من أطلق لنفسه العنان يتلـذذ من نعيمها ما يشاء، و على هذا المذهب أكثر البشريه،و بالذات إذا اعتبرنا الموقف العملى فى الحياه هو المقياس.

أمّـا الرسالاـت الإلهيه فهى تختلف عنهم جميعا،حيث اعتبرت الحياه الـدنيا مرحله تتوسط حياه الـذّر،و الحياه الآخره،و حيث كان الإنسان طاهرا و نظيفا و قـد قطع على نفسه عهـدا و ميثاقا«و قـد أخذ ميثاقكم»بأن يسـلم لربّه،فإنّه يجب عليه المحافظه على ذلك الطهر بالإيمان باللّه و الاستجابه لدعوه الرسول،لينطلق نحو الآخره و يبلغ الجنه من عند اللّه و الرضوان.

إن الإنسان لن يبقى فى الدنيا و لن تتوقف مسـيرته بها،إنّما ينتقل إلى سفر طويل ينتهى به إلى مقرّه الأبدى،فعليه أن يكيّف نفسه وفق هذه الحقيقه،فلا ينسب ذلك السـفر الحتمى،فيتعامل مع الدنيا و كأنها دار البقاء،و لا يدع اسـتعداده لتلك الرحله الشاقه،فإذا جاءت ساعته و حل أجله و هجمت منيته،و

ليستمع إلى نصيحه إمامه أمير المؤمنين(عليه السلام)حين يخاطبه فيقول:«أمّا بعد فإنّ الدنيا أدبرت،و آذنت بوداع،و إنّ الآخره قد أقبلت و أشرفت باطلاع،ألا و إنّ اليوم المضمار،و غدا السباق،و السبقه الجنّه،و الغايه النار،أ فلا تائب من خطيئته قبل

منيته،ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه،ألا و إنّكم فى أيّام أمل من ورائه أجل، فمن عمل فى أيّام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله،و لم يضرره أجله،و من قصّر فى أيّام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله،و ضرّه أجله » (۱)

ساعات الدنيا خير من ساعات الآخره:

- و بالرغم من أن ظاهر التعريف بالدنيا يحقرها فى نفوسنا،لكن ربنا لا يريد من هذا التعريف ان يحط من قدرها لكى ننصرف عنها انصراف المتصوفه،فهى ذات اهميه لكلّ إنسان،لأنها دار تقرير المصير الابدى،و

حينما يسأل الامام على (عليه السلام)أيهما أفضل ساعه من ساعات الدنيا أم ساعه من ساعات الاخره فانه يجيب:ساعه من الدنيا خير من ساعات فى الاخره،لأنه يربح بساعه دنيويه آلاف الساعات،و ربما اشترى بها الخلود فى الجنه كالحر بن يزيد الرياحى،الذى لم يكن بين توبته و شهادته الا لحظات، و انما أراد اللّه ان يبين لنا طبيعتها و طبيعه الإنسان حينما يحبها و يتخذها هدفا،دون مرضاه اللّه.و هذا يتضح من نهايه الايه،و علاقتها بالتى تليها حيث الدعوه الى التسابق نحو الخيرات،فهو تاره يتخذها هدفا فلا قيمه لها،انما هى متاع الغرور،و تاره اخرى يتخذها وسيله و ميدانا للتسابق الى مغفره اللّه و الجنه،فيسخر كل ما يملك من نعيمها لهذه الغايه،فهى عند ذلك ذات قيمه عظيمه.

إن اللّه يؤكد للمؤمنين-بالذات الفريق الذين ضعف ايمانهم نفسيا،فما عادوا يخشعون لذكر اللّه و آياته بالكيفيه اللازمه،و عمليا،فما عادوا يسلمون لاوامر القياده بالإنفاق مثلا،فصاروا على شفاجرف هار من القسوه و النفاق بسبب اليأس من الانتصار لتأخره،و بسبب الانصراف الى الدنيا بدل الاخره-يؤكد لهم

۱- ۱) نهج/ح ۲۸

بأنها ليست سوى ميدانا للعب،و للهو،و الزينه،و التفاخر،و التكاثر،و بالرغم من ان هذه الحقيقه ليست غائبه عن أذهان المؤمنين عموما إلا انها لم تتحول من الفكره الى وعى يهيمن على النفس،و بتعبير آخر لم تتحول العبره الى موعظه عمليه،و آنئذ ما الفرق بين الذى يجهل وجود لغم فى طريقه فينفجر فيه،و بين الآخر الذى يحتمل ذلك أو يدرى به لكنه لا يحتاط؟!كلاهما ينتثران أشلاء فى الهواء،لان العلم بلا اقدام يساوى الجهل،قال تعالى: وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاٰ يَعْلَمُونَ (١)،فلا شك اذن ان المؤمن الذى يلعب و يلهو فى الدنيا،و يتخذها زينه و تفاخرا و تكاثرا فى المال و الأولاد،و يبخل بالإنفاق فى سبيل اللّه حرصا و تشبثا بها،كمثل الذى يكفر بالآخره و ما فيها من الثواب و العقاب،و إلا لجعل الآخره هدفه،و بذل ما يستطيع من أجلها رغبه فى رضوان ربه و ثوابه،و خوفا من غضبه و عقابه،بل أصبح يتسابق-إذا-نحو الخيرات،لأنها الزاد و الثمن فيها،و ربما لذلك أمرنا القرآن بالعلم قائلا:

اِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيٰاةُ الدُّنْيٰا هنا ثلاثه تأكيدات:أحدهما الدعوه المؤكده الى العلم،و الثانى أداه التوكيد إنّ،و الثالث الحصر(إنّما)،و حيث تتوالى هذه التأكيدات على حقيقه ما فهى مهمه و مهم ان يعلمها الإنسان،فما هى تلك الحقيقه؟ أنّ الحياه الدنيا لمن أرادها، لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ و اللعب هو العمل الباطل و بلا هدف معقول،قال تعالى يحدث عن

١- ١) لقمان ٢۵

إبراهيم علیه السلام : قٰالَ لَقَدْ کُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آبٰاؤُکُمْ فِی ضَلاٰلٍ مُبِینٍ* قٰالُوا أَ جِئْتَنٰا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاّعِبِینَ (۱)، و قال: وَ مٰا خَلَقْنَا السَّمٰاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مٰا بَیْنَهُمٰا لاٰعِبِینَ ، مٰا خَلَقْنٰاهُمٰا إِلاّ بِالْحَقِّ وَ لٰکِنَّ أَکْثَرَهُمْ لاٰ یَعْلَمُونَ (۲)،أی لا یعلمون الهدف الذی تنطوی علیه الحیاه الدنیا،فتصبح بمجملها باطلا و لعبا و لهوا،کما ان تفریغ الدین من مضمونه و من قیمه و اهدافه عند البعض یجعلهم یتخذونه لهوا و لعبا،کما قال ربنا سبحانه عنهم: وَ ذَرِ الَّذِینَ اتَّخَذُوا دِینَهُمْ لَعِباً وَ لَهْواً،وَ غَرَّتْهُمُ الْحَیٰاهُ الدُّنْیٰا (۳).

و إنما نسمی مجموعه ممارسات لعبا لأنها غیر هادفه(حتی بمقاییس أهل الدنیا) کذلک الدنیا لمن یمارسها لا لهدف أبعد منها تصبح لعبا،فاذا سألته لماذا تعمل؟ قال:لآکل،و إذا أعدت علیه ذات السؤال و قلت:لماذا تأکل؟قال:لکی أتقوی علی العمل،و إذا سألته ثالثا:لماذا أساسا تعیش؟قال هکذا جئت لأعیش و لا أعرف لماذا؟ أو لم تسمع شاعرهم قال:

جئت لا أعلم من أین و لکنّی أتیت

و لقد أبصرت قدّامی طریقا فمشیت

و سأبقی ماشیا إن شئت هذا أو أبیت

کیف جئت کیف أبصرت طریقی؟لست أدری

و حینما یغرق فی ممارسته اللعب یتحول الی اللهو،حیث النسیان التام و الغفله عن الهدف،بلی.جاء الإنسان من عالم الذر الی الدنیا کمحطه یتزود منها،ثم

۱- ۱) الأنبیاء ۵۵

۲- ۲) الدخان۳۹/

۳- ۳) الانعام ۷۰/

يواصل سفره الى الاخره،و لكنه حيث جاءها رأى الناس يلعبون،و رأى أدوات اللعب فشاركهم،فبالغ فى لعبه،فنسى انه على سفر،و غفل عن مهمته.

و كل شيء يدعونا الى الغفله،و ينسينا أهدافنا فهو لهو،

قال الامام على عليه السلام :

«فما خلقت ليشغلنى أكل الطيبات،كالبهيمه المربوطه همها علفها،أو المرسله شغلها تقممها،تكترش من أعلافها،و تلهو عما يراد بها » (۱).و استخدام القرآن لكلمه اللهو يأتى بهذا المعنى،قال تعالى: أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ* حَتّی زُرْتُمُ الْمَقابِرَ (۲).و قال: لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَ لا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ (۳)،و قال: رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَهٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللّهِ وَ إِقامِ الصَّلاهِ وَ إِيتاءِ الزَّكاهِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ (۴)، و قال:

وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَشْتَرِی لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّخِذَها هُزُواً أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ (۵)،و أكثر ما يتورط أحد فى اللهو بسبب نسيان الموت و الاخره،و لذلك يأتى فى نهايه الآيه تذكير بها عند قوله:« وَ فِی الْآخِرَهِ عَذابٌ شَدِيدٌ وَ مَغْفِرَهٌ »،و انطلاقا من هذا التعريف فان الغناء،و الرقص،و مجالس البطالين، و جمع المال،و ما أشبه مصاديق للهو.

و إذا لهى الإنسان نسى السفر،و نسى الاستعداد اليه،فاذا بك تراه يغرق فى حب الدنيا،و ينصرف الى اهداف جانبيه فيها(تسمى بالزينه)،طبيعتها الفساد و الزوال حتى بمقاييس الدنيا الزائله.أ رأيت الذين يصرفون الألوف من أموالهم على أمور كماليه أو ديكوريه؟

ص:۷۷

۱- ۱) نهج كتاب۴۵/ ص ۴۱۸

۲- ۲) التكاثر ۱/-۲

۳- ۳) المنافقون۹/

۴- ۴) النور۳۷/

۵- ۵) لقمان۶/

و الزينه هى الأمور الثانويه التى يكمل بها الشىء،و منها الحلى و العطر و الورد لأنها تكمل جمال المرأه،قال تعالى: وَ لَقَدْ جَعَلْنا فِى السَّماءِ بُرُوجاً وَ زَيَّنّاها لِلنّاظِرِينَ (۱)و قال: اَلْمالُ وَ الْبَنُونَ زِينَهُ الْحَياهِ الدُّنْيا (۲).

و الإسلام لا يعارض الزينه،بل و يستنكر تحريمها،قال تعالى: قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَهَ اللّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَياهِ الدُّنْيا خالِصَهً يَوْمَ الْقِيامَهِ» (۳)،كما أنه دعا إليها،قال تعالى: يا بَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا بلى.حرم الإسلام الإسراف فيها،فقال فى خاتمه الايه: وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (۴)،كما حرم الباطل:

قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّىَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ وَ الْإِثْمَ وَ الْبَغْىَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ أَنْ تُشْرِكُوا بِاللّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (۵).

إن المطلوب هو حفظ التوازن المعقول بين الأمور الكماليه و الاخرى الاساسيه، و ان يجعل الإنسان الأمور الثانويه تكمل بالفعل الجانب الضرورى من حياته،لا ان تكون بديلا عنه،أو على حسابه،و مشكله البشريه اليوم انها توجهت الى الكماليات على حساب اهدافها الاساسيه،ليس فى مجال الالتزام بالدين و حسب، بل فى مجال الحضاره،و هذا جزء من الموقف الخاطئ من الحياه الدنيا،و لا ريب ان سببه نسيان الاخره أو الكفر بها،لان مثل هذا الإنسان يجرى وراء اهوائه و ناسيا ليس فقط اهدافه الساميه(فى الاخره)بل و مصالحه الحقيقيه(فى الدنيا)، كما قال ربنا سبحانه عن مثله:

۱- ۱) الحجر/۱۶

۲- ۲) الكهف/۴۶

۳- ۳) الأعراف/۳۲

۴- ۴) المصدر/۳۱

۵- ۵) المصدر/۳۳

وَ لاٰ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنٰا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنٰا وَ اتَّبَعَ هَوٰاهُ وَ كٰانَ أَمْرُهُ فُرُطاً» (١).

أما الذى يعتقد بالدنيا وحدها فسعيه سوف يكون من أجل إشباع الشهوات، و جمع الزينه،و ستزيده زينتها انغماسا فيها و بعدا عن الحق.و من مظاهر الاهتمام الزائد بالزينه التوجه الى القشور،على حساب اللباب.بينما المؤمن بالآخره يحس بالمسؤوليه فلا يسترسل فى اتباع شهواته،و لا يندفع فى الزينه التى تخالف مصالحه الحقيقيه.

وَ تَفٰاخُرٌ بَيْنَكُمْ و التفاخر هو الآخر مما يتلهى به الإنسان و يستعيض به عن اهدافه الحقيقيه، و إذا كان اللعب و اللهو و الزينه تحكى الجانب الفردى من الاغترار بالدنيا،فان التفاخر هو الجانب الاجتماعى لذات الحاله،و يأتى التفاخر نتيجه مباشره للافتتان بالزينه إذ يرى الشخص نفسه كاملا و أفضل من غيره من خلالها، فيركبه الخيلاء و الفخر.

ثم تتحول هذه الحاله النفسيه الاجتماعيه الى فعل خارجى يمارسه المختال الفخور ليثبت عظمته على غيره من خلال التكاثر و التسابق المادى،قال تعالى:

وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنٰا لِأَحَدِهِمٰا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنٰابٍ وَ حَفَفْنٰاهُمٰا بِنَخْلٍ وَ جَعَلْنٰا بَيْنَهُمٰا زَرْعاً ... وَ كٰانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقٰالَ لِصٰاحِبِهِ وَ هُوَ يُحٰاوِرُهُ(أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مٰالاً وَ أَعَزُّ نَفَراً)* وَ دَخَلَ جَنَّتَهُ(وَ هُوَ ظٰالِمٌ لِنَفْسِهِ)قٰالَ مٰا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هٰذِهِ أَبَداً* وَ مٰا أَظُنُّ السّٰاعَةَ قٰائِمَةً (٢).انظر هكذا يتحول حب الدنيا و زينتها الى حاله نفسيه داخليه(الغرور و الظلم)فاجتماعيه(التباهى و التفاخر).

١- ١) الكهف/٢٨

٢- ٢) الكهف/٣٢-٣٥

وَ تَکَاثُرٌ فِی الْأَمْوالِ الممتلکات من العملات و العقارات،و المشاریع و ما أشبه.

وَ الْأَوْلادِ الأبناء و الأنصار،و قد یتحول هذا التسابق صراعا بین الناس فی غالب الأحیان،و یرکز فیهم حب الدنیا ضمن أطر سیاسیه و اجتماعیه و اقتصادیه، و أظهر صوره صراع القوی الاستکباریه و تسابقها فی نهب ثروات العالم، و استغلالهم فی صالحها،و السیطره علیهم بضمهم الی نفوذها.

تعالوا نمعن النظر فی هذه الحیاه الدنیا التی استحوذت علی أفئدتنا(هذا اللعب و اللهو،هذه الزینه،و هذا التفاخر و التکاثر)ما هی عاقبتها؟بل ما هی حقیقتها بل هل لها-أساسا-حقیقه أم انها أضغاث أحلام تراود النائمین فاذا ماتوا انتبهوا،و عرفوا انها لم تکن سوی سراب بقیعه یحسبه الظمآن ماء،أو حفنه رماد فی کف الاعصار.

و لکن انّی لنا ان نفکر فی الدنیا و لا-زلنا فی أسر سحرها الجذاب؟!لا تکاد لحظه تمر علینا إلاّ و نحن فی دوامه امنیه نسعی إلیها،أو فتنه نعیش فی لهبها،أو صراع نحترق فی اتونه،و حتی فی النوم تلاحقنا کوابیس النهار فی صوره أحلام مزعجه!إذا کیف الخلاص من أغلال هذه الشهوات لنفکر بحریه و موضوعیه فی واقعنا؟ إن للقرآن الحکیم مناهج شتی تساعد علی التفکر السلیم،و ما یشیر الیه السیاق هنا من أبرزها:ان ننظر الی الطبیعه و دوراتها السریعه،و نتساءل:أ لیست هذه

هی الـدنیا؟!أو لیست حیاه النبات فی دورتها السـریعه شبیهه بحیاه الإنسان فی دوره أبطأ قلیلا و لکن بـذات النسق،یقول عنها ربنا فی آیه کریمه: وَ اضْـرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا کَمٰاءٍ أَنْزَلْنٰاهُ مِنَ السَّمٰاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبٰاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِیماً تَذْرُوهُ الرِّیٰاحُ وَ کٰانَ اللّٰهُ عَلیٰ کُلِّ شَـیْءٍ مُقْتَـدِراً* الْمٰالُ وَ الْبَنُونَ زِینَهُ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا وَ الْبٰاقِیٰاتُ الصّٰالِحٰاتُ خَیْرٌ عِنْدَ رَبِّکَ ثَوٰاباً وَ خَیْرٌ أَمَلاً (1)؟! و یقول ربنا فی هذه الآیه:

کَمَثَلِ غَیْثٍ مطر نزل علی الأرض،فسقاها،و اختلط بما فیها من بذور فصارت نباتا.

أَعْجَبَ الْکُفّٰارَ نَبٰاتُهُ أی أدخـل الی نفس الفلاـح العجب و الاـغترار به،کمـا تـدخل زینه الـدنیا فی نفوس الکافرین بالآخره،و لا شک ان هذه الحاله سوف تجعله یعتقد ببقائه،و یلهو عن نهایته حیث یصـیر حطاما،و النبات هو المزروعات الصغیره التی لا تبقی کالقمح و الذره،و یقال لها نباتا فی أطوارها الاولی حیث تشق التربه.

ثُمَّ یَهِیجُ و یترعرع،و یثمر حینما یبلغ أقصی القوه،و لکنه لا یبقی طویلا حتی تبدأ مسیرته الی النهایه.

فَتَرٰاهُ مُصْفَرًّا أول الأمر.و الملاحظ ان العطف جاء بالفاء و هی أقرب الحروف عطفا.

ص:81

1- 1) الکهف45/-46.

ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً إذا أكمل دورته الحياتيه،إذ تيبس و تتكسر أوراقه و أعواده،و هذه بالضبط مسيره الحياه عند الإنسان فى الدنيا،يبدأ طفلا كالنبات،ثم ينشط و يهيج عند المراهقه و الشباب، و لكنك تراه يتنكس فى الخلق شيئا فشيئا،و يفقد قوته و زينته ليصير كهلا فشيخا عجوزا قد وهن عظمه و خارت قواه،و لا يطول به الأمد حتى تراه جثه هامده محموله على الأكتاف الى قبر ضيق يستحيل فيه هيكلا،فأوصالا، فحطاما،فترابا تذروه الرياح،فلما ذا يتشبث الإنسان بالحطام و المتاع الزائل اذن و هو مقبل على الاخره؟

ثانيا:ما هى أهدافه فى الدنيا و كيف يصل بها؟

و حينما يطمئن الإنسان الى حقيقه الدنيا فسيعلم ان حطامها ليس بالذى يشبع طموحاته و يحقق تطلعاته،إنّه يريد السعاده و لا تتم له فيها،و يريد الخلود و هيهات ذلك؟،فلا بد ان يبحث له عن هدف سام يجده أهل للسعى له،و هذا لا يمكن حتى يضيف الى علمه بحقيقه الدنيا علما بحقيقه الآخره،و من هذا المنطلق يعطف اللّه على قوله اِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيٰاةُ الدُّنْيٰا قوله تعالى:

وَ فِي الْآخِرَةِ عَذٰابٌ شَدِيدٌ فكل إنسان يحس بفطرته،ان طموحاته أكبر من الدنيا و ما فيها،و لكنّه إذا غفل عن الاخره فسيبقى مصرا على التشبث بالدنيا،طمعا فى تحقيق ما يقدر عليه منها مما كان متواضعا،و لذلك نجد القرآن يرسى قاعده الايمان بالآخره فى النفس ليحقق التوازن المطلوب فى نفس البشر لكى لا ـ ينساق وراء التكاثر فى جمع حطامها، ظنا منه انه يحقق تطلعاته بذلك.كلا..أنت مخلوق لما هو أكبر منه و أبقى،فما

الذی یعطیک هذا التفاخر و التکاثر؟هب انک بلغت ما بلغ سلیمان ذلک النبی الکریم الذی سخرت له الریح،و استخدم الجن و علم منطق الطیر،و لکن أ تعلم این سلیمان الیوم؟و این ملکه الکبیر؟و أین عزته الشامخه؟أ فلا نعتبر بمصیر الملوک الذین حققوا عند الناس طموحاتهم فاذا بهم ینقلون من قصورهم الی قبورهم تأکل أبدانهم الدیدان قبل ان تصبح رمیما ثم ترابا تذروه الریاح؟ أما المؤمن بالآخره فان نفسه قانعه بما لدیها،راضیه بما آتاها اللّه،و تائقه الی ما عنده.هل سمعت نبأ الامام الحسن المجتبی(علیه السلام)کیف خرج عن أمواله جمیعا للّه مره و قاسم اللّه أمواله مرات؟أم هل عرفت زهد الامام علی علیه السلام؟ و هکذا المؤمن یستبدل الدنیا بالآخره،و لن یمتنع عن الإنفاق فی سبیل اللّه.

و علی أساس الایمان بأن الآخره هی دار الجزاء و الخلود-فأما عذاب شدید،أو مغفره و رضوان من اللّه حسب ما یقدم الإنسان فی الدنیا لیوم الحساب-فانه لا ریب سیعرف أهمیه الحیاه الدنیا،و دورها الحاسم فی مستقبله الابدی،و حینها لن یدع الهزال و المزاح و اللعب یأخذ من وقته شیئا،لان الغایه عظیمه،و الخطر کبیر، و الفرصه قصیره،بل سوف یخشع قلبه لذکر اللّه خوفا من عذابه،و طمعا فی مغفرته و رضوانه.

و أعظم هدف یسعی الیه هو الخلاص من النار،لان صراط الجنه یمر من فوقها.

أو لیس طریق الجنه محفوفا بالمکاره التی ینبغی للإنسان تحملها و الصبر علیها، و بالشهوات التی ینبغی ان یتحداها و یجتنبها،فان لم یتحمل و لم یصبر،أو لم یتحد و یتجنب فسوف یقع فی الجحیم وقودا لنیرانها و یعذب فیها بقدر فشله؟ و هذه الغایه من أعظم طموحات المتقین «الَّذِینَ یَذْکُرُونَ اللّهَ قِیاماً وَ قُعُوداً وَ عَلیٰ جُنُوبِهِمْ وَ یَتَفَکَّرُونَ فِی خَلْقِ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنٰا مٰا خَلَقْتَ هٰذٰا بٰاطِلاً

ص:۸۳

سُبْحانَکَ فَقِنا عَذابَ النّارِ (۱).و أعظم بها من غایه فاز و اللّه من أصابها فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النّارِ وَ أُدْخِلَ الْجَنَّهَ فَقَدْ فازَ (۲).

و الهدف الآخر هو الدخول الی الجنه،و ذلک لا یمکن من دون مغفره اللّه و رضوانه،إذ لا یدخل أحد الجنه بعمله-بل بفضل اللّه-حتی الأنبیاء،و ذلک لا یتحقق الا بالانابه الی اللّه و الاعتراف له بالخطإ،و السعی الدائب للإصلاح.

وَ مَغْفِرَهٌ مِنَ اللّهِ وَ رِضْوانٌ هذه هی الاهداف الحقیقیه التی یجب علی کل إنسان السعی من أجلها،و بها تصبح الدنیا آخره،و الحیاه فیها ذات معنی،و کل ساعه فیها أعظم من ساعات الآخره.أما بدونها فتصبح لعبا و لهوا،و تتحول الی أداه للغرور وَ مَا الْحَیاهُ الدُّنْیا إِلاّ مَتاعُ الْغُرُورِ المتاع هو الزاد،و الغرور الانخداع،قال تعالی: فَلا تَغُرَّنَّکُمُ الْحَیاهُ الدُّنْیا وَ لا یَغُرَّنَّکُمْ بِاللّهِ الْغَرُورُ (۳)،و شبّه ربنا الدنیا بزاد الغرور،لأنها لا تشبع عند المنخدع بها حاجه حقیقیه،إلا غروره الکاذب الباطل،الذی ینتهی عند الموت، فلا تبقی عنده ذره من غرور.

و إذا نظرنا الی حدیث القرآن عن الدنیا،و الی السیاق الذی تقع ضمنه فی کل مره،فاننا سوف نلاحظ ورود ذکرها فی مواضع کثیره و علاجا لمشاکل مختلفه مما یثیر فینا التساؤل:لماذا؟و قد یتکرر النص الواحد فی موارد متعدده،و سیاقات مختلفه،و یجیب عن ذلک

الحدیث المروی عن الرسول(صلی اللّه علیه و آله و سلم) :

۱- ۱) آل عمران۱۹۱/

۲- ۲) آل عمران۱۸۵/

۳- ۳) لقمان۳۳/

حب الـدنيا رأس كـل خطيئه فمهمـا وجـدت انحرافا أو خطأ فى حياه الإنسان (فردا و جماعه)فانك تجـده متصـلا بحب الـدنيا،و الاغترار بها.

[۲۱]و إذا تحول نظر الإنسـان و قلبه الى تلك الاهـداف الساميه،فهو لا ريب سـيتحول موقفه من الـدنيا و سـلوكه فيها،فالاهـداف عظيمه و الفرصه قصـيره،إذا لا بـد من ترك اللعب و اللهو الى الجـد و الاجتهاد،و ترك الزينه الى ما ينفع،و التفاخر و التكاثر فى الأموال و الأولاد الى التسابق فى الخير و الصالحات الباقيات.

إن تلك الاهداف كفيله بان تجعله فى ذروه الفاعليه،و تحيل المجتمع الى بركان متفجر من الحيويه و الاجتهاد و روادا فى فضيله التسليم للقياده الرساليه، و الاستجابه لدعوتها.

سَابِقُوا إِلىٰ مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّكُمْ و انبعثوا انبعاثه نحو الجنه العريضه،بدل الدنيا،و قاوموا جاذبيه الماده طلبا لرضوان اللّه.

وَ جَنَّهٍ عَرْضُهٰا كَعَرْضِ السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَ رُسُلِهِ و هذا هو الأجر و هو-فى ذات الوقت-النور الذى وعد به اللّه تعالى الصديقين و الشهداء فى الآيه(۱۹).

ذٰلِكَ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشٰاءُ فلا يظنن أحـد أنّه يمن على ربه بالايمان،أو انه يحصل عليه بجهـده،أو يـدخل الجنه بسـعيه،إنما بفضل اللّه و منه يحظى الإنسان بالايمان،و يدخل الجنه،بلى.ان

اراده الإنسان و سعيه ضروری،کما قال ربنا: وَ مَنْ أَرٰادَ الْآخِرَةَ وَ سَعیٰ لَهٰا سَعْيَهٰا وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰئِكَ كٰانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً (۱)،و لکن التوفیق الی ذلک جزء من فضله تعالی.

وَ اللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ و ما دمنا فی مقام رب عظیم،ذی فضل عظیم،و مغفره عظیمه و رضوان،فمن السفه ان نرضی لأنفسنا بالأدنی،و نشتغل بالتوافه تارکین وراءنا ذلک الفضل العظیم.

و یأتی الأمر الالهی بالتسابق الذی یستهدف(المغفره و الرضوان)،و هو أعلی مراحل السعی الایجابی و حالاته،فی مقابل التکاثر فی الأموال و الأولاد،الذی یستهدف جمع أکبر قدر من حطام الدنیا،و یمثل أسفل درکات العلاقه و الانشداد بها،بالرغم من اعتقاد الإنسان بأنه یبلغ الکمال عندها.و یصل التسابق الی أقصاه حینما ینبذ المؤمنون الغرور بالعمل و الامانی،و ینطلقون من الاحساس بالتقصیر،لان الاحساس بالکمال یوقفهم عن السعی و الاستزاده،و لذلک قال تعالی إِلیٰ مَغْفِرَةٍ ،و هذه من صفات المتقین

«لا یرضون من أعمالهم القلیل، و لا یستکثرون الکثیر،فهم لأنفسهم متهمون،و من أعمالهم مشفقون،إذا زکی أحد منهم خاف مما یقال له،فیقول:انا أعلم بنفسی من غیری،و ربی أعلم بی من نفسی!اللهم لا تؤاخذنی بما یقولون،و اجعلنی أفضل مما یظنون،و اغفر لی ما لا یعلمون » (۲)و هذه الصفه هی التی تصنع الإبداع و الفاعلیه فی الفرد و المجتمع، و تجعله یتقدم الی الامام أبدا.

۱- ۱) الإسراء/۱۹

۲- ۲) نهج/ح ۱۹۳ ص ۳۰۴

ثالثا:ما هو الموقف السليم من متغيرات الدنيا؟

[۲۳-۲۲]و حيث يعيش المؤمنون فى الدنيا،و يسابقون الى فضل اللّه،فلا بد ان يستوعبوا طبيعتها المتغيره لكى لا تترك آثارها السلبيه عليهم،ففيها الغنى و الفقر،و الشفاء و المرض،و القوه و الضعف،و النصر و الهزيمه،و الزياده و النقص، و لا بد ان يستقيموا على كل حال،فالذى يتغير مع الظروف و المتغيرات لا يصل الى اهدافه و طموحاته،لأنه تضله النعمه بطرا،و المصيبه يأسا،أو يعطى و يسابق حيث تسود هذه الحاله المجتمع و يلقى التشجيع إليها،و لكنه يتوقف حيث توقف الآخرون،أو ثبطوه،فكيف يحصل الإنسان على الثبات؟ أولا:بالمعرفه العميقه بطبيعه الدنيا على ضوء الآيه الكريمه اِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيٰاةُ الدُّنْيٰا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفٰاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكٰاثُرٌ فِي الْأَمْوٰالِ وَ الْأَوْلاٰدِ.. وَ مَا الْحَيٰاةُ الدُّنْيٰا إِلاّٰ مَتٰاعُ الْغُرُورِ و الرغبه فى فضل اللّه،مما يزهد الإنسان فيها،فلا يفرح حين تقبل عليه،و لا يحزن حين تدبر عنه،لأنها ليست بذات شأن عظيم عنده.

قال الامام على عليه السلام :الناس ثلاثه:زاهد و صابر و راغب،فاما الزاهد فقد خرجت الأحزان و الأفراح من قلبه،فلا يفرح بشيء من الدنيا،و لا يأسى على شيء منها فاته فهو مستريح » (۱)،و

قال عليه السلام :«الزهد كله بين كلمتين فى القرآن،قال اللّه تعالى: لِكَيْلاٰ تَأْسَوْا عَلىٰ مٰا فٰاتَكُمْ وَ لاٰ تَفْرَحُوا بِمٰا آتٰاكُمْ و من لم يأس على الماضى،و لم يفرح بالآتى فقد أخذ الزهد بطرفيه (۲).

و

نقل عن الإمام الباقر عليه السلام انه رأى جابر بن عبد اللّه(رضى)و قد تنفس الصعداء(التنفس الطويل من همّ أو تعب)فقال عليه السلام :يا جابر على م تنفسك

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۵ ص ۲۴۸

۲- ۲) المصدر/ص ۲۴۹

أعلى الدنيا»؟!فقال جابر:نعم،فقال له:«يا جابر ملاذ الدنيا سبعه:

المأكول،و المشروب،و الملبوس،و المنكوح،و المركوب،و المشموم،و المسموع، فألذّ المأكولات العسل و هو بصق من ذبابه،و أحلى المشروبات الماء،و كفى بإباحته و سباحته على وجه الأرض،و أعلى الملبوسات الديباج و هو من لعاب دوده،و أعلى المنكوحات النساء و هو مبال فی مبال،و مثال لمثال و و انما يراد أحسن ما فی المرأه لأقبح ما فيها،و أعلى المركوبات الخيل و هو قواتل،و أجل المشمومات المسك و هو دم من سره دابه،و أجل المسموعات الغناء و الترنم و هو إثم،فما هذه صفته لم يتنفس عليه عاقل».

قال جابر:فو اللّه ما خطرت الدنيا بعدها على قلبی. (١).

ثانيا:الرضى و التسليم بالقضاء الذی يأذن به اللّه فيقع،و هو أرفع درجه من الزهد،بل أرفع درجات الايمان

لقول الامام على بن الحسين عليه السلام و قد سئل عن الزهد:«الزهد عشره أجزاء،فأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع،و أعلى درجات الورع أدنى درجات اليقين،و أعلى درجات اليقين ادنى درجات الرضى » (٢)،و لا يسمو الإنسان اليه الا إذا آمن بأن كل ما يحدث فی الوجود بتقدير مسبق من اللّه(القدر)،فذلك بدل ان يؤثر فيه سلبا باتجاه الانحراف يؤكد فيه الانتماء الى مسيره الحق،و التوحيد المخلص للّه بدل الشرك، وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَراتِ وَ بَشِّرِ الصّابِرِينَ* الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ (٣)،لأنهم يعتقدون بهذه الحقيقه:

١- ١) بح/ج ٧٨ ص ١١

٢- ٢) بحار الأنوار/ج ٧٨ ص ١٣۶

٣- ٣) البقره١۵۵/-١۵۶

مٰا أَصٰابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ خارجيه من حولكم،قال صاحب المجمع:مثل قحط المطر:و قله النبات، و نقص الثمرات.

وَ لاٰ فِي أَنْفُسِكُمْ مباشره«من الأمراض و الثكل بالأولاد» (۱)أو ما أشبه.

إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهٰا فهی مکتوبه علی الإنسان فی قدر اللّه قبل الخلق الاول لنفسه،و تحولها الی الواقع انما هو تصویب للقدر بإنفاذ القضاء،و من الصعب علی الإنسان ان يستوعب هذه الحقيقه انطلاقا من النظر الی نفسه و قدراته المحدوده،و لكنّه إذا فكر فيها من خلال اراده اللّه و علمه فالأمر هين عنده تعالی.

إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرٌ و کیف لا یکون کذلک« وَ هُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »« وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ »؟ و لهذه الآیه الکریمه علاقه وثیقه بالدعوه الی التسابق،و هی ان المتغیرات السلبیه فی حیاه الإنسان(المصیبه)قد تصیبه بالإحباط النفسی الذی یفقده الفاعلیه اللازمه للتسابق،و لا شک ان الایمان بالقضاء و القدر مانع عن الإحباط فی الضراء کما هو حاجز عن الاغترار فی السراء.

لِكَيْلاٰ تَأْسَوْا عَلىٰ مٰا فٰاتَكُمْ

۱- ۱) المجمع عند الآیه

لأن اليأس(التثبط و الهزيمه الداخليه)بسبب التغير السلبى يسلبنا الفاعليه و التحرك.و لماذا نسعى و نسابق الى هدف لا نصل اليه؟هذا هو الاحساس و التساؤل الذى يرتسم عند المصيبه،و لكن لماذا اليأس،فالمصيبه إما بإراده الهيه لا سبيل فيها إلا الاعتراف بها و التسليم لاراده ربنا و حكمته،و اما تكون بسببنا فنحن إذا قادرون على مقاومتها و تغييرها بتغيير ما فى أنفسنا.و لا داعى لليأس،فقد نجاهد العدو فنفشل و ننهزم لاننا متفرقون، منهزمون نفسيا،و لكننا نستطيع الانتصار عليه إذا اعترفنا بعوامل الهزيمه عندنا فتجنبناها،و أسباب الانتصار عند العدو فأخذنا بها.

و كذلك النعمه يجب ان لا تدفعنا الى الغرور و الفخر،فنعتمد عليها بدل الاعتماد على اللّه،و هى لا تبقى،أو ننسى العوامل التى تسببت فيها فتزول.

وَ لاٰ تَفْرَحُوا بِمٰا آتٰاكُمْ لان الفرح(الغرور و الاحساس بالكمال)يدعونا الى التوقف،كاليأس و لكن بصوره أخرى،حيث لا نجد دافعا الى السعى و الاستزاده،و قد بلغنا القمه عند أنفسنا،بل قد يدعونا الى الشرك و ذلك للشعور بالاستغناء عن اللّه تعالى.

وَ اللّٰهُ لاٰ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتٰالٍ فَخُورٍ كائنا من كان،لأنهما صفتان سلبيتان منبوذتان عنده تعالى،لا يبررهما حسب و لا نسب و لا منصب و لا فضل مادى أو معنوى.و نستلهم من الآيه:

أولا:ان الفرح(و الاعجاب بما نملك)يسبب التكبر على الناس و الفخر.

ثانيا:ان علاجه يتم بالايمان بالقضاء و القدر،و ان ما نملك لم نحصل عليه من

عند أنفسنا بل بفضل اللّه سبحانه،فلا داعى للتعالى على الناس به أو الفخر و الغرور.

ثالثا:ان من يعيش التكبر و الفخر يخسر ما آتاه اللّه، لان اللّه لا يحب كل مختال فخور،و إذا كانت النعمه من اللّه فان زوالها سيكون بيده.

[۲۴]و يضرب اللّه مثلا على المختالين الذين يفخرون،و يبين لنا انعكاس فرحهم بالنعم على نفوسهم و سلوكهم بالنسبه للإنفاق،بعد بيان انعكاسه فى النفس و المجتمع.

اَلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَ يَأْمُرُونَ النّٰاسَ بِالْبُخْلِ و انما يبخلون لاسباب أهمها أمران،الاول:لأنهم يريدون التفاخر و التكاثر، فهم يزعمون أنّ الإنفاق يقلل ما يملكون،و

جاء فى الحديث «ما فتح على عبد بابا من أمر الدنيا إلّا و فتح عليه من الحرص مثليه » (۱)و الثانى:لأنهم يحسون بالاستغناء عن كل أحد،و هذا يتضخم فى نفوسهم حتى يشعرون بعدم الحاجه الى ثواب اللّه،فاذا بهم لا يستجيبون لدعوته بالإنفاق،و لا يدعمون مسيره الحق.

وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَنِيُّ الذى لا يحتاج الى أحد،و انما أمر بالإنفاق لصالح الناس و لابتلائهم.

اَلْحَمِيدُ فهو يواصل فضله على عباده،و لكن لماذا يأمرون الناس بالبخل؟

۱- ۱) بح/ج ۷۳ ص ۱۶۰

۱-لکی یبرروا بخلهم بخلق تیار من البخلاء فی المجتمع حتی لا یری بخلهم شذوذا.

۲-حفاظا علی الحاله الطبقیه التی تمهد لهم الاستبداد و الاستغلال و الفخر و الخیلاء،أما إذا ردمت الهوه بین الطبقتین الأغنیاء و الفقراء فعلی من یختالون و یفتخرون،و من یستغلون و یستبدون؟!و الرأسمالیه الموجوده الآن هی أحد إفرازات الفلسفات و الأفکار الاغریقیه القدیمه العفنه،و التی تقسم الناس الی طبقات حتمیه،و ذاتها موجوده الآن فی الفلسفات البرهماتیه فی الهند.

۳-کما ان المنافقین یتخذون تثبیط الناس عن الإنفاق،و دعوتهم الی البخل سبیلا للصد عن سبیل اللّه،و محاربه الرسول و رسالته الداعیان الی العداله و الوقوف ضد الطبقیه المقیته،و استغلال الناس و.و.مما یتعارض مع مصالحهم.قال اللّه تعالی: هُمُ الَّذِینَ یَقُولُونَ لاٰ تُنْفِقُوا عَلیٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللّٰهِ حَتّٰی یَنْفَضُّوا وَ لِلّٰهِ خَزٰائِنُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لٰکِنَّ الْمُنٰافِقِینَ لاٰ یَفْقَهُونَ (۱)و هذه الایه تشیر الی الهدف الأخیر للأمر بالبخل،و لعل الایه من سوره الحدید اشاره الی دور المنافقین فی محاربه الرساله،و الدعوه الی التولی عن الرسول و الحق.

و فی الاخبار روایات کثیره فی ذم البخل و البخلاء إلیک بعضها:

قال الرسول(صلی اللّه علیه و آله) :«البخیل بعید من اللّه،بعید من الناس، قریب من النار » (۲)و

قال الامام علی(علیه السلام) :«البخل جامع لمساوئ العیوب،و هو زمام یقاد به الی کل سوء » (۳)و

قال :«النظر الی البخیل یقسی

ص:۹۲

۱- ۱) المنافقون/۷-۸

۲- ۲) بح/ج ۳۰۸۷۳

۳- ۳) المصدر/ص ۳۰۷

القلب » (۱)و

قال الامام الصادق(علیه السلام) :«حسب البخیل من بخله سوء الظن بربه،من أیقن بالخلف جاد بالعطیه » (۲)و

عن الامام الرضا علیه السلام :

«إیّاکم و البخل فانها عاهه لا تکون فی حر و لا مؤمن.إنّها خلاف الایمان » (۳).

۱- ۱) بح/ج ۷۸ ص ۵۳
۲- ۲) بح/ج ۷۷ ص ۱۴۷
۳- ۳) بح/ج ۷۸ ص ۳۴۶

[سوره الحديد (۵۷): الآيات ۲۵ الی ۲۹]

اشاره

لَقَدْ أَرْسَلْنٰا رُسُلَنٰا بِالْبَيِّنٰاتِ وَ أَنْزَلْنٰا مَعَهُمُ اَلْكِتٰابَ وَ اَلْمِيزٰانَ لِيَقُومَ اَلنّٰاسُ بِالْقِسْطِ وَ أَنْزَلْنَا اَلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنٰافِعُ لِلنّٰاسِ وَ لِيَعْلَمَ اَللّٰهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَ رُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اَللّٰهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (۲۵) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنٰا نُوحاً وَ إِبْرٰاهِيمَ وَ جَعَلْنٰا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا اَلنُّبُوَّةَ وَ اَلْكِتٰابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فٰاسِقُونَ (۲۶) ثُمَّ قَفَّيْنٰا عَلىٰ آثٰارِهِمْ بِرُسُلِنٰا وَ قَفَّيْنٰا بِعِيسَى اِبْنِ مَرْيَمَ وَ آتَيْنٰاهُ اَلْإِنْجِيلَ وَ جَعَلْنٰا فِي قُلُوبِ اَلَّذِينَ اِتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَ رَحْمَةً وَ رَهْبٰانِيَّةً اِبْتَدَعُوهٰا مٰا كَتَبْنٰاهٰا عَلَيْهِمْ إِلاَّ اِبْتِغٰاءَ رِضْوٰانِ اَللّٰهِ فَمٰا رَعَوْهٰا حَقَّ رِعٰايَتِهٰا فَآتَيْنَا اَلَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فٰاسِقُونَ (۲۷) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اَللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۲۸) لِئَلاّٰ يَعْلَمَ أَهْلُ اَلْكِتٰابِ أَلاّٰ يَقْدِرُونَ عَلىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اَللّٰهِ وَ أَنَّ اَلْفَضْلَ بِيَدِ اَللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشٰاءُ وَ اَللّٰهُ ذُو اَلْفَضْلِ اَلْعَظِيمِ (۲۹)

اللغه

۲۵[بأس]:عذاب بالقتل أو القصاص و نحوهما.

ص:۹۴

۲۸[قفّينا]اتبعنا.

[و رهبانيّه]مشتقّه من الرهبه،بمعنى ما يظهر من العباده على الجوارح من آثار رهبه القلب.

ص:۹۵

هدی من الآيات:

إقامه العداله وفق القيم الالهيه أحد أهم و أبرز الاهداف التی تنزلت من أجلها رسالات اللّه،و سعی إليها الأنبياء و الرسل،كما ينبغی ان يسعی إليها كل مؤمن بل كل إنسان،و لا يجوز أن ينتظر رسولا يبعثه اللّه ليتحمّلها،فإذا لم يحدث ذلك اعتزل الواقع،و بالغ فی الترهّب انتظارا للمنقذ، كما فعل الكثير من أهل الكتاب،فإن ذلك يصير بهم الی الظلم و التخلّف فی الدنيا،و العذاب و الغضب الإلهيين فی الآخره..و إذا رفع رايه العداله شخص أو تجمّع فان علی سائر الناس ان ينصروه ان وثقوا منه و من اهدافه،و لا يدعوه وحده فی مواجهه الظالمين،فذلك هو المحك الذی يثبت شخصيه الامه الحقيقيه،كما أنّه الطريق الی كفلين من رحمه اللّه:هدی و رحمه فی الدنيا،و جنّه و مغفره فی الآخره.

ص:۹۶

بينات من الآيات:

[۲۵]ما هی السمات الاساسیه للحرکه الصادقه؟و ما هو هدفها و المنهج الالهی الکفیل بالوصول الیه؟و من هو المسؤول عن تطبیقه؟عن هذه الأسئله الحساسه تتحدّث آیه الحدید التی تنتهی إلیها بصائر هذه السوره التی سمیت باسمها.

إنّ أهم السمات فی الحرکه الصادقه و التی تعد بیّنات علی سلامتها هی التالیه:

الأولی:الانبعاث باسم اللّه رب العالمین،أمّا الانطلاقه الضاله التی تبدأ من ثقافه الشرک و الجحود فانها آیه واضحه علی خطأ الحرکات التی ترتکز علیها، و الرسل وحدهم انطلقوا باسم اللّه و بأمره و الذی تلقوه عبر الوحی بعد اختیارهم من قبله تعالی،و حیث ختم اللّه عهد هذا النوع من الحرکات بنبیّه محمّد صلی الله علیه و آله فان الحرکه الصادقه هی التی تکون امتدادا لهم و بزعامه الأوصیاء و الربانیین و العلماء باللّه الأمناء علی حلاله و حرامه و الأولیاء و القاده الرسالیین.

الثانیه:المنهج الربانی الأصیل،و المتمثل فی الرسالات التی أکملها و ختمها ربنا بالقرآن الذی حفظه من التحریف،و جعله مهیمنا علی الکتب،فانّه المنهج الأصیل و الوحید الذی یجب اتباعه،و اتباع هداه و بصائره،اما المناهج القائمه علی الجهاله و الإفراط و اتباع الأهواء فهی لا تصلح وسیله مناسبه للنجاح،لأنها إذا أخرجت الناس من ظلمات فلکی تدخلهم فی مثلها،أو أنقذتهم من عبودیه فالی عبودیه مثلها أو أسوء منها.

الثالثه:الاهداف السامیه،و التی یلخّصها القرآن فی العدل(قیام الناس

بالقسط)،و لكن ليس بـالمفهوم الضـيّق له المتمثّـل فى ردم الهوه بين الطبقـات الاجتمـاعيه،بـل الـتزام الحق و الإنصـاف من قبل الإنسـان فى كل أبعاد حياته و علاقاته،فى علاقته بربه و قيادته،و فى علاقته بنفسه و مجتمعه،و فى علاقته بالخليقه من حوله،و انما يعرف مدى قيامه بالقسط من خلال الميزان(الفطره،و العقل، و الكتاب،و القياده،...).

و الحركـه الصـادقه هى الـتى تسـعى الى ذلـك بـالكلمه الصـادقه أو بـالقوه و السـلاح، و هى الـتى يجـب على النـاس تبنّيهـا،و مساعـدتها،و الانتمـاء الى صـفوفها،لأنهـا تجاهـد للحق و من أجل سـعادتهم،و لأنها المحك فى نصـرتهم للّه و لمسـيره الأنبياء و المرسلين.

و الآيه تشير الى هذه السمات إذ تقول:

لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا دليلا الى اللّه،و تعريفا للناس به تعالى،فهم يتحمّلون مسئوليه محـدده هى تبليغ رساله الخالق الى المخلوقين،و هدايتهم الى معرفته،و الايمان به،و العمل برسالته،

قال النبى صـلى الله عليه و آله :«بعث إليهم الرسل لتكون له الحجه البالغه على خلقه، و يكون رسـله إليهم شـهداء عليهم،و ابتعث فيهم النبيين مبشـرين و منـذرين ليهلـك من هلـك عن بيّنه،و يحيى من حى عن بينه،و ليعقـل العبـاد عن ربهم ما جهلوه، فيعرفوه بربوبيته بعد ما أنكروا،و يوحّدوه بالالهيه بعد ما عضدوا (أشركوا)» (۱)، و

قـال الامـام على عليـه السـلام :«بعـث رسـله بمـا خصـهم به من وحيه، و جعلهم حجه له على خلقه،لئلاـ تجب الحجه لهم بـترك الاعذار إليهم » (۲)،فهم

ص:۹۸

۱- ۱) توحيد المفضل/ص ۴۵

۲- ۲) نهج/خ ۱۴۴

الواسطه بين الخالق و المخلوق،و حبل اللّه الممدود من السماء الى الأرض،و لكن كيف نعرف صدقهم و صدق دعوتهم من بين القاده المنحرفين و الدعوات الضاله؟ القرآن يجيب على هذا السؤال إذ يقول:

بِالْبَيِّنٰاتِ لهذه الكلمه معنيان يبدو ان كليهما تشملهما الكلمه:

١-تفاصيل الهدى،المتمّثله فى الثقافه التوحيديه،و البصائر و القيم، و المناهج المنبثقه منها،و اشتمال رسالات اللّه على هذه التفاصيل دليل على انّها وحى من عند اللّه،إذ قد يهتدى بشر اوتى صفاء النفس الى بعض معانى الغيب، و لكن انّى للإنسان ان يأتى بهذه المنظومه المتكامله من البصائر الغيبيّه،ان ذلك الا دليل اتصاله المباشر بالوحى.

٢-الحجج و الآيات التى تهيمن على النفس و العقل،كالمعاجز،و الخلوص من الهوى و المصلحه و التمحض للحق،و هذا يهدينا الى ان الرسالات الالهيه قائمه قبل كل شيء على الاقناع،لأنه الذى ينمّي الايمان فى النفس،و يحرّكه بفاعليه أكبر،و أبقى من اى عامل آخر،و ربنا يقول: سَنُرِيهِمْ آيٰاتِنٰا فِي الْآفٰاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ (١)،ذلك أنّ الايمان الناتج من الاستجابه للبيّنات و الآيات هو الذى يخشع القلب و الجوارح لذكر اللّه،و يطوّعهما للرسول و لما نزل من الحق و للميزان،و بالتالى يدفع المؤمن للقيام بالقسط،و حينما يتخلّف أحد من المؤمنين عن الاستجابه للرسول و للوحى فانّ ذلك يدلّ على تزلزل فى قناعاته.

و حيث لا يؤتى الايمان ثماره الا إذا تحول الى نظام تربوى،اجتماعى،

١- ١) فصلت٥٣/

اقتصادی،سیاسی،ثقافی شامل لجوانب الحیاه،یکفل للبشریه السعاده،أنزل اللّه شریعه متکامله الی جانب البینات متمثلا بالکتاب.

وَ أَنْزَلْنٰا مَعَهُمُ الْکِتٰابَ فاذا کانت البیّنات تؤمّن القناعات الاوّلیه فانّ الکتاب یؤمّن النظام العملی الشامل المنطلق من الایمان،و الذی یستهدف تکریسه بعمق فی النفوس و الواقع، و القیام بالقسط-هذا الهدف العظیم-إنّما یستمد شرعیّته و شرعته منه.

و مع دلاله الانزال علی المعنی الظاهر من الکلمه فانّه یدل علی الفرض،و کل ما نزل من الخالق الی المخلوق فهو لازم و مفروض علیه القیام به.و من البدیهی انّ معرفتنا بالبیّنات انّ الکتاب من اللّه تلزمنا العمل به و تنفیذه.

وَ الْمِیزٰانَ الوسیله التی نعرف بها مضامین الکتاب الخارجیه،مما یتکفّله القضاء فی المرافعات و الخصومات.

و السؤال:ما هو المیزان؟هل هو العقل؟أم الامام العادل؟أم هذه المقاییس التی یزن الناس أشیاءهم بها؟ یبدو ان المیزان أساسا هو المقیاس الذی نعرف به تطبیق الحکم علی الواقع الخارجی،و هو لا یتمّ إلاّ بالعقل و الامام و المقیاس السلیم.کیف ذلک؟ اولا:ما جاء القرآن لیلغی دور العقل،انما لیثیر دفائنه بالاجتهاد فی فهم حقائقه و أحکامه و طریقه تطبیقه،و لیقوم بدوره الحساس و الخطیر فی حیاه البشریه.

ص:١٠٠

ثانیا:ما جاء القرآن بدیلا عن الامام(السلطه العادله)حیث یجب التسلیم للقیاده الشرعیه فی حدود قیم الکتاب،فدور الامام یکمل دور الرساله،لذلک

قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله :«إنّی قد ترکت فیکم الثقلین،ما ان تمسّکتم بهما لن تضلوا بعدی،أحدهما أکبر من الآخر:کتاب اللّه حبل ممدود من السماء الی الأرض،و عترتی أهل بیتی.ألا و إنّهما لن یفترقا حتی یردا علی الحوض » (۱)، و قد أجمعت فرق المسلمین قاطبه علی هذه الروایه،مع حکم العقل بضرورتها،اما قول الخوارج:(حسبنا کتاب اللّه)فانّه باطل بشهاده الکتاب،و شهاده العقل، بل و شهاده التاریخ البشری حیث لم نعهد جماعه بلا سلطه تحکمهم،و حتی الخوارج أنفسهم ما عاشوا دون سلطه طول تاریخهم.

و میزان الإنسان فی الدنیا هو میزانه فی الآخره حیث یقول ربنا سبحانه: یَوْمَ نَدْعُوا کُلَّ أُنٰاسٍ بِإِمٰامِهِمْ فَمَنْ أُوتِیَ کِتٰابَهُ بِیَمِینِهِ فَأُولٰئِکَ یَقْرَؤُنَ کِتٰابَهُمْ وَ لاٰ یُظْلَمُونَ فَتِیلاً (۲)،

قال الامام الرضا علیه السلام :«المیزان:أمیر المؤمنین نصبه لخلقه»،« أَلاّٰ تَطْغَوْا فِی الْمِیزٰانِ »قال:«لا تعصوا الامام » (۳).

و العقل یعکس مقاییسه التی فطر علیها علی مجموعه أدوات یقیس بها الأشیاء.

أ رأیت ان العقل یعرف-عبر البصر-مدی قرب أو بعد الأشیاء،و لکنّه التماسا للدقه یعکس ذلک علی أدوات العلم(المتر و الکیلومتر)،کما یقدر العقل علی معرفه مدی حراره الجسم باللمس،و لکنّه یبدع المحرار لیکون أقرب الی الدقه، و هکذا سائر الموازین.إنّها تجلیات العقل علی الطبیعه،و من جهه أخری انها

۱- ۱) بح/ج ۲۳ ص ۱۰۶ و کنز العمال/ج ص ۱۷۲ و(۱۸)موضعا آخر

۲- ۲) الإسراء/۷۱

۳- ۳) نور الثقلین/ج ۵ ص ۱۸۸ و قد مر فی سوره الرحمن تفصیل حول معنی المیزان

أدوات لحكم السلطه العادله،فلو لا القوانين التى تنظم العلاقه و توزن مدى تطبيق القيم على الواقع لم يستطع الامام فرض العدل على الناس..و هكذا كان الميزان أساسا هو العقل(الذى هداه اللّه لمعرفه المقاييس و المقادير)،و الامام الذى هو بمثابه العقل الظاهر،ثم الانظمه و الأدوات القياسيه،لأنها تهدى الناس للحق و العدل، و لذلك جاء فى التفسير:«نزل جبرئيل عليه السلام بالميزان(الكفتين و اللسان)فدفعه الى نوح،و قال:مر قومك يزنوا به» (۱).

لِيَقُومَ النّٰاسُ بِالْقِسْطِ و إقامه الشىء تنفيذه على أصلح وجه،و منه إقامه الصلاه إذا مارسها بوجهها الصحيح.و العوامل الثلاثه(البيان،الكتاب،الميزان)يكمل بعضها بعضا، و هى كفيله بأن توفّر المناخ المناسب لاقامه القسط و لتحقيق هدف رسالات اللّه.

و القسط-حسب الرازى-و الاقساط هو الإنصاف،و هو ان تعطى قسط غيرك كما تأخذ قسط نفسك،و العادل مقسط،قال اللّه تعالى: إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ،و القاسط الجائر،قال تعالى: وَ أَمَّا الْقٰاسِطُونَ فَكٰانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً (۲).

و حسب بعض اللغويين:قسط(بالفتح)قسطا(بالكسر):عدل،و قسطا (بالفتح)و قسوطا:جار و عدل عن الحق (۳)،ثم اعتبر ذلك من الأضداد.

و أنّى كان فانّ مفردات استخدام الكلمه تدل على انّها ليست مجرد بسط العداله الظاهره،بل هى اقامه العداله الواقعيه التى فيها المزيد من الإنصاف،و إيتاء الحق

ص:۱۰۲

۱- ۱) جوامع الجامع للطبرسى عند الآيه

۲- ۲) تفسير الرازى/ج ۲۹ ص ۲۴۳

۳- ۳) المعجم الوسيط(قسط)

لأهله.

و الآیه تصرح بأنّ اقامه القسط تکون بید الناس أنفسهم،فلم تقل:لیقوم الرسل بالقسط بین الناس،بل قالت:« لِيَقُومَ النّاسُ بِالْقِسْطِ »،و لو انّ الناس تخلوا عن مسئولیتهم تجاه العداله فان القسط لا یقوم،لان رسالات اللّه توفر للناس فرصه اقامه القسط،و لم یبعث الأنبیاء لفرض العداله بالإکراه علی الناس.

و قیام الناس بالقسط یعنی العداله،و إقامه الحق فی سائر جوانب حیاتهم،مع اللّه،و مع الرسول،و مع القیاده الشرعیه،و مع الناس،بل و مع الحیاه،فیتقون اللّه حق تقاته،ثم یختارون الامام العدل و یسلمون له و یتبعونه،

قال الامام الرضا علیه السلام :« وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ »:و أقیموا الامام بالعدل (۱)،و یلتزمون الحق مع أنفسهم باتباع القصد من دون افراط و لا تفریط،و مع الناس فلا یبخسون،و لا یطففون،و لا یظلمون و لا یعتدون،و لا ینقضون العهد،و هکذا یلتزمون العدل فی علاقتهم مع الخلیقه من حولهم،فلا یفسدون فی الأرض بعد إصلاحها،و لا یهلکون الحرث و النسل،و لا..و لا..

و لکن تبقی شریحه من الناس تخالف الحق،من أجل هذا أنزل اللّه الحدید وسیله رادعه لتنفیذ القسط و إقامته بین الناس،و لا ریب ان القوه لیست الوسیله المناسبه دائما،فما یقرّه الإسلام شرعیه القوه فی الحالات الخاصه لا شریعتها.

وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ

قال الامام علی علیه السلام :«یعنی السلاح و غیر ذلک » (۲)،مما یحقق الغرض منه،

۱- ۱) تفسیر نور الثقلین/ج ۵ ص ۱۸۹.

۲- ۲) المصدر/ص ۲۵۰

و هو الردع و تنفيذ القسط.و هذا الشطر من الآيه معطوف على(الكتاب و الميزان) و لكن اللّه يذكر أولا الهدف من الحديد.لماذا؟يبدو لكى يبيّن بصيره هامه أنّ العوامل المتقدمه هى الأهم،و لا بد ان تكفى فى الظروف العاديه«ليقوم الناس (أنفسهم)بالقسط»فلا يحتاجون الى إعمال الحديد و ذلك لان القوه التنفيذيه فى الإسلام تستمد قوتها الاساسيه من الايمان لا من السيف.و هنا نتساءل:إذا لماذا أنزل اللّه الحديد؟الجواب:إنّما لأولئك الجبابره و الطغاه و المعاندين الذين قست قلوبهم عن وعى البينات و الكتاب،و عارضوا الميزان و القسط،لمثل أولئك شرع اللّه استخدام السيف،و رغب فيه،

فقد روى عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله انّه قال :«الخير كله فى السيف،و تحت ظل السيف،و لا يقيم الناس الا السيف » (١)،و

قال الامام على عليه السلام :«إن اللّه داوى هذه الامه بدوائين:السوط،و السيف،لا هواده عند الامام فيهما » (٢)،و

قال الامام الصادق عليه السلام :«إنّ اللّه عز و جل بعث رسوله بالإسلام الى الناس عشر سنين،فأبوا ان يقبلوا حتى أمره بالقتال،فالخير فى السيف،و تحت السيف،و الأمر يعود كما بدأ » (٣)،و

قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام :السيف فاتق،و الدين راتق،فالدين يأمر بالمعروف،و السيف ينهى عن المنكر،قال اللّه تعالى: وَ لَكُمْ فِي الْقِصٰاصِ حَيٰاةٌ (۴).

فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ على الذين لا يقومون بالقسط(حيث الحدود،و القصاص،و سائر العقوبات الشرعيه)،و على الذين يظلمون و يحاربون العداله(حيث الجهاد فى سبيل اللّه) و استخدام الحديد كرمز للقوه،باعتباره الماده الاساسيه لصنع الاسلحه و وسائل

١- ١) بح/ج ١٠٠ ص ٩

٢- ٢) شرح ابن حديد/ج ١ ص ٢٧۵

٣- ٣) فروع الكافى/ج ۵ ص ٧

۴- ۴) غرر الحكم طبعه إيران المترجمه حكمه(٢١۵٧)باب الألف

القوه،و هنـا يطرح السؤالين التـاليين:الاول:إذا كان الإسـلام يؤمن بالحريه فلما ذا القوه؟و الثانى:إذا كان اللّه سوف يحاسب الناس يوم القيامه فلما ذا السيف و الجهاد فى الدنيا؟و نجيب على ذلك:

أولا:الإسلام بين الحجه و القوه:

أبرز اهداف الإسلام تحرير الإنسان من الأغلال ظاهره و باطنه،قال تعالى:

اَلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَ يُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلالَ الَّتِي كانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۱)، بلى.الرسول يخرج الناس من ظلمات الجهل و التخلّف و الاستعباد،الى نور العلم و التحضـر و الحريه، و لكن كيف؟هـل بقوه المنطق أم بمنطق القوه؟لقـد بينت آيـات عديـده أنّه لاـ إكراه فى الـدين،و أنّ الرسول ليس بجبار عليهم،قال سبحانه: لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ،و قال سبحانه: نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَقُولُونَ وَ ما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخافُ وَعِيدِ (۲)و تطبيقـا لهـذه الحقيقه فى الواقع منع ربنـا الرسول و المسـلمين من إكراه الناس على الـدخول فى الـدين الجديـد،فقال: وَ لَوْ شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَ فَأَنْتَ تُكْرِهُ النّاسَ حَتّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (۳).

إذا لماذا القوه؟انما ضد فريقين:الاول:الذين يصادرون حريه الناس، و يفرضون عليهم أغلالهم،الثانى:الذين يخرجون على قوانين البلاد،و يعيثون فى

۱- ۱) الأعراف/۱۵۷

۲- ۲) ق/۴۵

۳- ۳) يونس/۹۹

الأرض فسادا..

ثانيا:الإسلام و القوّه و الحياه:

١-أمّا لماذا القوه فی الدنيا ما دام اللّه يحاسب الناس فی الآخره فيجزی المحسن و المسیء؟فلأنّ الابتداء لا يتم إلّا عند توافر شروطه،فلو أطبقت على الأرض حكومات الضلال و أفرغت على الناس دعاياتها السّامّه،دون أن تسمح لأحد بنشر الدعوه إلى اللّه بينهم،كيف تتمّ آنئذ حجه اللّه على سائر العباد.

أو ليسوا كانوا يقولون:ربّنا لم تبلغنا الدعوه إليك،و لم نسمع عن رسولك شيئا؟ إذا لا بدّ أن يسعى المؤمنون لتوفير جوّ الامتحان ليهتدی من اهتدی عن بيّنه، و يضلّ من ضلّ عن بيّنه.

٢-ثم أنّ الّذين يعارضون استخدام القوه من قبل المؤمنين لا ينظرون إلى الجهاد إلّا من زاويه المضاعفات السلبيه التی تستتبعه،و بالذات من زاويه بطش الحكومات الفاسده بالمجتمع و المجاهدين أنفسهم،فی حين يجب عليهم النظر من زاويه المعطيات الإيجابيه للجهاد على صعيد الدنيا حيث الحريه و الاستقلال و الأمن و التقدم و سائر مضامين إقامه القسط و نتائجه،و على صعيد الآخره حيث رضوان اللّه و جنّته،و هذه بعض المنافع التی جعلها اللّه للحديد.

وَ مَنٰافِعُ لِلنّٰاسِ فالحديد سلاح يساهم فی إقامه القسط،و هو فی ذات الوقت معدن يتدخّل فی كثير من الصناعات و مرافق الحياه.

و إنّ السعی لإقامه الحق و العداله بين الناس يتسبّب فی صراع مصيری بين أنصاره و رسله(حزبه)و أنصار الباطل و أئمه(حزب الشيطان)فيميّزهم عن

بعضهما،فيحقّق الهدف الأساس من حياتنا الدنيا ألا و هو الابتلاء.

وَ لِيَعْلَمَ اللّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَ رُسُلَهُ من المجاهدين الذين يسعون نحو تحقيق الغايه من الرسالات و هى إقامه القسط،بلى.السيف وسيله ذلك،و لكنّ سواعد المجاهدين هى التى تحمل السيف و تحارب به الأعداء،فلا يزعم أحد أنّ نصره اللّه لدينه تتم بصوره غيبيّه دائما.و يعتبر المجاهدون هذه الغايه هى الأسمى لأنّ أعظم أهدافهم بلوغ رضوان اللّه سبحانه،الذى يعتبر الجهاد أقرب سبله.

و النصره الحقيقيه للحق لا تتحقّق بمجرد الانتماء إلى صفوف المؤمنين،و رفع السيف،و القتال،و حسب،كلا...فهذا المظهر المطلوب،بل المهم إلى جانب ذلك أن تكون الدوافع توحيديه نابعه من الإيمان باللّه،لذلك قال ربّنا:

بِالْغَيْبِ أمّا الذى ينتمى للمؤمنين و يقاتل معهم بدوافع و أهداف ماديه و مصلحيه،أو لأنّ الآخرين نصروه،أو لأى شيء آخر لا يتصل بالغيب،و هو رضى اللّه و جنّاته، فلا تشمله الآيه..و مّما يخلص دوافع الإنسان و أهدافه علمه بأنّه لا ينصر ضعيفا و لا ذليلا،و أنّه تعالى لم يدعه للنصره عن حاجه و عجز حتى يطلب المقابل و يفرضه عليه بعد النصر،أو يمنّ على ربّه سبحانه.

إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ و إنّما يكتسب المجاهدون من نصرتهم له قوّه و عزّه.

و كلمه أخيره:

ص:١٠٧

إنّ آیه الحدید تشیر إلی نظام التجمّع الإسلامی الذی یتمثّل فی الرسول و من ینوب عنه،و فی القوی الثلاث:التشریعیه،و رمزها(الکتاب)و دورها بیان الأحکام،و القوه القضائیه،و رمزها(المیزان)أمّا مهمتها فهی تطبیق الأنظمه علی الواقع لتحدید المصادیق و بیان کیفیه التنفیذ،و القوّه التنفیذیه،و رمزها (الحدید).

کما تشیر الآیه إلی شعار التجمّع الإسلامی الذی یهدینا إلی وجهته و صبغته العامه و المتمثّل فی قوله سبحانه:« لِیَقُومَ النّٰاسُ بِالْقِسْطِ ».

و خاتمه الآیه تهدینا إلی الدافع الغیبی لنصره الدّین،و الذی یعتبر الضمانه التنفیذیه للأحکام،و قوّه التماسک الداخلیه فی التجمّع الإیمانی.

[۲۶]و یضرب القرآن مثلا تاریخیا لما بیّنته آیه الحدید فیما یتصل بحرکه الأنبیاء و من یتبعهم،و ذلک من واقع نوح و إبراهیم(علیهما السلام)حیث کانا فاتحین لعهدین جدیدین فی تاریخ الرسالات الإلهیه.

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنٰا نُوحاً وَ إِبْرٰاهِیمَ و النبوّه هی القیاده المعصومه المختاره من عند اللّه، أمّا الرساله فهی فوقها بدرجه حیث أنّ الرسول یحمل رساله من ربّه إلی الناس.

و النبوّه و الکتاب هما عهد اللّه،و لا یناله إلاّ الصالحون الصادقون،الذین یمتحنهم اللّه،قال عزّ من قائل:« وَ إِذِ ابْتَلیٰ إِبْرٰاهِیمَ رَبُّهُ بِکَلِمٰاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قٰالَ إِنِّی جٰاعِلُکَ لِلنّٰاسِ إِمٰاماً قٰالَ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی قٰالَ لاٰ یَنٰالُ عَهْدِی الظّٰالِمِینَ ».

و حیث تصدّی أبناء نوح و إبراهیم(علیهما السلام)لقیاده البشریه عبر

الأجيال،و حملوا مشعل الهدايه و نهجها للأمم تلو الأمم،يظهر فضلهم على الناس.

وَ جَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ الْكِتابَ و لكن مجرد كون النبوه و الكتاب فى ذريه نوح و إبراهيم(عليهما السلام)لا يبرّر نموّ الحاله العنصريه عند أولادهم و أتباعهم.

فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ هم الرسل و الأنبياء و الأوصياء و من آمن بهم و اتبعهم.

وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ ضالون منحرفون،لم يلتزموا بالكتاب،و لم يقتفوا آثار الأنبياء،فالمقياس فى الصلاح أو الفساد ليس الانتساب و لا ادّعاء المشايعه للصالحين،إنّما المقياس الحق هو اتباع القيم الرساليه، و التزام السلوك الصالح،فلا صلاح القاده و حقّانيه القيم دليل هدى الأمم و المجتمعات،و لا ضلال الأمم و المجتمعات و انحرافها دليل فسادهما،و إلى هذا يشير الإمام الرضا عليه السلام حيث يقول مخاطبا المأمون و بعض العلماء فى جلسه:«أما علمتم أنّه وقعت الوراثه و الطهاره على المصطفين المهتدين دون سايرهم؟قالوا:و من أين النبوّه يا أبا الحسن؟قال:قول اللّه عزّ و جلّ: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً وَ إِبْراهِيمَ وَ جَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ الْكِتابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فاسِقُونَ» ،فصارت وراثه النبوّه و الكتاب للمهتدين دون الفاسقين،أما علمتم أنّ نوحا حين سأل ربّه عزّ و جلّ فقال: إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَ إِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَ أَنْتَ أَحْكَمُ الْحاكِمِينَ ،و ذلك أنّ اللّه عزّ و جلّ وعده أن ينجيه و أهله،فقال له ربّه عزّ و جلّ:

يا نُوحُ إِنَّهُ لَيسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيرُ صالِحٍ فَلا تَسْئَلْنِ ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّی أَعِظُکَ أَنْ تَکُونَ مِنَ الْجاهِلِینَ . (۱)

[۲۷]فی سوره الحدید التی اتسمت بصفه الروحانیه المتسامیه و التی جاءت شفاء ناجعا لمرض القسوه التی تصیب القلوب الغافله عن ذکر اللّه،فی هذه السوره قرأنا آیه الحدید التی حدّدت هدف الرساله فی إقامه القسط،و لم تستبعد الحدید کوسیله لتنفیذه. إنّه حقّا توازن حکیم بین التعالی فی أفق الغیب و الحضور الفاعل فی أحداث الحیاه.

و لذلک أیضا یتناول السیاق قصه الرهبنه التی زاغت بالنصاری عن الطریق القویم،کما انحرف الیهود من قبلهم حین ابتلوا بالنظره العنصریه.و إذا عالجت الآیه السابقه و بإشاره خاطفه عنصریه الیهود و غیرهم فإنّ هذه الآیه بیّنت بوضوح خطأ الرهبانیه،و ذکّرت کلتا الآیتین بأنّ الطریق القویم یتمثّل فی سنّه الأنبیاء الذین توالوا علی البشریه برساله واحده تحدّدت معالمها مع الزمن،و أنّ الخط الواحد و المشترک الذی تهدی إلیه سیرتهم جمیعا هو المیزان فی قیاس الحق،و هو یتمثّل فی القرآن کما نقرأ ذلک فی آیات لاحقه.

ثُمَّ قَفَّیْنا عَلی آثارِهِمْ بِرُسُلِنا واحدا بعد واحد یهدی بهم اللّه البشریه إلی خط نوح و إبراهیم کلّما فسقت و ضلّت عنه،فهم یتبعون ذات النهج،و یسعون إلی ذات الأهداف،و بذات الوسائل(البیّنات،و الکتاب،و المیزان،و الحدید)،و هکذا ینبغی أن تکون الأجیال اللاحقه فی الأمّه مسئوله عن مسیرتها،تقتفی أثر الرّواد الصالحین،سیرا إلی الحضاره و التکامل...و حیث تفصلها العصور و الأجیال عن أولئک(النبی و أئمه الهدی)فإنّ الکتاب و الإمام خیر مقیاس لمعرفه المنهج القویم.بلی.إنّ

۱- ۱) عیون اخبار الرضا/ج ۱ ص ۲۳۰

عودتها إلی الخط السلیم،و بالذات فی مجتمع ذهب بعیدا فی الضلال و الانحراف، سیضعها أمام تحدّیات صعبه،و لکنّها الطریق الوحید نحو الهدی و السعاده،و النجاه من الضلال و الشقاء.

وَ قَفَّیْنا بِعِیسَی ابْنِ مَرْیَمَ وَ آتَیْناهُ الْإِنْجِیلَ و الإنجیل لم یکن مغایرا لتلک الرسالات،إنّما هو متضمّن لذات المفاهیم و القیم،إلا أنّ العنصریه التی انحدر إلیها بنو إسرائیل من قبل نزول الإنجیل، و ما رافقها من النظره المادیه و قسوه القلب،کانت بحاجه إلی جرعات من الحنان و العطف و الزهد و الخشوع،و کانت کلمات الإنجیل تفیض بذلک لمعالجه ذلک التطرف المادی الطاغی،و هکذا زرع اللّه فی قلوب التابعین لعیسی علیه السلام الرأفه و الرحمه بل الزهد و الرهبانیه الطاهره.

وَ جَعَلْنا فِی قُلُوبِ الَّذِینَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَهً وَ رَحْمَهً لعلّ الرأفه هی العطف القلبی،بینما الرحمه هی المظهر الخارجی لها مثل العطاء و خفض الجناح،و قال البعض:إنّ الرأفه هی منع ما یضر،بینما الرحمه هی توفیر ما ینفع،و مثل هذه الکلمات إذا ذکرت مفرده منها شملت معنی الجمیع،بینما إذا أطلقت أکثر من مفرده دلّت کلّ واحده علی معنی خاص،و کان ذکرها یدلّ علی التأکید،ممّا یوحی بأنّ اللّه جعل المزید من العطف و الحنان فی قلوب الذین اتبعوا عیسی علیه السلام .و حق لهم ذلک.أولم یکن قائدهم مثلا أسمی للزهد و الحنان و الخشوع و التبتّل؟ و الرأفه و الرحمه من أظهر و أعظم صفات اللّه فی تعامله مع خلقه إِنَّ اللّهَ بِالنّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِیمٌ (۱)،و هکذا تستهدف الرسالات الإلهیه إنقاذ الناس من الصفات

۱- ۱) البقره/۱۴۳

البشریه لترکّز فیهم أخلاق اللّه لیکونوا ربّانیین.و لعلّ عیسی علیه السلام جاء بالرأفه و الرحمه علاجا للقسوه التی أصابت بنی إسرائیل حیث قال ربّنا عنهم: ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُکُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِکَ فَهِیَ کَالْحِجٰارَهِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَهً وَ إِنَّ مِنَ الْحِجٰارَهِ لَمٰا یَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهٰارُ وَ إِنَّ مِنْهٰا لَمٰا یَشَّقَّقُ فَیَخْرُجُ مِنْهُ الْمٰاءُ وَ إِنَّ مِنْهٰا لَمٰا یَهْبِطُ مِنْ خَشْیَهِ اللّٰهِ . (۱)

و جعل اللّه لهما فی قلوب أتباع المسیح علیه السلام لا یعنی أبدا أنّ اللّه یرسل نبیّا باللطف و الرحمه،و یرسل الآخر بالشدّه و الحدید،أو أنّهم لم یفرض علیهم الجهاد بالسیف و خوض اللجج لإقامه القسط إذا کانت الظروف تستدعی ذلک،بل یعنی أنّ الحاله الاجتماعیه المتردّیه فی القسوه و الفسوق لم تکن تعالج بالسیف بل بالرحمه و الرأفه،و ربما الرهبانیه.

ثم یبیّن القرآن تجربه مهمّه من تجارب أتباع عیسی علیه السلام :لقد ظهرت الجبابره و الطغاه من بعد عیسی،و صارت مسیره الأکثریه من الناس إلی الفسوق و القسوه مما شاه لملوکهم،و اتباعا للتحریف و البدع،فاختلفوا علی مذاهب شتّی،حیث سکت الأغلبیه عن الطغاه،و اتبعوا أدعیاء الدّین،إلاّ أنّ قلیلا منهم قرّر التحدی و لکن کیف؟ إنّهم یواجهون نوعین من التحدی:التحدی السیاسی،و التحدی الاجتماعی المدعوم بقشور الدّین المحرّف،و أمام کلّ ذلک یجب علیهم أن یحافظوا من جهه علی مسیرتهم فلا یتابعون الطغاه أو یستسلمون للدین المحرّف،و من جهه أخری یجب أن یحافظوا علی أنفسهم الاّ یبادوا،فوقع اختیارهم علی الرهبانیه التی تعنی توثیق العلاقه باللّه،و اعتزال المجتمع الضّال.هذه کانت خطتهم التی یرون فیها السبیل

۱- ۱) البقره۷۴/

إلى أهـدافهم،و هى الالـتزام بالإنجيـل،و اتبـاع عيسـى،و المحـافظه على أشخاصـهم و حيثيـات شخصـيتهم أن تمـاث فى الـواقع الجديد،و يلخّصها القرآن فى كلمه هى رضوان اللّه.

وَ رَهْبٰانِيَّةً ابْتَدَعُوهٰا مٰا كَتَبْنٰاهٰا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغٰاءَ رِضْوٰانِ اللّٰهِ ماذا تعنى هـذه الفقره من الآيه،فهل الرهبانيه كتبها اللّه عليهم،فما ذا تعنى إذا كلمه«ابتدعوها»،و هل هم الذين استحدثوها،فما ذا يعنى إذا قوله:

«مٰا كَتَبْنٰاهٰا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغٰاءَ رِضْوٰانِ اللّٰهِ »؟ الـذى يبـدو لى:أنّ لفظه الرهبانيه معطوفه على قوله سبحانه: وَ جَعَلْنٰا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَ رَحْمَةً ،حيث أنّ اللّه أوجد فيها عبر الإنجيل و عبر سـيره المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ثلاثه أنوار:نور الرأفه و نور الرحمه و نور الخشـيه من اللّه و الرهبـانيه،و لكنّهم ابتـدعوا هـذه الرهبـانيه و غيّروا فيها،كما أنّ الزهـد أساسا فضـيله دعا إليها الإسلام إلاّ أنّ طائفه من المسلمين ابتدعوها و جعلوا لها وسائل غير لائقه ممّا دعا أئمه المسلمين إلى التبرى منهم.

إذا الابتداع لم يكن فى أصل الرهبانيه التى تعنى الخشيه من اللّه،و إنّما فى فروعها من اعتزال المجتمع فى الأديره،و وضع طقوس خـاصه بهـا،و على هـذا التفسـير يكون قوله سـبحانه:« مٰا كَتَبْنٰاهٰا عَلَيْهِمْ »تبيانا للابتـداع حيث أنّ اللّه كتب الرهبانيه عليهم بهـدف ابتغاء مرضاته فما رعوها حق رعايتها فحرّفوها.

و قال البعض:إنّ الآيه تشير إلى أنّهم ابتدعوا أصل الرهبانيه ابتغاء رضوان اللّه،و أنّ اللّه لم يكتبها عليهم.

و قالوا:ليس بالضروره أن يكون الإبداع مكتوبا بحذافيره فى الرساله ليكون

مشروعا،بل يكفى أن يكون موافقا و قيم الرساله و الأصول و القواعد العامّه فيها، لأنّ المهم أن ينطلق من الكتاب،و ينتهى إليه،و يلتزم به بتصديق الميزان.و هذا من مرونه الدّين،و قدرته على قياده الحياه المتطوّره،و هو يؤيّد الإبداع،ما دام فى حدود رضوان اللّه و شريعته،و من هنا فإنّ الرهبانيه جيده إن لم تؤدّ إلى:

۱-التشبّث بظاهر الأمور على حساب القيم.

۲-و اعتزال المجتمع و تكفيره دون الشهاده عليه و السعى نحو تغيير واقعه.

۳-و التقاعس عن الواجبات الاجتماعيه.

۴-و ابتزاز الناس،و اكتناز الذهب و الفضه،و الصدّ عن سبيل اللّه.

و ما إلى ذلك،و هو إفراغ للرهبانيه من مضامينها الحقّه التى تعنى الحقائق التاليه:

أ:خشيه اللّه،و التقرّب إليه بالتبتّل،و الزهد فى حطام الدنيا.

ب:الاحتياط فى الدّين،و الاجتهاد فى العباده و أداء حقوق الناس،و إقامه أحكام اللّه على وجهها الصحيح لتحقيق أهداف الدّين و مقاصد الشريعه من خلالها،و جعل رضوان اللّه هو الغايه دون تكريس العصبيات و الأنانيات.

ج:اعتزال الناس تمهيدا لتغييرهم،و التقيه و الهجره من أجل الجهاد،دون جعلها هدفا بذاته و وسيله لترك الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و إقامه حدود اللّه.

فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها و بلغ بهم الأمر إلى درجه استغل أدعياء العلم و الدين الناس باسمها، و صدّوهم عن السبيل،قال تعالى: إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبارِ وَ الرُّهْبانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوالَ

النّاسِ بِالْباطِلِ وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ . (۱)

جاء فی مسند أحمد بن حنبل: خرجنا مع رسول اللّه صلی الله علیه و آله فی سریّه من سرایاه، فقال:مرّ رجل بغار فیه شیء من ماء،فحدّث نفسه بأن یقیم فی ذلک الغار،فیقوّته ما کان فیه من ماء،و یصیب ما حوله من البقل،و یتخلّی عن الدنیا،فقال:لو أنّنی أتیت النبی صلی الله علیه و آله فذکرت ذلک له،فإن أذن لی فعلت،و إلاّ لم أفعل،فأتاه فقال:یا نبیّ اللّه إننی مررت بغار فیه ما یقوّتنی من الماء و البقل،فحدّثتنی نفسی بأن أقیم فیه و أتخلّی عن الدنیا، قال:فقال النبی صلی الله علیه و آله :«إنّی لم أبعث بالیهودیه و لا بالنصرانیه(یعنی ما علیه الیهود و النصاری من التحریف)و لکنّنی بعثت بالحنیفیه السمحه،و الذی نفس محمد بیده لغدوه و روحه فی سبیل اللّه خیر من الدنیا و ما فیها،و لمقام أحدکم فی الصف الأوّل خیر من صلاته ستین سنه ». (۲)

و یعضد هذا ما جاءت به الروایه

عن ابن مسعود قال :«کنت ردیف رسول اللّه صلی الله علیه و آله علی الحمار فقال:یا ابن أمّ عبد!هل تدری من أین أحدثت بنو إسرائیل الرهبانیه؟فقلت:اللّه و رسوله أعلم،فقال:ظهرت علیهم الجبابره بعد عیسی علیه السلام یعملون بمعاصی اللّه،فغضب أهل الإیمان فقاتلوهم،فهزم أهل الإیمان ثلاث مرات،فلم یبق منهم إلاّ القلیل،فقالوا:إن ظهرنا لهؤلاء أفنونا و لم یبق للدّین أحد یدعوا إلیه،فتعالوا نتفرّق فی الأرض إلی أن یبعث اللّه النبی الذی وعدنا به عیسی علیه السلام (یعنون محمدا صلی الله علیه و آله)،فتفرّقوا فی غیران الجبال،و أحدثوا رهبانیه،فمنهم من تمسّک بدینه،و منهم من کفر،ثم تلا الآیه: وَ رَهْبانِیَّهً ابْتَدَعُوها ما کَتَبْناها عَلَیْهِمْ.... إلی آخرها ثم قال:یا بن أمّ عبد أ تدری

ص:۱۱۵

۱- ۱) التوبه۳۴/

۲- ۲) الجامع لأحکام القرآن

ما رهبانیه أمتی؟قال:الهجره و الجهاد و الصلوه و الصوم و الحج و العمره ».

و

فی حدیث آخر أنه قال :«یا ابن مسعود!اختلف من کان قبلکم علی اثنین و سبعین فرقه،نجا منها ثنتان و هلک سایرهم،فرقه قاتلوا الملوک علی دین عیسی فقتلوهم،و فرقه لم یکن لهم طاقه لموازاه الملوک،و لا أن یقیموا بین ظهرانیهم یدعونهم إلی دین اللّه تعالی و دین عیسی،فساحوا فی البلاد و ترهّبوا،و هم الذین قال اللّه: وَ رَهْبانِیَّهً ابْتَدَعُوها ما کَتَبْناها عَلَیْهِمْ ،ثم قال النبی صلی الله علیه و آله :من آمن بی و صدّقنی و اتبعنی فقد رعاها حقّ رعایتها،و من لم یؤمن بی فأولئک هم الهالکون. (1)

و هذه الروایه فی الواقع موافقه لما نعرفه من مقاییس الشرع،و هی تفسّر الروایه التی تنقلها المذاهب الإسلامیه کلّها عن النبی صلی الله علیه و آله بأن الأمّه سوف تفترق بعده (73)فرقه کلّها هالکه إلا واحده،و هی التی تقاتل الطغاه.أمّا الذین یعتزلون الساحه،و یتفرّجون علی صراع الحقّ و الباطل،أو الذین یتابعون الملوک و التّیار العام فی المجتمع صحیحا کان أو مخطئا،فلیسوا من الناجین،و من هنا یتضح لنا أنّ الحدیث الذی یشیر إلی أنّ الفرقه الناجیه من أمّه محمد صلی الله علیه و آله هی التی تتبع الجماعه و الأکثریه و لا تخالف الجبابره و الطغاه هو حدیث موضوع علی ید حکّام الجور و من أیّدهم من أدعیاء الدّین.

و مع أنّ الفرق و المذاهب التی یصیر إلیها الناس کثیره إلاّ أنّ القرآن یصنفها إلی خطین:خط الحق و خط الباطن.

فَآتَیْنَا الَّذِینَ آمَنُوا مِنْهُمْ

ص:116

1- 1) نور الثقلین/ج 5 ص 251-252/الجامع لأحکام القرآن للقرطبی/ج 17 ص 265

بعیسی علیه السلام و اتبعوه قبل أن یتوفّاه اللّه،أو حافظوا علی إیمانهم بعده فکانوا ممّن رعی الرهبانیه حقّ رعایتها،و لمّا جاء الرسول صلی الله علیه و آله آمنوا به و اتبعوه..

أَجْرَهُمْ و الأجر هو الجزاء فی مقابل شیء،و المؤمنون من أهل الکتاب یعطیهم اللّه أجرهم مقابل الإیمان و العمل الصالح،و لیس لمجرّد انتمائهم إلی دین المسیح علیه السلام و مجتمعه و أشیاعه.و ینسف القرآن النظریه العرقیّه و العنصریه لدی الضّالین من أهل الکتاب فیقول:

وَ کَثِیرٌ مِنْهُمْ فٰاسِقُونَ ضالّون منحرفون یدخلون النار،لا تنفعهم عنصریّتهم و لا انتماءاتهم اللفظیه.

[۲۸]و إذا کانت الرهبانیه القائمه الیوم بدعه زائفه عن السبیل،فما هی الوسیله التی تقرّبنا إلی ربّنا أکثر فأکثر لمن اشتاق إلی الزلفی إلیه سبحانه،و نیل مرضاته و حبّه و الدرجات العلی من جنّاته؟ فی خاتمه سوره الحدید-سوره التبتّل و الجهاد-یبصّرنا ربّنا بالوسیله التی یتخذها من شاء أن یتخذ إلی رضوان ربه سبیلا.

و یوجّه ربّنا الخطاب إلی المؤمنین باللّه جمیعا ممّا یشمل الفریق الأوّل من أهل الکتاب،و کذلک المؤمنین فی عهد النبی محمد صلی الله علیه و آله لا یفرّق بین أحد منهم، یدعوهم إلی صدق الإیمان و التقوی بترغیب فی رحمه و فضله.

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا

و إنّها لكرامه أن يخصّ الخالق فريقا من خلقه بحديث من ذكره،و إنّه لمن الشقاء أن يتلهّى المؤمنون عن هذا الحديث،فلا تخشع له قلوبهم،و لا تسعى إليه جوارحهم!من هنا يسارع المؤمنون حقّا عند ما يسمعون هذا النداء إلى القول:لبّيك اللّهم لبّيك.

لماذا القرآن الكريم يخص النداء بالمؤمنين حينا و يخاطب الناس أحيانا،علما بأن آياته تتسع كلّ تال لكتاب ربّه؟ ربما لأن الإيمان شرط أساسى فى الموضوع.ألا ترى كيف أنّ القرآن يعمّم الخطاب للناس فى غير ذلك،مثل القضايا العلميه التى لا يشترط الإيمان فى تنفيذها كالنفاذ من أقطار السموات و الأرض،فيقول: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ فَانْفُذُوا لاَ تَنْفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ (1)،و يقول: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ (2)،أو فيما يتصل بحكم يشمل الناس جميعا كالعلاقه بين الشعوب فى قوله سبحانه: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثىٰ وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَ قَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا (3).أمّا هنا فإنّ العمل بالمضمون يحتاج إلى الإيمان فلا يقفز الإنسان من الكفر إلى الإيمان بالرسول،بل لا بد أن يؤمن باللّه أوّل ثم برسوله،كذلك لا يقفز من الكفر إلى التقوى التى هى من مراحل الإيمان المتقدمه إلاّ بعد الإيمان باللّه و الرسول.

1- 1) الرحمن/33

2- 2) الحج/5

3- 3) الحجرات/11

اِتَّقُوا اللّهَ و بعباره:إنّ المسافه بين الإنسان و بين الاستجابه للوحى و اتباع القياده الرساليه مليئه بالتحديات و الضغوط،و لا يقدر الإنسان على طيّها إلاّ بزاد التقوى التى يواجه بها أشواك الطريق.

وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ فهو محك الإيمان و التقوى،و ما هى قيمه إيمان لا يتحوّل فى واقع الإنسان إلى ولاء دينى،اجتماعى،سياسى،عملى،للقياده الرساليه الصالحه،و يصوغ شخصيه الإنسان صياغه ربّانيه بعيده عن قوالب التحزّب الأعمى،و العصبيّه الضيّقه،و القوميّه المحدوده،و الوطنيّه الزائفه،و...و...؟ ما قيمه الإيمان الذى لا يصنع مجتمعا صالحا،يعمر الأرض،و ينصر الضعفاء، و يقاوم الطغاه و المجرمين؟بلى.إنّه سوف يواجه ضغوط القيادات المنحرفه، و المجتمع من حوله،و لكن ليعلم أنّ ما يجده مع التقوى و اتباع القياده خير ممّا يفوته من حطام الدنيا.

يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ قيل غ الكفل هو ما يشدّ الراكب إلى سنام الإبل،و يتكفّل بإجلاسه عليها (١)،و لكل فرد كفل،فتطوّر المعنى و الاستخدام حتى أصبحت الكلمه تعنى النصيب الكامل للشخص،و الذى يتقى اللّه و يؤمن بالرسول ينال نصيبين و حظّين،فلا يخسر الدنيا بسبب الترهّب الزائد عن حدّه، كما هو حال بعض أهل

١- ١) فى التفسير الكبير قال المفضل بن سلمه:الكفل:كساء يديره الراكب حول السنام حتى يتمكن من القعود على البعير

الکتاب،و لا یخسر الآخره بسبب الالتصاق المفرط بالدنیا،کما یستوی إلی ذلک الکثیر من المؤمنین الذین قدّم لهم اللّه التعریف بالدنیا و الدعوه إلی الآخره فی الآیات (۱۹-۲۴)،و الکثیر من الناس،فالإسلام منهاج متوازن یرید لأتباعه الدنیا و الآخره،

فعن أبی الجارود قال :قلت لأبی جعفر علیه السلام :لقد آتی اللّه أهل الکتاب خیرا کثیرا،قال:و ما ذاک؟قلت:قول اللّه عزّ و جلّ: اَلَّذِینَ آتَیْنٰاهُمُ الْکِتٰابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ یُؤْمِنُونَ إلی قوله: أُولٰئِکَ یُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَیْنِ بِمٰا صَبَرُوا قال:

فقال:قد آتاکم اللّه کما آتاهم،ثم تلا:« یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ یُؤْتِکُمْ کِفْلَیْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ». (۱)

وَ یَجْعَلْ لَکُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ نتیجه التقوی و الإیمان بالرسول.قال البعض:أی یوم القیامه،و هو النور المذکور فی قوله:« یَسْعیٰ نُورُهُمْ » (۲)،و لکن ما الذی یجعل هذا النور محدودا بالآخره؟أو لیست حاجه الإنسان إلی النور قائمه فی الدنیا أیضا؟قال تعالی:

أَ وَ مَنْ کٰانَ مَیْتاً فَأَحْیَیْنٰاهُ وَ جَعَلْنٰا لَهُ نُوراً یَمْشِی بِهِ فِی النّٰاسِ کَمَنْ مَثَلُهُ فِی الظُّلُمٰاتِ لَیْسَ بِخٰارِجٍ مِنْهٰا (۳).هکذا یبدون أنّ النور الذی جاء فی هذه الآیه و فی تلک هو البصیره فی الحیاه و التی تتمثّل یوم القیامه نورا ساطعا.

لماذا جیء بنا إلی الحیاه الدنیا،و ما هی أهدافنا الکبری فیها،و ما هی سنن اللّه الحاکمه،و اختلاف الناس و ما هو الموقف المناسب و الموازین الحق کیف نعرف بها أمورنا؟و عشرات من البصائر القرآنیه التی یؤتیها ربّنا الذین آمنوا و اتقوا.

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۵۴

۲- ۲) التفسیر الکبیر عند الآیه یتابع الکشّاف

۳- ۳) الانعام/۱۴۲

و تجسد القیاده الرسالیه هذه البصائر فیما تطرحه من مواقف أو تصدره من أوامر،لذلک فهی أیضا نور للمتقین المتمسکین بها.

و مع أن مصدر النور هو الوحی إلاّ أنّنا بحاجه إلی القیاده الرّبانیه،لأنّها الأقرب الی حقائق الوحی،فهی المرآه الصافیه التی تعکس حقائقه بصدق و أمانه و وعی،و ما أحوجنا إلی هذا النور و نحن نعیش فی عالم کثرت فیه البدع، و المذاهب الضّاله،و وسائل الاعلام و الثقافه المضلّله.

قال الإمام الباقر علیه السلام :« نُوراً تَمْشُونَ بِهِ »یعنی إماما تأتمّون به (1)و هکذا عن الصادق علیه السلام . و إنّ المهم لیس أن یتحرّک الإنسان أو یمشی،إنّ المهم أن تکون حرکته فی الطریق المستقیم نحو الأهداف التی خلق من أجلها،و هو لا یصیر إلی ذلک إلاّ بالنور،و اللّه هو الذی یجعله فی قلبه یَهْدِی اللّهُ لِنُورِهِ مَنْ یَشاءُ (2)، و الجعل إمّا یکون مباشرا عبر الوحی و إمّا غیر مباشر عبر المقاییس و الموازین التی یشخّص بها القائد للناس.

و حینما یضیف الإنسان إلی إیمانه التقوی و اتباع القائد الصالح فإنّ ذلک سیطهّر قلبه و سلوکه من الانحرافات و الذنوب،فالتقوی تخلص نیته و تدفعه للطاعه کما تجنّبه المعصیه،و القیاده تنیر له الدرب لیشق طریقه علی بصیره و هدی.

وَ یَغْفِرْ لَکُمْ وَ اللّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ [29]التقوی هی المقیاس لا الاعتبارات العرفیه و العنصریه و القومیه و المادیه أو غیرها لأنّها ساقطه فی الإسلام،و تبقی قیمه واحده هی التقوی کما قال اللّه:

ص:121

1- 1) نور الثقلین/ج 5 ص 252

2- 2) النور35/

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أَنْثىٰ وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَ قَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١)،و يؤكد القرآن هذه القيمه فى مئات المواضع،كما يؤكدها هنا مرّتين:مرّه بتعميم الخطاب لكلّ المؤمنين،دون اشتراط صفات و اعتبارات ماديه،و مرّه عند ما يصرّح بأن السبل مشرعه إلى فضل اللّه للجميع.

لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ فى الآيه و جهان،يكون المعنى على الوجه الأول:لكى لا يقنطوا من روح اللّه و فضله فيبرّروا بذلك عدم إيمانهم بالرسول صلى الله عليه و آله و الكتاب الجديد،أو يبرّروا عدم سعيهم إلى الرحمه و الفضل،كلاّ..فدعوه اللّه و وعده للجميع.

أما على الوجه الثانى فيكون المعنى:لكى لا يظن أهل الكتاب(النصارى و اليهود)أن الفضل حكر عليهم،و أنّ المؤمنين المسلمين لا سبيل لهم إلى فضله تعالى،كلاّ..

وَ أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ يبدو أنّ أهل الكتاب كانوا يعيشون عقدتين خطيرتين:الأولى:أنّهم العنصر الأسمى فالفضل لهم لا لغيرهم،الثانيه:أنّهم لو آمنوا لا يتساوون فى الفضل مع السابقين من المسلمين لأنّهم عرب و هم غرباء،أو لأىّ سبب آخر.

و خاتمه الآيه(و ربما فاتحتها أيضا)تنفى كلتا العقدتين،لأنّ الفضل بيد اللّه فإنّه يؤتيه للمسلمين كما آتاه سابقا لأهل الكتاب عند ما آمنوا برسلهم،ثمّ لأنّ الفضل بيد اللّه فإنّه لا يميّز بين عربى و أعجمى،و سابق و لاحق،و مواطن و أجنبى (حسب التعبير الحديث)،و قرشى و حبشى،فكلّ من آمن و اتقى شمله اللّه

ص:١٢٢

١- ١) الحجرات/١٣

بفضله..و بهذا نجمع بين وجهى التفسير الّذين ذكرناهما آنفا حول الآيه.

وَ اللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ الذى يتسع لكلّ إنسان سعى له سعيه، فمن أراد منع غيره عنه،أن تصوّر أنه لا يتسع له فإنّما يستصغر فضل ربّه و يستقلّه،و هذا شأن النفوس المريضه بعقد الإحساس بالحقاره و الدونيه،و المريضه بالعنصريه و الحسد،و هذا و ذاك لا يمتّ إلى الإيمان بصله.و الآيه تشبه إلى حدّ بعيد قوله تعالى: سٰابِقُوا إِلىٰ مَغْفِرَهٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّهٍ عَرْضُهٰا كَعَرْضِ السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَ رُسُلِهِ ذٰلِكَ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشٰاءُ وَ اللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (1)،فربّنا يدعوا إلى التسابق بين المؤمنين،لا إلى التوقف بسبب اليأس،و لا إلى الصراع بسبب النظره العنصريه.

و لعلّ ما ورد فى مورد نزول الآيه يشير إلى بعض ما سبق ذكره..

فى مجمع البيان قال سعيد بن جبير:بعث رسول اللّه صلى الله عليه و آله جعفرا فى سبعين راكبا إلى النجاشى يدعوه،فقدم عليه و دعاه،فاستجاب له و آمن به،فلمّا كان عند انصرافه قال ناس ممن آمن به من أهل مملكته و هم أربعون رجلا:ائذن لنا فنأتى هذا النبى فنسلم به،فقدموا مع جعفر،فلمّا رأوا ما بالمسلمين من الخصاصه استأذنوا و قالوا:يا نبىّ اللّه إنّ لنا أموالا و نحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصه فإن أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا المسلمين بها؟فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين،فأنزل اللّه تعالى فيهم: اَلَّذِينَ آتَيْنٰاهُمُ الْكِتٰابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ إلى قوله: وَ مِمّٰا رَزَقْنٰاهُمْ يُنْفِقُونَ فكانت النفقه التى واسوا بها المسلمين،فلمّا سمع أهل الكتاب ممن لم يؤمن به قوله: أُولٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمٰا صَبَرُوا فخروا على المسلمين فقالوا:يا معشر المسلمين أمّا من آمن

۱- ۱) الحديد/۲۱

بکتابکم و کتابنا فله أجر کأجورکم فما فضلکم علینا؟فنزل: یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ... الآیه فجعل لهم أجرین و زادهم النور و المغفره،ثم قال: لِئَلاّٰ یَعْلَمَ أَهْلُ الْکِتٰابِ...

و قال الکلبی:کان هؤلاء أربعه و عشرین رجلا قدموا من الیمن إلی رسول اللّه صلی الله علیه و آله و هو بمکّه،لم یکونوا یهودا و لا نصاری،و کانوا علی دین الأنبیاء، فأسلموا،فقال لهم أبو جهل:بئس القوم أنتم و الوفد لقومکم،فردّوا علیه:

وَ مٰا لَنٰا لاٰ نُؤْمِنُ بِاللّٰهِ... الآیه فجعل اللّه لهم و لمؤمنی أهل الکتاب عبد اللّه بن سلام و أصحابه أجرین اثنین،فجعلوا یفخرون علی أصحاب رسول اللّه صلی الله علیه و آله و یقولون:نحن أفضل منکم لنا أجران و لکم أجر واحد،فنزل: لِئَلاّٰ یَعْلَمَ أَهْلُ الْکِتٰابِ... إلی آخر السوره. (۱)

ص:۱۲۴

۱- ۱) مجمع البیان/ج ۹ ص ۲۴۴

سوره المجادله

اشاره

ص:۱۲۵

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

فضل السوره

فی ثواب الأعمال للشیخ الصدوق(رض)بإسناده عن أبی عبد اللّه (علیه السلام)أنه قال :«من قرأ سوره الحدید و المجادله فی صلاه فریضه أدمنها لم یعذّبه اللّه حتی یموت أبدا،و لا یری فی نفسه و لا فی أهله سوءا أبدا، و لا خصاصه فی بدنه».

ثواب الأعمال و عقاب الأعمال/ص ۱۴۵

ص:۱۲۷

الإطار العام

للنفس حرم تنطوی فيه و تتحصّن داخله عن بصائر الوحی و ضياء العبر و العظات،و ما لم يخرق الإنسان بعزائم اليقين حجب النفس إلی حرمها فإنّه لن يفلح.و لكن كيف يتم ذلک،و بماذا؟ إنّما بمعرفه الرب،و أنّه سميع بصير. إنّ وعی شهاده اللّه علی كلّ شیء كفيله بتنميه الوعی الدينی فی النفس،هنا لک فی تلک الأغوار التی تنضج قراراتها و تتحدّد و جهتها ربما بعيدا عن وعی صاحبها،هنا لک يصلح الإيمان ما تفسده وساوس الشيطان.

و لعلّ فی سوره المجادله نورا نافذا إلی ذلک البعد الباطن،إلی ذلک الغور العميق،إلی ذلک الحرم المستور فی النفس البشريه،و هذا الإطار يجمع حسبما يبدو لی بين محاور السوره التی تتراءی بادئ النظر أنّها متباينه.كيف ذلک؟

ص:١٢٩

ألف)فی فاتحه السوره و فی بدایه الجزء الثامن و العشرین من الذکر الکریم یتلو علینا الرب کلمه السمع،فاللّه سمع قول التی جادلت الرسول فی قصه الظهار و اشتکت إلی اللّه،و سمع تحاورها و الرسول،و إنّه سمیع بصیر.

ب)و بعد أن یسوق الذکر أحکام الظهار و یحدّد کفّارته یقول:« ذٰلِکَ لِتُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ »ممّا فسّر بأنّه یعنی تنمیه روح الإیمان،لأنّ المفروض أنّهم مؤمنون.

فإذا الحکمه من الکفّاره تنمیه روح الإیمان فی النفس،علی أنّ الظهار یتم فی العلاقه الزوجیه التی هی من الأمور الشخصیه و المستوره عاده،و أنّه موقف خاص لا یمکن ضبطه إلاّ بالإیمان و بروح التقوی،کما أنّ کفّارته کبیره،و الدافع الجنسی الذی یقف الظهار دونه متصاعد،و ضمن هذه الظروف لا ینظّم العلاقه سوی الوازع النفسی الذی تصنعه معرفه الإنسان بربّه و بأنّه سمیع بصیر.

ج)و بعد أن ینذر السیاق الذین یتجاوزون حدود اللّه(و منها أحکام الشریعه فی الظهار)یذکّرنا بیوم البعث حیث ینبّئ اللّه الکافرین بما عملوا،و یبیّن أنّه قد أحصی ما لم یحفظوه و أنّه شاهد علی کلّ شیء.و کلّ هذه البصائر تنمّی روح التقوی فی النفس لیس فی أبعادها الخارجیه بل فی حرمها المستور.

د)و عبر أربع آیات بینات یعالج الذکر موضوعه النجوی التی تتصل بتنمیه الوعی الإیمانی فی النفس،و مؤکّدا-أوّلا-أنّ اللّه سبحانه حاضر عند کل نجوی،فما من نجوی ثلاثه إلاّ هو رابعهم،و لا خمسه إلاّ هو سادسهم،ثمّ ینذر الذین یتناجون بالإثم و العدوان،و یتحدّون عذاب اللّه،و یکفرون بالنذر قائلین:

لماذا لا یعذّبنا اللّه بعد التناجی؟حسبهم جهنّم،و یرسم القرآن حدود النجوی المسموح بها..عند ما یتمّ التناجی بالبر و التقوی،و ینفی أی أثر لتناجی الکفّار، و یأمر المؤمنین بالتوکّل علی اللّه.

ص:۱۳۰

و من الواضح:أنّ التقوى هى وحدها التى تضبط النجوى من الانحراف فى الإثم و العدوان و معصيه الرسول،و بما أنّ هدف تناجى الكفّار التعالى يوصى ربّنا المؤمنين بالتواضع لبعضهم بالتفسح فى المجالس،و تركها إذا أمروا بها،و يبيّن أنّ اللّه هو الذى يرفع المؤمنين و أهل العلم درجات(بدرجات إيمانهم و علمهم)،و أنّه ليس انتخاب المجالس القريبه من القياده أو طول المكث عندها سبب التعالى كما يحسب الكفّار و المنافقون.

و يأمر المؤمنين بإيتاء الصدقه قبل تناجى الرسول(لكى لا يتسابقوا إلى ذلك طلبا للفخر)،ثم يتوب عليهم رعايه لهم لأنّهم أشفقوا عن تقديم الصدقات.

ه)و يعالج السياق بعدئذ موضوعه البراءه من الكفّار التى تتصل أيضا بالوعى الإيمانى،و ينذر المنافقين الذين يتولّونهم واقعا،ثم يتخذون أيمانهم جنّه حيث يحلفون على الكذب أنّهم مؤمنون حقا(كلّ ذلك طلبا للثوره و القوّه،و لا يعلمون أنّهما لا تنفعانهم شيئا).

و يبيّن القرآن أنّ الأموال و الأولاد لا تنفع يوم القيامه حيث يبعثهم اللّه ليحاسبهم فإذا بهم يحلفون له عبثا كما يحلفون للمؤمنين فى الدنيا.

و)و ما يفرّق بين المؤمن و المنافق ليس تلك المظاهر(مناجاه الرسول،و التقرّب المكانى منه،و التأكيد على صدق الإيمان بالحلف الكاذب)،إنّما هى تلك الحقائق(التحسّس بشهاده اللّه،و الكفّاره عند الظهار،و مراعاه حدود اللّه و أحكامه،و التواضع لأولياء اللّه،و البراءه من أعداء اللّه)،و بها يتميّز حزب الشيطان عن حزب اللّه فإنّ حزب الشيطان هم الخاسرون،و هم الذين يتجاوزون حدود اللّه(و يتولّون أعداء اللّه)،و لقد كتب اللّه بغلبه رسله،و أكّد أنّ المؤمنين حقّا لا يتولّون من حادّ اللّه حتى و لو كانوا من ذوى قرباهم،لأنّ اللّه قد ثبّت

قلوبهم على الإيمان،و أيّدهم بروح منه،و أعدّ لهم جنّات خالدين فيها،و قد رضى عنهم و رضوا عنه،و اعتبرهم من حزبه. أَلآ إِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .

[سوره المجادله (۵۸): الآيات ۱ الى ۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . قَدْ سَمِعَ اَللّٰهُ قَوْلَ اَلَّتِي تُجٰادِلُكَ فِي زَوْجِهٰا وَ تَشْتَكِي إِلَى اَللّٰهِ وَ اَللّٰهُ يَسْمَعُ تَحٰاوُرَكُمٰا إِنَّ اَللّٰهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (۱) اَلَّذِينَ يُظٰاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسٰائِهِمْ مٰا هُنَّ أُمَّهٰاتِهِمْ إِنْ أُمَّهٰاتُهُمْ إِلاَّ اَللاّٰئِي وَلَدْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ اَلْقَوْلِ وَ زُوراً وَ إِنَّ اَللّٰهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (۲) وَ اَلَّذِينَ يُظٰاهِرُونَ مِنْ نِسٰائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمٰا قٰالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسّٰا ذٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَ اَللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (۳) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيٰامُ شَهْرَيْنِ مُتَتٰابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسّٰا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعٰامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ تِلْكَ حُدُودُ اَللّٰهِ وَ لِلْكٰافِرِينَ عَذٰابٌ أَلِيمٌ (۴) إِنَّ اَلَّذِينَ يُحَادُّونَ اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ كُبِتُوا كَمٰا كُبِتَ اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ قَدْ أَنْزَلْنٰا آيٰاتٍ بَيِّنٰاتٍ وَ لِلْكٰافِرِينَ عَذٰابٌ مُهِينٌ (۵) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اَللّٰهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمٰا عَمِلُوا أَحْصٰاهُ اَللّٰهُ وَ نَسُوهُ وَ اَللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (۶)

اللغه

۵[کبتوا]:أی أذلّهم اللّه و أخزاهم،و الکبت:القهر و الإذلال.

ص:۱۳۴

وَ إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَ زُوراً

هدى من الآيات:

فى قضـيه عائليه كالظهار،و عند تحاور خاص بين الرسول و واحده من المسـلمات بشأن مشـكلتها هذه،ينزل اللّه قرآنا.أىّ شـهاده أكبر من شهاده الربّ على الحوادث الواقعه،أم أىّ حضور فاعل للوحى فى يوميّات الأمه!بلى.إنّ اللّه يسمع تحاورهما.

و لقـد كانت العرب ترى أنّ الرجل إذا قال لزوجته:(أنت علىّ كظهر أمّى) حرمت عليه أبـدا،و كان ينطوى هـذا الحكم على ظلم كبير للمرأه التى لا تعاشر آنئذ معاشره الأزواج،و لا تسرّح للتزوّج من رجل آخر.

لقـد كـان الظهـار من العادات الجاهليه التى فتّت الكثير من الأسـر قبل بزوغ نور الإسـلام،و قـد تعود عليها المجتمع،و بقى إيمان الكثير بها إلى ما بعد إسـلامهم، و حيث أراد اللّه لرسالته أن تكون بديلا عن الجاهليه فقد نزل الوحى يدافع عن الأسـره باعتبارها إذا صلحت و قويت كانت أساس بناء المجتمع و الحضاره،و من

هـذا المنطلق حارب القرآن فكره الظهار،و اعتبرها منكرا و قولا زورا،لا يبرّرهم شـرع اللّه و لا الواقع،فإنّ قول الرجل لزوجته:أنت عليّ كظهر أمّى لا يصـيّرها أمّا له:« إِنْ أُمَّهاتُهُمْ إِلاَّ اللاّئِي وَلَدْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَ زُوراً »، يشـبه و لكن بصوره أعظم خطرا عند اللّه و فى واقع المجتمع فكره الأدعياء التى عالجها الذكر الحكيم فى سوره الأحزاب. (1)

و فى الوقت الـذى تسـفّه سوره المجادله فكره الظهار كما يتصوّرها الجاهليّون من المسـلمين،بأنّها لون من الطلاق الدائم الذى لا تصـح بعـده الرجعه،تؤكّـد هـذه السوره بأنّ الرجعه ممكنه حفاظا على كيان الأسـره و المجتمع و رعايه لعواطف الإنسان،و لكنّها تفرض كفّاره عليـه قبلهـا(تحرير رقبـه،أو صـيام شـهرين،أو إطعـام سـتين مسـكينا)،و ذلـك يعنى أنّ الإسـلام يعتـبر الظهـار أمرا مشروعا،إنّما أراد بذلك الوقوف أمام تأثّر المسلمين بالجاهليه من جهه،و دفعهم من جهه أخرى إلى أخذ شرائعهم و ثقافتهم من مصدرها الصحيح و الأصيل،« ذلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ »،و ما دون ذلك فهو صنيع الجاهليه الضاله الكافره، و الذى ينبغى الاستغفار منه،لأنّ الإيمان و العمل به يستوجب غضب اللّه و عذابه، « وَ لِلْكافِرِينَ عَذابٌ أَلِيمٌ ».

بينات من الآيات:

[١]

نزلت الآيـات فى امرأه من الأنصـار ثم من الخزرج و اسـمها خوله بنت خويلـد عن ابن عبّـاس،و قيل خوله بنت ثعلبه عن قتاده و مقاتل،و زوجها أوس بن الصامت،و ذلك أنّها كانت حسـنه الجسم فرآها زوجها ساجده فى صـلاتها فلمّا انصـرفت أرادها فأبت عليه فغضب عليها،و كان امرءا فيه سرعه و لمم،فقال لها:

١- ١) لقد مر تفسير ذلك فى تفسير السوره فراجع

أنت علیّ کظهر أمّی،ثم نـدم علی ما قال و کان الظهار من طلاق أهل الجاهلیه فقال لها:ما أظنک إلاّ و قد حرمت علیّ،فقالت:لا تقل ذلک،و أت رسول اللّه (صلّی اللّه علیه و آله و سلم)فأسأله فقال:إنّی أجد أنّی أستحی منه أن أسأله عن هذا،قالت:فدعنی أسأله؟فقال:سلیه،فأتت النبی(صلّی اللّه علیه و آله و سلم) و عائشه تغسل شقّ رأسه،فقالت:یا رسول اللّه انّ زوجی أوس بن الصامت تزوّجنی و أنا شابه غانیه ذات مال و أهل حتی إذا أکل مالی و أفنی شبابی و تفرّق أهلی و کبرت سنّی ظاهر منی،و قد ندم فهل من شیء یجبسنی و إیّاه فتنعشنی به؟ فقال(صلّی اللّه علیه و آله و سلم):ما أراک إلاّ حرمت علیه،فقالت:یا رسول اللّه! و الذی أنزل علیک الکتاب ما ذکر طلاقا،و إنّه أبو ولدی و أحبّ الناس إلیّ،فقال (صلّی اللّه علیه و آله):ما أراک إلاّ حرمت علیه،و لم أؤمر فی شأنک بشیء،فجعلت تراجع رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و آله)،و إذا قال لها رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و آله) حرمت علیه هتفت و قالت:أشکو إلی اللّه فاقتی و حاجتی و شدّه حالی.اللّهمّ فانزل علی لسان نبیک.و کان هذا أوّل الظهار فی الإسلام،فقامت عائشه تغسل شقّ رأسه الآخر،فقالت:أنظر فی أمری جعلنی اللّه فداک یا نبیّ اللّه،فقالت عائشه:

اقصری حدیثک و مجادلتک أما ترین وجه رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و آله)،و کان (صلّی اللّه علیه و آله)إذا نزل علیه الوحی أخذه مثل السبات،فلمّا قضی الوحی قال:ادع زوجک،فتلا علیه رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و آله):« قَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّتِی تُجادِلُکَ فِی زَوْجِها... إلی تمام الآیات»،

قالت عائشه: تبارک الذی وسع سمعه الأصوات کلّها.إنّ المرأه لتحاور رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و آله)و أنا فی ناحیه البیت أسمع بعض کلامها و یخفی علیّ بعضه إذ أنزل اللّه:« قَدْ سَمِعَ... »،فلّما تلا علیه هذه الآیات قال له:هل تستطیع أن تعتق رقبه؟قال:

إذا یذهب مالی کلّه،و الرقبه غالیه و إنی قلیل المال،فقال:فهل تستطیع أن تصوم شهرین متتابعین؟فقال:و اللّه یا رسول اللّه إنّی إذا لم آکل ثلاث مرّات کلّ

بصری،و خشیت أن تعشی عینی،قال:فهل تستطیع أن تطعم ستین مسکینا؟ قال:لا ـ و اللّه إلاّ ـ أن تعیننی علی ذلک یا رسول اللّه،فقال:إنّی معینک بخمسه عشر صاعا،و أنا داع لک بالبرکه،فأعانه رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و آله و سلم)بخمسه عشر صاعا فدعا له البرکه فاجتمع لهما أمرهما. (۱)

و حینما نتدبّر آیات الدرس علی ضوء هذا النص التاریخی نستوحی بصیرتین:

الأولی:أنّ هذه الحادثه جعلت مناسبه لنزول الوحی لیکون أبلغ أثرا،و هکذا الکثیر من الأحداث التی تزامنت و نزول آیات من الذکر الحکیم.الثانیه:حضور الوحی عند قضایا الأمّه و مشاکلها،فلیس الوحی أفکارا مثالیه،إنّما کان حاضرا مع کلّ حدث،و شاهدا علی کلّ قضیه،مما جعله قطب رحی الأمّه و أساس بناء حضارتها.

فلا غرابه أن ترتجی خوله حلاّ لمعضلتها عند النبی(صلّی اللّه علیه و آله)، بل و تحاوره إلی حدّ الجدال،لأنّها کأیّ مسلم و أیّه مسلمه تری فی القرآن و عند القیاده الربانیه حلاّ لکلّ مشکله،و جوابا لکلّ تساؤل.و لا ریب أنّ هذه العلاقه الوثیقه بین الأمّه و کتابها و قیادتها أولدت حضاره الإیمان التی لا زالت فی مثلها و قیمها کما فی واقعها مثلا و أسوه للبشریه.

إنّ خوله ألحّت علی الرسول(صلّی اللّه علیه و آله و سلم)و راجعته فی الجدال مرّات و مرّات،و لکنّه ما کان لیستصدر حکما من عند نفسه متأثرا لحالها،و ما کان یعجل بالقرآن من قبل أن یقضی إلیه وحیه،مما یؤکّد أنّه مرسل من قبل اللّه، لا ینطق عن الهوی و لا عن عقل البشر.و إنّه لمن صفات القیاده الرسالیه انطلاقها فی أحکامها و مواقفها و رؤاها من الرساله،و لیس عیبا السکوت،إنّما العیب أن یحکم

۱- ۱) مجمع البیان ج ۹ ص ۲۴۶

الإنسان على أساس الهوى و الجهل،أو أن يتقوّل على اللّه،فهذا رسول اللّه(صلّى اللّه عليه و آله و سلم)على عظمته يجيب المرأه:«و لم أؤمر فى شأنك بشىء»،حتى نزل قوله تعالى فى شأن الظهار.

قَدْ سَمِعَ اللّٰهُ قَوْلَ الَّتِی تُجٰادِلُکَ فِی زَوْجِهٰا أی فی شأنه و أمره،تريده يرجع إليها.

وَ تَشْتَکِی إِلَی اللّٰهِ و تكشف مجادلتها و شكواها عن الأثر العميق للحادثه فى نفسها،لأن الظهار فى عرف الجاهليه ينهى كيان الأسره إلى الأبد.إنّها حقا صوره من الغىّ و الضلال تعكس مأساه الإنسان فى ظلّ الجاهليه.

بلى.إنّ الأمر قضّ مضجع هذه المرأه الضعيفه،و ما فتأت تعاود رسول اللّه فى أمرها،لعلّها تجد بلسما فى دين اللّه،و عند رسول الرحمه.و إنّ قلبها ليحدّثها بأنّه تعالى أسمى من أن يعطى لهذه العادات شرعيه،ممّا يدفعها للحوار مع النبى المرّه بعد الأخرى دون يأس.و كلّ ذلك بظاهره و باطنه و بدقائق تفاصيله لم يكن ليخفى على اللّه.

وَ اللّٰهُ يَسْمَعُ تَحٰاوُرَكُمٰا إنّه شاهد ناظر،لا حاجب يمنعه،و لا ستر يستر عنه.إنّهما الآن واقفان فى زاويه البيت يتحاوران،

تقول هذه المرأه المجادله لرسول اللّه-حسب بعض النصوص-:يا رسول اللّه قد نسخ اللّه سنن الجاهليه،و إنّ زوجى ظاهر منى، فقال لها:ما أوحى إلىّ فى هذا شىء،فقالت:يا رسول اللّه أوحى إليك فى كلّ

شیء و طوی عنک هذا؟فقال:هو ما قلت لک.

هـذا رسول الرحمه،هذا مرکز العطف و ینبوع الحنان،هذا صاحب الخلق العظیم،و لکنّ اللّه أرحم الرّاحمین و أعظم عطفا و حنانا فلاـ یجوز أن نری أحـدا أقرب إلینـا منه و لاـ أرحم،حتی و لو کـان الشـفیع الحبیب محمّـد بن عبـد اللّه (صلّی اللّه علیه و آله و سلم)علی أنّه السبیل إلی اللّه،و أقرب الوسائل إلیه،و أقرب الشفعاء.

إنّ اللّه سـمع تحاورهما،فلما ذا لا نراقبه فی سـرائرنا،و لماذا نخوض فی أحادیثنا مع الخائضـین؟لماذا لا نجأر إلیه عنـد الشدائد،أو لیس ربّنا نعم الربّ لنا،فلما ذا لا نصبح نعم العبید له؟!

یقول الإمام الحسین(علیه السلام)فی دعائه المعروف :

«و إلی غیرک فلا تکلنی.إلهی إلی من تکلنی؟إلی قریب فیقطعنی أم إلی بعیـد فیتجهّمنی أم إلی المستضـعفین لی،و أنت ربّی و ملیک أمری،أشکو إلیک غربتی،و بعد داری،و هوانی علی من ملّکته أمری » (1)إِنَّ اللّٰهَ سَمِیعٌ یحیط بظاهر الکلام.

بَصِیرٌ ینفذ علمه بما تنطوی علیه السرائر.

و الآـیه تعکس صوره عن مکـانه المرأه فی الإسـلام،و أنّها مع الرجل علی حـد واحـد فی علاقتها مع قیادتها الرسالیه،تجادلها فی حقوقها،و تشتکی عند المشاکل

۱- ۱) المنتخب الحسینی/ص ۹۱۶

لدیها،و تحاورها فی مختلف القضایا و المواضیع،تستمع القول و تبدی الرأی، باعتبارها مکلّفا له حقوقه و علیه واجباته الشخصیه،بل باعتبارها جزءا من الأمّه یهمّها أمر الإسلام و المسلمین،و ینعکس علیها التقدم و التخلف،و النصر و الانکسار،فهذا الرسول القائد لا یصدّ خوله عن التصدی لموضوع الظهار لأنّها امرأه،إنّما یستقبلها بصدره الرحب رغم إلحاحها،و هی تروم الوقوف بوجه مشکله تهمّ کلّ مسلم و مسلمه،و تتصل بالنظام الاجتماعی للأسره.و قد تعوّدت هذه المرأه علی هذه الخصله،کما تعودت سائر النساء و الرجال فی العهد الأول،علی ممارسه حریتهم فی مواجهه ما کانوا یرونه خطأ،فقد روی أنّ عمر بن الخطاب مر بها فی خلافته و الناس معه علی حمار،فاستوقفته طویلا و وعظته،و قالت:یا عمر قد کنت تدعی عمیرا،ثم قیل لک عمر،ثم قیل لک أمیر المؤمنین،فاتق اللّه یا عمر فإنّه من أیقن بالموت خاف الفوت،و من أیقن بالحساب خاف العذاب. (1)

[2]و یعالج القرآن مشکله الظهار فی البدء بنسف التصورات الجاهلیه بأنّ الزوجه تصبح أمّا لزوجها بمجرد أن یقول لها(أنت علیّ کظهر أمّی)،و ذلک من زاویتین:

الأولی:الزاویه الواقعیه،فالأمومه لیست صفه اعتباریه یمکن إعطاؤها بالکلام کما العقود.إنّها لیست کالمال یکون لک فتملّکه غیرک هبه أو بیعا أو وراثه لیصیر ماله،إنّما هی صفه تکوینیه طبیعیه یعبّر بها عن علاقه شخصین أحدهما والده و الآخر مولود.

اَلَّذِینَ یُظٰاهِرُونَ مِنْکُمْ مِنْ نِسٰائِهِمْ مٰا هُنَّ أُمَّهٰاتِهِمْ إِنْ أُمَّهٰاتُهُمْ إِلاَّ اللاّٰئِی وَلَدْنَهُمْ

1- 1) القرطبی/ج 17 ص 249

الثانیه:الزاویه الشرعیه،فالشرع قائم علی أساس الواقعیات،و إنّما یحرّم زواج الرجل من أمّه الحقیقیه،و لیس الزوجه کذلک،فهی لا تحرم علی زوجها لمجرّد الظهار،لذلک یسفّه ربّنا رأی الجاهلیین بأنّه غیر مقبول عند العقل و أنّه باطل فیقول:

وَ إِنَّهُمْ لَیَقُولُونَ مُنْکَراً مِنَ الْقَوْلِ و المنکر خلافا للمعروف الذی یعرفه العقل.

وَ زُوراً و الزور هو القول الباطل و الحکم الذی لا یستند إلی حقّ و لا واقع،قال اللّه:

وَ الَّذِینَ لاٰ یَشْهَدُونَ الزُّورَ (۱)أی الشهاده الکاذبه.

وَ إِنَّ اللّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ یعفو عن المنکر و یغفر الزور لمن تاب و عمل بالإسلام بعد الجاهلیه،فإنّه یجبّ ما قبله،إذا فالظهار لیس کما یظنّ الجاهلون لا رجعه بعده،بلی.ذلک فی الجاهلیه المقیته التی لا تقوم إلاّ علی الباطل،و لا تنتهی إلاّ إلی تکبیل الإنسان و تحطیمه،أمّا دین اللّه فهو یقوم علی الحق و لا یستهدف إلاّ خیره و رحمته و هداه.

و إذا کانت هاتان الصفتان للّه تزرع فینا الأمل و الرجاء فإنّ نزولهما یومئذ لا ریب أخذ فعله الإیجابی الواسع و العمیق فی نفوس الکثیر و حیاتهم الاجتماعیه و الأسریه،حیث وضع عنهم الإسلام إصرا و غلا من إصر الجاهلیه و أغلالها،طالما ظلّوا فی ربقته یشتکون الدمار و الأسر،و بالذات أولئک النساء الضعیفات اللواتی

ص:۱۴۲

۱- ۱) الفرقان۷۲/

تعلّقن و تعقّدن بالظهـار، فالرجـل من جهته مجـاز فى الزواج لا يمنعه مانع،أمّا هى فيكتب عليها بأن تبقى لا تتزوّج أحـدا غيره،و تعيش فى جحيم.

و لعلّنا نفهم من الآيه أنّ للظهار مفسدتين:أحدهما ما يسـمّيه القرآن بالمنكر، و الآخره ما يسـمّيه بالزور،فهو من الجهه العمليه إثم يهدم الأسره،و ظلم للنفس و للمرأه و أولادها،و من الجهه المعنويه يعدّ افتراء على اللّه و زورا إذ هو تشريع بغير حجه من اللّه.

[٣]و الآن:ما هو الظهار،و ما هو الحل؟ الظهار هو أن يقول الزوج لزوجته أنت علىّ كظهر أمّى يقصـد بذلك الظهار، و لا يقع إلاّ إذا توافرت شـروط أهمهـا من جهه المظـاهر أن يكون بالغـا عاقلا مختارا قاصـدا،فلا يقع من مجنون،و لا صبى،و لا سـكران،و لا هـازل،و لاـ غضـبان،و من جهه الزوجه المظـاهر منهـا الطهر من الحيض و النفـاس،و أن تكـون فى طهر لم يواقعهـا فيه،و بحضور شاهدين عادلين يسمعان الصيغه (١)،هكذا

جاء فى الحديث المأثور عن حمران عن الإمام الباقر(عليه السـلام)قال :«لا يكون ظهار فى يمين،و لا فى إضرار،و لا فى غضب،و لا يكون ظهار إلاّ فى طهر من غير جماع بشـهاده شاهـدين مسـلمين» (٢)و روى عن زراره عنه(عليه السـلام)فى حديث أنّه سأله: كيف الظهار؟فقال:«يقول الرجل لامرأته و هى طاهر من غير جماع:أنت علىّ حرام مثل ظهر أمّى،و هو يريد بذلك الظهار » (٣)و

عن زراره عنه(عليه السلام)قال :

«لا طلاق إلاّ ما أريد به الطلاق،و لا ظهار إلاّ ما أريد به الظهار » (۴)

١- ١) راجع شرائع الإسلام كتاب الظهار
٢- ٢) وسائل/ج ١۵ ص ۵٠٩
٣- ٣) المصدر
۴- ۴) المصدر/ص ۵١٠ و هناك شروط مفصل مذكوره فى كتب الفقه الاستدلاليه فراجع

و هذا التشدّد من قبل الإسلام بهذه الشروط يجعل الظهار الشرعی نادرا،و إن دلّ ذلک علی شیء فإنّما یؤکّد حرص الإسلام علی سلامه الأسره فهو یسعی لتألیف أفرادها و ربطهم إلی بعضهم،لکی تستطیع القیام بدورها الحضاری فی البناء و التقدم،کما و یضع الإسلام حلاّ تشریعیّا و عملیّا ناجعا لمشکله الظهار، فمن جهه لا یعطیه شرعیه الجاهلیه(الحرمه و التعلیق إلی الأبد)،و لا یعدّه واقعا إلاّ إذا استکمل شروطه الشرعیه الآنفه الذکر،فبإمکان المظاهر أن یعید النظر فی قراره و یعود إلی زوجته لو أراد.ثم یضع العقوبات الواعظه بما فیه الکفایه عن أن یتورّط الإنسان المؤمن فیه،و إذا تورّط فیه لا یعود إلیه مرّه أخری و یکون موعظه لغیره.

اَلَّذِینَ یُظٰاهِرُونَ مِنْکُمْ مِنْ نِسٰائِهِمْ ظهارا مشروعا فإنّ ذلک لا یقطع کلّ الوشائج و إلی الأبد،و إنّما یؤثّر عملیّا فی العلاقه الجنسیه المباشره،و بتعبیر الروایات یمنع الوطأ(التماس)إلی أداء الکفّاره و تذوّق العقوبه الشرعیه،حتی أنّ أکثر الفقهاء جوّزوا ما دون الوطء کالقبله و سائر أنواع المزاح،فهو أقلّ حتی من الطلاق لأنّ المرأه لا تبین من زوجها به وحده و لا تعتد.و هذا الموقف من الإسلام یسهّل الحلّ و یهوّن المشکله بخلاف الحکم الجاهلی فی الموضوع (۱).

و المظاهر علی الخیار بین قطع العلاقه بالطلاق المشروع و بین العوده إلی زوجته، و للحاکم الشرعی أن یضیّق علیه حتی یختار أحدهما لو رفعت المظاهر منها أمرها إلیه بهدف منعه من التعلیق (۲).

و القرآن فی هذا الموضوع لا یذکر الخیار الأوّل(الطلاق)،و إنّما قال:

۱- ۱) راجع وسائل الفقهاء عند الموضوع

۲- ۲) شرائع الإسلام

ثُمَّ يَعُودُونَ لِمٰا قٰالُوا یعنی یعودون إلی الزواج الـذی قالوه فی صـیغه العقـد أو یعودون إلی الظهار بقصـد نقضه و علاجه،و سواء هذا أو ذاک فإنّ المعنی واحد،و هو إراده الوطأ الذی حرموه علی أنفسـهم بالظهار.و لکن یبقی سؤال:کیف استفادوا هذا المعنی من هـذه الکلمه؟ أجـاب القرطبی علی الاحتمـال الأـوّل بمـا یلی:و تحقیق هـذا القول أنّ العزم قول نفسـی،و هـذا رجل قال قولا اقتضـی التحلیل و هو النکاح و قال قولا اقتضـی التحریم و هو الظهار،ثم عاد لما قال و هو التحلیل،و لا یصـح أن یکون منه ابتداء عقـده لأنّ العقـد باق فلم یبق إلاّ أنّه قول عزم یخالف ما اعتقـده و قاله فی نفسه من الظهار الذی أخبر عنه بقوله:أنت علیّ کظهر أمّی،و إذا کان کذلک کفّر و عاد إلی أهله. (۱)

أمّا الاحتمال الثانی الـذی اختاره الفخر الرازی فقـد مهّد له أوّلا بما حکاه عن الغرّاء أنّه قال:لا فرق فی اللغه بین أن یقال:یعودون لما قالوا،و إلی ما قالوا و فیما قالوا،قال أبو علی الفارسـی:کلمه إلی و اللام یتعاقبان کقوله:« اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِی هَدٰانٰا لِهٰذٰا »،و قال:« فَاهْدُوهُمْ إِلیٰ صِرٰاطِ الْجَحِیمِ »،و قال تعالی:« وَ أُوحِیَ إِلیٰ نُوحٍ »،و قال:« بِأَنَّ رَبَّکَ أَوْحیٰ لَهٰا ».

ثم قـال:قـال أهـل اللغه:یجوز أن یقـال:عـاد لمـا فعـل،أی فعله مرّه أخری، و یجوز أن یقـال عاد لما فعل،أی نقض ما فعل.و هـذا الکلاـم معقول،لأـنّ من فعـل شـیئا ثم أراد أن یفعـل مثله فقـد عاد إلی تلک الماهیه لا محاله أیضا،و أیضا من فعل شـیئا ثم أراد إبطاله فقد عاد إلیه لأنّ التصرّف فی الشیء بالإعدام لا یمکن إلاّ بالعود الیه. (۲)

۱- ۱) تفسیر القرطبی/ج ۱۷ ص ۲۸۱

۲- ۲) الرازی/ج ۲۹ ص ۲۰۹

فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسّٰا و لعلّ الذكر أعرض عن ذكر خيار الطلاق تأكيدا على ترجيح العوده،ممّا يدخل فى سياق الحفاظ على الأسره،و لا تجوز العوده إلى المعاشره الجنسيه إلاّ بعد التكفير،و هذا الشرط يذيق الإنسان جزاء اللجوء إلى عاده الظهار.

و من حكمه اللّه و دقه تشريعه أنه فرض كفّاره فى علاج مشكله الظهار،هى بحدّ ذاتها علاج لمشكله أخرى هى الرقيق أو المسكنه،إذ أوجب كحكم أوّلى مقدّم على غيره أن يكفّر المظاهر عن نفسه بتحرير رقبه مملوكه قبل أن يجامع زوجته،و هذا الأمر يوجّه الشهوه الجنسيه كدافع قوى للإنسان نحو فعل الخيرات.و يلاحظ فى الإسلام اهتمامه بعلاج مشكله الرق فى كثير من المواضيع و الأحكام بصوره الفرض تاره و باعتبار ذلك الخيار الأقوم تاره أخرى.

و لعلّ قائلا يقول:و لماذا يفرض هذا العقوبه الثقيله جزاء لموقف يتلخّص فى كلمات قليله(هى صيغه الظهار)؟و لكن لنعلم أنّ العلاقه الزوجيه ليست أمرا هيّنا،إنّما هى مهمّه و يجب أن يحيطها الإسلام بسور لا تخرقه الأهواء و النزوات العاجله،فهى مرتكز المجتمع،و مدرسه الأجيال الناشئه،كما و أنّ التجربه الحضاريه للأمّه تتركّز فيها،فلا يجوز إذا الاعتداء على حرمتها و هدمها من أجل الشهوات و الانفعالات العابره.

ذٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ إنّه رادع عملى للوقوف ضد تهديد كيان الأسره،و التوسّل بالعادات و القيم الجاهليه،أمّا الرادع الأهم و الذى ينمّيه الدين فى نفوس أتباعه،و يعتمده فى النظام الاجتماعى و السياسى و الاقتصادى، فهو تقوى اللّه و خشيته،الذى يتأسّس على

الإیمان به،و الإحساس النفسی برقابته الدائمه و الدقیقه لأعمالنا.

وَ اللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِیرٌ یعنی لیس یعلم الظاهر فقط،و إنّما یعلم الباطن أیضا،کالنوایا و الدوافع الخفیه للإنسان،و کثیرا ما تأتی الإشاره إلی رقابه اللّه بعد بیان حد،أو قانون،أو نظام لمنع أیّ محاوله للالتفاف علیه و التملّص من المسؤولیه،فإنّ الإنسان مهما استطاع ذلک فی مقابل الآخرین(المجتمع،و الحاکم الشرعی)فإنّه لن یجد إلی ذلک سبیلا أمام اللّه،لأنّه أخبر به حتی من نفسه.

و من الجدیر ذکره هنا أنّ الکفّاره تسقط لو أراد الطلاق بعد الظهار،و لعلّ البعض یصطنع طلاقا للتهرّب من الکفّاره المفروضه علیه ثمّ یعود،إلاّ أنّ ذلک لا یسقطها عنه فی هذه الحاله،و یحذّر اللّه أحدا أن یتوسّل بذلک للاحتیال علی شریعته.

عن یزید الکناسی قال :«سألت أبا جعفر علیه السلام عن رجل ظاهر من امرأته ثم طلّقها تطلیقه،فقال:إذا طلّقها تطلیقه فقد بطل الظهار،و هدم الطلاق الظهار،قلت:فله أن یراجعها؟قال:نعم هی امرأته،فإن راجعها وجب علیه ما یجب علی المظاهر من قبل أن یتماسّا » (۱)بلی.إذا طلّقها عن صدق،أو تزوّجت غیره بعد العدّه ثم طلّقها الغیر،فله الرجوع إلیها من دون کفّاره،حیث انتفی قصد الاحتیال.

قال الإمام الصادق علیه السلام :«إن کان إنّما طلّقها لإسقاط الکفّاره عنه ثم راجعها فالکفّاره لازمه له أبدا إذا عاود المجامعه،و إن کان طلّقها و هو لا ینوی شیئا من ذلک فلا بأس أن یراجع و لا کفّاره علیه » (۲)

۱- ۱) الوسائل/ج ۵ ص ۵۱۸ نقلها الکافی فی فروعه/ج ۲ ص ۱۹۲،و من لا یحضره الفقیه/ج ۲ ص ۱۷۳ و تهذیب الأحکام/ج ۲ ص ۲۵۴

۲- ۲) المصدر/ص ۵۱۹ نقلها الکافی فی فروعه/ج ۲ ص ۲

و قد نستلهم من الآيه بصيره أخرى:أنّ اللّه خبير بالتشريع المناسب لهذه الظاهره،فهو حينما عالج الظهار فرض تحرير رقبه للكفّاره فإنّ ذلك كان مناسبا لحلّ المشكله،إذ أنّه الخبير الذى يعلم بمدى خطر الظهار الذى يهدم كيان الأسره و يفككها،و ما يؤدّى إليه من المفاسد الفرديه و الاجتماعيه و الحضاريه،و المرأه الأنصاريه(خوله)قد أشارت إلى جانب من تلك المفاسد إذ قالت بحضره الرسول صلى الله عليه و آله :«و إنّ لى صبيه صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا،و إن ضممتهم إلىّ جاعوا» (1)،فالأب عنده القدره الماليه لقوتهم و لكنّه يفقد القدره الكافيه لتربيتهم،و الأمّ بالعكس.

و هناك ملاحظه نجدها فى الآيه و هى:إنّ اللّه لم يجعل لظهار المرأه أىّ اعتبار، إنّما جعلها مظاهر منها،و قال«الذين»يعنى الرجال،لأنّها أقرب إلى الانفعال، و أسرع تأثّرا بعامل العاطفه.

عن السكونى قال أمير المؤمنين عليه السلام :«إذا قالت المرأه زوجى علىّ كظهر أمّى فلا كفّاره عليهما » (2)،و هذه الروايه تؤكّد بالإضافه إلى ظاهر الآيه أنّ ما يترتب على الظهار(الكفّاره،و الامتناع عن الجماع إلاّ بعدها) مجرّد عقوبه يقرّها الشرع،و ليس من باب الاعتراف بهذه العاده.

[۴] فَمَنْ لَمْ يَجِدْ رقبه يعتقها،إمّا لعدم وجدان ثمنها أو لعدم وجودها أساسا..

فَصِيٰامُ شَهْرَيْنِ مُتَتٰابِعَيْنِ متصلين لا ينقطعان إلاّ بسبب مشروع،و لو انقطعا يوما واحدا وجب عليه تجديد

۱- ۱) التفسير الكبير/ج ۲۹ ص ۲۴۹

۲- ۲) الوسائل/ج ۵ ص ۵۳۴

الصوم كلّه،حتی یتبع الشهر الثانی بالأوّل و لو لیوم واحد (۱)،و تبقی العقوبه النفسیه الجنسیه قائمه بحدودها و شروطها.

مِنْ قَبْلِ أَنْ یَتَمَاسَّا و لو اخترق هذا الحد فإنّه تجب علیه کفّاره الظهار،و کفّاره الخرق،فعن زراره، و غیر واحد،

عن أبی بصیر،عن أبی عبد اللّه الصادق علیه السلام أنّه قال :«إذا واقع المره الثانیه قبل أن یکفّر فعلیه کفّاره أخری،و لیس فی هذا اختلاف » (۲)و تتوجّه کفّاره الصوم لشهرین متتابعین إلی تربیه نفس المظاهر و عقابه من زاویه نفسیه،لا مالیه کما هو الحال فی کفّاره العتق،و کلّ ذلک لیفرض اللّه حرمه الأسره علی عباده،و یعرّفهم قیمه شریکه حیاتهم و حرمتها.

فَمَنْ لَمْ یَسْتَطِعْ الصیام لسبب و عذر مشروع.

فَإِطْعَامُ سِتِّینَ مِسْکِیناً و هناک علاقه وثیقه و عمیقه بین الصیام شهرین متتابعین(۶۰ یوما)و إطعام ستین مسکینا،فهناک جوع و هناک إشباع،و أهمّ أهداف الصوم أنّه یحسّس الإنسان المؤمن بالمعوزین و المحتاجین و الجوعی من حوله عملیّا،فإن لم یستطع مواساتهم بجوعه مثلهم بالصیام فلیواسهم بإشباعهم مثله بالإطعام،إزاء کلّ یوم مسکینا

۱- ۱) شرائع الإسلام

۲- ۲) المصدر/ص ۲۵۶

يطعمه على المائده،أو يعطيه مدّا من الطعام يتصرّف فيه.

و إذا كان ظاهر الأمر فى هذه الكفّارات أنّها تستهدف ردع الإنسان عمليّا عن التورّط فى الظهار،و تحصين الأسره عنه،و تحسيس كلّ واحد بقيمتها عند اللّه و ضروره المحافظه عليها،فإنّ أسمى موعظه و غايه لها هى الإيمان باللّه و الرسول.

ذٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ باعتبار الإيمان الحلّ الجذرى الأشمل لمشكله الظهار و كلّ مشكله،و إنّما يتورّط المؤمن فيه متأثرا بعوامل أخرى غير الإيمان،و منطلقا من غير قيمه،كالجاهليه و الذاتيه و الانتقام،فلا بد أن يرجع إليه بالكفّاره.و لكنّ السؤال:كيف تقود الكفّاره إلى الإيمان؟ و الجواب:إنّ الإيمان روح فى القلب تنمّيها الممارسه العمليه،و كلّما اتبع المسلم رضوان اللّه كلّما زاده اللّه هدى و إيمانا،و كلّما كان العمل أصعب و الإخلاص أنقى كلّما كان أنمى للإيمان،و أجلى للبصيره و الهدى،و لا ريب أنّ عتق رقبه(بما يكلّف من إنفاق كبير)،و صيام شهرين متتابعين(بما فيه من صعوبه بالغه)،و إطعام ستين مسكينا(بما فيه من إنفاق و مواساه للمحرومين)إنّ كلّ أولئك ممارسات مستصعبه تمتحن قلب المسلم بالإيمان و تزكّيه و تطهّره.

وَ تِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ المفروضه فى المجتمع و العلاقات الأسريه،و لا يحقّ لأحد أن يتجاوزها.

وَ لِلْكٰافِرِينَ عَذٰابٌ أَلِيمٌ سواء أولئك الذين يكفرون باللّه و برسالته و حدوده كفرا محضا،أو أولئك

الـذين يكفرون عمليا،فلا يلتزمون بأوامره و نواهيه،و لا يقيمون حـدوده.و مع أنّ عذاب الآخره هو المصداق الأكبر لهذه الآيه إلاّ أنّه يحلّ بالكافرين فى الدنيا أيضا، ذلك أنّ حدود اللّه إنّما شرّعت و فرضت لصلاح المجتمع و سعادته،فهى التى توقف الظلم و الفساد،و تحصّن المجتمع و الأسره منهما.

و الحـدود(سـواء العمليه الرادعه،أو التشـريعيه كـالنظم و القيم)بعضـها يكمـل بعضـا،ترسم مسـيره المجتمع و تضـعه أمـام خريطه واضـحه محدده،إذا تحرّك على أساسـها وصل إلى الإيمان و السـعاده و إلاّ انتهى إلى ألوان من العذاب،النفسـى و الاجتماعى و الحضارى،لأنّها هى التى تحافظ على حقوق الناس و ترعاهم،و تنفّذ النظام بينهم.و المجتمع الذى يسوده القانون و يحكمه النظام مجتمع عزيز،يشـعر كلّ أفراده بكرامتهم و أمنهم و حرمتهم،و إنّهم ما لم يتجاوزوا الحـدود لا يمكن لأحد أن يعتدى عليهم،على العكس من ذلك المجتمع الذى تحكمه الفوضى،و يكون هوى الأمير أو الرئيس أو الملك هو القانون،فإنّه لا يحس بالأمن و لا يستشعر الكرامه.

هكذا كان فرض الحدود بهدف تحكيم القيم لا الأفراد فى المجتمع،حتى لا تضيع حقوق الناس.

[۶-۵] إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ معناه يقفون خصـما للّه و لرسوله و يسـتخدمون الحديـد فى ذلك(أى الحرب الساخنه)،و قـال البعض:إنّ أصـل الكلمه من الحـد بمعنى الفاصـل،و معنـاه إذا المواجهه بكلّ أشـكالها حيث يقف المتنازعون كلّ على حدّ بإزاء خصمه،و هذا المعنى أقرب حيث أنّ المحاده فى ضوء السياق الذى أشار إلى حدود اللّه أن يخالف الإنسان الحدود الإلهيه فيختار لنفسه حدودا أخرى تشـريعيه و عمليه،كالذى يأخذ بالجاهليه و عموم النظم البشـريه القديمه أو المعاصـره،بدلا عن شريعه اللّه،و بالذات

ص:۱۵۱

أولئک الـذین یقصدون العناد و الجحود و المحاربه،فإنّهم سوف یلقون جزّاء محاددتهم الإهانه و الذل المركّز الذی ینضـغط فی النفس حتی لتكاد تنفجر،« أُولٰئِکَ فِی الْأَذَلِّینَ » (۱).

کُبِتُوا کَمٰا کُبِتَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ ممّن سـاروا بسـیرتهم تجاه ربّهم و رسـلهم.و فی المنجـد:کبته لـوجهه أی صـرعه، و أهلكه و أخزاه،و أذلّه،یقـال:کبت اللّه العـدو أی أهانه و أذلّه وردّه بغیظه، و یقال:کبت فلان غیظه فی جوفه أی لم یخرجه. (۲)إذا فالعزّ و الكرامه لا ـ یأتیـان بمخـالفه حـدود اللّه لأنّ ذلک لا یورث إلاّ الـذل و الهوان فی الـدنیا نتیجه لاتباع النظم و القوانین الفاسـده و الضـاله،بمـا فیهـا من معطیـات سـلبیه،و غضب اللّه و حربه،و فی الآـخره نتیجه عـذابه المهین الـذی قـد ینزله علیهم بأیـدی عبـاده المؤمنین.

و هذه الحقیقه لیست خیالا و لا و هما،بل هی واقع له شواهده فی التاریخ و الواقع،یهدی إلیه العقل و تؤیّده الآیات الواضحه.

وَ قَدْ أَنْزَلْنٰا آیٰاتٍ بَیِّنٰاتٍ بـالغه الحجه،ظـاهره الـدلاله،تنـذر الإنسـان ذا اللب من محـاده اللّه،و تهـدیه إلی ضـروره الإیمـان به و برسوله،فمن اتعظ بها انتفع و عزّ و نجی من کبت اللّه،و إلاّ وقع فی العذاب و الذل.

وَ لِلْکٰافِرِینَ عَذٰابٌ مُهِینٌ و الملاحظ أنّه قال فی الآیه الماضیه« عَذٰابٌ أَلِیمٌ »و هذا یتناسب مع العقوبه

۱- ۱) المجادله ۲۰/

۲- ۲) المنجد/ماده کبت

التی هی موضوعها،بینما وصف العذاب هنا بأنّه مهین،لأنّ من یحادون اللّه و رسوله یطلبون بذلک العزّه لأنفسهم،و الذل للحقّ و أتباعه،و لیس صفه أنسب فی عذابهم من الإهانه و الذل.

یَوْمَ یَبْعَثُهُمُ اللّهُ جَمِیعاً للجزاء علی أعمالهم،و قال«جمیعا»لأنّهم ربما تعاونوا علی محاده اللّه و الکفر، و اغترّوا بقوّتهم و عددهم.

فَیُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا من السیئات عبر الحساب،و من خلال العذاب لأنّه هو الآخر صوره حقیقیه لما عملوا.کما أنّ إخباره تعالی لهم بأعمالهم یؤکّده لهم شهادته علی خلقه،و أنّه أخبر و أبصره بالإنسان حتی من نفسه،لأنّه معرّض للنسیان.

أَحْصٰاهُ اللّهُ وَ نَسُوهُ وَ اللّهُ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ و حینئذ لیس یتبیّن لهم صدق آیات اللّه،و خطأ أعمالهم و مسیرتهم فی الحیاه فقط،بل یصیرون من العلم علی عین الیقین بأنّ اللّه شاهد علی کلّ شیء،و أنّه حین ترکهم فی الدنیا یفعلون ما یشاءون من معصیته و محادته فلیس عن غلبه له، وَ لاٰ تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ غٰافِلاً عَمّٰا یَعْمَلُ الظّٰالِمُونَ إِنَّمٰا یُؤَخِّرُهُمْ لِیَوْمٍ تَشْخَصُ فِیهِ الْأَبْصٰارُ مُهْطِعِینَ مُقْنِعِی رُؤُسِهِمْ لاٰ یَرْتَدُّ إِلَیْهِمْ طَرْفُهُمْ وَ أَفْئِدَتُهُمْ هَوٰاءٌ . (1)

و إنّما یذکر اللّه بیوم البعث و شهادته علی کلّ شیء هنا لأنّ محادّه اللّه و رسوله و عمل السیئات ینطلق فی الأساس من الکفر بالآخره و الجزاء،و من الاعتقاد بالقدره

ص:۱۵۳

۱- ۱) إبراهیم۴۲/-۴۳

على تبرير السيئات،و التملّص من مسئوليتها بالأسباب المختلفه.فليس يلقى أحد هناك إلاّ عمله الذى أحصاه اللّه و شهد عليه،لا يستطيع إخفاءه عنه،و لا إنكاره، و لا يخلّصه منه شفيع و لا نصير.

و فى الدرس القادم سنتعرّف كيف ضرب اللّه مثلا بهذه الآيه بالنجوى (الأحاديث التى تتم فى الخفاء)فأنذر منها لأنّه شاهد على كلّ شىء ظاهرا كان أو باطنا،صغيرا كان أو كبيرا.و ما دام الإنسان معرّضا للنسيان فلا ينبغى لأحد أن يأخذه الغرور بما هو فيه،و ربما بدا له فى الآخره ما لم يحتسب من الذنوب،و

يعلّمنا الإمام زين العابدين عليه السلام فى صحيفته هذا الدرس إذ يقول :«آه إذا قرأت فى الصحف سيئه أنا ناسيها و أنت محصيها،فتقول:خذوه،فيا له من مأخوذ لا نتجيه عشيرته،و لا تنفعه قبيلته. »

ص:١٥۴

[سوره المجادله (۵۸): الآیات ۷ الی ۱۳]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اَللّٰهَ یَعْلَمُ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی اَلْأَرْضِ مٰا یَکُونُ مِنْ نَجْویٰ ثَلاٰثَهٍ إِلاّٰ هُوَ رٰابِعُهُمْ وَ لاٰ خَمْسَهٍ إِلاّٰ هُوَ سٰادِسُهُمْ وَ لاٰ أَدْنیٰ مِنْ ذٰلِکَ وَ لاٰ أَکْثَرَ إِلاّٰ هُوَ مَعَهُمْ أَیْنَ مٰا کٰانُوا ثُمَّ یُنَبِّئُهُمْ بِمٰا عَمِلُوا یَوْمَ اَلْقِیٰامَهِ إِنَّ اَللّٰهَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ (۷) أَ لَمْ تَرَ إِلَی اَلَّذِینَ نُهُوا عَنِ اَلنَّجْویٰ ثُمَّ یَعُودُونَ لِمٰا نُهُوا عَنْهُ وَ یَتَنٰاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَ اَلْعُدْوٰانِ وَ مَعْصِیَهِ اَلرَّسُولِ وَ إِذٰا جٰاؤُکَ حَیَّوْکَ بِمٰا لَمْ یُحَیِّکَ بِهِ اَللّٰهُ وَ یَقُولُونَ فِی أَنْفُسِهِمْ لَوْ لاٰ یُعَذِّبُنَا اَللّٰهُ بِمٰا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ یَصْلَوْنَهٰا فَبِئْسَ اَلْمَصِیرُ (۸) یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا إِذٰا تَنٰاجَیْتُمْ فَلاٰ تَتَنٰاجَوْا بِالْإِثْمِ وَ اَلْعُدْوٰانِ وَ مَعْصِیَهِ اَلرَّسُولِ وَ تَنٰاجَوْا بِالْبِرِّ وَ اَلتَّقْویٰ وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ اَلَّذِی إِلَیْهِ تُحْشَرُونَ (۹) إِنَّمَا اَلنَّجْویٰ مِنَ اَلشَّیْطٰانِ لِیَحْزُنَ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ لَیْسَ بِضٰارِّهِمْ شَیْئاً إِلاّٰ بِإِذْنِ اَللّٰهِ وَ عَلَی اَللّٰهِ فَلْیَتَوَکَّلِ اَلْمُؤْمِنُونَ (۱۰) یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا إِذٰا قِیلَ لَکُمْ تَفَسَّحُوا فِی اَلْمَجٰالِسِ فَافْسَحُوا یَفْسَحِ اَللّٰهُ لَکُمْ وَ إِذٰا قِیلَ اُنْشُزُوا فَانْشُزُوا یَرْفَعِ اَللّٰهُ اَلَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْعِلْمَ دَرَجٰاتٍ وَ اَللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ خَبِیرٌ (۱۱) یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا إِذٰا نٰاجَیْتُمُ اَلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَیْنَ یَدَیْ نَجْوٰاکُمْ صَدَقَهً ذٰلِکَ خَیْرٌ لَکُمْ وَ أَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۱۲) أَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَیْنَ یَدَیْ نَجْوٰاکُمْ صَدَقٰاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تٰابَ اَللّٰهُ عَلَیْکُمْ فَأَقِیمُوا اَلصَّلاٰهَ وَ آتُوا اَلزَّکٰاهَ وَ أَطِیعُوا اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ اَللّٰهُ خَبِیرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ (۱۳)

اللغه

۸[النجوی]:الحدیث السرّ،یدور بین اثنین أو أکثر.

ص:۱۵۵

۱۱[انشزوا]:أی تفرّقوا،و قوموا عن أماكنكم ليجلس غيركم،من نشز:أی ارتفع،و النّشاز:المميز القبيح،و الناشز: المرأه تنشز عن زوجها و تتمنع عنه.

ص:۱۵۶

وَ تَنٰاجَوْا بِالْبِرِّ وَ التَّقْویٰ

هدی من الآیات:

لکی یتحسس القلب شهاده اللّه علی کلّ شیء فیتجنّب خواطر السوء،و یتقی وساوس الشیطان،و یتحصن ضد النفاق و التآمر ضد الإسلام و القیاده الشرعیه، جاءت آیات الذکر ترینا علم اللّه بما فی السموات و ما فی الأرض،و تبصّرنا بحضورنا عنده،فما من نجوی ثلاثه إلاّ هو رابعهم،و لا خمسه إلاّ هو سادسهم، و أنّه جلّ شأنه معنا أینما کنّا،ثم تحذرنا من حسابه و جزائه یوم القیامه.

و لعلّ هذه الآیه هی محور سوره المجادله التی تذکّر بالحضور الإلهی،و ما أعظمه رادعا عن المعاصی،و باعثا نحو الطاعات؟و لکن لا یدع السیاق القضیه بلا شرائع تتجلّی فیها شهاده اللّه،إذ یرینا کیف تآمر المنافقون(الذین لم یراقبوا ربّهم) فتناجوا بالإثم و العدوان،و معصیه الرسول،و لم یراعوا آداب التعامل مع الرسول، ثم نهی القرآن المؤمنین من التناجی بالإثم و العدوان،و أمرهم بأن یتناجوا بالبر و التقوی،و ذکّرنا بأنّ النجوی من الشیطان،و هدفه من ذلک بعث الحزن فی قلوب

المؤمنين،الـذين طمـأنهم السـياق بـأنّه ليس بضـارّهم شـيئا إلاّ بإذن اللّه ثم أمرهم بالتوكل عليه.لأنّ هـدف المنافقين من تآمرهم التعـالى على المؤمنين كمـا يبـدو فـإنّ السـياق أشـار إلى سـيئه من سـيئات سـلوكهم متمثله فى اختيار صـدر المجالس و التسـمّر فيها،فأمر اللّه المؤمنين بالتفسح فى المجالس،و ذكّرهم بأنّ العزه ليست بالمجالس القريبه من الرسول،و إنّما بالإيمان و العلم.

كمـا أشار إلى مزاحمتهم للرسول بالنجوى معه(لإظهار أنّهم الأقرب إليه)فأمر المؤمنين بـدفع الصـدقات قبل النجوى معه،ثم ألغى هذا الأمر بعد أن عرف المنافقون،بل علم خواء كثير من نجوى غيرهم مع الرسول،و عدم أهميتها عند أصحابها،لأنّهم أشفقوا من تقديم الصدقات قبلها.

بينات من الآيات:

[٧]كـدليل لشـهاده اللّه على كلّ شـىء-هـذه الحقيقه التى ذكرتها الآيه الأخيره من الدرس الفائت-يذكّرنا اللّه بأنّه حاضـر،ذلك لكى لا يظن المنـافقون و الـذين فى قلـوبهم مرض أنّهم يحيكـون مـؤامراتهم السـريه بعيـدا عن علمه،و بالتـالى أنّ مكرهم فـوق مكره،كلاّ..فهم إن اسـتطاعوا التناجى بالإثم و العدوان و المعصـيه بعيدا عن سـمع القياده و المجتمع و علمهما،فإنّ اللّه يعلم بكلّ شىء،و سـيؤيد المؤمنين و ينصـرهم رغم المؤامرات،و عـدم إيمـان أحـد بهـذه الحقيقه لا ينفيهـا،بـل سـيعلمها الجميع يقينا يوم القيامه،حينما يخبرهم اللّه بما عملوا.

و الرسول(صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم)و كـذلك كـلّ مؤمن يعرف ربّه حق المعرفه و يعقل هـذه الحقيقه بعمق،و بالتالى فهو لا يخشـى من نجوى الأعـداء،بـل يتوكـل على ربّه،و يطمئن إلى أنّهـا لا تضـرّه إلا بـإذنه عزّ و جل،و أنّ الغلبه سـتكون للحق رغم المؤامرات.

أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي الْأَرْضِ و هـذا الاسـتفهام للتقرير،فالمعنى:أنّك لا بـد أن تعلم يقينا،كما يعلم الـذى يرى شـيئا بعينه،و لكن كيف نعلم بهـذه الحقيقه علم من يرى شـيئا؟إنّمـا بالنظر فى آيات اللّه فى الخليفه،فكلّ ما فى السـموات و الأرض يشـهد على أنّه سبحانه حى قيّوم شاهد حاضـر،أو يمكن لأحد أن يدبّر هٰذه الكائنات بهذا النظام الحسن الدقيق من دون أن يحيط علما و قدره بها؟ مٰا يَكُونُ مِنْ نَجْوىٰ ثَلاٰثَهٍ إِلاّٰ هُوَ رٰابِعُهُمْ وَ لاٰ خَمْسَهٍ إِلاّٰ هُوَ سٰادِسُـهُمْ و تصـريح السـياق بعدد الثلاثه و الخمسـه،و إن كـان ينبغى حملـه الآـن على التمثيـل،إلاّـ أنّـه لاـ ريـب له حقيقه خـارجيه فى التاريـخ من واقع المنـافقين،على أنّ الجلسات تتمّ عاده بالثلاثه و الخمسه و أىّ عـدد وتر لما فيه من إمكانيه التصويب بسـهوله.و قال بعضـهم:إنّ فى هذا التعبير بلاغه نافذه إذ لم يتكرّر العدد،و نجد نظيره فى القرآن،و لكنّ القرآن لم يحصر علم اللّه بهذا العدد فقال:

وَ لاٰ أَدْنىٰ مِنْ ذٰلِكَ وَ لاٰ أَكْثَرَ إِلاّٰ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مٰا كٰانُوا خارجا عن الحـد عددا و زمانا و مكانا،لأنّه سـبحانه قد تعالى عن الكيف و الأين و العدد التى هى من صفات المخلوق.

قال الإمام على(عليه السلام) :«فإنّما أراد بذلك استيلاء أمنائه بالقدره التى ركّبها فيهم على جميع خلقه،و أنّ فعلهم فعله » (۱)

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۵ ص ۲۵۸

و

قال الإمام الصادق(علیه السلام)فی قوله عزّ و جلّ«الآیه» :«هو واحد أحدیّ الذات،باین من خلقه،و بذلک وصف نفسه،و هو بکل شیء محیط بالإشراف و الإحاطه و القدره، لا یَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّهٍ فِی السَّماواتِ وَ لا فِی الْأَرْضِ،وَ لا أَصْغَرُ مِنْ ذلِکَ وَ لا أَکْبَرُ ،بالإحاطه و العلم لا بالذات،لأنّ الأماکن محدوده تحویها حدود أربعه،فإذا کان بالذات لزمه الحوایه » (۱)و

جاءت الروایه أنّ بعض أحبار الیهود جاء إلی أبی بکر فقال له:أنت خلیفه نبی هذه الأمّه؟قال له:نعم،فقال له:إنّا نجد فی التوراه أنّ خلفاء الأنبیاء أعلم أممهم فخبّرنی عن اللّه أین هو فی السماء أم فی الأرض؟فقال له أبو بکر:هو فی السماء علی العرش،فقال الیهودی:فأری الأرض خالیه منه،و أراه علی هذا القول فی مکان دون مکان؟فقال له أبو بکر:هذا کلام الزنادقه.اغرب عنی و إلاّ قتلتک،فقال له أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام :یا یهودی قد عرفت ما سألت عنه و أجیب عنه به،و إنّا نقول:إنّ اللّه جلّ و جلاله أیّن الأین فلا أین له،و جلّ أن یحویه مکان،هو فی کلّ مکان بغیر مماسه و لا مجاوره،یحیط علما بما فیها و لا یخلو شیء منها من تدبیره تعالی،و إنّی مخبرک بما جاء فی کتاب من کتبکم تصدق ما ذکرته لک،فإن عرفته أ تؤمن به؟قال الیهودی:نعم،قال:ألستم تجدون فی بعض کتبکم أنّ موسی بن عمران کان ذات یوم جالسا إذ جاءه ملک من المشرق فقال له موسی:من أین أقبلت؟قال:من عند اللّه،ثم جاءه ملک من المغرب فقال له:من أین جئت؟قال:من عند اللّه،ثم جاءه ملک فقال له:

قد جئتک من السماء السابعه من عند اللّه،ثم جاءه ملک آخر فقال هل:قد جئتک من الأرض السفلی من عند اللّه،فقال له موسی:سبحان من لا یخلو منه مکان،و لا یکون إلی مکان أقرب من مکان،فقال الیهودی،أشهد أنّ هذا هو

۱- ۱) المصدر/ص ۲۵۸

الحق،و أنّک أحقّ بمقام نبیّک ممّن استولی علیه. (۱)

و

قال(علیه السلام) یحدّث عن اللّه:أوّل الدّین معرفته،و کمال معرفته التصدیق به،و کمال التصدیق به توحیده،و کمال توحیده الإخلاص له، و کمال الإخلاص له نفی الصفات عنه،لشهاده کلّ صفه أنّها غیر الموصوف، و شهاده کلّ موصوف أنه غیر الصفه،فمن وصف اللّه سبحانه فقد قرنه،و من قرنه فقد ثنّاه،و من ثنّاه فقد جزّأه،و من جزّأه فقد جهله،و من جهله فقد أشار إلیه،و من أشار إلیه فقد حدّه،و من حدّه فقد عدّه،و من قال«فیم»فقد ضمّنه،و من قال«علام»فقد أخلی منه،کائن لا عن حدث،موجود لا عن عدم،مع کلّ شیء لا بمقارنه،و غیر کلّ شیء لا بمزایله،فاعل لا بمعنی الحرکات و الآله،بصیر إذ لا منظور إلیه من خلقه،متوحّد إذ لا سکن یستأنس به، و لا یستوحش لفقده (۲)بهذه البصائر الإیمانیه ینبغی أن نفهم أسماء اللّه،و بها نفسّر کتاب اللّه، و بالذات قوله فی هذه الآیه(رابعهم،و سادسهم،و معهم أینما کانوا)،بعیدا عن التصورات البشریه المحدوده و الفلسفات الضاله المنحرفه،و العقائد الشرکیه.

ثُمَّ یُنَبِّئُهُمْ بِمٰا عَمِلُوا یَوْمَ الْقِیٰامَهِ لا یعزب عنه مثقال ذرّه أبدا.

إِنَّ اللّٰهَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمٌ و هذه الآیه تنطوی علی تحذیر للمنافقین و المتآمرین علی الحق علی مرّ التاریخ،

۱- ۱) المصدر

۲- ۲) نهج خطبه(۱)ص ۳۹-۴۰

كما أنّها تنمّی عند المؤمنين روح الحذر و التقوی.

[٨]و لأنّ اللّه محيط بكلّ شیء علما فإنّه لا يدع مكائد هم تلعب دورها المشؤوم فی مسيره الأمه،و إنّما يبطلها بإرادته و علی أيدی المؤمنين،و يفضحها بوسيله أو بأخری،كأن يلقی أمرها روع المؤمنين.

أَ لَمْ تَرَ إِلَی الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوی ثُمَّ يَعُودُونَ لِمٰا نُهُوا عَنْهُ إصرارا علی مكائدهم المشؤومه،و التناجی هو الحديث علی غير مسمع من الآخرين،و ليست النجوی محرّمه فی الدين إلاّ إذا كانت مضامينها و آثارها لا ترضی اللّه عزّ و جل،أمّا إذا كانت تنطوی علی الخير و الصلاح فهی مباحه،بل قد تكون واجبه كما فی عصر الطاغوت،باعتبارها تحفظ خطط المؤمنين،و أشخاصهم، و إمكاناتهم،بعيده عن علمه و كيده و ردّات فعله،لذلك لم ينه اللّه الذين آمنوا عنها بل نهاهم من جهه عنها إذا كانت ذات مضامين سيئه،و أمرهم بها إذا كانت مضامينها إيجابيه،بينما نهی المنافقين عنها لأنهم اتخذوها وسيله لمحاربه الحق.

وَ يَتَنٰاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوٰانِ وَ مَعْصِيَهِ الرَّسُولِ هذه إشاره إلی ثلاثه أنواع من الذنوب المحرّمه و هی:

أوّلا:المعاصی التی يخالف الإنسان بها الشريعه فی سلوكه،كشرب الخمر، و أكل الحرام،و الكذب،و الغش،و الإدلاء بالأموال إلی الحكّام الظلمه،قال تعالی: اِجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ (١)أی ذنب،و قال:

وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَهً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتٰاناً وَ إِثْماً مُبِيناً (٢)،

١- ١) الحجرات١٢/

٢- ٢) النساء١١٢/

و قال:« مَنْ يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرىٰ إِثْماً عَظِيماً » (۱)،و فی المنجد:الإثم فعل ما لا یحل. (۲)

ثانیا:التجاوز علی حرمات المجتمع و الأمه،کالاعتداء علی حقوق الناس و أموالهم و أعراضهم.

ثالثا:شقّ عصبی الطاعه للقیاده الرسالیه التی یمثّلها یومئذ الرسول الأعظم (صلی اللّه علیه و آله و سلم)،و هی لا تزال معصیتها رغم تبدّل مصادیقها فی الواقع الاجتماعی معصیه للنبی،لأنّها امتداده الطبیعی فی أجیال الأمه.

و هذه الذنوب الثلاثه تعدّ اعتداء علی حدود اللّه،و قد جعلها المنافقون محور نجواهم،و هی متتالیه،إذ أنّ مجالس المتآمرین- أنّی کانت،و أنّی استهدفت- تنطلق من الإثم،من العصبیه و العنصریه،من الکذب و الافتراء،من تحقیر القیم لحساب الذّات،و إثاره الحساسیات،و کوامن الشر تنطلق من کلّ ذلک لتنتهی إلی العدوان و اغتصاب حقوق الآخرین و محاوله التسلّط و التعالی علیهم،و فی ذلک خرق لسنن اللّه العادله،و مخالفه للقیاده الشرعیه.

إنّ هذه الجلسات المشؤومه هی رحم الشبکات الحزبیه الضاله التی تخطط للسیطره علی الأمه و لولا غیاب الإحساس برقابه اللّه،و غیاب التقوی من اللّه، و بالتالی الإنصاف و العداله،لما ولدت هذه الجلسات التی لا یهدف المشارکون فیها إلاّ تحقیق شهواتهم الرخیصه.

و عملیه التناجی هی تفاعل بین المنافقین حیث یدفع بعضهم بعضا،و یدعوه

۱- ۱) المصدر/۴۸

۲- ۲) راجع ماده أثم

إلی الضلال و التجاوز علی الحق،و تشکیل حرکه سریه ترتکز علی المبادئ الثلاثه التی تضمنتها النجوی.

وَ إِذٰا جٰاؤُکَ حَیَّوْکَ بِمٰا لَمْ یُحَیِّکَ بِهِ اللّٰهُ إذ کانوا یقولون:السام علیکم،بمعنی السأم،أی أنّک یا رسول اللّه سوف تسأم من رسالتک،أو السام بمعنی الموت عند الیهود،و من الطبیعی أنّ المسلّم إذا کان بعیدا و لا یظنّ أحد فیه سوء لا یتضح قصده فی مثل هذه العباره القریبه من السلام فی ظاهرها و حروفها،إلاّ أنّ الرسول کان متنبها للمنافقین و الیهود،و کان یردّ علیهم بکلمه واحده«و علیکم»أی أردّ علیکم ما رمیتمونی به،و قد فضحهم الوحی بعد ذلک عند کلّ المسلمین،و لکی یعلموا هم أنفسهم أنّ اللّه بکلّ شیء علیم،و أنّه یعلم القضایا الظاهره کقضیه المجادله،و الأخری الباطنه کنجواهم.

و هنا لک تفسیر آخر للتحیه،و هی أنّهم یحیون الرسول ب(أنعم صباحا،و أنعم مساء)و هی تحیه أهل الجاهلیه،مع أن اللّه أمرهم بتحیه الإسلام فی محضر الرسول (السلام علیکم).

و هناک تفسیر ثالث أنّهم لم یکونوا یحیّون الرسول بصفته قائدا للأمّه،و إنّما بصفه شخصیه کقولهم:(السلام علیک یا أبا القاسم)و هذا التفسیر أنسب لمفهوم السیاق،بالرغم من أنّ التفسیر الأوّل قد وردت به نصوص تاریخیه،

فقد روی عن عائشه أنها قالت :جاء أناس من الیهود إلی النبی(صلّی اللّه علیه و آله و سلم) فقالوا:السام علیک یا أبا القاسم،فقلت:السام علیکم و فعل اللّه بکم،فقال علیه السلام:«مه یا عائشه فإنّ اللّه لا یحبّ الفحش و لا التفحّش»،فقلت:

یا رسول اللّه أ لست تری ما یقولون؟فقال:«أ لست ترین أردّ علیهم ما یقولون؟

أقول:و عليكم » (۱)و ربّنا لم يفضح ظاهر نفاقهم و حسب،بل فضح نواياهم و سرائرهم الخبيثه أيضا،حينما أخبرهم بالذی يدور فی داخلهم.

وَ يَقُولُونَ فِی أَنْفُسِهِمْ لَوْ لاٰ يُعَذِّبُنَا اللّٰهُ بِمٰا نَقُولُ أی لو كان الرسول صادقا بالفعل فلما ذا لا يغضب اللّه له؟و يتخذون عدم حلول العذاب بهم ذريعه لإثبات سلامه خطهم،و الإصرار عليه.و يبطل القرآن كون هذا دليلا على صدقهم،حتى لا يتأثّر المؤمنون بدعاياتهم و أفكارهم المضلّله، مؤكّدا بأنّهم يجازون ما يكفيهم من العذاب على ذلك و لكن بعد حين.

حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهٰا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ و الآيه تشير إلى أربعه ذنوب رئيسيه اقترفها المنافقون و هی:تجاوز نهی اللّه بالعوده إلى النجوى،و ممارسه النجوى بالإثم و معصيه الرسول،و التحيه السيئه المخالفه للحق،و الافتراء على اللّه بقولهم فی أنفسهم:« لَوْ لاٰ يُعَذِّبُنَا اللّٰهُ بِمٰا نَقُولُ ».

[۹]و لا يحرّم اللّه النجوى(كتمان الحديث)على المؤمنين،إنّما يحرّم اشتمالها على الواقع و المضامين المحرّمه،و إلاّ فهی مباحه،بل قد تكون مطلوبه.

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذٰا تَنٰاجَيْتُمْ فَلاٰ تَتَنٰاجَوْا بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوٰانِ وَ مَعْصِيَتِ الرَّسُولِ لأنّها مناجاه المنافقين،و بهذا النهی يقف الإسلام ضدّ تنامی حركات سرّيه مناهضه للنظام الإسلامی.

ص:۱۶۵

۱- ۱) القرطبی/ج ۱۷ ص ۲۹۲

و القرآن يحرّم المضامين الباطله و السيئه للنجوى،و فى نفس الوقت يدعو إلى التناجى بالخير و الصلاح،فيما إذا أرادوا التناجى.

وَ تَنٰاجَوْا بِالْبِرِّ وَ التَّقْوىٰ و البر هو الحق و الإحسان و سائر المضامين الخيّره المرضيّه عند اللّه و التى تقرّب إليه،و هو نقيض الإثم،قال تعالى: وَ تَعٰاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوىٰ وَ لاٰ تَعٰاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوٰانِ (۱)،كما أنّ التقوى نقيض العدوان،و ذلك أنّ العدوان ينبعث من انعدام الورع عن محارم اللّه،و الخوف منه،و لا بد أن يقاومه المؤمنون من الجذور فى شخصيتهم،و ذلك بتركيز تقوى اللّه فى نفوسهم،كما أنّ العدوان صوره للتعدى على حدود اللّه فى العلاقه مع المجتمع،و التقوى هى الداعى الأكبر للالتزام بأحكامه و شرائعه و حدوده.

و تأتى أهميه التناجى بين المؤمنين على الصعيد الاجتماعى كوسيله فضلى إلى النقد البنّاء،بالنصيحه،

قال الإمام العسكرى(عليه السلام) :«من وعظ أخاه سرا فقد زانه،و من وعظه علانيه فقد شانه » (۲)،و على الصعيد السياسى كاستراتيجيه مهمه فى مواجهه الظالمين و الأنظمه الطاغوتيه.

ثمّ يؤكّد القرآن ضروره أن لا تخرج المناجاه بين المؤمنين عن سياق التقوى، الأمر الذى يتحقّق بتحسّس رقابته،و تذكّر البعث و الجزاء.

وَ اتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ إنّ الإحساس بشهاده اللّه و حضوره مع المتناجين هو الضمان الوحيد لإنباذ

۱- ۱) المائده۲/

۲- ۲) بح/ج ۷۸ ص ۳۷۴

وساوس الشيطان من جلسات المؤمنين الخاصه،و ذلك أنّ أكثر الروادع التى تمنع السقوط فى وادى الغيبه و التهمه و التعصّب لجماعه ضد أخرى تتلاشى فى جلسات الخلسه و الخلوه،هنا لک يحسّ الإنسان برفع الكلفه و التحرّر من ضغط المجتمع، و لكن أليس اللّه ينظر إليهم و يسمع تحاورهم.أليس يحاسبهم غدا على الملاء العام.أ فلا يتقوه؟ حقّا:إنّها جميله و رائعه حياه جماعه المؤمنين الذين إذا انتجى اثنان منهم تواصيا بالبرّ،و رسما خطه لتقديم الخير لغيرهما،و تناصحا بالتعاون مع الآخرين.

[۱۰]و يعود السياق إلى التأكيد على حرمه النجوى السيئه،و وقوف الشيطان وراءها،و بيان أهم أهدافها الخبيثه،و ضروره التوكّل على اللّه لمقاومتها لإبطال مفعولها السلبى فى النفوس و فى واقع المجتمع.

إِنَّمَا النَّجْوىٰ مِنَ الشَّيْطٰانِ العدو الأوّل و الأخر للإنسان المؤمن،و إنّما يتناجى المنافقون مع بعضهم بتلك المضامين السيئه لأنّه كان يأمرهم بذلك،و كلّ نجوى سلبيه فهى بدوافع شيطانيه، كالهوى،و الطمع،و المصالح الماديه،و حبّ التفريق بين المؤمنين.و لعلّ الآيه تدل على أنّ الأصل فى النجوى الكراهه،لأنّها مظنّه الغيبه و التهمه و مركز المؤامره ضد النظام،و لأنّ الشيطان يكون عند النجوى أقوى منه فى أىّ حال آخر،و من هنا يحسن تجنّب النجوى إلاّ عند الحاجه.

لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا إنّهم يحزنون حينما يلاحظون التكتلات السريه المعاديه لمبادئهم و مصالحهم، خوفا من غلبتها و حكمها فى المستقبل،فإنّ ذلک يطفئ شعله الإسلام فى الأمّه.

ص:۱۶۷

و ربّنا يعالج حزن المؤمنين بإعطائهم المزيد من الثقه بإرادته و مشيئته المتصرّفه فى الخلق،و بدعوتهم إلى التوكّل عليه،لأنّ الأمّه التى تتوكّل على ربّها لا تهزمها المؤامرات.

وَ لَيْسَ بِضٰارِّهِمْ شَيْئاً إِلاّٰ بِإِذْنِ اللّٰهِ بلى.إن المنافقين و أعداء الأمّه الإسلاميه يحيكون المؤامرات ضدها فى الخفاء و بعيدا عن علم المؤمنين،و لكنّها ليست غائبه عن علم اللّه،و لا هى أكبر من إرادته،حتى يستطيعوا الإضرار بالمؤمنين،إلاّ بعد أن يأذن اللّه بذلك.و لكن متى يأذن اللّه بذلك؟إنّما حين تغرق الأمّه فى غمرات الصراع أو السبات أو توافه الأمور،أمّا الموحّده الجدّيه الطامحه و الساعيه فى سبيل اللّه فلن يترها اللّه أعمالها، و لن يضيع جهودها.و ما دام اللّه يدافع عن رسالته و أوليائه و عباده فلن يسمح أن يطفئ نوره أبدا.

وَ عَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ و ليس التوكّل باللسان و حسب،إنّما هو الثقه باللّه،و نبذ أغلال اليأس و الخوف و التردّد عن النفس،و التسلّح ببصائر الوحى فى السعى و الاجتهاد و التفاؤل،و تنفيذ مناهج الوحى فى التحرّك من الحكمه و التدبير و حسن الخلق و التعاون و الإخلاص،فإنّ ذلك كفيل لو التزمت به الأمّه الإسلاميه بإفشال كلّ المؤامرات،و حينذاك تسعى الأمّه و بتوجيه من قيادتها الرشيده المقاومه مؤامرات شياطين الجنّ و الإنس.

و هناك نوع من النجوى السلبيه المنهى عنها فى الإسلام،و هى تختص بتناجى المؤمنين مع بعضهم فى المجالس،بغض النظر عن مضامينها،فقد كرّه الإسلام أن

يتناجى اثنان بحضور ثالث،

قال رسول اللّه(صلّى اللّه عليه و آله و سلم) :«إذا كنتم ثلاثه فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإنّ ذلك يحزنه » (۱)[۱۱]لكى يتحسّس المؤمن بأنّ اللّه رقيب عليه حاضر معه شاهد عليه يبصّره القرآن بآداب الخلوات،عند ما يختلى بزوجته(عليه ألا يظاهر،و إذا ظاهر فعليه ألّا يعاشرها كزوجه إلا بعد كفّاره)،و عند ما يقرّر التناجى و ينشط الشيطان فى قلبه لكى يحرف التجاه تناجيه إلى الفساد،و عند ما يجلس،كيف يجلس متواضعا، مراعيا للقيم الإسلاميه.

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذٰا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجٰالِسِ فَافْسَحُوا لكى تستوعب الحدّ الممكن من الحضور،فتعمّ الفائده،و يحسّ الجميع بالاحترام و التقدير المتبادل.و إنّ ذلك يستتبع توسيعا من قبل اللّه للمتفسحين تقريبا لهم منه،و إثابه على الاستجابه له.

يَفْسَحِ اللّٰهُ لَكُمْ وَ إِذٰا قِيلَ انْشُزُوا أى قوموا وقوفا،أو تركا للمكان فى المجلس..

فَانْشُزُوا و إذا كان هذا الأدب يعمّ المؤمنين جميعا فإنّه يكون أهمّ بالنسبه إلى المؤمنين أولى العلم،لأنّهم أولى بالقرب من القياده،و بتصدّر المجالس من غيرهم.

يَرْفَعِ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجٰاتٍ

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۵ ص ۲۶۲

درجات بمثل درجاتهم الإيمانيه و العلميه.

و هـذه الآـيه تنفى مقـاييس التفاضل الماديه،كما أنّها تعطى المكانه و زمام القياده فى الأمّه لأصحاب الكفاءه الحقيقه(المؤمنون العلماء)و ليس لأصحاب المال و الأولاد،و هـذا التأكيـد على مكانه المؤمنين و العلماء،و أنّه أولى بالقياده، يأتى فى مقابل ظنون المنـافقين و تصوّراتهم الضالّه عن القياده و الأفضـليه،حيث اعتبروها لأولى المال و الأولاد و الأتباع الأكثر،و هـذا ما دفعهم للتآمر على قياده الرسول(صلّى اللّه عليه و آله و سلّم)و التخطيط للعصيان و التمرّد ضدّها،إذ قالوا:

كيف يصبح هو القائـد و ليس أكثرنـا مالا ـ و ولـدا؟! و فى ختام الآيه يـذكرنا اللّه بكلّ ما يعمله الإنسان،لكى نزداد حـذرا منه و تقوى.

وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ قال قتاده:نزلت هـذه الآيه فى مجالس الـذكر،و ذلك أنّهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلا ضـنّوا بمجالسـتهم عنـد رسول اللّه(صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم)،فأمرهم اللّه تعالى أن يفسح بعضـهم لبعض،و قال مقاتل ابن حيّان:أنزلت هذه الآيه يوم الجمعه،و كـان رسول اللّه(صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم)يومئـذ فى الصـفه،و فى المكـان ضـعيف،و كان يكرم أهل بـدر من المهـاجرين و الأنصـار،فجاء نـاس مـن أهـل بـدر و قـد سـبقوا إلى المجـالس فقـاموا حيـال رسـول اللّه(صـلّى اللّه عليه و آله و سلم)فقالوا:السـلام عليكم أيّها النبى و رحمه اللّه و بركاته،فردّ النبى(صـلّى اللّه عليه و آله و سلم)عليهم، ثم سلّموا على القوم بعد ذلك فردّوا عليهم،فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم،فعرف النبى(صلّى اللّه عليه و آله و سلم)ما يحملهم على القيام،فلم يفسح لهم،

فشقّ ذلك على النبى(صلّى اللّه عليه و آله و سلم)فقال لمن حوله من المهاجرين

و الأنصار من غير أهل بدر:قم يا فلان،و أنت يا فلان،فلم يزل يقيمهم بعدّه النفر الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين و الأنصار أهل بدر،فشقّ ذلك على من أقيم من مجلسه،و عرف النبى(صلّى اللّه عليه و آله و سلم)الكراهه فى وجوههم،فقال المنافقون:ألستم تزعمون أنّ صاحبكم هذا يعدل بين الناس؟و اللّه ما رأيناه قد عدل على هؤلاء.إنّ قوما أخذوا مجالسهم،و أحبّوا القرب من نبيّهم،فأقامهم و أجلس من أبطأ عنه!...فبلغنا أنّ رسول اللّه(صلّى اللّه عليه و آله و سلم)قال:

«رحم اللّه رجلا يفسح لأخيه» فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعا فيفسح القوم لإخوانهم. (۱)

و

فى كتاب الإحتجاج للطبرسى روى عن الحسن العسكرى(عليه السلام) أنّه:

اتصل بأبى الحسن علىّ بن محمد العسكرى(عليه السلام)أنّ رجلا من فقهاء شيعته كلّم بعض النصّاب فأفحمه بحجته حتى أبان عن فضيحته،فدخل على علىّ بن محمد(عليه السلام)و فى صدر مجلسه دست عظيم منصوب و هو قاعد خارج الدست،و بحضرته خلق من العلويين و بنى هاشم،فما زال يرفعه حتى أجلسه فى ذلك الدست،و أقبل عليه،فاشتد ذلك على أولئك الأشراف،فأمّا العلويون فأجّلوه عن العتاب،و أمّا الهاشميون فقال له شيخهم:يا بن رسول اللّه!هكذا تؤثر عاميّا على سادات بنى هاشم من الطالبيين و العباسيين؟فقال(عليه السلام):

«إيّاكم و أن تكونوا من الذين قال اللّه تعالى: أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُدْعَوْنَ إِلى كِتابِ اللّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَ هُمْ مُعْرِضُونَ أ ترضون بكتاب اللّه عز و جلّ حكما؟»قالوا بلى:قال:أليس اللّه يقول:

« يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللّهُ لَكُمْ..

إلى قوله: وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ »فلم يرض للعالم المؤمن إلاّ أن يرفع على

۱- ۱) فى ظلال/ج ۱ ص ۱۹

المؤمن غير العالم،كما لم يرض للمؤمن إلاّ أن يرفع على من ليس بمؤمن، أخبرونى عنه قال:« يَرْفَعِ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ »أو قال:

يرفع اللّه الذين أوتوا شرف النسب درجات؟أ و ليس قال اللّه عزّ و جلّ: هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ فكيف تنكرون رفعى لهذا لما وفقه اللّه؟!إنّ كسر هذا فلان الناصب بحجج اللّه التى علّمه إيّاها لأفضل له من كلّ شرف فى النسب (١) [١٢]و تعود الآيات إلى الحديث عن النجوى و لكن من زاويه أخرى،و هى النجوى مع رسول اللّه(صلّى اللّه عليه و آله و سلم)،لتأمر المؤمنين بدفع صدقه قبلها مؤكّده بأنّ ذلك خير و أطهر لهم،يقول تعالى:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ناجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْواكُمْ صَدَقَةً من أجل التعالى على الناس كان فريق من المسلمين يتخذون مواقع متقدّمه فى المجالس،و يشغلون صدرها القريب من الرسول،و كانوا يتظاهرون أنّهم أقرب إليه من غيرهم،فكانوا يتناجون معه،و عاده لم يكونوا يقولون له ما ينفع أو ما يقتضى السريه،و ربما كانوا يستغلّون أوقات الرسول الثمينه بتوافه الأمور، لذلك أمر اللّه المسلمين بإعطاء الصدقه قبل التناجى.

و لكن لما ذا فرضت الصدقه بالذات؟لعلّه للحكم التاليه:

١-لأنّ وقت الرسول للأمّه كلّها و على من يستغلّه أن يدفع ضريبه لصالح المجتمع،فإنّ الصدقه لا ريب سوف لا يستهلكها النبى و هى عليه حرام،إنّما سيوظّفها من أجل رفع الحرمان،و إصلاح شؤون المسلمين.

١- ١) الاحتجاج/ج ٢ ص ۴۵۵

٢-و لأنّ المتناجين مع النبی كان أكثرهم من طبقه الأغنياء،فلكی لا يشعر الفقراء بالغبن فرض اللّه علی الأغنياء صدقه لصالحهم.

٣-ثم أنّها كانت إشاره لأولئك الذين يزاحمون النبی بالتناجی فی أمور لا تجدی نفعا،أو من أجل التفاخر،بأنّ الأمر ليس مرضيّا و لا طبيعيا عند اللّه ولدی رسوله صلی الله عليه و آله ،و بالفعل أدرك الكثير هذه الحقيقه،و استطاع القرآن علاج تلك الظاهره فی مواردها السلبيه.

۴-و لأنّ البعض اتخذ التناجی مع النبی أمام المسلمين للتفاخر عليهم و التظاهر عندهم بالشخصيه الهامّه المقرّبه،و هذا أمر سلبی جاءت الصدقه علاجا و تطهيرا للنفوس من هذه الخلفيّات السيئه.

ذٰلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ أَطْهَرُ و لم يغفل اللّه و هو الحكيم طبقه الفقراء الذين لا يطيقون دفع الصدقه،لذلك أعذرهم و سمح لفهم بالتناجی مع النبی،فقال يخاطبهم.

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ و فی هذه الآيه إشاره بأن المعنی بتقديم الصدقه كان طبقه الأغنياء،لأنّهم يستطيعون دفعها،و قد رأيناهم كيف كفّوا عن التناجی،فتبيّن للمسلمين طبيعتهم و طبيعه أحاديثهم التی يزاحمون بها النبی صلی الله عليه و آله و المسلمين أيضا.

و بقی الإمام علی عليه السلام مستمرّا فی تناجيه مع رسول اللّه صلی الله عليه و آله لأهميه ما يتباحثه معه،و لعلمه بسلامه ما يقوم به،و أنّ التناجی مع النبی يستحقّ أن يقدّم له المؤمن أكثر من ذلك،و لم يكن ثريّا،بل لم يكن يملك يومئذ إلاّ دينارا واحدا لهذا

الشأن،قيل أنّه اقترضه من أحد المسلمين،فصرّفه عشره دراهم،قدّمها كلها بين يدى عشر نجوات مع رسول اللّه صلى الله عليه و آله ،حتى قال عمر بن الخطاب:«كان لعلىّ(رضى اللّه عنه)ثلاث،لو كانت لى واحده منهنّ كان أحبّ لى من حمر النعم:تزويجه فاطمه(رضى اللّه عنها)و إعطاؤه الروايه يوم خيبر،و آيه النجوى» (1)و

قال الإمام على عليه السلام :«إنّ فى كتاب اللّه آيه ما عمل بها أحد قبلى،و لا يعمل بها أحد بعدى:آيه النجوى.إنّه كان لى دينار فبعته بعشر دراهم فجعلت أقدّم بين يدى كلّ نجوى أناجيها النبى صلى الله عليه و آله درهما»قال:فنسختها قوله:«الآيه ١٣ ». (2)

[١٣]و حيث تفهّم المعنيّون خلفيات الحكم الإلهى بالصدقه قبل النجوى، و بالذّات أولئك الذين يكثرون من التناجى مع النبى صلى الله عليه و آله ،و الذين امتنعوا الآن عن ذلك بخلا،و لو كانت أحاديثهم التى يسرّون بها إليه صلى الله عليه و آله ذات أهمّيه لما رجّحوا الكفّ عنها و هم الأغنياء خشيه تقديم الصدقات،نسخ اللّه برحمته و منّه حكم الضريبه،ممّا دلّ على أنه وضع لعلاج ظاهره التناجى السلبى.و وجّه القرآن عتابه للذين امتنعوا عن التناجى ذلك إشفاقا من تقديم الصدقه،أو تناجوا و لم يقدّموا صدقه كما أمرهم اللّه،أو للذين لم يطيقوا ذلك بسبب الفقر و قلّه المال:

أَ أَشْفَقْتُمْ قالوا:الإشفاق الخوف من المكروه،فيكون معناه:هل شقّ عليكم إعطاء الصدقه قبل التناجى مع الرسول صلى الله عليه و آله ؟ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰاكُمْ صَدَقٰاتٍ

١- ١) تفسير روح البيان/ج ٩ ص ٣٠۶

٢- ٢) نور الثقلين/ج ۵ ص ٢۶۵

و لم يقل صدقه ممّا يدلّ على وجود فريق من المسلمين يكثرون التناجى مع النبى ممّا يستلزم الصدقات الكثيره.و حيث أنّه تعالى لاـ يعـارض ذات التنـاجى، لعلمه بضـرورته و حقّانيّته من قبل المخلصـين،و فى بعض موارده،رحم الـذين لا يجـدون،و تاب على الذين أشفقوا.

فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تابَ اللّهُ عَلَيْكُمْ ممّا يـدلّ على تقصـير لـدى المعنيّين بهذه الآيه الكريمه.و من مصاديق الرحمه هناك و التوبه هنا نسـخ فريضه الصـدقه عنـد النجوى،و بالتـالى إرجـاع المسـلمين إلى واجبـاتهم الأـوليه،و أهمّهـا الصـلاه كرمز للجانب العبادى و الروحى عنـد الإنسـان المؤمن،و الزكـاه كرمز لتعبّـده الاقتصـادى الاجتمـاعى،و الطـاعه للّه و للرسول كرمز للاـلتزام السياسـى فى الحياه.

فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ بتمام المعنى،إذ لا يقوم إلاّ الصـحيح،و إقامه الصـلاه فيما يعنى انعكاسـها على السـلوك و الالتزام بقيمها فى سائر أبعاد الحياه.

وَ آتُوا الزَّكاةَ تكافلاـ مع المعوزين،و دعما لاقتصاد المجتمع،و بالتالى تطهيرا للمجتمع من الآثار السـلبيه للعوز و الحاجه،و تزكيه للنفس من أعقد مشاكلها و هى الشح.

وَ أَطِيعُوا اللّهَ وَ رَسُولَهُ و لعـلّ فى هـذه الآيه بـدائل للمضامين السـيئه فى النجوى الحرام،فبإقامه الصـلاه يتطهر الإنسان من الإثم،و الزكاه(العلاقه الإيجابيه مع المجتمع)بديل للعدوان

ص:۱۷۵

علیه،و الطاعه بدیل لمعصیه الرسول،فهناک نهی عن تلک،و هنا دعوه لنقائضها، کما أنّ الآیه تفسیر عملی لمعنی البرّ و التقوی و تقوی اللّه الوارده فی الآیه.

وَ اللّهُ خَبِیرٌ بِما تَعْمَلُونَ فإن التزم بالأمر الإلهی أثابه و جزاه خیرا فی الدنیا و الآخره،و إلاّ عاقبه و عذّبه.

ص:۱۷۶

[سوره المجادله (۵۸): الآيات ۱۴ الی ۲۲]

اشاره

أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اَللَّهُ عَلَيْهِمْ مٰا هُمْ مِنْكُمْ وَ لاٰ مِنْهُمْ وَ يَحْلِفُونَ عَلَى اَلْكَذِبِ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (۱۴) أَعَدَّ اَللَّهُ لَهُمْ عَذٰاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ سٰاءَ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ (۱۵) اِتَّخَذُوا أَيْمٰانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اَللّٰهِ فَلَهُمْ عَذٰابٌ مُهِينٌ (۱۶) لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوٰالُهُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُهُمْ مِنَ اَللّٰهِ شَيْئاً أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ اَلنّٰارِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ (۱۷) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اَللّٰهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمٰا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلىٰ شَيْءٍ أَلاٰ إِنَّهُمْ هُمُ اَلْكٰاذِبُونَ (۱۸) اِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ اَلشَّيْطٰانُ فَأَنْسٰاهُمْ ذِكْرَ اَللّٰهِ أُولٰئِكَ حِزْبُ اَلشَّيْطٰانِ أَلاٰ إِنَّ حِزْبَ اَلشَّيْطٰانِ هُمُ اَلْخٰاسِرُونَ (۱۹) إِنَّ اَلَّذِينَ يُحَادُّونَ اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ أُولٰئِكَ فِي اَلْأَذَلِّينَ (۲۰) كَتَبَ اَللّٰهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِي إِنَّ اَللّٰهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (۲۱) لاٰ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ اَلْيَوْمِ اَلْآخِرِ يُوٰادُّونَ مَنْ حَادَّ اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كٰانُوا آبٰاءَهُمْ أَوْ أَبْنٰاءَهُمْ أَوْ إِخْوٰانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ اَلْإِيمٰانَ وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَ يُدْخِلُهُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا رَضِيَ اَللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ أُولٰئِكَ حِزْبُ اَللّٰهِ أَلاٰ إِنَّ حِزْبَ اَللّٰهِ هُمُ اَلْمُفْلِحُونَ (۲۲)

اللغه

۱۶[جنّه]:ترسا و سترا،و الجنّه:الستره التی تقی البليّه، و أصلها الستر، و منها المجنّ:أی الترس،و سمی الجنين جنينا لأنّه مستور فی الأرحام،و كذا سميت الجنّ جنّا لاستتارها.

[استحوذ]:استولی و تسلّط علی مجامع قلوبهم، و الاستحواذ:الاستيلاء علی الشیء و تملّكه بالاقتطاع له،و أصل الاستحواذ:حاذ يحوذ حوذا فهو مستحوذ.

ص:۱۷۷

أُولٰئِکَ حِزْبُ الشَّیْطٰانِ

هدی من الآیات:

فی سیاق الحدیث عن مصدر الإیمان فی واقع الإنسان،و ضروره تحسسه الدائم بشهاده اللّه سبحانه علیه،نتسائل:ما هو المقیاس الحق للإیمان الصادق،و للانتماء الصحیح إلی تجمّع المؤمنین؟ یزعم الکثیر أنّه یتلخّص فی الممارسات القشریه للدّین،و لأنّه یصلّی و یصوم و یحج یحسب أنّه من أولیاء اللّه،و من حزبه المفلحین،بینما ینبغی لنا أن نرجع إلی القرآن الحکیم الذی هو الفرقان و المیزان فی کلّ قضیّه،و نتخذ المقاییس من آیاته، و إنّه لیؤکّد فی هذا الدرس و فی الکثیر من الآیات و المواضیع أنّ أهم و أبرز محتوی و مقیاس للإیمان و للانتماء الحقیقی للمؤمنین هو التولّی الصادق و العملی الحزب المؤمنین و قیادتهم الرسالیه،أمّا أولئک الذین یدّعون الإیمان فی الظاهر و لکنّهم یحتفظون بوشائج حمیمه نفسیه و سیاسیه مع حزب الشیطان(أعداء الرساله من الکفار و المشرکین و المنافقین)فإنّهم و إن حلفوا بالإیمان المغلّظه،و تکلّفوا إظهار صدق

الايمـان و الانتمـاء و الولاـء،ليسوا إلا من حزب الشـيطان،و سوف يعـذّبهم اللّه،دون أن يسـتطيعوا التهرّب من عـذابه بوسـيله،و لا خـداعه بيمين و حلف،لأـنّه الشاهـد على كـلّ شـىء و العليم الخبير به،و هو يعلم بواقعهم الـذى ينطوى على الولاء لأعـداء اللّه و الرساله،و أعداء المؤمنين و القياده الرساليه،بحثا عن العزّه و الشرف،فكيف يكون هؤلاء من المؤمنين الصادقين و هم يحادّون اللّه و رسـوله بهـذا العمـل القـذر، و يتخلّفـون عـن حـدوده و أحكـامه؟أم كيـف ينـالون عزّه و ليسـت إلاّـ للّه و لرسـوله و للمؤمنين؟كلاّ..إنّهم ليسوا من المؤمنين،و لن يصيروا إلا إلى ذلّ بعد ذل.

بلى.إنّ هؤلاـء المنـافقين المزدوجين الشخصيه كـانوا يبحثـون عن المنـاصب و الرفعه باعتبـارهم الأـكثر مالاـو أتباعـا،و لمـا فى نفوسـهم من المرض،و ليس لأـنّهم الأكفـاء،فراحـوا يطلبـون العزّه،و يسعون لهـذه المطـامع من خلال التعـاون مـع أعـداء الأـمّه الإسـلاميه،و بيـع أنفسـهم عمـاله لهـم،لعلّهم ينتصـرون جميعـا على الرسول، و يطفؤون شـعله الرسـاله،فتتحقق مطـامعهم،و ينـالون أغراضـهم المشؤومه،و قـد غـاب عن هؤلاـء أنّ اللّه صاغ الوجود على أساس انتصار الحق،و كتب ذلك فى سـننه،و حتّم تنفيـذه بقوته،و أراد لنفسه و لحزبه العزّه،و لأعدائه الهزيمه و الذل.

و ختاما للسوره و لهـذا السـياق يحـدّد اللّه أهمّ المواصـفات للمؤمنين الحقيقيين، الـذين هم حزبه المفلحون،و أهمها بعد الإيمان بـاللّه و اليوم الآخر التبرّى من أعـداء اللّه و رسوله و رسالته،لا يميّزون فى ذلك بين أحـد و أحـد،إنّما يعادون من أجل تولّيهم و انتمائهم كلّ عـدو« وَ لَوْ كانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ »،ممّا يدلّ على تجذّر الإيمان فى قلوبهم،و إخلاصـهم للحق،و تأييـد اللّه لهم بروح منه،لأـنّهم أوليـاؤه بحقّ و صـدق.« أُولَئِكَ حِزْبُ اللّهِ »الـذين يسـتحقّون تأييـده و جناته و رضوانه،و ذلك هو الفلاح.

بيّنات من الآيات:

[۱۴]كما يكنّ المنافقون العداء للأمّه الإسلاميه،و للرسول و الرساله، و يتحرّكون على الصعيد الداخلى لإيجاد حركه سرّيه معارضه للحركه الرساليه المباركه،و تيّار اجتماعىّ عاص لقيادتها،فإنّهم على الصعيد الخارجى يعقدون ولاءهم للقوى المعاديه للأمّه،و بازدواجيه الولاء تطمع هذه الفئه تثبيت مركزهم الاجتماعى و السياسى.

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ و ذلك أنّ المنافقين يومئذ تحالفوا مع اليهود،و أظهروا العماله لهم(الولاء)، بالقلب حبّا،و بالعمل طاعه.و اليهود ليسوا إلاّ مصداقا للذين غضب اللّه عليهم، كما أنّ الذين تولّوهم من مصاديق النفاق و المنافقين،و إلاّ فهذا الواقع قائم بكلا مصداقيه فى عصرنا الحاضر،و لكن بصور و مصاديق مختلفه،فهناك الأحزاب و الشخصيات الضالّه التى توالى أعداء الأمّه فى الغرب و الشرق.

و من طبيعه المنافقين أنّهم لا يفصحون عن ولاءاتهم الحقيقيه، إنّما يتظاهرون بين المسلمين ولدى القياده بمظهر المخلص،حتى أنّهم يتكلّفون أكثر من غيرهم فى ادّعاء الإيمان و الإخلاص خشيه الفضيحه.و لكنّ ذلك لا يغيّر من الواقع شيئا، و ماذا يبقى للذى يوالى أعداء اللّه من الإسلام حتى يدّعيه؟بلى.قد يصلّى المنافقون و يصومون و يحجّون و ما أشبه،و لكنّ ذلك كلّه لا يسوى عند اللّه شيئا ما دامت العبادات مفرغه من أهم مضامينها و قيمها يعنى التولّى،و لذلك ينفى القرآن انتماءهم إلى المسلمين رغم المظاهر الدينيه فى سلوكهم.

مٰا هُمْ مِنْكُمْ

لأنهم يفقدون أهم قيم الانتماء الحقيقى و شروطه و هو التولّى للّه و للقياده الرساليه و للمؤمنين،و كيف تكون الأحزاب و الحكومات و الشخصيات الخائنه جزءا من الأمّه و هى تقف حربا عليها مع الأعداء؟!أ ترى من يتولّى حزب الشيطان (القوى الاستكباريه)الذى غضب اللّه عليهم،و يبيع إنسانيّته و أمّته و ثروات شعبه لهم،يكون مسلما؟!كلاّ..إنّما هو مشمول بغضب اللّه مثلهم.

وَ لاٰ مِنْهُمْ ماذا تعنى هذه الكلمه؟ إنّ الأعداء لا يتعاملون معهم كأنداد،فإنّ اليهود لا يقبلون بعنصريتهم أن ينتمى أحد إليهم،و كذلك القوى الاستكباريه اليوم تتعامل مع عملائها من الحكّام الظلمه على أنّهم ليسوا سوى كلاب تحمى مصالحها،ثمّ أنّهم لا يدافعون عن مبدء أو خط سياسى واضح-كما الأعداء-إنّما يدافعون عن أنفسهم و يسعون وراء مصالحهم فلا أحد يقبلهم،بلى.إنّهم فى النهايه يلحقون بالأعداء فى نظر الإسلام كما قال ربّنا سبحانه: وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ . (1)

وَ يَحْلِفُونَ بكلّ ما يؤدّى غرض الحلف،من قسم،و تظاهر بالإسلام تكلّفا من خلال الشعارات.

عَلَى الْكَذِبِ يعنى ادّعاء الإسلام و الإيمان.

ص:182

1- 1) المائده51/

وَ هُمْ يَعْلَمُونَ أنّهم ليسوا على شـيء من الإسلام،و ليسوا من المسلمين،إنّما يريدون بذلك تضليل الآخرين عن أهدافهم الحقيقيه لعلمهم بـأنّ وعى الأـمّه بـواقعهم كفيـل بإسـقاطهم،و إحبـاط مـؤامراتهم،و إنّنـا لنشاهـد اليوم صوره لهـذا الخـط يمثّلهـا الحكّام المنافقون،و الحركات المتغرّبه الذين يتظاهرون بشعارات إسلاميه مكرا و كذبا.

[۱۶-۱۵]و هؤلاء جميعا و أمثالهم يتوعّدهم اللّه بالعذاب الشديد جزاء أعمالهم السيئه.

أَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ عَذٰاباً شَدِيداً و إعـداد اللّه لا يعنى التكلّف تعالى عن ذلك علوّا كبيرا،إنّما هم يقبلون على عذاب مهئ ينتظرهم،و إذا استطاعوا الهرب عن لومه اللائمين فى الدنيا،و ردّات فعل المؤمنين،فإنهم لن يفلتوا من جزاء اللّه على أسوأ الأعمال و أقذرها و هو النفاق و الازدواجيه فى الشخصيه و الانتماء.

إِنَّهُمْ سٰاءَ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ إذ يتولّون أعـداء الأـمّه الإسـلاميه،و أعـداء اللّه،و يتسترون بالنفـاق،و الحلف بالأيمـان،و قـد جاء فى الأخبار أنّهم كانوا يتجسـسون لصالح اليهود،فيرفعون لهم أخبار الأمّه و أسـرارها الحساسه،كما هو حال المنافقين فى كلّ عصر و مصر،و جاء فى بعض الأخبار أنّهم كانوا يكتبون ما فى التوراه و ينشرونها بين المسلمين ممّا يحدث عندهم بلبله فكريه.

اِتَّخَذُوا أَيْمٰانَهُمْ جُنَّةً

أی تـدرعوا بالحلف و الأقسام المغلّظه،و اسـتتروا بمظاهر الإیمان،حتی لا تنکشف سـرائرهم و حقیقتهم للأمّه الإسـلامیه،و راحوا یعملون لتحقیق أهـدافهم الخیانیه السـیئه،و یزدادون بـذلک ضـلالا إلی ضـلالهم،و یضـلّون بأسالیبهم الماکره من یسـتطیعون من الناس،و بالذّات أولئک البسطاء الذین تخدعهم المظاهر لقلّه وعیهم.

فَصَدُّوا عَنْ سَبِیلِ اللّٰهِ أنفسـهم و غیرهم،و هم إنّما نافقوا و تستروا بالأیمان لکی یبعدوا عن أنفسـهم ذلّ الدنیا بالفضیحه و الخزی عنـد المؤمنین،و لکی یبلغوا مـا یتصور و نه عزّا و کرامه،من المنـاصب و المغـانم الـدنیویه،و لـذلک فإنّهم یسـتحقّون إضافه إلی الشده فی العذاب أن یکون مهینا.

فَلَهُمْ عَذٰابٌ مُهِینٌ و یبقی سؤال:مـا هو سبیـل اللّه الـذی صـدّوا عنه؟لاـ ریب أنّ کـلّ خیر هو سبیل اللّه بیـد أن أقرب السـبل إلیه الجهاد فی سبیله،و هو الأشهر استخداما فی النصوص.

و إنّها لسمه بارزه لخط النفاق تقاعسه عن الجهاد،و صدّ الناس عنه بالإشاعات الباطله أو بوسائل أخری.

و لقد أوضح القرآن فی هذه الآیات ملامح المنافقین لکی نمیّزهم عن الصادقین، و نقضی بذلک علی أعصی عقده فی المجتمع الإسلامی و أکبر خطر.

[۱۸-۱۷]أمّا عن جذر مشکله النفاق،و التولّی لأعداء اللّه،فإنّه حطام الدنیا و زینتها ممّا یلهث وراءه الإنسان بطبعه و هواه،و حینما نتدبّر القرآن،و نقوم بدراسه للواقع الاجتماعی و السیاسی لتأریخ الأمم فإنّنا نجد أنّ طائفه کبیره من

ص:۱۸۴

المنـافقين،و بالـذات الرؤوس فيهم،هم من أصـحاب المـال و القوّه،و يؤكّـد ربّنا أنّ شـيئا من حطام الـدنيا لن ينفعهم إذا حلّ بهم عذابه،أو عرضوا على النّار يوم القيامه،لأنّ ما ينفع الإنسان هنالك عمله الصالح و ليس المال و الأعوان.

لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوٰالُهُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُهُمْ مِنَ اللّٰهِ شَيْئاً و لو افتدوا بملىء الأرض ذهبا،و لو اجتمع الإنس و الجنّ لنصرتهم،و لعلّنا نفهم من الآـيه أنّهم يوظّفون الأـموال و الأنصار من أجل أهـدافهم القـذره،أو أنّهم يتحصـنون بهما-كما يفعل الطواغيت و الظلمه-عن الفضيحه و الأذى فى الدنيا.

أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ نعم.إنّ المنافقين قـد يتنعّمون فى الدنيا،و ينالون نصـيبا من زينتها، و لكنّهم فى الآخره لا نصـيب لهم إلاّ العـذاب المسـتمر،و قوله تعالى«لن تغنى»نفيا قاطعا مؤكّـدا مؤيـدا،فيه إشاره إلى كونها تغنى عنهم فى الـدنيا شـيئا محدودا.

ثم يضع القرآن أمامنـا صوره للمنـافقين فى الآـخره،إذ يحلفون للّه طمعـا فى النجـاه بالمخـادعه،ذلـك أنّ الحلف و الأيمان ربما تصـلح جنّه فى الدنيا و أمام الناس،أمّا اللّه فإنّه قد أحاط شـهاده و علما بكلّ شـىء،و لو أدرك الإنسان هذه الحقيقه بعمق لترك النفاق.

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللّٰهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمٰا يَحْلِفُونَ لَكُمْ فيقولون: وَ اللّٰهِ رَبِّنٰا مٰا كُنّٰا مُشْرِكِينَ (1)إصرارا على النفاق المتأصّل فيهم، و طمعا فى الخلاص من الفضيحه و العذاب.و هذه الآيه تهدينا إلى حقيقه مهمّه و هى

ص:185

1- 1) الأنعام23/

أنّ الإنسـان يبعث بخلقيـاته و طبـائعه التى يموت عليهـا،بلى.ليس يبعث الإنسـان بجسـمه و حسب،بل و بكلّ خصائصه النفسـيه و السـلوكيه،فـترى الكـاذبين يومئـذ بـأفواه نتنه،و المتكـبّرين فى صـوره ذرّ يطـأهم النـاس بالأقـدام،و المنـافقين بـوجهين لاـزدواج شخصيتهم فى الدنيا.

وَ يَحْسَـبُونَ أَنَّهُمْ عَلىٰ شَـيْءٍ أى شىء من شأنه يمضى مكرهم و خداعهم عند اللّه،قدره،أو مالا،أو نصيرا،أو ما أشبه،كلاّ..فإنّ اللّه لا تخدعه المظاهر،و لا الإعلانات،و لا..

و لا...لأنّه شهيد على سرّهم و جهرهم،عليم بحقيقتهم،خبير بما عملوا و ما يعملون.

أَلاٰ إِنَّهُمْ هُمُ الْكٰاذِبُونَ عند أنفسهم إذ« يَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ »،و عند اللّه الذى لا تخفى عليه خافيه.و حلفهم الباطل هو جزء من كذبهم.

و الآـيه تهـدينا إلى نسف قاعـده النفـاق ألا و هى الزعم بأنّ الإيمان هو هـذه الممارسات القشـريه،هـذه اللحى المرسـله،و الثياب القصـيره،و الشعارات الفارغه، و الأيمان المغلّظه،و المبالغه فى ادّعاء الالتزام بالدّين،كلاّ..إنّ كلّ ذلك ليس من الإيمان فى شىء ما دام فى القلب مودّه للكفّار،و ولاء لهم! لأنّ الإيمان-أصل الإيمان-هو تولّى اللّه و أولياءه،و البراءه من أعداء اللّه.

[۱۹]ثم يبيّن القرآن واحدا من العوامل الخفيه و المهمه التى تقف وراء شخصـيتهم التافهه.إنّه استسـلامهم للشيطان،يسوقهم سوقا حثيثا حيث يشاء.

اِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطٰانُ لأنّهم ضعفوا أمام إغراءاته و تحريضاته و أساليبه،و الشيطان ليس الجنّى و حسب،بل هو كلّ أحد يدعو الإنسان إلى معصيه ربّه،كعلماء السوء،و وسائل الاعلام المضلّله،و الأنظمه المنحرفه،و كذلك الأحزاب و الحركات الضالّه.

و لا يتسلّط على أحد ما دام يملك الإيمان.أو ليس الإيمان حصن الاستقلال؟أو جنّه للفؤاد من الفتن و الشهوات،فإذا فقد البشر ثقته باللّه و توكّله عليه عند عصف الشهوات،و تواصل الضغوط،فأنّى له الصمود؟إنّه يضحى كما الريشه فى بؤره الزوبعه،فاقدا لأيّه إراده أو أصاله و تفكير،يستسلم لمن يسوقه من شياطين الجنّ و الإنس.

و الإنسان لا يمكن أن يعيش فراغا قياديّا،فهو إن لم يناصر الحق،و يوالى قيادته،و ينتمى إلى تجمّعه،نصر الباطل و والى رموزه،و انتمى إلى تيّاره،و قد رفض المنافقون الخطّ الأوّل،و اتبعوا أهواءهم و شهواتهم،فوقعوا فى أشراك الشيطان،و تمكّن منهم إلى أقصى حد.و قالوا فى معنى كلمه«استحوذ»أنّها من أحوذ الشىء أى جمعه و ضمّ بعضه إلى بعض،و إذا جمعهم فقد غلبهم و قوى عليهم.

و قال بعضهم:إنّه من الحوذ و هو ظاهر فخذ الإبل حيث تساق من خلال ذلك المحل.و المراد واضح و هو الغلبه عليهم.

فَأَنْسٰاهُمْ ذِكْرَ اللّٰهِ فى قلوبهم و سلوكهم و واقعهم العملى.و حيث أنّ فى ذكره تعالى فإنّ نسيانه خساره عظيمه للإنسان،و إنّه ليبدأ فى الإضلال من أصغر الأمور خطوه بعد خطوه يتمكّن من صاحبه،بشتّى الأساليب الماكره،و أهمّها تزيين الدنيا و الذنوب لديه، و إثاره التمنّيات فى قلبه،و بعثه نحوها،و مزج الحقّ بالباطل.

قال أمير المؤمنين

ص:۱۸۷

(علیه السلام) :«أیّها الناس إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع و أحکام تبتدع..

فلو أنّ الباطل خلص لم یخف علی ذی حجی،و لو أنّ الحق خلص لم یکن اختلاف،و لکن یؤخذ من هذا ضغث و من هذا ضغث فیمزجان فیجیئان معا، فهنالک استحوذ الشیطان علی أولیائه،و نجی الذین سبقت لهم من اللّه الحسنی » (۱)و یتمّ استحواذه حینما ینسی الإنسان ذکر ربّه و شهادته علیه،و عقابه و ثوابه وسعه رحمته،و شدّه عذابه،و ما أشبه،لأنّ ذکر اللّه هو الذی یعصم عن الذنب،و یدفع إلی الطاعه و التوبه،

قال الإمام الصادق(علیه السلام) :«لمّا نزلت هذه الآیه: وَ الَّذِینَ إِذٰا فَعَلُوا فٰاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَکَرُوا اللّٰهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ صعد إبلیس جبلا- بمکّه یقال له:ثور،فصرخ بأعلی صوته بعفاریته فاجتمعوا إلیه،فقالوا:یا سیدنا لم دعوتنا؟قال:نزلت هذه الآیه،فمن لها؟فقام عفریت من الشیاطین فقال:أنا لها بکذا و کذا،قال:لست لها،فقام آخر فقال مثل ذلک،فقال لست لها،فقال الوسواس الخنّاس:أنا لها،قال:

بماذا؟قال:أعدهم و أمنّیهم حتی یواقعوا الخطیئه،فإذا واقعوا الخطیئه أنساهم الاستغفار،فقال:أنت لها، فوکّله بها إلی یوم القیامه » (۲)،و إذا نسی أحد ذکر اللّه لیس یبقی علی خطئه و ضلاله و حسب،بل و یظل دون منقذ فی ربقه الشیطان و أسره یهوی به درکا بعد آخر إلی أسفل سافلین.

أُولٰئِکَ حِزْبُ الشَّیْطٰانِ فی الدنیا لأنّهم یتولّونه و یطیعونه و یتوجّهون حیث یرید،و فی الآخره لأنّهم سیصیرون معه فی النار،و هذا تقریر من قبل اللّه بأنّهم لیسوا من حزبه،بالرغم من

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۶۷

۲- ۲) بح/ج ۶۳ ص ۱۹۷

انتمائهم الظاهر إليه،و كيف يكونون من حزبه و هم يفقدون أهمّ شروط و مضامين الانتماء الحقيقى و هو التولّى لأوليائه و الطاعه للإمامه الرساليه؟!و حزب الشيطان ليس تجمّعا و لا تنظيما بذاته،بل هو الجبهه العريضه و الممتده عبر الزمن لقيم الباطل و رموزه و تجمّعاته بشتى مصاديقها و طبائعها،و التى يناصرها فى الظاهر القيادات المنحرفه،السياسيه و الاقتصاديه،و الفكريه و العسكريه،و..،و فى الخفاء تنتمى إلى إبليس الرجيم.

أَلاٰ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطٰانِ هُمُ الْخٰاسِرُونَ فى الدنيا لأنّهم يواجهون ذلّ الانحراف و الهزيمه على أيدى المؤمنين(حزب اللّه)،و تتجسّد خسارتهم العظمى فى الآخره،حيث يصيرون جميعا هم و الشيطان إلى عذاب الذلّ و الهوان خالدين فيه.و قد أكّد اللّه خسارتهم لأنّهم إنّما تولّوا رموز حزبهم،و انتموا إليه رغبه عن حزب اللّه و أوليائه، و تركوا الحقّ إلى الباطل،من أجل المكاسب و الربح،و لن يفلحوا فى بلوغ ذلك أبدا.

[٢٠-٢٢]و يؤكّد القرآن الحكيم مرّه أخرى خساره حزب الشيطان،و الذين ينتمون إليه،لمعاداتهم اللّه بترك رسالته،و معاداتهم رسوله بمعصيته و ترك التسليم لقيادته،حيث يصيرون من أكثر الناس ذلّه و صغارا.

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ أُولٰئِكَ فِى الْأَذَلِّينَ لأنّ اللّه اختص بالعزّه و خصّ بها رسوله و المؤمنين(حزب اللّه)و ليسوا منهم، اَلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكٰافِرِينَ أَوْلِيٰاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَ يَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلّٰهِ جَمِيعاً (١)،ثمّ أن السبيل إلى العزه الحقيقيه هو تطبيق الحق،و ليس اتباع الباطل و الأهواء،و قد نبذوا كتاب اللّه وراء ظهورهم،و اتبعوا الشيطان

١- ١) النساء١٣٩/

و لعلّ الآیه تهدینا إلی أنّ هؤلاء المنافقین یعیشون فی داخلهم شعور الضعه و الحقاره و الذل،ممّا یدفعهم بناء علی ظنونهم و تصوّراتهم الخاطئه إلی التولّی لأعداء اللّه بحثا عن القوّه و العزّه،و یتمسّک المؤمنون الصادقون بولائهم و انتمائهم للّه و لحزبه و قیادته،لاعتقادهم الراسخ بانّ ذلک هو السبیل إلی العزّه و القوّه(الفلاح).

و تظهر ذلّه الکفّار بصوره أجلی حینما یصبّ اللّه علیهم العذاب المهین،فلا تبقی لهم کرامه بین الناس،و لا فی أنفسهم،إلاّ أنّ مشیئته تعالی بإذلالهم لیست محصوره فی الآخره،و کذلک عزّته لحزبه،بل هما مفروضتان و محتومتان فی الدنیا أیضا، و تتجلّیات فی نصره سبحانه لحزبه،و إنّ ذلک حقّ محتّم،خلق اللّه الحیاه علی أساسه،و فرضه بإرادته.

کَتَبَ اللّٰهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِی أی فرض و أثبت،کقوله: کُتِبَ عَلَیْکُمُ الصِّیٰامُ (۱)،و کُتِبَ عَلَیْکُمُ الْقِتٰالُ (۲)،و لا مبدّل لما یکتب اللّه،لأنّه الإراده المطلقه.و فی الآیه تأکیدات أربعه:الفعل«کتب»،و لام التوکید،و النون فی«لأغلبنّ»،و الضمیر المنفصل «أنا»،و کل ذلک حتی یطمئنّ المؤمنون بنصر اللّه لهم رغم کلّ التحدّیات، و الظروف المعاکسه،حیث یقفون بالعدد القلیل،و العدّه المحدوده،فی مقابل حزب الشیطان بأعداده الکثیره و إمکاناته المادیه و المعنویه الهائله،و یعلمون أنّهم سینصرون علیه،و ستکون الغلبه لصالحهم،لأنّهم إن قلّوا،و قلّت إمکاناتهم، مؤیّدون بإراده الغیب المطلقه.

إِنَّ اللّٰهَ قَوِیٌّ

۱- ۱) البقره۱۸۳/

۲- ۲) البقره۲۱۶/

لا يغلبه أحد،و ينتصر على كلّ عدو.

عَزِيزٌ لاـ يقبل الذلّه لنفسه و لاـ لرسوله و أوليائه و المؤمنين(حزبه).و هذه تأكيدات ثلاثه أخرى:«إنّ»،«قوى»،«عزيز»،و ما أحوج الحركات الرساليه التى تقف اليوم بإمكاناتها المحدوده تقاتل الشرق و الغرب و أذيالهما من الأنظمه الفاسده،ما أحوجها أن تتطلّع إلى هذه الآيه الكريمه،و تجعل منها بلسما لكلّ عوامل اليأس و التردّد و الانسحاب،بلى.إنّهم مدجّجون بمختلف الأسلحه و أحدثها (عسكريا،و سياسيا،و إعلاميا،و معلوماتيّا،و اقتصاديا)،و لكنّنا منصورون بعزّه اللّه و قوّته.

و من الطبيعى أنّه لاـ يصح الاعتماد فى الصراع على أنفسنا بعيدا عن الإيمان بالغيب،لأنّ المعركه خطيره،و التحدّيات كثيره و صبعه،كما لا يجوز أن نعتبر الغيب بديلا عنّا فى إداره الصراع،إنّما يجب أن نبذل ما نستطيع من أجل الغلبه، ثمّ نتوكّل على اللّه،و يبدو أنّ فى الآيه إشاره إلى ذلك،فإنّ اللّه لم يقل:« لَأَغْلِبَنَّ أَنَا »و حسب،إنّما أضاف:«و رسلى»،كما تذكّر الآيه التاليه بحزب اللّه، تأكيدا على أنّ لنصر اللّه شرطين:(القياده الرساليه+حزب اللّه)،و لا يعنى أنّه لا يستطيع نصر الحق و تنفيذ رسالته فى الحياه من دون الرسول و المؤمنين،كلاّ..

و لكنّه خلق الحياه على أساس الابتلاء و الامتحان.

و باعتبار الآيه جاءت بعد الحديث عن الذين يتولّون أعداء اللّه نستوحى منها أنّ تحالف المنافقين مع جبهه الشيطان ضدّ حزب اللّه لا يمكنه أن يغيّر من المعادله شيئا،فإنّ ذلك لن يضعف حزبه تعالى،و لكن يكسب أعداءه نصرا على الحق.

و قال:«أنا و رسلى»،ثمّ أكّد بعدها قوّته و عزّته وحده،لكى يؤكّد بأن غلبه الحق

ليست مرهونه فى الدرجه الأولى بنصره أحد من الناس،إنّما تتحقّق بإرادته سبحانه،فلو تنصّل الجميع جدلا عن مسئوليّاتهم،بل و تحالفوا مع أعدائه،فإنّه ينتصر للحق.و قال:«و رسلى»و لم يذكر المؤمنين،مع أنّهم معنيّون بالآيه و الغلبه، ربما للدلاله على أنّ نصر اللّه للمؤمنين إنّما هو لا-لاتباعهم خط الرسل،و لم يفرد بالقول:«و رسولى»ممّا يهدينا إلى أنّ الرساله الإسلاميه امتداد حقيقى للرسالات السابقه كلّها،و أنّ انتصارها هو انتصار لمسيره الحقّ فى الحياه،و التى حمل مشعلها الأنبياء فى التاريخ،و نصره اللّه لا تتوقّف بعد الأنبياء،إنّما تستمر فى تأييده للحركات الرساليه الصادقه(حزب اللّه)باعتبارها الامتداد الطبيعى لحركه الرسل،فنصرها نصر لمسيرتهم.

و هناك ثلاثه سبل:

الأوّل:القوّه الغيبيه المباشره أو عبر الملائكه،كما نصر نوح(عليه السلام) بإهلاك قومه،و موسى(عليه السلام)بإغراق فرعون و جنده،و كذلك النبى صالح و النبى شعيب(عليهما السلام)..

الثانى:الحجه البالغه التى يسدّد بها أولياءه،فيقتنع الناس بكلامهم، و يعرفون أنّ رسالات ربّهم هى الحق،كما أتمّ الحجه لنبيّه الأكرم (صلّى اللّه عليه و آله و سلم)فدخل الناس فى دينه أفواجا.

الثالث و هو الذى يهمّنا:نصر الحق بالمؤمنين المتوكّلين عليه عزّ و جل،الراغبين فى الشهاده المعتصمين بحبل الوحده و القياده الرساليه،و الذين لا يعرفون إلاّ السعى الحثيث من أجل إعلاء كلمه الحق،و هم حزبه بحقّ و صدق.

و أهم ما يميّز حزب اللّه هو تجرّد أفراده للحق تعبّدا للّه،و تسليما لرسوله عن قناعه

ثابته و رضـی،فإنّک لو فتشت فی قلوبهم،و سـلوکیاتهم السیاسـیه،و حتی الاجتماعیه لما وجدت أثرا لتولّی أعداء اللّه فی حیاتهم أبـدا،لأنّ تحزبهـم مخلص له وحـده تعـالی،لا یتنـازلون عن هـذه القیمه الأساسـیه،و لا یسـاومون علیهـا أحـدا مهمـا کـان قریبا منهم،لوعیهم العمیق بدور التولّی فی تحدید شخصیه الإنسان،و هویّته الحقیقیه،و انتمائه،کما قال اللّه:

لا تَجِدُ قَوْماً یُؤْمِنُونَ بِاللّهِ إیمان قناعه و توحید،أو یوقنون بالحساب و الجزاء.

وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ إنّک لا تجد من هذه صـفتهم، یُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ فذلک شـرک و کفر لا تقبله نفوسـهم المؤمنه باللّه،و ذنب عظیم یخشون غضب اللّه علیهم بسـببه فی الآخره،و الحـال أنّهم یبحثون عن السـعاده و الفلاح فیهـا.و بـالنظر إلی الآیه من زاویه أخری یکـون المفهـوم أنّ الـذی یتولّی أعـداء اللّه أو یحبّهم لیس من المؤمنین،و أنّ أهم العوامـل الـتی تـدفع المنـافقین و مرضـی النفـوس إلی الإقـدام علی ذلـک هـو شـکّهم فی اللّه و الجزاء،و کفرهم بهمـا،و أنّهم اسـتبدلوا الإیمـان بـاللّه بالشـرک و الکفر،و الدنیا بالآخره.أمّا المؤمنون الصادقون(حزب اللّه)فهم یتولّون ربّهم و خلفاءه من القیادات الرسالیه، و یمنعهم إیمانهم به و بالآخره أن یتولّوا من حادّه.

وَ لَوْ کانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِیرَتَهُمْ لأنّهم لا تعمل العواطف و لا الضـغوط فی شخصـیاتهم و سـلوکیاتهم و مواقفهم،

ص:۱۹۳

إنّما يبحثون عن الحق و يطيقونه،و عن القياده الكفوءه المحقّه فيوالونها،و عن التجمّع الرسالى فينتمون إليه،و يسخّرون كلّ إمكاناتهم من أجل ذلك، لا تأخذهم فى اللّه لومه لائم.و لا ريب أنّ ذلك أمر تصعب دونه التحدّيات التى تحتاج إلى الإراده القويّه،و التوفيق من اللّه،و لذلك أكد القرآن بالقول:

أُولٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمٰانَ أى أثبت اللّه الإيمان فى نفوسهم،لما وجده فيهم من الأهليّه،حيث تجردوا له و للحق عن كلّ شيء سواهما.و الإيمان الذى يكتب فى القلب هو الأهم و الأرسخ و الاصدق من الذى يظهر فى الجوارح.

وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ فاجتمعت فيهم ثلاث قوى:(إرادتهم+قوّه الإيمان+تأييد اللّه)،فإذا بهم ينتصرون على التحدّيات،و يخرجون من أمتن الصلاه و أعمق الانتماءات تجذّرا (الصله بالآباء و الأبناء و الإخوان،و الانتماء إلى العشيره و الوطن و القوميه)إلى الانتماء الرسالى و الصلاه بالحق و أهله.و يبدو أنّ هذه الكلمه تعاكس تلك التى ذكرت فى صفات المنافقين من أن الشيطان استحوذ عليهم فأنساهم ذكر اللّه، فهناك لا تجد ذرّه من الاستقلال و العزّه و الإراده،بينما لا تجد هنا شيئا من التراخى و الضعف و الذل،و ليس الفاصل بينهما إلاّ الإيمان الحقّ بربّ العزّه.

أمّا عن الروح التى يؤيّدهم بها اللّه،و تثبّت الإيمان فيهم،و ينتصرون بها على التحدّيات،فإنّها تعبير عن الشيء الذى يعطى الحياه الحقيقيه للإنسان،و حياته فى التزامه بالحق،و من أظهر مصاديقها روح الإيمان التى تحملها إليهم و تركزها فيهم آيات اللّه،و يبعثها فى روعهم الإيمان المكتوب فى القلوب،قال تعالى: يٰا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذٰا دَعٰاكُمْ لِمٰا يُحْيِيكُمْ (۱)،و من مصاديق روح التأييد الإلهى ملائكه اللّه،و إليك جانبا من النصوص الوارده فى تفسير تلك الكلمه:

قال الإمام الصادق(عليه السلام) :«هو الإيمان » (۲).

و

قال :«ما من مؤمن إلاّ و لقلبه أذنان فى جوفه:أذن ينفث فيه الوسواس الخناس،و أذن ينفث فيها الملك فيؤيد اللّه المؤمن بالملك » (۳)ثمّ تلا الآيه.

و

قال الإمام أبو الحسن الهادى(عليه السلام) :«إنّ اللّه تبارك و تعالى أيّد المؤمن بروح منه تحضره فى كلّ وقت يحسن فيه و يتقى،و يغيب عنه فى كلّ وقت يذنب فيه و يعتدى،فهى معه تهتزّ سرورا عند إحسانه،و تسيح فى الثرى عند إساءته، فتعاهدوا عباد اللّه نعمه بإصلاحكم أنفسكم تزدادوا يقينا،و تربحوا نفيسا ثمينا، رحم اللّه امرءا أهمّ بخير فعمله،أو هم بشر فارتدع عنه،ثم قال:نحن نؤيّد بالروح بالطاعه للّه و العمل له » (۴).

و لقد تجلّت مصاديق الإيمان الثابت و التأييد الإلهى فى الصحابه المخلصين لرسول اللّه،إذ خرجوا من العلاقات العاطفيه و الاجتماعيه و السياسيه،و كذلك الانتماءات القبليه و العرقيه و..و..لتكون علاقتهم بالحقّ وحده،و انتماؤهم إلى حزب اللّه،و من أجل ذلك وقفوا يقاتلون آباءهم،و أبناءهم،و إخوانهم،و قبائلهم، لا تأخذهم فى اللّه لومه لائم،و

يقول أمير المؤمنين(عليه السلام) :«و لقد كنّا مع رسول اللّه(صلّى اللّه عليه و آله و سلم)نقتل آباءنا،و أبناءنا،و إخواننا،و أعمامنا،

۱- ۱) الأنفال/۲۴

۲- ۲) نور الثقلين/ج ۵ ص ۲۶۹

۳- ۳) المصدر

۴- ۴) المصدر

ما يزيدنا ذلک إلّا إيمانا و تسليما،و مضيّا على اللقم،و صبرا على مضض الألم، و جدّا فی جهاد العدو » (۱)و

جاء فی السيره أنّ عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبی جلس إلی النبی(صلّی اللّه عليه و آله و سلّم)،فشرب النبی ماء،فقال له:باللّه يا رسول اللّه ما أبقيت من شرابک فضله أسقيها أبی،لعلّ اللّه يطهّر بها قلبه؟فأفضل له،فأتاه بها،فقال له عبد اللّه:

ما هذا؟فقال:هی فضله من شراب النبی(صلّی اللّه عليه و آله و سلم)جئتک بها تشربها لعلّ اللّه يطهّر قلبک بها،فقال له أبوه:فهلاّ جئتنی ببول أمّک فإنّه أطهر منها!!فغضب(ابنه)وجاء إلی النبی،و قال:يا رسول اللّه!أما أذنت لی فی قتل أبی؟فقال النبی:«بل ترفق به،و تحسن إليه » (۲) وَ يُدْخِلُهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها رَضِیَ اللّهُ عَنْهُمْ لصدقهم معه،و إخلاصهم له،و نصرتهم لدينه و رسوله،« وَ رِضْوانٌ مِنَ اللّهِ أَكْبَرُ »من كلّ ثواب و جزاء غيره..و هم بدورهم سلّموا له.

وَ رَضُوا عَنْهُ معرفه به،و رغبه فی ثوابه،فهم لا يتذمّرون ممّا يصيبهم و يتعرّضون له من المصاعب و الأذی فی سبيله،لأنهم يبحثون عن رضوانه أنّی وجدوه،فهو تطلّعهم الأعظم الذی لا يبالون بالتضحيات من أجله،و يسترخصون كلّ شیء سواه،لأنّهم باعوا أنفسهم له تعالی،و جعلوها رهن رضاه،فتحزّبوا(ناصروا و توحّدوا)من أجله،تحت لواء الحق،و القياده الرساليه،و فی تجمّع المؤمنين،تحبّون ما يحب

۱- ۱) نهج البلاغه/خ ۵۶

۲- ۲) القرطبی/ج ۱۷ ص ۲۰۷

و يعملون به،و يبغضون ما يبغض و يتناهون عنه،و مقياسهم فى معرفه الباطل و مصاديقه(أعداء اللّه و رسوله)هو الحق المتمثّل فى الرساله،و القياده الإلهيه المتجسّده فى الرسول،و الأئمه،و العلماء المخلصين من بعدهم.

أُولٰئِكَ حِزْبُ اللّٰهِ لأنّهم متجرّدون له و للحق و لقياده الصالحين،أعمق حتى من تمحّض المنافقين للشيطان و للباطل و لأئمه الكفر و رموزه. و الذى يبحث عن الخط الرسالى الأصيل و يريد الانتماء إليه،فإنّه متجسّد فى الحركات الإلهيه المخلصه،القائمه على مقاطعه أعداء اللّه و حربهم بعيدا عن العلاقات و التحالفات المشبوهه،و على أساس الحق لا العنصريه،و القوميه،و الإقليميه،و ما أشبه،و لا على أساس الصنميه لأحد،فذلك كلّه شرك خفى.و كما أنّ أفراد حزب اللّه الحقيقيين لا يوادّون من حادّ اللّه،فإنّهم من جانب آخر لا يحادّون من وادّه و أحبّه،فليس من حزبه أولئك الذين ينصبون العداء لأوليائه و المؤمنين به،و لا الذين يتخذون تجمّعهم بذاته مقياسا لمعرفه الحق و الباطل،لأنّها قيمه جاهليه يرفضها المؤمنون من حزب اللّه،إنّما مقياسهم الحق نفسه،و القياده التى تلتزمه و تصيبه فى آرائها و مواقفها.و قوله تعالى:

أُولٰئِكَ يشير إلى الصفات الآنفه الذكر يهدينا إلى أنّ الإنسان و التجمّع لا يكون من حزب اللّه فى شىء بالمظاهر كالشكل و الاسم،إنّما بالمضامين و الصفات،و عليه فإنّ حزب اللّه ليس كلّ حركه تتبنّى هذا الاسم،بل الحركه التى تجسّد تلك الصفات فى واقع الحياه فرديّا و جماعيا،و لو أنّ شخصا انتمى إلى التجمّع المؤمن، و لكنّه لم يجسدها،فهو ليس منه أبدا رغم انتمائه الظاهرى.

و من كلمه«حزب»نهتدى إلى أنّهم منسجمون مع بعضهم متألفون،تربطهم الوشائج المتينه الإنسانيه و الإيمانيه،فإنّك لا تجد فى أنفسهم حقدا و لا غلا و لا إصرا

على بعضـهم و على إخوانهم المؤمنين،و لاـ مظهرا لروح الفرديه.و على أسـاس هـذا التعريف الواسع لحزب اللّه فإنّه لا يمكن أن نحصر مصاديقه فى جماعه معيّنه،إنّما هو جبهه كلّ المؤمنين الصادقين.و تلك القيم و الصفات هى التى يتحصّلون بها السعاده.

أَلاـ إِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ و الفلاح هو السـعاده بالنجاح فى الوصول إلى الأهـداف الحقيقيه للإنسان، و فلاح حزب اللّه فى الدنيا بالإيمان و ثمار تطبيق الحق و الالتزام به،و بالانتصار على حزب الشيطان،و فى الآخره بجنّات اللّه و رضوانه.

ص:۱۹۸

سوره الحشر

اشاره

ص:۱۹۹

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضل السوره:

فی کتاب ثواب الأعمال بإسناده عن النبی-صلی اللّه علیه و آله و سلم-قال :

«من قرأ سوره الحشر لم یبق جنه و لا نار و لا عرش و لا کرسی و لا الحجب و السماوات و السبع و الأرضون السبع و الهواء و الریح و الطیر و الشجر و الجبال و الشمس و القمر و الملائکه إلاّ صلّوا علیه و استغفروا له،و إن مات فی یومه أو لیله مات شهیدا».

نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۷۱

قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله و سلم- :«من قرأ هذه السوره کان من حزب اللّه المفلحین» ثواب الأعمال/ص ۲۰۹

ص:۲۰۱

الإطار العام

تفتتح السوره بتسبيح اللّه و بيان عزّته التى تجلّت فى دحر الكافرين،و تختتم بأسماء اللّه الحسنى، و فيما بينهما تبيّن الأخوه الإيمانيه التى تشدّ المسلمين إلى بعضهم،بينما الكفّار تحسبهم جميعا و قلوبهم شتى..

ففى السوره إذا محور إن يتصلان ببعضهما اتصال الرافد بالينبوع،و الدوحه بجذورها الضاربه فى العمق..

ذلك أنّ تسبيح اللّه و تقديسه عن الشركاء،و الذوبان فى بوتقه توحيده، و الاستظلال تحت رايه حمده التى ترفرف بأسمائه الحسنى..كلّ ذلك أساس التجمّع الإيمانى المتسامى عن حواجز الماده،و جذر لدوحه الصفات المثلى كالتكافل و الإيثار،و ينبوع روافد الحكمه و الجهاد و العزّه الإلهيه.

و هكذا تنساب آيات السوره فى الآذان الواعيه،فتطهّر القلوب من أضغانها،

ص:٢٠٣

و تزرع الحبّ فى أرجائها.

تعالوا نستقبل زخّات النور المنبعث من آياتها المباركات:

لأنّ اللّه قدّوس يسبّح له ما فى السموات و الأرض فهو العزيز الحكيم.

و لأنّه عزيز فإنه قهر الذين كفروا بالرساله و حاربوها من أهل الكتاب، و أخرجهم حتى يوم الحشر من ديارهم بالرغم من تجذّرهم فيها،فلم يظنّوا بأنّهم خارجون منها،كما لم تظنوا ذلك.لماذا؟لأنّهم شاقّوا اللّه حينما كفروا برسالته، و بما شاقّوا الرسول.و من آيات عزّه اللّه أنّه شديد العقاب بالنسبه إلى من يشاقّ اللّه.

و يشرع السياق فى بيان أصول التكافل الاجتماعى بين المسلمين عبر نقاط متواصله:

الأولى:إنّ ما أفاءه اللّه على رسوله من دون حرب فهو للّه و للرسول و للمستضعفين من المسلمين.

الثانيه:إنّ الهدف من توزيع الثروه منع تراكمها بين الأغنياء فقط.

الثالثه:الفقراء من المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ابتغاء رضوان اللّه و نصروا اللّه و رسوله أولئك هم الصادقون فهم يستحقّون الفىء.

الرابعه:الذين سبقوهم إلى دار الإيمان و هم الأنصار لا يجدون فى أنفسهم حاجه ممّا أوتوا،لأنّهم يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصه،و لأنّ اللّه قد وقاهم شحّ أنفسهم، وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .

و هكذا تتدرّج آيات السوره ابتداء من التكافل الاجتماعى لتبلغ أسمى

ص:۲۰۴

مراحل الأخوه الإیمانیه المتمثله فی الإیثار.و یبدو أنّ هذه البصیره هی محور السوره کلّها.

الخامسه:لکی تبقی مسیره الأخوه عبر الأجیال فإن المؤمنین یستغفرون اللّه لمن سبقهم بالإیمان.

السادسه:إنّ المؤمنین یدعون ربّهم دوما أن ینزع من صدورهم أیّ غلّ تجاه إخوتهم المؤمنین.

السابعه:و کما یضرب القرآن لنا مثلا أعلی للأخوه بین أبناء البشر فی قصه الأنصار(من أهل المدینه)و المهاجرین(من غیرهم) و ما کان بینهم من إیثار وحب،یسوق أمثوله من واقع المنافقین(من أهل المدینه)و کفّار أهل الکتاب(من غیرهم)و کیف سادت علاقاتهم الخیانه،فقد وعدوهم بأن ینصروهم إن هوجموا و اللّه یشهد أنّهم لکاذبون،کما یسوق أمثوله أخری من واقع الیهود و کیف أنّهم یفقدون التمسک بعزّه اللّه فتراهم یرهبون منکم،کما أنّ قلوبهم شتی فیما بینهم لأنّهم قوم لا یعقلون.

و هکذا علاقه الشیطان بمن یتبعه،یأمره بالکفر(و یمنّیه بالنصر)و لکنّه یخذله، و یقول: إِنِّی أَخافُ اللّهَ رَبَّ الْعالَمِینَ ،فیکون عاقبتهما النار خالدین فیها.

الثامنه:و لکی تنمو فی الامّه روح التقوی التی هی أصل کلّ خیر فإنّ اللّه یأمرنا بأنّ ننظر ماذا نقدّم لدار مقرّنا التی ننتقل إلیها غدا،و یأمرنا بذکره أبدا، لأنّ من ینسی اللّه ینسیه اللّه نفسه،و أن نسعی لنکون من أهل بالجنه(التی سبقت الإشاره إلیهم،و کیف یؤثرون علی أنفسهم و لو کان بهم خصاصه)،و أن نحذر مصیر أهل النار فهما لا یستویان مثل،أصحاب الجنه هم الفائزون.

ص:۲۰۵

و فی ختـام الآـیه یتحف ربّنـا رسوله و المؤمنین ببیان أسـمائه الحسـنی عبر آیات لو أنزلت علی جبل لرأیته خاشـعا متصـدّعا من خشیه اللّه..

و إذا تفکرنا فی هذه الأسماء و وعیناها فإنّ الإنصهار فی بوتقه التوحید و الخروج من شحّ الذّات یکون ممکنا بإذن اللّه.

ص:۲۰۶

[سوره الحشر (۵۹): الآیات ۱ الی ۸]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ . سَبَّحَ لِلّٰهِ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی اَلْأَرْضِ وَ هُوَ اَلْعَزِیزُ اَلْحَکِیمُ (۱) هُوَ اَلَّذِی أَخْرَجَ اَلَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ اَلْکِتٰابِ مِنْ دِیٰارِهِمْ لِأَوَّلِ اَلْحَشْرِ مٰا ظَنَنْتُمْ أَنْ یَخْرُجُوا وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مٰانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اَللّٰهِ فَأَتٰاهُمُ اَللّٰهُ مِنْ حَیْثُ لَمْ یَحْتَسِبُوا وَ قَذَفَ فِی قُلُوبِهِمُ اَلرُّعْبَ یُخْرِبُونَ بُیُوتَهُمْ بِأَیْدِیهِمْ وَ أَیْدِی اَلْمُؤْمِنِینَ فَاعْتَبِرُوا یٰا أُولِی اَلْأَبْصٰارِ (۲) وَ لَوْ لاٰ أَنْ کَتَبَ اَللّٰهُ عَلَیْهِمُ اَلْجَلاٰءَ لَعَذَّبَهُمْ فِی اَلدُّنْیٰا وَ لَهُمْ فِی اَلْآخِرَهِ عَذٰابُ اَلنّٰارِ (۳) ذٰلِکَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ مَنْ یُشَاقِّ اَللّٰهَ فَإِنَّ اَللّٰهَ شَدِیدُ اَلْعِقٰابِ (۴) مٰا قَطَعْتُمْ مِنْ لِینَهٍ أَوْ تَرَکْتُمُوهٰا قٰائِمَهً عَلیٰ أُصُولِهٰا فَبِإِذْنِ اَللّٰهِ وَ لِیُخْزِیَ اَلْفٰاسِقِینَ (۵) وَ مٰا أَفٰاءَ اَللّٰهُ عَلیٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمٰا أَوْجَفْتُمْ عَلَیْهِ مِنْ خَیْلٍ وَ لاٰ رِکٰابٍ وَ لٰکِنَّ اَللّٰهَ یُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلیٰ مَنْ یَشٰاءُ وَ اَللّٰهُ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ (۶) مٰا أَفٰاءَ اَللّٰهُ عَلیٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ اَلْقُریٰ فَلِلّٰهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِی اَلْقُرْبیٰ وَ اَلْیَتٰامیٰ وَ اَلْمَسٰاکِینِ وَ اِبْنِ اَلسَّبِیلِ کَیْ لاٰ یَکُونَ دُولَهً بَیْنَ اَلْأَغْنِیٰاءِ مِنْکُمْ وَ مٰا آتٰاکُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ إِنَّ اَللّٰهَ شَدِیدُ اَلْعِقٰابِ (۷) لِلْفُقَرٰاءِ اَلْمُهٰاجِرِینَ اَلَّذِینَ أُخْرِجُوا مِنْ دِیٰارِهِمْ وَ أَمْوٰالِهِمْ یَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اَللّٰهِ وَ رِضْوٰاناً وَ یَنْصُرُونَ اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ أُولٰئِکَ هُمُ اَلصّٰادِقُونَ (۸)

اللغه

۱[الحشر]:الجمیع مع سوق،و المحشر:موضع الحشر،و فی کتاب مقاییس اللغه:أن الحشر بمعنی الحشر،و فیه زیاده معنی، و هو السوق و البعث و الانبعاث،و سمیت الحشره حشره لکثرتها و انبعاثها لطلب الرزق،و فی مفردات الراغب:الحشر:إخراج الجماعه عن مقرهم و ازعاجهم عنه إلی الحرب و نحوها،و لا یقال الحشر الا فی جماعه.

۳[الجلاء]:هو الانکشاف،و أجلی عن البلد:أبعد و أخرج،و قیل أن الجلاء فی الآیه:هو رفع المانع عنهم حتی یجلوا و یخرجوا،و فی مجمع البیان:الجلاء:الانتقال عن الدیار.

۵[لینه]:النخله،و أصل اللینه واوا فقلبت یاء،و قیل اللینه من اللیونه،و هی کل ثمر لیّن،و قوی ذلک الراغب فی مفرداته،و جمع بین المعنیین فقال:هی النخله اللیّنه الناعمه.

۶[أوجف]:سرعه السير،و اوجفت الخيل أسرعته.و قيل الوجوف سرعه مع اضطراب،و استدلوا بقوله:« قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وٰاجِفَةٌ »أى مضطربه.

ركاب:هى الإبل،و فى التحقيق فى كلمات القرآن:

الركاب:مصدر بمعنى استقرار شىء على آخر،ثم صار أسماء لكل ما يتحقق بوسيلته الحمل و النقل،و قديما قيل هو الجمل لقوته و تحمله و صبره،و فى الصحاح:يقال:مر بنا راكب..إذا كان على بصير خاصه،و الرّكاب:المطىّ واحدتها راحله، و المركب السفينه،و جمعها مراكب،و الركبان:الجماعه من راكبى الإبل،و قيل:ان المركب السفينه،و الجمل يسمى سفينه.

۷[دوله]:تداول القوم الشىء تداولا،و هو حصوله فى زيد هذا تاره و فى يد هذا أخرى،و الأصل هو الانتقال.

ص:۲۰۹

يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلىٰ مَنْ يَشٰاءُ

هدى من الآيات:

هاجر النبى(صلّى اللّه عليه و آله و سلم)إلى يثرب،ليتسنى له أن يبنى فى جوّ من الاطمئنان حركته الحضاريه،و يعدّ المؤمنين للدّور التاريخى الهام الذى ينتظرهم.

و لكنه وجد مدينته محاطه بمجاميع من الأعداء لا يقولن خطرا عليه و على الرساله من طغاه قريش،و هم بنو النضير،و بنو قريضه،و بنو قينقاع من قبائل اليهود،و قد أهمهم الدين الجديد باعتبارهم أصحاب رساله سابقه،و اعتبروه خطرا على مصالحهم و كيانهم،و ربما يدفعهم العداء مع دين الإسلام الى الدخول فى الحرب ضده.

و حيث لا تغيب هذه الحتميات عن الرسول(صلّى اللّه عليه و آله و سلم)فقد سعى لإبراهيم المعاهده الأمنيه معهم لتحييدهم،و ليتوجّه إلى بناء الأمه الجديده،و اعدادها لدورها الحضارى.

ص:۲۱۱

و لكن اليهود نقضوا العهد عداوه للّه و لرسوله،و حسدا من عند أنفسهم،و كان ذلك أن أتاهم رسول اللّه يستلفهم ديه رجلين قتلهما رجل من أصحابه،و كان بينهم كعب بن الأشرف،فلما دخل على كعب قال:مرحبا يا أبا القاسم و أهلا،و قام كأنه يصنع له الطعام،و حدّث نفسه أن يقتل رسول اللّه(صلّى اللّه عليه و آله و سلم)و يتبع أصحابه،فنزل جبرئيل فأخبره بذلك،فرجع رسول اللّه(صلّى اللّه عليه و آله و سلم)الى المدينه(و

قيل: انهم قالوا:نعم.يا أبا القاسم!نعينك على ما أحببت،ثم خلا بعضهم ببعض،فقال(كعب بن الأشرف):انكم لن تجدوا الرجل على مثل حالته هذه،و رسول اللّه الى جانب جدار من بيوتهم قاعد،فقالوا:من رجل يعلوا على هذا البيت يلقى عليه صخره،و رسول اللّه فى نفر من أصحابه فأتاه الخبر من السماء بما أراد القوم،فقام و قال لأصحابه:«لا تبرحوا»فخرج راجعا الى المدينه،و لما استبطأوا النبى(صلّى اللّه عليه و آله و سلم)قاموا فى طلبه..حتى انتهوا اليه فأخبرهم الخبر بما أرادت اليهود من الغدر و أمر رسول اللّه(صلّى اللّه عليه و آله و سلم)محمد بن مسلمه بقتل كعب بن الأشرف(فقتله)و أخذ رأسه (۱).

و عزم(صلّى اللّه عليه و آله و سلم)على قتالهم لما وجده فيهم من العداوه و الغدر، بالذات و قد علم بالطابور الخامس للمنافقين الذى يتصل بهم فقال لمحمد بن مسلمه الأنصارى:«اذهب إلى بنى النضير فأخبرهم:أنّ اللّه عزّ و جلّ قد أخبرنى بما هممتم به من الغدر،فاما أن تخرجوا من بلدنا،و أمّا ان تأذنوا بحرب»فقالوا:

نخرج من بلادك،فبعث إليهم عبد اللّه ابن أبى(رأس النفاق):لا تخرجوا، و تقيموا،و تنابذوا محمدا الحرب،فانى أنصركم أنا و قومى و حلفائى،فان خرجتم خرجت معكم،و ان قاتلتم قاتلت معكم(و كان يطمع فى غلبتهم على المؤمنين لما فيه من المصلحه الماديّه له و لأعوانه)فأقاموا و أصلحوا بينهم حصونهم،و تهيأوا

۱- ۱) مجمع البيان/ج ۹ ص ۲۵۷

للقتال،و بعثوا إلی رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و آله و سلم):انّا لا نخرج فاصنع ما أنت صانع،فقام رسول اللّه،و کبر و کبر أصحابه و قال لأمیر المؤمنین(علیه السلام):

تقدم علی بنی النضیر،فأخذ أمیر المؤمنین الرایه و تقدم،و جاء رسول اللّه (صلّی اللّه علیه و آله و سلم)و أحاط بحصنهم(یحاصرهم اقتصادیا و معاشیا و اجتماعیا لیستسلموا،و لکی لا یتصلوا بقریش فتدعمهم)و غدر بهم عبد اللّه بن أبی،و کان رسول اللّه إذا ظهر بمقدم بیوتهم حصنوا ما یلیهم،و ضربوا ما یلیه(حتی لا ینتفع به فی شیء)و کان الرجل منهم ممن کان له بیت حسن خرّبه(کما تفعل الکثیر من الجیوش حینما تنسحب من أی مدینه أو منطقه)و قد کان رسول اللّه امر بقطع نخلهم(حتی لا یستفیدوا منها فی أکل و لا تحصن)فجزعوا من ذلک و قالوا:

یا محمد!ان اللّه یأمرک بالفساد؟ان کان لک هذا فخذه،و ان کان لنا فلا تقطعه، فلما کان بعد ذلک قالوا:یا محمد!نخرج من بلادک فأعطنا مالنا،(مما دل علی ضعفهم و تنازلهم عن موقفهم السابق)فقال:«لا و لکن تخرجون و لکم ما حملت الإبل»فلم یقبلوا ذلک،فبقوا أیاما،ثم قالوا(و قد ضعفوا و تنازلوا أکثر):نخرج و لنا ما حملت الإبل،فقال:«لا و لکن تخرجون و لا یحمل أحد منکم شیئا،فمن وجدنا معه شیئا من ذلک قتلناه»(و کان هذا الموقف الحازم و المتصلب من القیاده الرسالیه یؤکد فی نفوسهم الضعف و قوه المسلمین)فخرجوا علی ذلک، و دفع منهم قوم الی فدک،و وادی القری،و خرج قوم منهم الی الشام (1).

و تحققت للرسول بذلک ثلاثه اهداف:قضاؤه علی عدو خطیر أولا،و قطع دابر المنافقین المعتمدین علیهم و آمالهم،و أضعاف جهتهم ثانیا،و کسب الهیبه بین الأعداء المتبقین کقریش ثالثا.و فی البعد الاستراتیجی طهّر شبه الجزیره من الوجود الیهودی.

۱- ۱) تفسیر القمی/ج ۲ ص ۳۵۹

بينات من الآيات:

[۱]معرفه اللّه أعظم باعث للإنسان نحو عبادته و التسليم له،و خير ضمانه للاستقامه على ذلك،و منهج معرفته تنزيهه عن الشريك،و معرفه أسمائه الحسنى لنعرف أنه سبحانه أهل للعباده فتسلم له نفوسنا و عقولنا و جوارحنا و قد ألهم ربنا كلّ شيء قدرا من نور معرفته،فاذا بكل شيء يسبح بحمده،« وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّٰ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ».

سَبَّحَ لِلّٰهِ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي الْأَرْضِ تسبيحا تكوينيا بما فيها من عجز و محدوديه،اللذان يعنيان افتقارها الى الخالق و المدبر،و تسبيحا عمليا حيث خضع كلّ شيء لإرادته و سننه،و استجاب لأمره و نهيه،تسبيحا ناطقا كل بلسانه،و لو أن مخلوقا مختارا كالإنسان تمرد فلم يستجب للّه،و لم يتلفظ بذكره،فانه لا يستطيع الخروج عن تسبيحه بصوره تكوينيه كما يقاوم إرادته و سننه،بل و لا يمكنه البقاء على ذلك إلى الأبد،فإذا لم يستجب بإرادته و اختياره فسوف يخضع بكل وجوده فى القيامه حيث يكون الدين للّه.

و شذوذ الإنسان عن مسيره الوجود من حوله إذا رفض الاستجابه لربه لا يغيّر من شأنه عزّ و جلّ شيئا،فهو بذاته منزّه سواء سبحه خلقه أم لا،ذلك لأن تعاليه و سموه عن الشريك و العجز و المحدوديه حقائق ذاتيه و ليست مكتسبه.

وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ تتجلى عزته و حكمته فى الوجود،و فى مسيره البشريه،و فى كتابه الذى تجلى فيه لخلقه،و يؤكد القرآن هاتين الصفتين فى مطلع السوره و خاتمتها لما فى آياتها من

تجلیاتهما،ففیها الحدیث عن هزیمه أعدائه،و عن غلبته و رسله علیهم الذی یعکس عزته،و فیها بیان التدبیر،و حکمه بعض أحکامه و تشریعاته.

[۲]و یذکّر القرآن بإحدی الحوادث التاریخیه،التی تعکس بأحداثها و آثارها عزه اللّه و حکمته،حیث یضع أمامنا صوره واقعیه لغلبته و رسله،و یفصل فیها القول مما یجلّی عزته و حکمته،فبعزته کتب الهزیمه علی أعدائه،و النصر لرسوله و للمؤمنین،و بحکمته أعطی هذا النصر الکبیر للمسلمین من دون تضحیات.

هُوَ الَّذِی أَخْرَجَ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْکِتٰابِ مِنْ دِیٰارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ و الحشر هو الجمع و السوق الی جهه ما،و فی المنجد حشره عن بلاده:جلاه، و الجمع أخرجه من مکان الی آخر (۱)و فی هذه الآیه و الآیه الثالثه إشاره الی أنه الإخراج« مٰا ظَنَنْتُمْ أَنْ یَخْرُجُوا »و الاجلاء« کَتَبَ اللّٰهُ عَلَیْهِمُ الْجَلاٰءَ »و المعنی:

انه تعالی أخرج الیهود لأول جلاء لهم من شبه الجزیره کمرحله أولی،یتبعها جلاء بعد آخر حتی لا یبقی منهم أحد،و قد حدث ذلک بالفعل لمّا قویت شوکه المسلمین،و أحس الیهود بالخطر،و أن جلاءهم یمتد الی حشر القیامه دون رجعه الی دیارهم.

و قد قال تعالی: اَلَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْکِتٰابِ و لم یقل:أهل الکتاب.

لماذا؟لعل ذلک لأن حرب اللّه علیهم،و موقف حزبه منهم لا ینطلق من عنصریه و لا حسد،باعتبارهم أهل کتاب آخر،انما ینطلق من موقفهم العدائی تجاه اللّه و القرآن و الرسول،فقد تآمروا علی النبی و نقضوا عهدهم مع المسلمین،و سعوا للتحالف مع کفّار مکه و المشرکیها ضدهما،و ذلک انه لما هزم المسلمون یوم أحد

۱- ۱) راجع ماده حشر

ارتـابوا،و نكثـوا،و طمعـوا فيهـم،فخرج كعب بن الأشـرف فی أربعين راكبـا الی مكه و حـالفوا أبـا سـفيان عنـد الكعبه (۱)،فأهل الكتاب إذا التزموا بكتابهم،و عهودهم، فإنهم محترمون فی الإسـلام،أما إذا كفروا،و تآمروا،فقد خرجوا من ذمه الإسلام، و وجب قتـالهم،و اجلاـؤهم عـن بلاـد المسـلمين،و هـذا مـا حـديث بالضـبط مع يهـود بنی النضـير و غيرهـم،و هـذا الرأی أقرب من تفسير«كفروا»بأنه عدم اعتناق الإسلام، لان اللّه لا يكرههم عليه،و لا يعتبر كونهم من النصاری أو اليهود مبررا لقتالهم.

أبدا،بل يفرض لهم حق العيش بأمن فی ذمه الإسـلام و المسـلمين،و يدافع عنهم كأی مواطن مسـلم ضمن عهود و حدود مفصله فی كتب الفقه،

فهـذا أمير المؤمنين (عليه السـلام)يتألم للمسـلمه المتعدی عليها فی ظله كتألمه علی الأخری الكتابيه لا يفرّق بينهما فيقول:«و لقد بلغنی أن الرجل منهم كان يدخل علی المرأه المسلمه،و الأخری المعاهده فينتزع حجلها و قلبها و قلائدها و رعثها..فلو ان امرء.

مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما،بل كان به عندی جديرا » (۲).

هـذا هو واقع الإسـلام،و المنطلق السـليم الـذی ينبغی اعتباره فی تحليل التاريخ، و مواقف المسـلمين من أهل الكتاب،أما الأحقاد الموجهه ضد هما من الصـهيونيه و الصـليبيه فهی لا تأسس إلّا علی الحسد و الأهواء و المصالح،و بالذات بعد ارتباط الكنيست و الفاتيكـان بعجله الاسـتكبار العـالمی.بلی.إذا حرّف أهـل الكتاب كتابهم،و تحولوا الی مسـيره مناقضه لقيمه الحقيقه،و إلی حرب الإسلام و قيادته و اتباعه وجبت محاربتهم،لأنهم حينئذ ليسوا من رسالات اللّه و أنبيائه علی شیء.

و نعود إلی أول الآيه عند قوله:«هو» و نتساءل لماذا يثبت اللّه إرادته و يؤكدها فی هذا الموضع بالذات؟

۱- ۱) التفسير الكبير/ص ۲۷۸ عند الموضع

۲- ۲) نهج/ج ۲۷ ص ۶۹

أولا:لأن الانتصارات و المكاسب التى يحرزها المؤمنون إنما هى بإراده اللّه.

ثانيا:و تأكيد القرآن على هذه الحقيقه يكون أشد ضروره خاصه و ان هذه الآيات تبحث حادث اجلاء اليهود الذى تم من دون قتال عسكرى،و ما تلاه من احكام توزيع الفىء،الذى خص به النبى(صلّى اللّه عليه و آله و سلم)فريقا من الناس دون آخرين،و اثار حولها المنافقون الشبهات،فان تذكير المسلمين بأن الإجلاء جاء نتيجه إراده الهيه،و من دون قتال يوحى بان اللّه هو الذى أخرج الأعداء،و أن المكاسب الماديه فى الفىء يتصرف فيها النبى كيف يشاء،الأمر الذى يبطل شبهات المنافقين حول تقسيم الفىء.

ثم يؤكد دور الاراده فى نصره المسلمين و جلاء اليهود،و كيف أنّها رغم الظروف و الظنون المعاكسه غيّرت المعادله،فلم يكن المسلمون و هم يلاحظون قوّه اليهود و يلاحظون قدراتهم المحدوده من جهه أخرى يظنون بأن اليهود سوف يخرجون،ثم أن اليهود من جانبهم و هم المدججون بالسلاح،و أصحاب الخيرات، و المحصنون بالقلاع ما كان يخطر على بالهم بأن قوه تستطيع الإنتصار عليهم و إخراجهم.

مٰا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا كما أن الغرور بلغ باليهود حدّا تصوروا أنهم يمتنعون حتى من قدره اللّه و إرادته،أما المنافقون و اليهود أنفسهم و الذين ينظرون الى الحياه بمقاييس مادّيه ظاهره،و لا يحسبون للغيب حسابا،فقد جزموا بانتصار جبهتهم و هزيمه حزب اللّه، بل راح المنافقون يكاتبون بنى النضير،يشجعونهم على الصمود.

و لو أننا درسنا قضيه الصراع الإسلامى الصهيونى القائم اليوم بكل أبعاده

لوجدناه صوره أخرى لهذه الآيه الكريمه،فبعض المسلمين اليوم يزعمون بأن اليهود لا يخرجون من فلسطين.الأمر الذى دفع الكثير منهم الى الاستسلام و رفع رايه التطبيع.و الصهاينه الذين تدعمهم القوى الاستكباريه يجدون أنفسهم محصنين ضد أى قوه،و أنّهم أقوياء،و يدفعهم هذا الغرور ليس إلى الإصرار على البقاء فى فلسطين،بل يثير فيهم الأطماع التوسعيه أيضا.

و لكن قوه اللّه فوقهم و سوف يهزمهم بجنده« وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمٰا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ لِيُتَبِّرُوا مٰا عَلَوْا تَتْبِيراً » (۱).

و سيأتى اليوم الذى يتأكد للصهاينه الغاصبين و من يدعمهم ان قوتهم لا تغنى عنهم شيئا،فان اللّه يعلم نقاط ضعفهم،ولديه من الأساليب و المكر ما لا قبل لهم به،فقد اغتر آباؤهم و أسلافهم، وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مٰانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللّٰهِ فاعتمدوا على العوامل الظاهريه،و خططوا على أساسها،بما هو فى نظرهم خطه محكمه،لا يمكن تحديها،و لكن غاب عنهم الكثير من الحتميات و الحقائق فلم يحسبوا لها حسابا،و ما عسى يبلغ البشر من العلم حتى يحيط بكل شيء؟! فَأَتٰاهُمُ اللّٰهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا قال أغلب المفسرين:بأن قذف فى قلوبهم الرعب،و الذى يظهر بأن ما لم يحتسبوه كان شيئا آخر غير الرعب إذ لو كان الرعب لاتى التعبير«فقذف»و الحال انه قال بعدها(و قذف)و لعله اغفلوا فى خططهم حتى بعض الجوانب الظاهره مما

۱- ۱) الإسراء/۷

يدل على ان القوى الظاهره المستكبره و الطاغيه لا تستطيع سد كل الثغرات فى كيانها مما يسمح للمؤمنين دحرهم من خلالها،فمثلا حصون اليهود فى أطراف المدينه المنوره كانت تقاوم بعض الحملات الطائشه التى تشنها الأعراب ضدّ المناطق الآهله و لكنها لم تكن لتصمد أمام قوه رساليه يقودها قائد فذ.

ثم انها كانت قائمه ضمن معادلات سياسيه،و تحالفات عسكريه انهارت جميعا بعد استقرار الرسول فى المدينه،و ربما يشير الى ذلك السياق فى الآيات التاليه.

و هكذا حاصر المسلمون تلك القلاع أكثر من عشرين ليله مما اضطرهم للاستسلام.

وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ إذا فهناك عاملان لهزيمتهم:الأول:ظاهرى مادى،و هو إتيان اللّه لهم من خارج حساباتهم و خططهم،و الثانى:خفى و هو الرعب،لأن السلاح مهما كان متطورا فتّاكا لا يجدى نفعها إذا سلب صاحبه إراده القتال،و تضعضع جانبه المعنوى،و لذلك يعتبر السلاح المعنوى(تقويه معنويات الجندى و تضعيف العدو) من أهم عوامل النصر،و من أجله يرصد المتحاربون الأموال و الإمكانات الطائله، و يخصصون له الوسائل و الخبرات الكثيره المؤثره،و يسعون للإبداع فيه ما أمكنهم.

و سلاح الرعب و الخوف،و سلب المعنويات من أمضى و أظهر الأسلحه التى أيّد اللّه بها نبىّ الإسلام،و اعتمدها المسلمون فى حروبهم،و فى مواجهه النبى مع بنى النضير القى اللّه الرعب فى قلوب اليهود حتى استوعبها كلها،فتغيرت المعادله من الكبرياء و الغرور الى الهزيمه النفسيه،و قد عمد النبى نفسه الى استخدام سلاح الرعب حيث امر باغتيال كعب بن الأشرف،و لعل هدمه لبعض دورهم،و قطع نخيلهم كان فى بعض جوانبه جزء من خطّه إرعابهم.

و حينما يهيمن الرعب على القلوب فانه يفقد العدو القدره على التخطيط السليم،لأن من أهم ما يحتاجه الإنسان لكى يكون تفكيره منطقيا و معقولا الاستقرار و الاطمئنان الداخلى،و قد فقد اليهود ذلك فخرجوا من التعقل الى الانفعال،فصاروا يخططون و يعملون ضد أنفسهم من حيث لا يشعرون،حيث راحوا يهدمون بيوتهم بأيديهم حتى لا ينتفع بها المؤمنون،و قيل حتى يصبح ركام الخرائب حائلا دون تقدم المسلمين،و قيل:ليفسح لهم المجال للمناوره فى الحرب، و غاب عنهم انهم أظهروا بذلك التصرف هزيمتهم للمسلمين مما قوى معنويات عدوهم فصاروا متيقنين بالنصر بعد أن كانوا لا يظنون بأن اليهود يخرجون،و أنهم أعانوا المؤمنين على تحقيق أهمّ أهدافهم من المواجهه معهم و هو تقويض كيانهم و وجودهم.

يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ و هذه الحادثه التاريخيه و أمثالها حريّه بالدراسه و التحليل لما فيها من المنفعه الدنيويه و الأخرويه للإنسان،و المؤمنون أولى من غيرهم بدراستها لأنها جزء من تاريخ حضارتهم،و لأنها تعنيهم و تهمهم أكثر من أىّ أحد.

فَاعْتَبِرُوا يٰا أُولِي الْأَبْصٰارِ و الإعتبار هو العبور من الظواهر إلى الحقائق،و من الأحداث إلى خلفياتها، و العبره الحقيقيه ليست بأن يستفيد الإنسان من دراسته لأى حدث أو قضيّه أفكارا علميّه و نظريات و خططا و حسب،بل هى بالإضافه إلى ذلك أن تنعكس على سلوكه الشخصى فى الحياه،و يهتدى بها إلى أهمّ العبر و المواعظ و هى الإيمان باللّه عزّ و جلّ.و لا يصل الى هذه الغايه إلاّ أولو البصائر السليمه،

فقد قال الإمام الصادق(عليه السلام) :«و لا يصح الاعتبار إلاّ لأهل الصفا و البصيره» (1)ثم

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۵ ص ۲۷۴

تلا الآیه.

و من أهمّ العبر التی نستفیدها من هذا الحادث التاریخی هو معرفه حکمه اللّه و عزته،و الثقه بنصره للمؤمنین رغم الظروف و العوامل المعاکسه،و ما أحوجنا و نحن نقف الیوم فی جبهه الصراع ضد أعداء الأمه الإسلامیه،و بالذات ضد الصهاینه الغاصبین أن نتسلح بهذه البصیره،و ننتفع من دراسه تلک التجربه التاریخیه.

[۴-۳]و تأتی الآیه الثالثه لتضعنا أمام النتیجه التی انتهی إلیها الصراع، حیث سلط اللّه رسوله علی الیهود، فکتب للمؤمنین النصر و لهم الجلاء عن المدینه الی بلاد الشام و غیرها،و یلفتنا القرآن إلی سماحه الإسلام،و کیف انه لا یدفع أبناءه الی الصراع من منطلقات الحقد،و إنما یدفعهم الیه بدوافع إلهیه و انسانیه، فمع استسلام الیهود،و تمکن المؤمنین منهم،لم تندفع القیاده الرسالیه الی الانتقام،إنّما أمضت حکم اللّه فی القضیه بإجلائهم و مصادره ممتلکاتهم-الا ما یلزمهم للطریق-و هذا بذاته تأکید آخر علی أن موقف الإسلام من أهل الکتاب لا یتأسس علی المطامع أو العنصریه أو أیّ شیء غیر الحق،و الا لقتلوهم، و استعبدوهم،و سبوا نساءهم.

وَ لَوْ لاٰ أَنْ کَتَبَ اللّٰهُ عَلَیْهِمُ الْجَلاٰءَ لَعَذَّبَهُمْ فِی الدُّنْیٰا علی أیدی المؤمنین أو بطریقه أخری،دون ان یقتصر الأمر فی إجلائهم،أو یؤخر عذابهم إلی الآخره.

وَ لَهُمْ فِی الْآخِرَهِ عَذٰابُ النّٰارِ و نهتدی من هذه الآیه الی أن العذاب الذی یلقاه المجرم المصرّ فی الدنیا لا یرفع عنه عذاب الآخره،إنّما یواجه الاثنین معا.

ص:۲۲۱

و هل كتب اللّه عليهم الجلاء و نفذ المسلمون حكمه فيهم لمجرد كونهم يهود كما يزعم الصهاينه الحاقدون،و يوغرون صدور يهود العالم بالعداء و الحقد عبر إعلامهم المضلل و مناهجهم التربويه المنحرفه ضد الإسلام و المسلمين؟!!كلاّ..إنما الذى حدث كان نتيجه خيانتهم العهد،و محاربتهم اللّه و رسوله.

ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ اى وقفوا قبالتهما على شقّ آخر،ناصبين أنفسهم للحرب ضد هما، ضاربين عرض الحائط كلّ المعاهدات.إلى هذا الحضيض بلغت العنصريه و نظره التأليه للذّات باليهود،انهم يعطون لأنفسهم الحق فى محاربه اللّه و أوليائه،و نقض العهد، و متى شاءت أهواؤهم،لأنهم و هم يعتبرون أنفسهم أبناء اللّه و شعبه المختار،يرون أنفسهم فوق الحقّ و الدين،و أن لهم الرأى و التصرف المطلق فى كلّ أمر.و هذه صفه كل من تتضخم ذاته عنده،أو ليس اليهود يزعمون بأنهم النخبه،و ان كل الناس خلقوا لخدمتهم؟!ثم أ ليسوا هم الذين قالوا:« لَيْسَ عَلَيْنٰا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ »؟! بلى.و لكن هل يستطيعون مواجهه سنن اللّه و إرادته؟كلا...

وَ مَنْ يُشَاقِّ اللّٰهَ فَإِنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقٰابِ و لم يقل العذاب،لأن كلمه العقاب تنطوى على معنى العذاب و الجزاء معا، و هى أصلح لهذا الموضع،و فى الآيه تحذير لكل من يعادى الحق و رموزه،بغض النظر عن صفته و انتمائه و مذهبه،و هذه العباره كانت فى يومها و لا تزال تحذيرا لكلّ من تسوّل له نفسه محاربه الحق،و قد قال تعالى: ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ ثم قال وَ مَنْ يُشَاقِّ اللّٰهَ دون ذكر الرسول،و ذلك ليهدينا إلى أن الموقف السلبى من القياده الرساليه يعتبره الرب موقفا ضده،و بالتالى فإننا نعرف أعداء اللّه من خلال مواقفهم من القياده الرساليه.

[۶-۵]و يقـدّم اللّه هذه الحقيقه:أن الجلاء كان نتيجه مشاقّه اليهود للّه و لرسوله،و التأكيد على أن العقاب الشديد سوف ينال كلّ مشاقّ له سبحانه، يقدمها كمدخل لعلاج شبهتين أثارهما اليهود و المنافقون حول النبى (صلّى اللّه عليه و آله)و مكانته القياديه و همـا قطع النخـل،و تقسـيم الفىء،ذلك لكى يحصن المؤمنين ضـد الاعلام المضـلّل،و ليعلموا أن المشاقّه لا تتحـدد باليهود، و لا تنحصـر فى حمل السـيف،بل إن الشك فى قياده النبى و التخلف عن طاعته هو الآخر مشاقه يستحق صاحبها العقاب الشديد كما استحق ذلك اليهود.

فقـد سـعت اليهود بعـد أن أمر النـبى بقطع النخيـل لاسـتغلال الحـدث من أجـل تشـكيك المؤمنين فى قيـادته(صـلّى اللّه عليه و آله)فقالوا:ما ذنب شـجره و أنتم تزعمون انكم مصلحون (۱)،و تلقّفت ألسن المرجفين المنافقين هذه الشـبهه تشيعها فى صفوف المؤمنين،فسفه الوحى هذه الشبهه ورد شائعات المنافقين بالتأكيد على أن القرار فى هذه القضيه لم يكن من عند النبى و لا بهواه انما هو امر اللّه سبحانه.

مٰا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهٰا قٰائِمَةً عَلىٰ أُصُولِهٰا فَبِإِذْنِ اللّٰهِ و اللينه هى كل نخله لينه لما تمت و تيبس،و قيل:هو اسم لنوع من أجود التمر فى المـدينه و نخلتهـا تسـمى اللينه فـالرسول إذا يعمـل بأمر اللّه و حكمه،و إذا ما طبق المؤمنون أوامره و أطاعوه فإنما ينفـذون إراده اللّه،و يجرون أحكـامه و شـرائعه،فلاـ داعى أن يصـغوا لتلـك الشـبهات و الشائعات لأنّها تجعل الإنسان مشاقّا له و لرسوله، و ما دام أمر القياده الرساليه هو أمر اللّه فالمسـلمون ملزمون بالتسـليم له،ثم إن هذا القرار لا يدور فى الفراغ و العبث،إنما يرتكز على خلفيات و اهداف أهمها أنه الجزاء

ص:۲۲۳

۱- ۱) الدر المنثور/ج ۶ ص ۱۸۷

الأنسب لأعداء اللّه.

وَ لِيُخْزِيَ الْفاسِقِينَ و لعلنا نفهم من هذا المقطع أن استئصال النخل.كان يدخل فى سياق تضييق الحصار،و إدخال الرعب الى قلوبهم،و استئصال وجودهم من المدينه و من حولها.

جزاء فسقهم و مشاقتهم،فمع أن الإسلام دين الصلاح و الإصلاح،و ينهى عن الفساد فى الأرض،و يعتبره من صفات الرجل الطاغيه الذى لا يحبه اللّه،قال تعالى: وَ إِذا تَوَلّى سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ (١)وَ اللّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٢)و قال فَاذْكُرُوا آلاءَ اللّهِ وَ لا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣)و لكن الإسلام يبيح إهلاك الزرع و حتى النسل إذا توقف نصر الحق و إجراء العداله على ذلك،لأنه حينئذ سوف يصبح جزء من خطّه الإصلاح،و إنما يحرم إذا كان فسادا،و حينما يدرك المسلمون هذه الخلفيات و القيم الهامّه فلن تؤثر فيهم الشبهات و الشائعات،و سوف يسلمون لقيادتهم و دينهم عن قناعه راسخه.

اما الشبهه الثانيه:فقد انطلقت من أفواه المنافقين،لما تصرف الرسول فى فىء بنى النضير و صرفه للمهاجرين دون الأنصار،إلا اثنين منهم هما:سهل بن حنيف و أبو دجانه،فاتهم المنافقون الرسول بالانحياز الى قومه من المهاجرين،و حاولوا بذلك إيجاد الفرقه بين الفريقين،و فصل الأنصار عن النبى(صلّى اللّه عليه و آله) و بالتالى إضعاف قيادته و حركته،و الذى يظهر أن أكثرهم كانوا من أهل المدينه الذين لم يعطوا حصه من الفىء،فاندفعوا بهذا العامل و بعامل النفاق المتأصل

١- ١) البقره/٢٠٥

٢- ٢) المائده/۶۴

٣- ٣) الأعراف/٧۴

فيهم للوصول الى أهـدافهم المشؤومه هـذه المره على مطيه حـادث القسـمه-و ليس ذلـك جديـدا فى سـلوكهم-فهم يـتربصون الدوائر بالإسلام و بالقياده الرساليه، و ينتظرون حدوث أدنى شبهه،أو ما يمكن تحويره الى شبهه للنيل من مكانتها.

و لقـد جـاء القرآن ببيان الحكم الفصل فى هـذه القضـيه،و ليضع تشـريعا فى المغانم التى ينالها المسـلمون من الأعـداء بأنها على نوعين:

الأول:ما يتسـلطون عليه بالقتال،فيكون للرسول و للإمام من بعده الخمس من صـفو المال قبل القسمه،و ما بقى يقسم على مقاتلى المسلمين،و يسمى الغنيمه.

الثاني:ما يتسلّطون عليه من دون قتال و هو للرسول و للإمام من بعده خاصّه يتصرّف فيه كيف يشاء،و يسمّى الأنفال.

قال الإمام الصادق(عليه السلام) :

«الأنفال ما لم يوجف عليه بخيل و لا ركاب،أو قوم صالحوا،أو قوم أعطوا بأيديهم،و كل أرض خربه و بطون الأوديه فهو لرسول اللّه،و للإمام من بعده يضعه حيث يشاء » (۱).

و عن معاويه بن وهب قال :قلت لابى عبـد اللّه:السـريه يبعثها الإمام فيصـيبون غنائم كيف تقسم ؟قال:ان قاتلوا عليها مع أمير أمره الإمـام عليهم أخرج منهـا الخمس لله و للرسول،و قسم بينهم أربعه أخمـاس،و إن لم يكونوا قـاتلوا عليهـا المشـركين كـان كل ما غنموا للإمام يجعله حيث يحب (۲).

و الذى ظفر به المسـلمون من بنى النضير كان مما سلط اللّه عليه الرسول بقدرته، و لم يقاتل المسلمون عليه،فهو للنبى خاصه من عند اللّه،و ليس لأحد أن يطالب

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۵ ص ۲۷۵

۲- ۲) وسائل/ج ۱۱ ص ۸۴

فیه بشیء،أو یعترض علی قسمته،فله مطلق التصرف فیه من قبل الباری عز و جل.

وَ مٰا أَفٰاءَ اللّٰهُ عَلیٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ أفاء:أرجع وردّ،و قالوا:انما سمی فیئا لأن اللّه قد جعل الخیرات للرسول، و إنما تصرف فیها الآخرون لمصلحه فاذا حازها الرسول فقد عادت الیه،و اللّه العالم.

فَمٰا أَوْجَفْتُمْ عَلَیْهِ مِنْ خَیْلٍ وَ لاٰ رِکٰابٍ استعدادا و سیرا لقتالهم و حربهم،و الإیجاف السیر السریع و العدو،و المعنی:

أنکم ما کررتم و لا فررتم فی ساحه قتال مع العدو بأفراس و لا بإبل،تقاتلون علیها، و تحملون مؤنکم و أنفسکم عنوه للحرب،حتی یکون لکم نصیب من الفیء جزاء قتالکم،إنما تحقق النّصر بإراده إلهیه مباشره،عملت فی الغیب،و دفعت الیهود الی الاستسلام،و لا یملک أحد یومئذ انکار هذه الحقیقه الواقعیه حتی یجادل، و لو کان المؤمنون قاتلوا لما حکم الیهود بالجلاء،انما کانوا یسبون و یستعبدون جمیعا.

و هذا علاج موضوعی معقول للقضیه.

وَ لٰکِنَّ اللّٰهَ یُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلیٰ مَنْ یَشٰاءُ ینصره علیهم و یصرّفه فیهم و فی ما یملکون مطلق التصرف(تکوینیا و تشریعیا) و هذه الصلاحیه تنتقل إلی الإمام الصالح من بعده،و هی حق و صلاحیه له فی الحکم بفرض اللّه عزّ و جلّ.و تسلیط اللّه لرسله و للمؤمنین علی أعدائهم یجلّی إرادته المطلقه للناس،و لو کان النصر و التمکین ولید القتال بالسیف،و لکنها تکون أظهر و أجلی حینما ینتصرون و لم یوجفوا خیلا و لا رکابا،و لم یتحملوا تبعات قتال.

وَ اللّهُ عَلىٰ كُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ و المؤمنون مطالبون بالتفكر فی هـذا الجانب من تاریخهم و الإعتبار به،فإن ذلك یعمق فیهم المعرفه بربّهم،و یؤكـد لهم سـلامه خطهم،و یعطیهم الثقه بـدینهم، و بأنفسـهم،و كیف تعرف الهزیمه أمه تتیقن بأنهـا مؤیـده لإـراده اللّه المطلقه؟بلی.إن الأمه الإسـلامیه و كذلك الكثیر من الحركات فی التاریخ انهزمت و تراجعت حینما ضعف إیمانها بالغیب،و هی تخوض صراعا قاسیا،و غیر متكافئ مادیا مع الأعداء.

و قبل ان نمضی الی رحاب الآیه اللاحقه

نورد حدیثا مفصلا عن الإمام الصادق (علیه السلام)فی معنی الفیء كما یراه الإسلام، یقول فیه :ان جمیع ما بین السماء و الأرض للّه عزّ و جلّ و لرسوله و لأتباعهما من المؤمنین من أهل هذه الصّفه فما كان من الدنیا فی أیدی المشـركین و الكفار و الظلمه و الفجار من أهل الخلاف لرسول اللّه(صلّی اللّه علیه و آله)و المولی عن طاعتهما،مما كان فی أیدیهم ظلموا فیه المؤمنین من أهل هـذه الصّفات،و غلبوهم علیه،ممـا أفـاء اللّه علی رسوله،فهو حقهم أفـاء اللّه علیهم ورده إلیهم و إنمـا معنی الفیء كلما صار الی المشـركین ثم رجع مما كان قد غلب علیه أو فیه،فما رجع الی مكانه من قول أو فعل فقد فاء مثل قول اللّه عزّ و جلّ: فَإِنْ فٰاؤُ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ أی رجعوا ثم قال:

وَ إِنْ عَزَمُوا الطَّلاٰقَ فَإِنَّ اللّهَ سَمِیعٌ عَلِیمٌ و قال: وَ إِنْ طٰائِفَتٰانِ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَیْنَهُمٰا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدٰاهُمٰا عَلَی الْأُخْریٰ فَقٰاتِلُوا الَّتِی تَبْغِی حَتّٰی تَفِیءَ إِلیٰ أَمْرِ اللّهِ «أی ترجع»فـإن فـاءت«أی رجعت»« فَأَصْلِحُوا بَیْنَهُمٰا بِالْعَدْلِ وَ أَقْسِطُوا إِنَّ اللّهَ یُحِبُّ الْمُقْسِطِینَ »یعنی بقوله«تفیء»ترجع فدل الدلیل علی أن الفیء كلّ راجع الی مكان قد كان علیه أو فیه،و یقال للشـمس إذا زالت قـد فـاءت الشـمس حین یفیء الفیء عنـد رجوع الشـمس إلی زوالهـا،و كـذلك مـا أفـاء اللّه علی المؤمنین من الكفار فانما هی حقوق المؤمنین رجعت إلیهم بعد ظلم الكفار

إیاهم (۱).

[۷]و یبین القرآن حکم الفیء بوجه عام و الخلفیات الموضوعیه لتقسیمه یومئذ.

مٰا أَفٰاءَ اللّٰهُ عَلیٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُریٰ کبنی النضیر و الرسول مسلط من قبل اللّه علی أهل القری« یُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلیٰ مَنْ یَشٰاءُ »و علی أموالهم.

فَلِلّٰهِ کل ذلک،إذا هو الخالق الذی له ملک السموات و الأرض و ما بینهما و ما دونهما،و قد استخلف فی ملکه نبیه و سلطه علیه،لعلمه بأنه لا ینطق عن الهوی،إنما یتبع الوحی و العقل،و یحکم بحکمه،حیث أدبه و عصمه و أیده حتی بلغ قمه الکمال فهو إذا أهل و کفو،لأن یملّکه اللّه ما له من الفیء فیقول:

وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِی الْقُرْبیٰ منه و هم أهل بیته،

قال الصادق(علیه السلام) :«لنا سهم الرسول و سهم ذی القربی،و نحن شرکاء الناس فیما بقی » (۲)و إنما کان للرسول باعتباره الشخصی عند اللّه حیث القرب و المنزله الخصیصه له عنده،و باعتباره القیادی، و هذا الإعتبار(الأخیر)یبقی للأئمه،و القیاده الصالحین من بعده،و للولی الفقیه فی غیبه الإمام المعصوم یتصرف فیه کما یراه علی ضوء النص و العقل و المصلحه،و قد ذکر المفسرون أن الآیه تخصّ قرابه الرسول من بنی هاشم،و قد استفاضت نصوص أهل البیت(علیهم السلام)علی ذلک.

ص:۲۲۸

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۷۴-۲۷۵

۲- ۲) المصدر/ص ۲۷۸

وَ الْيَتامى هل هم من ذوى القربى أم من غيرهم.

جاء فى مجمع البيان:روى المنهال،عن عمر،عن الإمام على بن الحسين (عليه السلام)أنه قال :قلت:قوله« وَ لِذِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ »قال:«هم قرباؤنا،و مساكيننا،و أبناء سبيلنا»ثم قال:و قال جميع الفقهاء:هم يتامى الناس عامه،و كذلك المساكين،و أبناء السبيل،و قد روى ذلك أيضا عنهم (۱).

وَ الْمَساكِينِ الذين لا يجدون قوت يومهم من شده الفقر من ذوى القربى.

وَ ابْنِ السَّبِيلِ الذى انقطع به فى السفر من ذوى القربى.

و لهذه القسمه ثلاثه معطيات:

۱-أنها ترفع حاجه المعوزين مما يحبّبهم فى الدين و فى القياده،و ينفى أسباب الجريمه و السرقه،و بعض الخلقيات التى تدفع إليها الحاجه.

۲-كما أنها تساهم فى رفع الطبقيه من المجتمع بوسيله مشروعيه.

۳-و على صعيد التنميه الاقتصاديه تحرك اقتصاد المجتمع فى دائره أوسع،

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۵ ص ۲۷۸

و بصوره أنفع و أكثر فاعليه،فالإسلام لا يريد الحركه الاقتصاديه تنحصر فی طبقه معينه،فی أصحاب رؤوس الأموال،و تبقی الطبقات الأخری رهينه الفقر و الاستغلال،لأن ذلک ليس نظاما اقتصاديا سليما،إنما يحرص علی رفع الحاجه و الطبقيه،و تحريک المال بوسائل مختلفه،يفرض بعضها،کالخمس و الزکاه و الإرث،و يحضّ علی بعضها الآخر،کالصدقه و القرض و الدين.

کَیْ لاٰ یَکُونَ دُولَهً بَیْنَ الْأَغْنِیٰاءِ مِنْکُمْ أی محصور تداولها بين الفئه الغنيه،و من هذه الآيه الکريمه نهتدی إلی أنّ الإسلام لا يحرم الملکيه الفرديه کما فی الأنظمه الاشتراکيه،و لا يطلقها تماما کما فی الأنظمه الرأسماليه،انما يجعل للمحرومين نصيبا محدودا فی أموال الأغنياء، و يضع حدا للملکيه الفرديه بأن لا تتجاوز حقوق المحرومين الی الحدّ الذی تحتکر الثروه،و تتسلط علی اقتصاد المجتمع،و تعتبر هذه الحکمه من الأصول العمليه التی نستطيع أن نستنبط منها الکثير من الأحکام الفرعيه مثل تحديد مجالات الملکيه، و سبيل مقاومه الاحتکار،و وضع ضرائب متصاعده کل ذلک إذا رأی الفقيه الحکم ضروره فی ذلک.

و لأن مقاومه طغيان الثروه من أعظم إنجازات الحکم الاسلامی،و أهم مقاصده و أصعب مهامّه فان السياق القرآنی أوجب التسليم التام للقياده الشرعيه و قال:

وَ مٰا آتٰاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا لأنه مفوّض بذلک من قبل اللّه،الا عرف بأحکامه فی کل شیء،و لا فرق من حيث الإلزام بين أمر اللّه و أمر رسوله،و القياده الشرعيه التی تخلفه،و فی هذه الآيه

ردّ محکم علی محاولات المنافقین التشکیک فی قیادته(صلّی اللّه علیه و آله)و

للإمام الصادق(علیه السلام)فی هذه المسأله حدیث مفصل جاء فیه :

إن اللّه عزّ و جلّ أدب نبیه فأحسن أدبه،فلما أکمل له الأدب قال:

« وَ إِنَّکَ لَعَلیٰ خُلُقٍ عَظِیم »ثم فوض إلیه أمر الدین و الأمه لیسوس عباده،فقال عزّ و جلّ: مٰا آتٰاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا و إن رسول اللّه (صلّی اللّه علیه و آله)کان مسدّدا موفّقا مؤیّدا بروح القدس،لا یزلّ و لا یخطئ فی شیء ممّا یسوس به الخلق،فتأدّب بآداب اللّه.ثمّ إنّ اللّه عزّ و جل فرض الصلاه رکعتین رکعتین عشر رکعات،فأضاف رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و آله)الی الرکعتین رکعتین،و الی المغرب رکعه،فصارت عدیل الفریضه لا یجوز ترکها إلاّ فی السفر،و أفرد الرکعه فی المغرب فترکها قائمه فی السفر و الحضر،فأجاز اللّه عزّ و جلّ له ذلک کله،فصارت الفریضه سبع عشره رکعه، ثم سنّ رسول اللّه (صلّی اللّه علیه و آله)النوافل أربعا و ثلاثین رکعه مثلی الفریضه،فأجاز اللّه عزّ و جلّ له ذلک،و الفریضه و النافله إحدی و خمسون رکعه،منها رکعتان بعد العتمه جالسا تعدّ برکعه مکان الوتر،و فرض اللّه فی السنه صوم شهر رمضان، و سن رسول اللّه صوم شعبان و ثلاثه أیام فی کل شهر مثلی الفریضه فأجاز اللّه عزّ و جلّ اللّه له ذلک،و حرم اللّه عزّ و جلّ الخمر بعینها،و حرم رسول اللّه المسکر من کل شراب فأجاز اللّه له ذلک،و عاف رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و آله)أشیاء و کرهها و لم ینه عنها نهی حرام،إنما نهی عنها نهی إعافه و کراهه،ثم رخص فیها فصار الأخذ برخصته واجبا علی العباد کوجوب ما یأخذون بنهیه و عزائمه، و لم یرخّص لهم رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و آله)فیما نهاهم عنه نهی حرام، و لا فیما أمر به أمر فرض لازم،فکثیر المسکر من الأشربه نهاهم عنه نهی حرام لم یرخّص فیه لأحد،و لم یرخّص رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و آله)لأحد تقصیر الرکعتین اللتین ضمهما الی ما فرض اللّه عزّ و جلّ،بل ألزمهم ذلک إلزاما واجبا،

لم يرخّص لأحد فی شیء من ذلک إلاّ للمسافر،و لیس لأحد أن یرخص ما لم یرخصه رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و آله)فوافق أمر رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و آله) امر اللّه عزّ و جلّ،و نهیه نهی اللّه عزّ و جلّ،و وجب علی العباد التسلیم له کالتسلیم للّه تبارک و تعالی (۱)لقوله عزّ و جلّ: مَنْ یُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطٰاعَ اللّٰهَ (۲).

و یحذر اللّه الذین یشککون فی القیاده الإلهیه،و الذین یتخلفون عن طاعتها و التسلیم لأمرها و نهیها من عذابه الشدید باعتبارهم من صف المشاقین للّه و لرسوله، المستحقین لجزائهم فیقول:

وَ اتَّقُوا اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ شَدِیدُ الْعِقٰابِ و نهتدی من الأمر بالتقوی الی کونها الصفه التی ترفع الإنسان إلی مستوی التسلیم و الطاعه للقیاده،و أن الطاعه لها امتداد للتقوی فی حیاه الإنسان،و دلیل علیها،و لیست التقوی هنا الخوف من اللّه و حسب إنّما هی تلک القمه السامقه من الإیمان و المعرفه باللّه،و الوعی بالحق.

و عقاب اللّه الذی یتوعد به الأمه التی تشاقّ قیادتها،و تخالف أوامرها لیس عذاب الآخره و حسب إنما تلقاه فی الدنیا أیضا متمثلا فی التفرّق،لأن الطاعه ضمانه الوحده،لأن الطاعه للقیاده الإلهیه طریق التقدم،و فی عدم طاعتها تتسلط الطغاه،و یعم الباطل،و بتعبیر القرآن تنقلب الأمه علی أعقابها،فتبدأ المسیره التراجعیه إلی الوراء بدل التقدم،و هذا مصیر کلّ أمه تخالف قیادتها:

۱- ۱) المصدر/ص ۲۸۰-۲۸۱

۲- ۲) النساء ۸۰/

وَ مٰا مُحَمَّدٌ إِلاّٰ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ مٰاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلىٰ أَعْقٰابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّٰهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللّٰهُ الشّٰاكِرِينَ (١).

[٨]أما عن الفیء

فقد قال رسول اللّه الأنصار :«إن شئتم دفعت إلیکم فیء المهاجرین منها و إن شئتم قسمتها بینکم و بینهم،و ترکتهم معکم قالوا:قد شئنا أن تقسمها فیهم،فقسمها رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و آله)بین المهاجرین،و دفعها عن الأنصار،و لم یعط من الأنصار إلاّ رجلین:سهل بن حنیف،و أبا دجانه فإنهما ذکرا حاجه » (٢)و بهذا تحمل الرسول مسئولیه الفقراء من المهاجرین، و وضع إصرها عن الأنصار من أهل المدینه برضی منهم،فکانت الفیء کما ذکر اللّه:

لِلْفُقَرٰاءِ الْمُهٰاجِرِينَ الذین فروا من أجواء الکبت و الإرهاب و الکفر،و التحقوا بصفوف الحرکه الرسالیه و القیاده الصالحه التی استقرت آنذاک فی المدینه المنوّره،و لا ریب أنهم تحملوا بسبب هذا القرار ألوان الضغوط المعنویه و المادیه،و لکنهم تجرّعوا مضض الألم،و رضوا بکل ذلک فی سبیل الوصول الی أهدافهم السامیه،التی تستحق أکبر التضحیات.

اَلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيٰارِهِمْ وَ أَمْوٰالِهِمْ إنهم مهاجرون خرجوا من بیوتهم و أموالهم بإرادتهم،و لکن اللّه یلفتنا إلی حقیقه مهمه:إذ یعتبرهم مخرجین،و هی أن العامل الرئیسی فی هجرتهم هو الظلم و الفساد و أجواء الکبت التی یصنعها الطواغیت،حیث أنهم یرفضون مبادئهم،

١- ١) آل عمران/١١۴

٢- ٢) تفسیر القمی/ج ٢ ص ٣۶٠

و العيش الـذليل فی ظل حكمهم، كما أنهم لا يسـمحون لهم بممارسه شـعائرهم، و تطبيق دينهم،و وجدوا أنفسـهم مجبرين على الهجره كواجب شرعی لقوله تعالى:

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلاَيَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا (١)و لقوله إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِی الْأَرْضِ قَالُوا أَ لَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَهً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَ سَاءَتْ مَصِيراً (٢)و لأنهم يعلمون بـأنهم مسـئولون عن تطبيق أحكام اللّه، و الالتزام بها ما دامت فی الأرض بقعه متحرره،كما يـدركون بأن الحريه لا يمكن المساومه عليها فهاجروا.

ثم يحدد القرآن الأهداف السليمه للمهاجر الصادق و هی ثلاثه:

الأول:البحث عن الفضـل،و نتسـاءل:هـل فی مفـارقه الأهل و الأوطان، و تجرع الفقر من الفضل؟بلى.لأن المسـتقبل الكريم ليس بتوافر الوسائـل المـاديه وحـدها،و هـل فی الغنى و الرفـاه فضـل إذا فقـد الإنسـان الحريـه و الكرامـه،و اسـتلبه الطغـاه الأمن و السلام؟كلا..أما المؤمنون الصادقون الواعون فإنهم يرون الفضل فی المزيد من الإيمان و العلم،و الالتزام بالقيم و العيش بحريه و استقلال و كرامه فی كنف القياده و الحركه الرساليه،و كل ذلك يجدونه فی الهجره.

ثم إنهم لا يقتصـر نظرهم على الحيـاه الـدنيا،بل ينفـذون ببصائرهم إلى دار الآخره،حيث المسـتقبل الأبـدی الـذی ينبغی السـعی للفلاح فيه،و لو تطلب الأمر التضـحيه بكل ما فی الـدنيا من الأموال و الأولاد و الأنفس،و لذلك يسترخص المؤمنون المهاجرون حطام الدنيا.

١- ١) الأنفال٧٢/

٢- ٢) النساء٩٧/

يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللّٰهِ وَ أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشٰاءُ وَ اللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (۱)الثانی:إنهم لا يتعاملون مع ربهم بمقياس الربح و الخساره،إنما يتعبدون بالتزام القيم تعبد الأحرار الواعين،فلا يشبع طموحهم المستقبل المادی حتی و لو كان هو الجنه،بل تراهم يبحثون من خلال الهجره عن هدف أكبر و هو رضوان اللّه عزّ و جلّ.

وَ رِضْوٰاناً مهما كان ثمن ذلک الرضوان،من الاعتداء و التعذيب و القتل،و لو خالف هوی النفس و رضی الأسره و المجتمع و الحاكم،بل و لو وجدوا أنفسهم بسببه محاربين من كل العالم(كما هو حال الحركات الرساليه الاصيله،و القيادات المؤمنه المخلصه المهاجره،التی تحاربها كل القوی الاستكباريه فی العالم،سياسيّا و اجتماعيّا،و اقتصاديا،و إعلاميا).

الثالث:نصره الحق لأنها الطريق إلی رضوان اللّه،بالانتماء الی صفوف الحركات الرساليه المجاهده،و الانضواء تحت رايه القياده الرساليه التی تسعی لإقامه حكم اللّه،و طمس معالم الباطل من علی وجه الأرض و فی المجتمع و النفوس -باعتبار انها القناه الأصح و الأفضل لنصره الحق-فإن المؤمنين لا يعتبرون مصادره ممتلكاتهم أو هجرتهم عنها يسقط عنهم الواجب،و لا يعتبرون دار الهجره نهايه المطاف،و محلاّ مناسبا للممارسه الشعائر و العبادات الاعتياديه كالصوم و الصلاه و الخمس،و انما يعتبرونها منطلقا لمسيره جهاديه مباركه.

ص:۲۳۵

۱- ۱) الحديد۲۹/

وَ يَنْصُرُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ لتطبيق الحق و تحكيمه،و من طبيعه المؤمن الصادق انه لا يفكر فى حدود نفسه فاذا وجد الأمن و السلام نسى الآخرين،إنما يحمل ألم مجتمعه و أمته و يعتبره ألمه، و يجاهد من أجل خلاصهم من ربقه الجهل و الفساد و الظلم من منطلق شرعى و انسانى،و حيث يصل دار الهجره لا يتفرج على الصراع الدائر بين الحق المتجسد فى الحركات الرساليه و قياداتها،و الباطل المتجسد فى القوى و الأنظمه و المؤسسات الاستكباريه،إنما يعتبر نفسه معنيّا بالصراع،و مسئولا عن الإنتصار للحق.

أُولٰئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ فى إيمانهم،و المصداق الحقيقى للمهاجر كما يراه الإسلام.أمّا الذى يبحث فى المهجر عن حطام الدنيا،و راحه النفس،و لا ينصر الحق فليس بصادق فى دعوى الهجره،و لا مصداقا للمهاجر.

و لقد كانت قسمه الرسول فى الفيء حيث جعله للمهاجرين قسمه منطقيه، لأنهم فقراء من الناحيه الماديه،و لأنهم صودرت أموالهم و دورهم،و لأنهم كانوا صادقين.

و لعل هذا الموقف النبيل من الإسلام و القياده الرساليه فى التاريخ من المهاجرين،و كذلك موقف الأنصار يهدينا الى ضروره اعتناء الأمه الإسلاميه بأولئك الذين يهاجرون فى سبيل اللّه،و لخيرها،بأن تتحمل قسطا من دعمهم المادى،و دعم حركتهم لتتواصل مسيرتهم،و يتفرغوا للجهاد بصوره أفضل، و يحافظوا على استقلالهم،فإنهم و مشاريعهم أولى بالدعم.

ص:٢٣۶

[سوره الحشر (۵۹): الآيات ۹ الى ۱۷]

اشاره

وَ اَلَّذِينَ تَبَوَّؤُا اَلدّارَ وَ اَلْإِيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ وَ لا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمّا أُوتُوا وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ اَلْمُفْلِحُونَ (۹) وَ اَلَّذِينَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَ لِإِخْوانِنَا اَلَّذِينَ سَبَقُونا بِالْإِيمانِ وَ لا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (۱۰) أَ لَمْ تَرَ إِلَى اَلَّذِينَ نافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوانِهِمُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ اَلْكِتابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَ إِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَ اَللّٰهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ (۱۱) لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ اَلْأَدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ (۱۲) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اَللّٰهِ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ (۱۳) لا يُقاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاّ فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَراءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَ قُلُوبُهُمْ شَتّٰى ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ (۱۴) كَمَثَلِ اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذاقُوا وَبالَ أَمْرِهِمْ وَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (۱۵) كَمَثَلِ اَلشَّيْطانِ إِذْ قالَ لِلْإِنْسانِ اُكْفُرْ فَلَمّا كَفَرَ قالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخافُ اَللّٰهَ رَبَّ اَلْعالَمِينَ (۱۶) فَكانَ عاقِبَتَهُما أَنَّهُما فِي اَلنّارِ خالِدَيْنِ فِيها وَ ذٰلِكَ جَزاءُ اَلظّالِمِينَ (۱۷)

اللغه

۹[تبوؤا الدار]:الحط و النزول كما فى قوله: وَ بَوَّأَكُمْ فِي اَلْأَرْضِ و قوله: وَ إِذْ بَوَّأْنا لِإِبْراهِيمَ مَكانَ اَلْبَيْتِ و قوله:

نَتَبَوَّأُ مِنَ اَلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ .

الشح:بخل فى حرص،و

فى الحديث :«لا يجتمع الشح و الإيمان فى قلب مسلم »و الشح أشد من البخل لأنه بخل عما فى أيدى الناس.

ص:۲۳۷

۱۵[و بال أمرهم]:عاقبه کفرهم.

ص:۲۳۸

وَ يُؤْثِرُونَ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ

هدی من الآیات:

یركز السیاق فی هذا الدرس علی بحث العلاقه الداخلیه فی جبهه المؤمنین من جهه،و فی جبهه أعداء اللّه و أعدائهم من جهه ثانیه،ففی البدایه ینطلق من خلفیات قسمه الفیء الذی صار نصیبا للمهاجرین بحكم النبی،و بإیثار الأنصار أنفسهم،فیمتدح حب هؤلاء لبعضهم و طهاره قلوبهم،و إیثارهم علی أنفسهم مما یؤكد خروجهم من زنزانه النفس،كما یسجّل موقف المهاجرین الإیجابی من الأنصار،و مدی تحرّرهم من أیّ إصر أو عقده،و یضع ذلك نموذجا سامیا للعلاقه التی ینبغی ان تحكم التّجمعات و المجتمعات الإیمانیه أفرادها و جماعاتها،و شعوبها و أجیالها،فإن الهیبه و الإنتصار،و التّقدم،و الفلاح یرتكز علی الذوبان فی بوتقه الإیمان و التسلیم للقیاده الرسالیه،و بتعبیر القرآن:الوقایه من شح النفس، و اتباع بصائر الوحی،بعیدا عن كلّ هوی و مصلحه.

ثم يضع القرآن صوره ثانيه عن طبيعه العلاقه الـداخليه فی جبهه الباطل، و یؤکد لنا بأنها قد تتراءی للمراقب الخارجی بأنها جبهه متماسکه إلاّ أنّها تفتقر لأهم عوامل الوحده و التماسک و هی وحده القلوب، و السبب هو اتباعهم الباطل و الأهواء و المصالح،و نبـذهم الحق المتمثل فی الرساله و هدی العقل،و کل ذلک فان الإنسان لا یجد دوافع حقیقیه للتضـحیه و التفانی من أجله،و لهذا فإن جبهه الباطل تضـعف و تتمزق بمجرد تعرضـها للتحدیات الحقیقیه،و قد رأینا کیف استسـلم بنو النضیر من دون قتال،و کیف تنصّل المنافقون عن نصرتهم رغم العهود و الأیمان المغلظه بینهما،و هکذا هی العلاقه بین أهل الباطل(أفرادا و جماعات و دولا) یتناصـرون مـا دامت ثمّه مصـلحه مشترکه،أمـا إذا انعـدمت أو وجـدت فی مکـان و موقف آخر فـإنهم یمیلون حیثما تمیل،و هی بالضـبط تشبه العلاقه بین الشیطان و بین آدم،حمیمه ما دامت للشیطان مصلحه فیه،أما إذا آن عذاب اللّه فکأنه لا یعرفه« فَلَمّا کَفَرَ قالَ إِنِّی بَرِیءٌ مِنْکَ إِنِّی أَخافُ اللّهَ رَبَّ الْعالَمِینَ ».

بیّنات من الآیات:

[۹]بعد ان مکث النبی-صلّی اللّه علیه و آله-فی المدینه و استتب له الأمر تقرر فی الحرکه الرسالیه المبارکه ان یهاجر المؤمنون مـن مکه إلیهـا،و حیث تـواردوا أفواجـا استقبلهم الأنصـار و أوسعوا لهم صـدورهم و دورهم،و تقاسـموا معهم الأمـوال و حـتی الأزواج،و لکن الخـط المنـافق من أهل المـدینه و غیرهم ما کان یرضـیهم أن یحتضن الأنصار المهاجرین،فلما أجلی المسـلمون الیهود و قرر الرسول القائد صـلی الله علیه و آله أن یعطی الفیء للمهاجرین طفحت أحقادهم،و اتخذوا الأمر فرصه سانحه لیلعبوا دورهم الخبیث،فمشوا فی الصـفوف بالشائعات لیضربوا زعامه النبی صلی الله علیه و آله الذی یکنّون له الحقد الدفین باعتباره لم یکن من أهـل المـدینه،و ذلـک بالتشـکیک فی سـلامه نیّته،حیث اتهموه بأنه انحاز لقومه(المهاجرین)علی حساب الأنصار،و من جهه

أخرى استغلوا القسمه لهدف إيجاد الاختلاف و الفرقه بين المؤمنين،بالذات باعتبار أن الظاهر كان يمكن تجييره لصالح التفرقه لاختلاف المهاجرين و الأنصار،و عموما تتأسس سياسات التفرقه دائما على المظاهر الماديه كاللون و المذهب و القوميه و الطائفيه،و طالما أظهر المنافقون و على رأسهم عدو اللّه ابن أبى للأنصار أنهم يريدون خيرهم من وراء موقفهم،و طالما استثاروا فيهم الوطنيه و شح النفس ليكسبوهم، و لكنهم رفضوا ذلك لأنهم كانوا أصحاب البصيره النافذه،و الإيمان الرفيع، و التسليم المطلق لقياده الحق.

أما الرسول فقد جمعهم و قال:إن شئتم قسمتم للمهاجرين من دوركم و أموالكم،و قسمت لكم من الغنيمه كما قسمت لهم(أى أساوى بينكم)و إن شئتم كان لهم الغنيمه و لكم دياركم و أموالكم(أى يخرجون من أموالكم و دوركم و يصير لهم الفيء خالصا)فقالوا:لا- بل نقسم لهم من ديارنا و أموالنا و لا نشاركهم فى الغنيمه (1)ففشل المنافقون،و هكذا تنتصر كل أمّه على محاولات التفرقه حينما تتبع قائدها،و تلتزم بالقيم الحق،و تعيش فيما بينهما الألفه و الحب و الإخاء،و قد سجل ربنا هذا الموقف الجليل كرامه للأنصار،و ليكون نموذجا على ما يصنعه الإسلام بالنفوس،و ليبين للبشريه جيلا بعد جيل و للأمه الاسلاميه بالذات سر انتصاراتها فى التاريخ و سبيلها الى ذلك،و أنّ الرعيل الأول من المخلصين إنما قاد العالم يومئذ بهذه الروح الإيمانيه الساميه،فقال عزّ و جلّ:

وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدّٰارَ وَ الْإِيمٰانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يعنى الأجيال المؤمنه السابقه من الأنصار،و قالوا:معنى الآيه:تبوؤا الدار، و أخلصوا الإيمان،أو اتخذوا الإيمان وطنا،و تمكنوا منه،مثلهم مثل سلمان لما سألوه

1- 1) التفسير الكبير/ص 287 الموضع

عن نسبه،فقال:أنا ابن الإسلام،ثم تساءلوا:كيف قال ربنا:انهم آمنوا قبل المهاجرين،أو لم يسبقوهم بالإيمان؟فأجابوا:بلى.و لكن إنما سبقهم بعضهم، و التحق بهم آخرون،إذ أن كلمه«من قبلهم»خاصّه بالإيمان.

و يبدو لی أن المعنى أنهم تبوؤا دار الإيمان،فيكون معنى الدار التقارن كما لو قلنا:ركبت البحر و الريح الهائجه،أی مقارنا مع هيجان الريح.

و قد اشتهر فی الأدب الاسلامی التعبير بدار الإسلام،و لعله مستوحى من هذه الآيه.

فقد جاء فی الحديث عن الإمام الصادق(عليه السلام) :«و الايمان بعضه من بعض، و هو دار،و الكفر دار » (١).

فيكون المعنى انهم الاسبق الى تكوين التجمع الإيمانی المتكامل.

يُحِبُّونَ مَنْ هٰاجَرَ إِلَيْهِمْ و نستوحی من الآيه أنه إذا انتصر المؤمنون فی بلد،و كوّنوا المجتمع الإسلامی فلا يعنی أن الذين فی تلك البلاد من المسلمين أفضل من غيرهم،و لا يجوز أن يستأثروا بالمكاسب،أو يفرضوا وصايتهم على غيرهم،كلا..فكل ما عند المؤمنين حتى أنفسهم ملك للإسلام و لأهله،الذين هم إخوانهم،و ينبغی لهم أن لا يأخذهم غرور الإنتصار،أو العجب بالنفس،بل يفعلون كما فعل الأنصار، فلقد بلغ بهم الإيمان و الحبّ لإخوانهم أن آثروهم على أنفسهم،لأنهم انتموا للإسلام ابتغاء فضل اللّه و رضوانه و ليس بحثا عن المكاسب الماديّه،و لأنهم يقدرون ظروف إخوانهم المهاجرين،حيث ضحّوا بأموالهم و بيوتهم و مستقبلهم

١- ١) نور الثقلين/ج ۵ ص ٢٨۴

المادی من أجل الدین،و حبّا فی الانتماء إلیهم،و ضم جهودهم و طاقاتهم إلیهم لتقویه مجتمع الحقّ و جبهته.

و السؤال:کیف یجب أن تکون علاقه الأجیال المؤمنه(السابقه و السؤال:کیف یجب أن تکون علاقه الأجیال المؤمنه(السابقه باللاحقه و الأنصار بالمجاهدین،و المنتصرین بالحرکات التی تسعی للانتصار فتهاجر إلیهم)؟ أوّلا:الحب القلبی الصادق..فلا یرون اللاحقین بهم من سائر الفصائل الرسالیه غرباء أو دخلاء،و لا یریدونهم أن یکونوا عملاء لهم،و لا یستثیر وجودهم و تنافسهم و لا حتی انتقادهم أیّ حقد و حسد و لا أیّ لون من الحساسیات السلبیه، لأنّ رابطتهم ببعضهم أکبر من کلّ ذلک.إنّها رابطه الإیمان و الجهاد.

و هکذا یحدّد القرآن محور التواصل بین فئات المؤمنین:الأنصار الذین سبقوا غیرهم فی بناء التجمّع الإیمانی،و المهاجرین الذین تجرّدوا عن مصالحهم فی سبیل اللّه،فیبیّن أنّ الحبّ هو ذلک المحور.

و لا یصل الإنسان إلی هذا المستوی الرفیع من الأخلاق إلاّ إذا تمکن الإیمان من نفسه فتجاوز شح نفسه(الأهواء و الشهوات،و المصالح)و تحرر عن أغلال الوطنیه و القومیه و العنصریه و الطبقیه و الحزبیه،و أصبح مثلما

قال الإمام الصادق (علیه السلام) :«من أحب للّه و أبغض للّه،و أعطی للّه،و منع للّه فهو ممن کمل ایمانه » (1)بلی.ان الحب فی اللّه من أوثق عری الإیمان،

قال رسول اللّه (صلّی اللّه علیه و آله) :«ودّ المؤمن للمؤمن فی اللّه من أعظم شعب الإیمان » (2).

۱- ۱) المحاسن للبرقی/ج ۱ ص ۲۶۳

۲- ۲) المصدر

و قد اعتبر أئمه الهدى الحب هو الدين،و

يجيب الإمام الصادق(عليه السلام) سائلا سأله عن الحبّ:هل هو من الإيمان؟فيقول:و يحك و هل الدّين إلّا الحبّ؟أ لا ترى إلى قول اللّه: إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؟أولا ترى قول اللّه لمحمد(صلّى اللّه عليه و آله) :« حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَ زَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ »؟و قال:« يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ »فقال:«الدين هو الحب،و الحبّ هو الدين » (۱)و

عنه(عليه السلام)قال :«قال رسول اللّه لأصحابه:أيّ عرى الإيمان أوثق؟»فقالوا:اللّه و رسوله أعلم،و قال بعضهم:

الصلاه،و قال بعضهم:الزكاه،و قال بعضهم:الصوم،و قال بعضهم:الحج و العمره،و قال بعضهم:الجهاد،فقال رسول اللّه(صلّى اللّه عليه و آله):«لكل ما قلتم فضل و ليس به،و لكن أوثق عرى الإيمان الحب فى اللّه،و البغض فى اللّه، و تولى أولياء اللّه،و التبرى من أعداء اللّه عزّ و جلّ » (۲)و كيف لا- يحب المهاجرون، و المنتصرون،و السابقون الى الإيمان من يلحق بهم،و قد جاؤوا ليحققوا أهم أهدافهم و هو نصره الدين؟! و كلمه أخيره:إن المؤمن الصادق محكوم بمعادله التولى و التبرى،و بالتالى فإن نسبه تبريه من الأعداء هى من وجهها الآخر تولى للمؤمنين: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدّاءُ عَلَى الْكُفّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ (۳).

و اننا اليوم نسعى من أجل المجتمع المسلم فلا بد أن نبدأ بأنفسنا،و نجعل تجمعنا ربّانيا إلهيا،يدور على محور الحب فى اللّه،و البغض فى اللّه، حتى يباركه اللّه من فوق عرشه،و يرعاه بنصره و تأييده.

ص:۲۴۴

۱- ۱) المصدر

۲- ۲) المصدر/ص ۲۶۴

۳- ۳) الفتح۲۹/

و كلما ازداد صراعنا مع أعداء الله شدّه و عنفا كلما ازددنا تلاحما و تماسكا و انصهارا في بوتقه التوحيد.

ثانيا:التجرد عن الحسد للاحقين..مهما أوتوا من شيء مادى أو معنوى، فصدورهم صافيه طاهره،لا تنطوى على غلّ و لا حساسيه تجاه إخوانهم،كما أنها واسعه لا تضيق بتقدمهم أو تقديمهم،لما هى معموره به من الإيمان و الوعى،و الواحد منهم متجرّد عن ذاته للقيم،و للأمه كلها،فلا يرى أن الإنتصار أو الدوله أو المغانم أو المناصب حكرا له أو لفريق دون آخر،انما هى للجميع،كما يرى أن تقدم أى فرد أو جهه هو تقدّم له أيضا.

وَ لاٰ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حٰاجَةً مِمّٰا أُوتُوا لأن الفضل بيد اللّه يؤتيه من يشاء،و الرأى للقياده الرساليه تقرّر ما تراه مناسبا،و الحق لصاحب الكفاءه،و ليست لأحد الوصايه فى فضل اللّه و ما له و ما للأمه،فلما ذا الحسد و التقاتل على المكاسب و المراتب؟!ان المؤمنين يسعون بكل ما أوتوا لدعم إخوانهم،و رفد مسيرتهم لكى يتقدموا و يعلو شأنهم و يعلو من خلالهم شأن الدين و الأمه،و ما يؤسف له اليوم أن نرى فى الأمه فريقا من مرضى القلوب الذين يجهدون بكل ما أوتوا من حول و طول و مكر من أجل تحطيم كل قياده ناشئه تبرز فى الساحه،و ترى فى صدورهم الف الف حاجه مما أوتى أولئك من الفضل و السمعه.

و قد وقف الإسلام موقفا صارما من الحسد حتى عدله بالشرك و الكفر و النفاق.

قال الإمام الصادق(عليه السلام) :«يقول إبليس لجنوده:ألقوا بينهم الحسد و البغى(يعنى المؤمنين)فإنهما يعدلان الشرك » (1)و

قال(عليه السلام)محذرا :

۱- ۱) بح/ج ۷۵ ص ۲۷۸

«إياكم أن يحسد بعضكم بعضا،فإن الكفر أصله الحسد » (۱)و

قال :«ان المؤمن يغبط و لا يحسد،و المنافق يحسد و لا يغبط » (۲)و

قال الإمام الباقر (علیه السلام) :«ان الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب » (۳)و

قال الرسول(صلّی اللّه علیه و آله)(يعنى الحسد): «ليس بحالق الشعر،لكنه حالق الدين » (۴)و

قال اللّه عزّ و جلّ لموسى بن عمران :«يا ابن عمران!لا تحسد الناس على ما أتاهم من فضلى،و لا تمدّن عينيك إلى ذلك،و لا تتبعه نفسك،فإن الحاسد ساخط لنعمى،صادّ لقسمى الذى قسّمت بين عبادى » (۵)و قوله تعالى:

لاٰ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ يؤكد لنا أنّ الحسّاد هم أصحاب الصدور الضيّقه، و القلوب المريضه.

و أهم الحاجات التى يضمرها الحاسدون فى صدورهم هو تحطيم إخوانهم، و لا ريب أنها سوف تتضخم فتراكم العقد فى نفوسهم،و تدفعهم إلى سلوک اجتماعى خطير تجاه الآخرين،و لذلك

جاء فى الروايه عن الإمام الصادق (علیه السلام) :«للحاسد ثلاث علامات:يغتاب إذا غاب،و يتملق إذا شهد، و يشمت بالمصيبه » (۶)و لک ان تتصور مجتمعا متحاسدا يكاد يتمزق داخليّا كيف يتسنى له أن يتقدم حضاريّا،و كيف ينتصر أمام التحديات الكبيره.

ثالثا:الإيثار..و هو علامه الإيمان،و المظهر الخارجى للحب الصادق تجاه الإخوان،و قمّه التماسک فى جبهه الإيمان،حيث التفانى و التضحيه من أجل الغير

ص:۲۴۶

۱- ۱) المصدر/ج ۷۸ ص ۲۱۷

۲- ۲) المصدر/ج ۷۳ ص ۲۵۰

۳- ۳) المصدر/ص ۱۴۴

۴- ۴) المصدر/ص ۲۵۳

۵- ۵) المصدر/ص ۲۴۹

۶- ۶) المصدر/ص ۲۵۱

لوجه اللّه،و المؤمن الصادق هو الذی یقدم نفسه للخطر لیسلم الآخرون،و یؤخرها عند المکاسب لیغنموا.أ و لیس یبحث عن القمّه السامقه من الإیمان و الفلاح التی تتمثل فی الإیثار؟بلی.و هو لا یقیم وزنا لحطام الدنیا حتی یتقاتل علیه أو ینفرد به.

و الأنصار لیس أحبوا إخوانهم المهاجرین،و تطهروا من الحسد تجاههم،بل و آثروهم علی أنفسهم،و وصلوا من الإیثار سنامه،حینما تنازلوا عن حظهم من القسمه رغم حاجتهم الشدیده.

وَ یُؤْثِرُونَ عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ کٰانَ بِهِمْ خَصٰاصَهٌ فهم لم یجعلوا عوزهم و حاجتهم الشدیده تبریرا لترک الإیثار،و قد اهتم أئمه أهل البیت(علیهم السلام)ببیان فضیله الإیثار،و الدعوه إلیها،

فقد روی عن الإمام الصادق(علیه السلام)انه قال :«خیارکم سمحاؤکم،و شرارکم بخلاؤکم،و من صالح الأعمال البرّ بالإخوان،و السعی فی حوائجهم،و فی ذلک مرغمه الشیطان،و تزحزح عن النیران،و دخول الجنان.یا جمیل!أخبر بهذا الحدیث غرر أصحابک،قال:قلت جعلت فداک من غرر أصحابی؟قال:هم البارون بالإخوان فی العسر و الیسر،ثم قال:یا جمیل!ان صاحب الکثیر یهون علیه،و قد مدح اللّه عزّ و جلّ صاحب القلیل،فقال:« وَ یُؤْثِرُونَ عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ کٰانَ بِهِمْ خَصٰاصَهٌ وَ مَنْ یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » » (۱).

و

جاء فی حدیث آخر مأثور عن الإمام الصادق(علیه السلام)فیما رواه عنه أبان بن تغلب قال: سألته فقلت:اخبرنی عن حق المؤمن علی المؤمن؟فقال:

«یا أبان!دعه لا ترده»قلت:بلی.-جعلت فداک-فلم أزل أرد علیه،فقال:

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۸۶

يـا أبـان تقاســمه شـطر مالـك.ثم نظر الى فرأى مـا دخلنى،فقـال:«يـا أبـان!أمـا تعلـم أن اللّـه عزّ و جـلّ قـد ذكر المـؤثرين على أنفسـهم؟»قلت:بلى.-جعلت فـداك- فقـال:«امـا إذا أنت قاسـمته فلم تـؤثره بعـد إنمـا أنت و هـو سواء،إنمـا تؤثره إذا أعطيته من النصف » (١).

و قد حفل تاريخ صدر الإسلام بمصاديق رائعه للإيثار،أحدها إيثار الأنصار للمجاهدين على أنفسهم،و الآخر أولئك النفر السبعه من مجاريـح المؤمنين فى اليرموك،الـذين حمـل إليهم المـاء فكـان واحـدهم يؤثر إخوانه على نفسه رغم الظمـأ الـذى يحس به المحتضر حتى استشهدوا عن آخرهم عطاشا،و

قد روى أبو حمزه قال :

جاء رجل الى النبى(صـلّى اللّه عليه و آله)فشـكا اليه الجوع،فبعث الرسول (صـلّى اللّه عليه و آله)الى بيوت أزواجه،فقلن:ما عندنا إلاّ الماء،فقال الرسول (صـلّى اللّه عليه و آله):«من لهذا الرجل الليله؟»فقال على بن أبى طالب (عليه السلام):«انا له يا رسول اللّه»و أتى فاطمه(عليها السلام)فقال لها:

«ما عنـدك يا ابنه رسول اللّه؟»فقالت:«ما عنـدنا الاّ قوت العشـيه لكنّا نؤثر ضـيفنا»فقال(عليه السـلام):«يا ابنه محمد!نوّمى الصبيه و اطفئى المصباح » (٢)و

جاء فى حديث آخر أن رجلا جاء الى النبى(صلّى اللّه عليه و آله)و قال:

أطعمنى،فانى جائع،فبعث إلى أهله فلم يكن عندهم شىء،فقال:«من يضيّفه هذه الليله؟»فأضافه رجل من الأنصار و أتى به منزله،و لم يكن عنـده إلاّ قوت صبيه له،فأتوا بـذلك اليه و أطفئوا السـراج و قامت المرأه الى الصبيه فعلّلتهم حتى ناموا،و جعلا يمضـغان ألسـنتهما لضـيف رسول اللّه(صـلّى اللّه عليه و آله)فظن الضّـيف أنهما يأكلان معه حتى شـبع الضّـيف،و باتا طاويين،فلما أصـبحا غدوا الى

١- ١) المصدر/ص ٢٨٧

٢- ٢) المصدر/ص ٢٨۶

رسول اللّه(صلّى اللّه عليه و آله)فنظر إليهما و تبسم و تلا هذه الآيه (۱).

هكذا ينبغى للمؤمنين و بالذات المجاهدين منهم ان يتساموا إلى هذا الخلق الرفيع فى تعاملهم مع بعضهم،و لن يبلغوا ذلك حتى يتجاوزوا أصعب عقبه تربويه و عمليه و حضاريه،تغلّ الأفراد و التجمعات و الأمم عن النهوض و الارتفاع فى آفاق التقدم و الفضيله و هى النفس،التى يعدها الإسلام(قرآنا و سنّه)أعدى أعداء الإنسان،الذى إذا انتصر عليها صار الى السعاده و الفلاح.

وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ فبالقدر الذى يسعى الإنسان إلى المزيد من العلم،ينبغى ان يسعى بأضعافه إلى تزكيه نفسه و كمال أخلاقه،و إنما اعتبر القرآن الوقايه من شح النفس هى الفلاح لأنه رأس كل خطيئه و انحراف فى حياه البشر،فهو أساس الكفر و الشرك و الظلم و الحسد و..و..إلخ،

قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب-عليه السلام -:

«البخل جامع لمساوئ العيوب،و هو زمام يقاد به إلى كلّ سوء »و هل أنزل اللّه رسالاته و بعث رسله إلا ليخرج الإنسان من سجن شح النفس؟و إنّ الشحيح لا يرى إلاّ ذاته،كما لا يرى المسجون الا جدران زنزانته.و لكن ما هو السبيل الى التحرر من هذه التهلكه؟انه التوكل على اللّه و الاستعاذه من شر النفس الأماره بالسوء،و الانفتاح على هدى القرآن و بصائر السنه،و تقبل نصائح الواعظين، و التعبير القرآنى بليغ للغايه إذ يقول:«يوق»مبنى للمجهول،أى أن اللّه هو الذى يحرر الإنسان،و ينقذه من ذلك.

و مشكله الإنسان أنه يحسب السعاده تتمثل فى اتباع الأهواء،و إشباع شح

۱- ۱) مجمع البيان/ج ۵ ص ۲۶۰

النفس،و لكنه لاـ يعلم أن ذلـك يجعله عبـدا ضـعيفا لهـا.أليس محب الرئـاسه يتبع هوى المنصب أنّى اتجه،و يلخص كـل كيـانه فيه،حتى عواطفه و عقله و صـلاته الإنسـانيه يجعلهـا جميعـا وقفا للمنصب! كـذلك المولع بالثروه يرى الـدنيا من خلالها فلا يجد حرجا من مسخ شخصيته الإنسانيه من أجل المال،فيولد إنسانا متكاملا،و يموت و هو لا يملك من خصائص الانسانيه شيئا.

ان التحرر من حب الرئاسه،و حب الثروه،و الخروج من شـح النفس،جعل المؤمنين أحرارا،منطلقين فى رحاب الحياه،بلا قيود و لا أغلال.

و بما أن الإيثار قمّه الفضـيله فإن بلوغها بحاجه إلى عمليه تربويه متواصله، و ذلك بالاستعاذه باللّه سبحانه من الحرص و البخل و شح النفس..

فقـد جـاء فى الخبر المروى عن الإمـام الباقر(عليه السـلام)فيما رواه عنه أبو بصـير قال :قلت لأبى جعفر(عليه السـلام):كان رسول اللّه(صـلّى اللّه عليه و آله)يتعوذ من البخل؟ فقال:نعم.يا أبا محمد فى كل صباح و مساء،و نحن نتعوذ باللّه من البخل لقول اللّه: وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١).

و

فى الحديث :«لا يجتمع الشح و الإيمان فى قلب رجل مسلم،و لا يجتمع غبار فى سبيل اللّه و دخان جهنم فى جوف رجل مسلم » .(٢)

و

روى الفضل بن أبى قره السـندى انه قال:قال لى ابو عبد اللّه عليه السـلام :أ تدرى من الشـحيح؟قلت:هو البخيل،فقال:«الشح أشـد من البخل،ان البخيل يبخل بما فى يده،و الشحيح يشح بما فى أيدى الناس و على ما فى يده،حتى لا يرى

١- ١) نور الثقلين/ج ٥ ص ٣٩٠

٢- ٢) المجمع/ج ٩ ص ٢٦٢

فی أیدی الناس شیئا إلاّ تمنی أن یکون له بالحل و الحرام،و لا یقنع بما رزقه اللّه عزّ و جلّ » (۱).

و

قال رسول اللّه(صلی اللّه علیه و آله) :«ما محق الإسلام محق الشحّ شیء،ثم قال:ان لهذا الشح دبیبا کدبیب النمل،و شعبا کشعب الشرک » (۲).

و

قال أمیر المؤمنین(علیه السلام) :«إذا لم یکن للّه عزّ و جلّ فی العبد حاجه ابتلاه بالبخل » (۳).

و

قال علی بن إبراهیم:حدثنی أبی عن الفضل بن أبی قره قال :رأیت أبا عبد اللّه(علیه السلام)یطوف من أول اللیل الی الصباح و هو یقول:اللهم قنی شح نفسی فقلت:جعلت فداک ما سمعتک تدعو بغیر هذا الدعاء؟قال:و أیّ شیء أشد من النفس،ان اللّه یقول:« وَ مَنْ یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولٰئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » (۴)[۱۰]تلک کانت العلاقه النموذجیه التی ینبغی أن یتحلّی بها السابقون تجاه اللاّحقین،و قد جعل اللّه الأنصار الصادقین مثلا لها،فما هی العلاقه من طرفها الآخر(اللاحقین بالسابقین)؟یضع القرآن أمامنا قواعدها الرئیسیه و نموذجها من حیاه المهاجرین المخلصین.

وَ الَّذِینَ جٰاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ المهاجرون بعد الأنصار فی المدینه،و الثوار المهاجرون إلی إخوانهم المنتصرین فی

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۹۱

۲- ۲) المصدر

۳- ۳) المصدر

۴- ۴) المصدر

أىّ بلـد،و اللاـحقون من الأجيـال فى الحركه الرسـاليه،فإنهم يحترمون أولئك، و يعون قيمه دورهم الريادى،و انعكاسه الإيجابى عليهم،و يريدون لهم الخير كما يريدونه لأنفسهم.

يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَ لِإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالْإِيمانِ فهم لاـ ينسون جميـل السـابقين إليهم،و تلك الجهود و التضـحيات التى بـذلوها لصالحهم،و يقدّرون بالذات سـبقهم إلى الإنتصار،و تأسيسـهم دار الإسـلام (دولته)مما يتيح لهم الهجره إليهم،و التحرك بفـاعليه أفضـل و أوسع،و سـبقهم إلى الإيمـان الـذى تأسـس به إيمـانهم،و علاـقتهم بهم تتأسـس على نظره الاـحترام و الحب و التقدير.

و للآيه بصـيره هامّه تبين موقف التقييم السـليم من قبل الأجيال اللاحقه تجاه الأجيال السابقه،فهناك ثلاث نظريات تسـتتبع ثلاثه مواقف متباينه:

۱-الـذين اعتبروا السـابقين متخلّفين و سـببا لتخلف اللّاحقين،و وقفوا منهم موقفا سـلبيّا للغايه،و سـموهم رجعيين،و دعوا إلى بناء الواقع و المسـتقبل من جديد على انقاض الماضـى،و يمثل هؤلاء اليوم فى المسـلمين المتغربون و السـلبيون الذين أصـيبوا بردات فعـل تجـاه الواقـع الـذى نشـأوا فيه،و بلغ الأـمر ببعضـهم أن اتهموا دين الإسـلام ذاته لأـنهم رأوا بعض السـلبيات فيمن اعتنقه من آبائهم،كما قال تعالى:

وَ الَّذِی قالَ لِوالِدَیْهِ أُفٍّ لَکُما أَ تَعِدانِنِی أَنْ أُخْرَجَ وَ قَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِی وَ هُما یَسْتَغِیثانِ اللّهَ وَیْلَکَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ فَیَقُولُ ما هذا إِلاّ أَساطِیرُ الْأَوَّلِینَ (۱).

۲-و هناک فريق آخر وقفوا موقف القبول المطلق و هم يردّدون

ص:۲۵۲

۱- ۱) الأحقاف/۱۷

«إِنّٰا وَجَدْنٰا آبٰاءَنٰا عَلىٰ أُمَّةٍ وَ إِنّٰا عَلىٰ آثٰارِهِمْ مُقْتَدُونَ (١) فهم يقدسون التراث إلى حدّ العباده، و نجد صوره لهذا الفريق فى الذائبين فى السلف و أفكارهم،يرحبون بحسناتهم و سيئاتهم على السواء،و لا يقبلون أدنى انتقاد لسلوكهم و أفكارهم و مواقفهم، و يعدّون الشخص ذا فضل و عظمه لمجرد كونه من الأولين،الذين أدركوا الرسول و الخلفاء،أو عاشوا فى صدر الإسلام.

٣-اما الفريق الثالث فهم الذين يقيّمون السابقين بواقعيه،و يعرضون أفكارهم و مواقفهم على موازين الشرع(القرآن و السنه و السيره)فما وافقها احترموه و تأسّوا به،و ما خالفها ضربوا به عرض الحائط،و هم الذين تشير إليهم هذه الآيه الكريمه.كيف؟ انهم-حسب الآيه-يعترفون بأخطاء السابقين،و يتبعون القيم بإخلاص و شجاعه،سواء وافقت حياه أولئك أم خالفتها،و لكن النقد و الانتقاد لا يسقطهم فى أعينهم،بل يظلمون أصحاب الفضل عليهم،الذين يكنّون لهم الود و الاحترام.

و فى الوقت الذى يعترفون بأخطاء السلف،و لا يتابعونهم فيها،يسعون بكلّ ما أوتوا(بالدعاء و العمل)لإصلاح أخطائهم فى الواقع الخارجى،و يستغفرون لهم عند اللّه،و انه سبحانه ليستجيب دعاء الأخ لأخيه،

فقد روى عن الإمام الباقر (عليه السلام)انه قال :«أسرع الدعاء نجحا للإجابه دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب،يبدأ بالدعاء لأخيه فيقول له ملك موكل به:آمّين و لك مثلاه » (٢).

و قد ظهرت بدعه جديده فى عصرنا الحاضر تتخذ من السلف الصالح شعارا لتأسيس حزب سياسى معين..إن هؤلاء يرفضون أى تطوير فى مناهج الدّين لأن

١- ١) الزخرف/٢٣

٢- ٢) بح/ج ٧٦ ص ٦٠ و للمزيد راجع ميزان الحكمه/ج ٣ ص ٢٨٠ الباب(١٢١٠)

أسـلافهم لم يشـهدوه،و يخلطون بين قيم الـدين و واقعيّات التراث،و قـد يقدسون التراث أكثر من الدين،و لا يفكرون بأن التراث الذى يشـكله سـلفهم ليس كيانا ثقافيّا و حضاريّا واحدا،فما الذى يقدسونه فيه؟!لقد تناقضت سـيره السـلف إلى درجه كبيره فهل يمكنهم العمل بكل المذاهب و المدارس الفكريه التى اتبعها أولئك السلف،أم انهم يجتهدون فى اختيار مذهب واحد و مدرسه واحـده؟!و هم كـذلك يفعلون ممـا يثير التسـاؤل:إذا جـاز لهم الاجتهـاد فى اختيـار أصـل المـذهب فلما ذا لا يجوز الاجتهاد فى فروعه؟و أساسـا إذا كـان للاجتهـاد قيمه عنـدهم فمـا الـذى يمنعهم من توسـيع نطـاقه؟! و إذا جاز لهم التطوير فى شؤون حياتهم الماديه فاذا بهم يركبون السـيارات المرفّهه،و يسـكنون القصور الفخمه،و يأخـذون بكل معطيات العلم الحـديث، فلما ذا لا يجوز لهم التطوير فى فهم دينهم حسب تقدم العلم،و توسع نطاق العقل؟! و إذا كانوا يستندون فى تقديس التراث إلى بعض الأحاديث المتشـابهه فلمـا ذا تراهم يـتركون كتـاب ربهم الـذى يصـرح:بـأن المسـتقبل أفضـل من الماضـى و ان اللّه يـورث الأرض عبـاده الصالحين.

و قد ساق المؤلف الشـهير محمد سعيد رمضان البوطى (۱)أدله عديده على أن السـلف(فى القرون الثلاث الأول)قد طوّروا منهج فهم الـدين بأنفسـهم،و قـد أخـذوا بالوسائل الجديده،ثم عاب على هذه الطائفه المسـتحدثه انتماءهم للسـلفيه قائلا:ننتهى من هذا الذى أوضحناه إلى أن كلمه السلفيه ليس لها من المضمون العلمى أو الواقع الإسلامى ما يجعلها تنطبق على جماعه من المسلمين بعينها، و يضيف قائلا:ان السلف الصالح الذى تنتسب إليهم كلمه السلفيه لم يجمدوا

۱- ۱) فى كتابه:السلفيّه مرحله زمنيه مباركه لا مذهب سياسى الذى طبع عام(۱۹۸۸)

فی قرونهم الثلاثه،بل حتی فی قرن واحد منها علی حرفیه أقوال صدرت منهم أو واقع آراء أو عادات تلبسوا بها بحیث یصبح ذلک الجمود هو دستور الانتماء إلیهم، و التقوقع فی حزبهم (۱).

و الآیه الکریمه من خیر دعاء المؤمنین لإخوانهم سواء السابقین أو المعاصرین و الأنداد،و إن المؤمن الصادق هو الذی تتجلی له الأخوه بلحاظ الإیمان اعمق من تجلیها بلحاظ النسب،فأخوه کل مؤمن و أخته کل مؤمنه،مهما اختلف اللّون و اللّسان و الحسب،و مهما اختلفت المسافه الزمنیه و المکانیه بینهما أو اختلفت الطبقات،و هو لا ینظر إلی نفسه کفرد،انما جزء من امه بکاملها،بتاریخها و حاضرها و مستقبلها فیدعو لنفسه و لها علی السواء،و یسعی لتحقیق أهدافه،کما یساهم فی تحقیق أهداف إخوانه،و یسعی نحو تطهیر نفسه من رواسب الحقد و الحسد و الشحناء تجاه إخوته فی الدین.

وَ لاٰ تَجْعَلْ فِی قُلُوبِنٰا غِلاًّ لِلَّذِینَ آمَنُوا من حقد أو حسد أو أیّ أمر یدفع الإنسان إلی معادات إخوانه،و هذا من أهم الطموحات التی یسعی المؤمنون نحوها متوکلین علی اللّه، لأن الخروج من شح النفس الفردیه،و التخلص من الأغلال تجاه الآخرین من الأمور الصعبه التی تحتاج الی توفیق إلهی،و اراده قویّه،و لأن ذلک عنوان بلوغ الإنسان درجه رفیعه من الإیمان،

فقد جاء فی الحدیث الشریف :«آخر ما یخرج من قلوب الصدیقین الحسد »و المؤمنون یدرکون ذلک و یعلمون أن بلوغهم درجه التخلص من الأغلال تجاه إخوانهم دلیل رأفه اللّه و رحمته بهم،و لذلک یثنون علیه فی دعائهم فیقولون:

رَبَّنٰا إِنَّکَ رَؤُفٌ رَحِیمٌ

۱- ۱) المصدر/ص ۲۲

و هذان الاسمان للّه يتجليان فى سلوك المؤمنين عبر تعاملهم مع بعضهم،و هم يسألون ربهم المزيد من التوفيق للتخلق بهما،و أن يرأف بهم بنزع الأغلال من قلوبهم تجاه بعضهم،و يرحمهم بالغفران.

[۱۲-۱۱]تلك كانت صوره المؤمنين فى توادهم و تراحمهم،و هناك صوره معاكسه تمثل المنافقين و الكافرين،و تحكى تفتّت علاقاتهم،و يحدثنا السياق عن أمثوله لها من علاقه منافقى المدينه مع كفار بنى النضير،فبالرغم من العهود و المواثيق التى أعطاها أولئك لهؤلاء،و رغم التحالفات التى عقدوها مع بعضهم ضد الإسلام و الرسول إلا أن ذلك لم يضف إلى تماسكهم شيئا،إنما تقطعت بهم الأسباب مع أول مواجهه تمّت بينهم و بين المسلمين.و هذه الأمثوله جديره بالتأمل من قبل المؤمنين بالذات و هم يخوضون الصراع مع الأعداء،فان ذلك ينفخ فيهم روح الثقه و الاطمئنان بالنصر،و لذلك يدعو اللّه نبيّه و كل مؤمن إلى دراسه ذلك بقوله سبحانه:

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نٰافَقُوا و سمى المنافق منافقا اشتقاقا من نافقاء اليربوع(جحره)فإنه يخفى نفسه فيها، كما يتخذ المنافق نفقا من التّصنع و التكلّف و الكذب يخفى فيه شخصيته الحقيقيه، و لقد كان المنافقون على مرّ التاريخ مزدوجى الشخصيه،فهم بين المسلمين يتظاهرون بأحسن صور الإسلام،و بين الكفار يظهرون على حقيقتهم المعاديه للحق و لأهله،و يتخذون ذلك مطيّه لنيل الغنيمه و المصلحه من الفريقين.

يَقُولُونَ لِإِخْوٰانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتٰابِ هؤلاء هم إخوانهم الحقيقيون لأن شخصيتهم و مصالحهم و أهدافهم واحده،

بالرغم من تظاهرهم بالأخوه للمؤمنين،و ليس إخوتهم كل أهل الكتاب ففيهم المؤمنون،انما إخوانهم الكافرون و المشركون منهم،و جزء من مسيره النفاق تربّص أهله الدوائر بالمؤمنين بحثا عن المصلحه التى لا تتحقق بسياده الحق و أتباعه المخلصين،لذلك ارتأى المنافقون و قد بدت علامات الحرب بين بنى النضير و المسلمين أن يؤججوا الصّراع طمعا فى انتصار الباطل،و صعودهم داخليّا الى سده الحكم،أولا أقل تجنبهم المخاطر المترتبه على هزيمه المؤمنين لو حسبهم أولئك منهم، و لكنهم-و هذا ديدنهم فى كل زمان و مكان-لم يضعوا البيض كله فى سله اليهود،انما وضعوا احتمال هزيمتهم فخططوا و مكروا على أساسه بأن تبقى تحالفاتهم مخفيّه،حتى لو انهزموا لا يفقدون كلّ شىء بين المسلمين المنتصرين،فراحوا يتسللون لهم فرادى و جماعات،و يكاتبونهم مؤكدين:

لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ اى لو قرر المسلمون إخراجكم فسنخرج، و مصيرنا و إياكم واحد على كلّ حال،و لعل فى الآيه اشاره إلى أن مصير المنافقين و وجودهم مرهون بدعم القوى الخارجيه بحيث لا يبقى لهم كيان و لا مبرر وجود من دونها،و يؤكدون لهم صدق موقفهم،و يحرّضونهم بصوره أكبر ببيان استعدادهم للتمرد الدائم على قرارات القياده الرساليه و دعوه إخوانهم لو أنهم حاولوا دفعهم الى الوقوف ضد اليهود.

وَ لاٰ نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً أى لن يستجيبوا لدعوه المحاربه ضدهم مهما كان الداعى،و أنى كانت صوره الدعوه،و أن هذا الأمر من الثوابت التى لن تتغير،و حيث يؤكدون لليهود هذا الأمر بالذات فلأنهم يعلمون مدى طاعه المؤمنين لرسول اللّه(صلّى اللّه عليه و آله)يومئذ، و ان هؤلاء ربما تتغير مواقفهم لسبب ما.

ثم ان المنافقين يخبرون بنى النضير أن المسلمين قد يتخذون قرارا بالحرب ضدهم،و يؤكدون لهم استعدادهم للوقوف معهم فيها.

وَ إِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ ضد المسلمين،و يفضح اللّه هذه الدسائس التى تدور فى الخفاء:

وَ اللّٰهُ يَشْهَدُ و ان كانت مؤامراتهم المشؤومه تحدث فى السر بعيدا عن علم الرسول القياده و المؤمنين.

إِنَّهُمْ لَكٰاذِبُونَ فهم إذا حان القتال لا يوفون لهم بشىء من ذلك،و إن الذى باع المؤمنين و باع دينه من أجل اهوائه و مصالحه الدنيويه لمستعد أن يبيع أىّ أحد كان من أجل سلامته.

لَئِنْ أُخْرِجُوا لاٰ يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ فهم غير مستعدين للتضحيه بدورهم و أموالهم،و لتحمل ألوان المشقّه فى سبيل حلفائهم،لأنهم قد كرسوا إمكاناتهم من أجل راحه الدنيا،و ما ذا يدفعهم الى تحمل ذلك و الالتزام بعهد لهم مع فريق من الناس،و قد نقضوا عهودهم مع اللّه و مع رسوله و حاربوهما و المؤمنين من أجل الدنيا؟فهم إذا كاذبون.

وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لاٰ يَنْصُرُونَهُمْ لأنهم ليسوا فى مستوى التضحيه بالماده،فكيف التضحيه بالنفس،و بالأخص

إذا كان ظاهر المعركه انها تنتهى الى انتصار الحق و اهله؟!فهم غير مستعدين لخوض معركه تذهب بفضيحتهم و خسارتهم،و قد صنعوا المستحيل من أجل أن يلعبوا على الحبلين،و لا يصنفوا فى جهه و جماعه ما من أجل سلامتهم،وهب ان المنافقين جازفوا و دخلوا الحرب ضد المسلمين فما ذا سوف يغيرون فى الواقع؟! وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبٰارَ هزيمه،لهم و لأولئك،لأنهم لا يملكون مقومات الثبات فى القتال،و أهمها روح التضحيه و الشهاده،و المتوفره عند اتباع الحق دونهم،و لأن إراده اللّه أقوى من أن يثبت أمامها أحد،و حينها يخسر الكافرون أنصارهم،و سوف يخسر المنافقون مستقبلهم.

ثُمَّ لاٰ يُنْصَرُونَ أى لا أحد يمنع عنهم سطوه الحق و أهله.

[١٣]و انما ينهزم المنافقون و حتى الكافرون عسكريّا أمام المسلمين لأنهم يعيشون الهزيمه النفسيه فى داخلهم أيضا،و دليل ذلك توسلهم بالنفاق بين المسلمين لأنهم لا يملكون الشجاعه الكافيه للظهور على حقيقتهم،و كان الأولى لهم أن يخافوا اللّه الشاهد عليهم لو كانوا يعلمون و يؤمنون بالغيب.

لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللّٰهِ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاٰ يَفْقَهُونَ أى لا يعرفون الحقائق بعمق،و الى حدّ اليقين،و إلاّ لكانوا يتركون النفاق و التعاون مع أعداء الحق خشيه سطوه اللّه و عذابه فى الدنيا و الآخره.و هذه الصفه

متأسسه على النظره الماديه للحياه،فهم لا يعيشون حقائق الغيب،و لذلك لا يخشون ما يتصل بها كالخالق عزّ و جلّ،و قال سبحانه:«صدورهم»لبيان خلوها من الإيمان باللّه.

[۱۴]و من مظاهر خوفهم و هزيمتهم الداخليه أنهم لا يملكون شجاعه المواجهه المباشره مع المؤمنين،إنما يتوسلون بألوان الدفاعات الممكنه خشيه الموت،و من أسباب ضعفهم بالإضافه الى روح الهزيمه هذه التفتت فى الجبهه الداخليه اجتماعيا.

لاٰ يُقٰاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً صفّا واحدا متكاتفا(المنافقين و الكافرين،أو أفراد الجبهه المعاديه بصوره عامه)لأنهم لا يجتمعون-بسبب الخوف،أو بسبب اختلاف المصالح و الأهواء- على رأى و موقف واحد أبدا،أنّى كانت الوحده هى الصوره الظاهره فيهم.

إِلاّٰ فِي قُرىً مُحَصَّنَهٍ يأمنون بحصونها على أنفسهم من الهزيمه،أو لا أقل من الموت و لو بصوره نسبيه.

أَوْ مِنْ وَرٰاءِ جُدُرٍ و الجدر جمع جدار و هو الحائط،و انما يحاربون من ورائه لخشيتهم من الموت، و جبنهم من المواجهه،و هو يشبه جدار النفاق الذى يسترهم عن الفضيحه و الجزاء، و لعل ذلك يفسر خلفيات قرار الرسول صلى الله عليه و آله بهدم بعض بيوت بنى النضير،و قطع نخيلهم بأنهم كانوا ينتفعون بها فى الحرب للتستر و التسلل و التحصن،وهب أنها توفرت الحصون و الجدر و تجمعوا ظاهريّا فى صفّ واحد،و من أجل غايه واحده،

فان ذلک لا یعنی أنهم متوحدون،فانک لو فتشت قلوبهم و قلبت آراءهم لوجدتها متفرقه و متناقضه،بل لوجدتهم متناحرین فی کثیر من الأحیان،و السبب انهم لا یدورون علی محور واحد،و لا یسعون نحو هدف واحد کما یدور المؤمنون مع الحق أینما دار،و یستهدفون إقامه الحق فی الأرض.و أساسا الفرق بین الحق و المصالح:

هو أن الحق واحد،بینما الأهواء و المصالح تتناقض و تعود الی صراعات داخلیه جذریه و دائمه.

بَأْسُهُمْ بَیْنَهُمْ شَدِیدٌ أی أنهم یعادون بعضهم عداوه شدیده،حتی أنهم یقتلون بعضهم بشده،و هذه صفه معروفه عن الیهود،و قیل معناه:أنهم حینما یتحدثون بینهم یتظاهرون بالشدّه،و یکیلون الوعید علی أعدائهم،بینما قلوبهم خاویه من الشجاعه.

و المعنی الأول أقرب الی السیاق.لقوله سبحانه:

تَحْسَبُهُمْ جَمِیعاً متحدین،کما یتظاهرون بذلک أو یظهره اعلامهم.

وَ قُلُوبُهُمْ شَتّٰی متباینه،و ان الاختلاف الجذری و الحقیقی هو الذی یبدأ من القلوب المتشتته.

ذٰلِکَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاٰ یَعْقِلُونَ أی لأنهم لا یتبعون هدی العقل و الاّ لتوحدوا،لأن الحقائق التی تهدی إلیها العقول السلیمه المجرده واحده فی کل زمان و مکان ولدی کل الناس،و قد اتبعوا الباطل الذی لا یتفق معه الناس،فتفرقوا و تشتتوا،و لو کانوا یتبعون العقل لقادهم

إلى الحقّ الواحد.

[۱۵]و هذه المسيره التى لا تقوم على التفقه و التعقّل لا ريب انها ستقودهم إلى المصير السىء فى الدارين.

كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذٰاقُوا وَبٰالَ أَمْرِهِمْ فى الدنيا.

وَ لَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ فى الآخره.و قد يكون المعنى:أنّ أولئك لقوا جزاءهم،و لهؤلاء أيضا عذاب اليم مثلهم،و الوبال هو سوء العاقبه (۱)و قيل فى« اَلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ »:انهم عموم أعداء الحقّ،و قيل:هم المشركون الذين هزمهم الرسول فى بدر،و قيل:هم بنو قينقاع و هو الأقرب و الأشهر بين المفسرين،و هم أول فريق من اليهود نقضوا عهدهم مع الرسول(صلّى اللّه عليه و آله)و أرادوا حربه حسدا من عند أنفسهم،لما يرونه من تعاظم قوته،و قد نصحهم(صلّى اللّه عليه و آله)بان يتركوا ذلك،و لكنهم أصروا و قالوا:لسنا مثل قومك العرب الجبناء،الذين هزمتهم فى بدر،فاستعدوا للحرب التى دارت رحاها بذريعه بسيطه:حيث أن امرأه من المسلمين ذهبت لصائغ منهم تشترى منه ذهبا،فاجتمع اليهود عليها و أصروا ان تكشف عن وجهها لهم فلم تفعل-مما يدل على اشتهار الحجاب أيام الرسول بحيث كان يستر الوجه-فبادر الصائغ بشدّ ثوبها الذى عليها،بحيث ينكشف بعض بدنها للحاضرين،و كان اليهود يتضاحكون كلما بدت سوأتها.

و فى الأثناء التفت رجل من المسلمين للأمر فأخذته الغيره للحق فقتل الصائغ

۱- ۱) المنجد/ماده و بل

لما فعله،و لكن اليهود الجالسين معه اجتمعوا عليه و قتلوه،فثار المسلمون جميعا،و قرر الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله ان يحاربهم،فحاصر حصونهم و قراهم،و أمرهم بالجلاء فما وجدوا بدّا من التسليم لأمره،و رحلوا عن المدينه«و قال عبد اللّه ابن أبى:

لا تخرجوا فإنى آتى النبى فأكلمه فيكم،أو ادخل معكم الحصن،فكان هؤلاء أيضا فى إرسال عبد اللّه ابن أبى إليهم،ثم ترك نصرتهم كأولئك» (1).

هكذا كانت حساسيه المسلمين تجاه الظلم و إلى هذا الحد،بحيث يجهزون الجيوش،و يجلون قوما بأجمعهم لأنهم هتكوا عرض امرأه مسلمه و حرمتها،و لا ادرى اين هم الآن؟! [16]و يضرب القرآن لنا مثلا عن علاقه المنافقين بالكفار من أهل الكتاب و التى هى علاقتهم مع الآخرين فى كل زمان و مكان،فهم يحرضون الأعداء على المسلمين بأساليبهم الماكره ما داموا يرتجون مكسبا،و لكنهم بمجرد أن يجدوا أنفسهم أمام خطر جادّ يتهددهم من قبل المؤمنين أو يشعرون بالهزيمه يتبرءون منهم.

كَمَثَلِ الشَّيْطٰانِ إِذْ قٰالَ لِلْإِنْسٰانِ اكْفُرْ و زين له الأمر حتى كفر،و وجد نفسه فى عذاب اللّه.

فَلَمّٰا كَفَرَ قٰالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِنْكَ إِنِّى أَخٰافُ اللّٰهَ رَبَّ الْعٰالَمِينَ و كذلك المنافقون حرضوا بنى قينقاع و بنى النضير حتى تورطوا فى حرب مع المسلمين،فلما انهزموا انسلخوا عنهم،و تركوهم وحدهم يلقون جزاءهم،و جاء فى النصوص الاسلاميه:أن الشيطان ليملى فم الإنسان المخدوع به بالبصاق،و يبصق فى وجهه يوم القيامه إذا عاتبه أو سأله الخلاص.

ص:263

1- 1) مجمع البيان/ج 9 ص 264

[۱۷]و ماذا تكون النهايه حينما يتبع الإنسان الشيطان،سواء شيطان الجن أو الإنس كالمنافقين؟بلى.قد يحصل على بعض المصالح الماديه المحدوده،و يحقق بعض أهوائه و رغباته الدنيويه،و لكن يخسر المستقبل الأبدى.

فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِى النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا إلى الأبد يذوقا ألوان العذاب،و ما هى قيمه بعض من حطام الدنيا إذا كانت هذه هى عاقبته؟!! وَ ذٰلِكَ جَزٰاءُ الظّٰالِمِينَ الذين يظلمون أنفسهم و غيرهم باتباع هوى النفس،و وسواس الشيطان،و فى التاريخ صور كثيره عن هذه العاقبه المشينه.إليك واحده منها:جاء فى الأثر:انه جىء لعابد زاهد من بنى إسرائيل بشابه جميله أصابها الجنون كى يدعو لها بالاسم الأعظم فتشفى،فلما صار عليهما الليل حدثه الشيطان عن الفاحشه،و ايقظ فيه الهوى و الشهوه،و وسوس له حتى واقع المرأه،و كانت هذه الخطوه الأولى.ثم عاوده على قتلها حتى لا يفتضح امره بقولها أو بحملها فقتلها و دفنها.و لما أصبح الصباح جاء إخوتها يسألون عنها فأخبرهم بأنها خرجت الى حيث لا يعلم، فرجعوا،إلا أن الفلاح الذى دفنت فى مزرعته وقع على جسدها و هو يحرث الأرض فأخبرهم،و ترافعوا معه لدى القاضى و اعترف بالجريمه فحكم بالشنق.و لكن الشيطان لم يتركه الى هنا انما تابع مسيرته،فقد جاء له عند حبل المشنقه و أوعده بخلاصه و اشترط عليه السجود له،فسجد للشيطان و لكن الشيطان لم يف له و انما تركه يشنق،و هكذا صار الى نار جهنم،و هذه عاقبه كل من يتبع خطوات الشيطان.

ص:۲۶۴

[سوره الحشر (۵۹): الآیات ۱۸ الی ۲۴]

اشاره

یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا اِتَّقُوا اَللّٰهَ وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مٰا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ إِنَّ اَللّٰهَ خَبِیرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ (۱۸) وَ لاٰ تَکُونُوا کَالَّذِینَ نَسُوا اَللّٰهَ
فَأَنْسٰاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولٰئِکَ هُمُ اَلْفٰاسِقُونَ (۱۹) لاٰ یَسْتَوِی أَصْحٰابُ اَلنّٰارِ وَ أَصْحٰابُ اَلْجَنَّهِ أَصْحٰابُ اَلْجَنَّهِ هُمُ اَلْفٰائِزُونَ (۲۰) لَوْ أَنْزَلْنٰا
هٰذَا اَلْقُرْآنَ عَلیٰ جَبَلٍ لَرَأَیْتَهُ خٰاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْیَهِ اَللّٰهِ وَ تِلْکَ اَلْأَمْثٰالُ نَضْرِبُهٰا لِلنّٰاسِ لَعَلَّهُمْ یَتَفَکَّرُونَ (۲۱) هُوَ اَللّٰهُ اَلَّذِی لاٰ إِلٰهَ
إِلاّٰ هُوَ عٰالِمُ اَلْغَیْبِ وَ اَلشَّهٰادَهِ هُوَ اَلرَّحْمٰنُ اَلرَّحِیمُ (۲۲) هُوَ اَللّٰهُ اَلَّذِی لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ اَلْمَلِکُ اَلْقُدُّوسُ اَلسَّلاٰمُ اَلْمُؤْمِنُ اَلْمُهَیْمِنُ اَلْعَزِیزُ
اَلْجَبّٰارُ اَلْمُتَکَبِّرُ سُبْحٰانَ اَللّٰهِ عَمّٰا یُشْرِکُونَ (۲۳) هُوَ اَللّٰهُ اَلْخٰالِقُ اَلْبٰارِئُ اَلْمُصَوِّرُ لَهُ اَلْأَسْمٰاءُ اَلْحُسْنیٰ یُسَبِّحُ لَهُ مٰا فِی اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ
اَلْأَرْضِ وَ هُوَ اَلْعَزِیزُ اَلْحَکِیمُ (۲۴)

ص:۲۶۵

هدی من الآیات:

هکذا بصرتنا الآیات السابقه بالصفات الرفیعه التی یتحلّی بها المؤمنون الصادقون،و التی هی رکیزه فلاحهم،کما حدثتنا عن العلاقه السیئه بین المنافقین و بین حلفائهم من أعداء الأمه، و فی ختام الفصل فضحت دورهم فی تضلیل الناس،و انهم کالشیطان الغوی،الذی یقود أتباعه الی النار ثم یتبرأ منهم.

و حیث أن اشراک إبلیس منصوبه لکل إنسان و حتی المؤمنین فلا بد من التحصّن عنه بالتقوی،کما أن المنافقین الذین یمثلون دور الشیطان فی الأمه الإسلامیه سیعملون علی تجرید المؤمنین من صفه الإیثار،و تفریقهم،ثم جر بعضهم إلی حزبهم،لذلک یدعو الوحی فی هذا الدرس الی تقوی اللّه،و التفکیر فی مستقبل الآخره،و الإحساس بهیمنه اللّه عبر ذکره الدائم مما یحفظ الإنسان عن الانحراف، و یحصّنه ضد الشیطان.

و تشیر الآیات باختصار الی الفرق الکبیر بین أهل الجنه و أصحاب النار،ثم یثنی السیاق علی عظمه القرآن و فاعلیته فی التأثیر باعتباره النهج الذی یربط المخلوق بربه و یذکره به،فهو لو أنزل علی جبل لخضع و تصدّع من خشیه ربه،و لک أن تعلم کم ینبغی أن یکون قلب الإنسان قاسیا إذا لم یتأثر بآیاته الحکیمه.و لکن هذا الکنز الإلهی العظیم لا یکتشفه الإنسان إلاّ إذا استثار عقله للتفکر فی آیاته، و التدبر فی أمثاله و قصصه.

و یکتسب القرآن عظمته الکبری من کونه کلام الخالق،و التجلی الأعظم له إلی خلقه،و هذه الحقیقه هی التی تکشف لنا العلاقه بین الکلام عن عظمه القرآن فی الآیه(۲۱)و الحدیث عن صفات اللّه فی الآیات(۲۴/۲۲)،فإن عظمه القرآن من عظمه خالقه المتجلیه فی أسمائه و صفاته.و لن تتحقق خشیه اللّه لأحد إلا إذا سمی الی آفاق المعرفه به سبحانه،و ذلک بالتعرف علی أسمائه الحسنی التی تتجلی فی کتابه و فی خلقه،و لذلک یختتم اللّه سوره الحشر بذکر مجموعه منها لکی یتعرف إلینا و نعرفه کما یرید.

بینات من الآیات:

[۱۸]یتمیّز المؤمنون عن غیرهم بخصال ثلاث هی:

۱-تقوی اللّه التی تسوقهم الی الطاعه و تحجزهم عن المعصیه،و هی روح الإیمان.

۲-الإیمان بالآخره کدار للبقاء و السعی الجاد و المستمر من أجل إعمارها باعتبارها دار مقرّ الإنسان،فلا یصدهم عن الاستعداد لها و التزود إلیها شخص و لا شیء.

۳-الإحساس العميق برقابه اللّه على أعمالهم،و هذا ما ينمّى فيهم روح التقوى و الإتقان.

و يسعى الشيطان(إنسيا كان أو جنيا)إلى مسخ شخصيتهم بسلبهم هذه الصفات الفاضله،و جرهم إلى الفسوق بأساليبه الخفيّه كالوساوس،و الظاهره كالدعايه المضلله،لذلك يوجه الوحى نداءه إلى المؤمنين بلطفه و عظيم منته،لكى يظهر هذا النداء الربانى على ما يلقى الشيطان من نداءاته الخبيثه فى القلب، و وساوسه الداعيه الى التمرد و العصيان،و إلى نسيان الآخره فيقول عز من قائل:

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ و التقوى درجه أرفع من الإيمان،و فى الآيه تحريض الى كل مؤمن بأن ينمّى إيمانه ليصل به إلى درجه التقوى لأن الإنسان بحاجه إلى درجه رفيعه من الإيمان ليواجه بها الضغوط و التحديات الشيطانيه،فحتى المؤمن قد ينحرف عن الصراط المستقيم خشيه الطاغوت أو الآباء أو المجتمع،و يمكن القول بأن التقوى هى:

التحصن دون أسباب عذابه و سخطه،أو الحرمان من رحمته،و التعرض لعقابه،مما تتسع الكلمه للعمل بالواجب و المندوب و ترك المحرم و المكروه.

وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مٰا قَدَّمَتْ لِغَدٍ بلى.إن الشيطان و هوى النفس يدعوان الإنسان إلى المزيد من التركيز فى حاضر الدنيا،و الاسترسال فى لذات العيش من دون حدود أو قيود،و على المؤمنين أن يقاوموا ذلك بالتفكير فى مستقبل الآخره الذى يرتكز على سعيهم فى الدنيا، و ما على الإنسان الذى يريد أن يعرف مستقبله إلاّ مراجعه حساباته،و النظر فى أعماله،و ضروره هذه المحاسبه تنطلق من أننا نستطيع التغيير و الاستزاده ما دمنا

نعیش فرصه الحیاه الدنیا،أمّا بعد الموت فلا تجدینا التوبه شیئا.و ما أحوج الإنسان إلی النقد الذاتی البناء للمستقبل،فإنه فی عرصه القیامه حیث المحاسبات الحاسمه یحتاج إلی أقل من مثقال الذره من أعمال الخیر،

فقد قال رسول اللّه صلی الله علیه و آله :

«تصدّقوا و لو بصاع من تمر،و لو ببعض صاع،و لو بقبضه،و لو ببعض قبضه،و لو بتمره،و لو بشقّ تمره،فمن لم یجد فبکلمه طیبه،فإن أحدکم لاقی اللّه فیقال له:ألم أفعل بک؟ألم أفعل بک؟ألم أجعلک سمیعا بصیرا؟ألم اجعل لک مالا و ولدا؟فیقول:بلی.فیقول اللّه تبارک و تعالی:فانظر ما قدمت لنفسک، قال: فینظر قدّامه و خلفه،و عن یمینه و عن شماله فلا یجد شیئا یقی به وجهه من النار » (۱).

و کما یجب علی الإنسان النظر الی ما یقدمه الی مستقبله الأخروی،فانه مسئول عن النظر إلی ما یقدمه لمستقبله الدنیوی أیضا(مفردا أو جماعه أو جیلا)و من الخطأ أن یعیش لحظته الراهنه بمعزل عن المستقبل و اخطاره،لان هذه اللحظه جزء من المستقبل،و لأنه و الجیل الحاضر رقم فی مسیره الآتین شاء ذلک أم أبی.

و لکی لا یقیّم البشر ما یقدمه للمستقبل من بعد الکم و حسب،یدعونا القرآن لترکیز التقوی التی تأتی من الإحساس بالرقابه الإلهیه،فان الذی یشعر بمعاینه الخالق له،و خبرته بسعیه لا شک سوف لن یکتفی بالکم بل سیجتهد بإحراز النوع المرضی عنده عزّ و جل،و ذلک بالإخلاص فی النیه و الإتقان فی العمل.

وَ اتَّقُوا اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ خَبِیرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ و لک أن تتصور فاعلیه الإنسان و سعیه(کما و نوعا)و هو یتحرک بشعور الحضور تحت رقابه رب العمل و الحساب و الجزاء.إنه سیجتهد حقّا لإحراز مرضاته،و بلوغ

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۹۲

ثوابه،و تجنب غضبه.

[۱۹]و انما یـدعو اللّه المؤمنین الی خشـیته،و الاسـتعداد للقـائه و تقواه بتحسـس رقـابته علی الأعمـال،لأن ذلک مما یمیزهم عن غیرهم،فیصـدق علیهم اسم المؤمنین، فلو أنهم تجرّدوا عن هـذه الخصال الثلاث لما أصـبحوا فی عداد أهل الجنه و حزب اللّه، و من هنا نکتشف العلاقه بین الآیه السابقه و هذه،فان ما اشـتملت علیه تلک یمثل أهم مضامین الشخصـیه المؤمنه المتمثله فی ذکر اللّه،الذی یجعل الفرد من أصحاب الجنه.

وَ لاٰ تَکُونُوا کَالَّذِینَ نَسُوا اللّٰهَ ای لم یتقوه،و لم یسـتعدوا للقائه فی الآخره،و لم یستشـعروا رقابته علی أعمالهم،إذا فنسـیان اللّه لا ینحصـر فی الکفر المحض به تعـالی و حسب،بـل یمکن ان یکون المؤمن ناسـیا له لو تورط فی واحـده أو أکثر من هـذه الأمور الثلاث.و تعبیره عنها بالنسیان یهدینا الی ان الإیمان به و ذکره مودع فی فطره البشر و ذاکرته،و لکنه یحید عن ذلک بسبب الغفله أو الشهوه و غیرهما.

و قد أوضح أئمه الهدی معنی هذه الآیه الکریمه،

قال أمیر المؤمنین -علیه السـلام- :«یعنی إنّما نسوا اللّه فی دار الدنیا لم یعملوا بطاعته » (۱)و ذلک جرهم الی عواقب خطیره هی الضلال و النار.

فَأَنْسٰاهُمْ أَنْفُسَہُمْ کنتیجه طبیعیه لنسیانه سبحانه،فان الذی لا یؤمن بربه،و لا یعتقد بالآخره، لا یجد قطبا ثابتا یدور حوله،و لا هدفا حقیقیا یسعی إلیه،إنما تتجاذبه التیارات

۱- ۱) بح/ج ۹۳ ص ۹۹

المختلفه،فيتبع يوما مجتمعه،و ثان:المحتلّين الأجانب،و ثالثا:التاريخ،و رابعا:

شهوه الرئاسه، فيصير مثل ذره تائهه تسير حسبما تسير الريح،و لا يعمل لمصلحته الحقيقيه،و لا انطلاقا من غايات وجوده،فإذا به و قد حان يوم القيامه« يَوْمَ تَأْتِی كُلُّ نَفْسٍ تُجٰادِلُ عَنْ نَفْسِهٰا »و لم يقدم لنفسه شيئا.

و بعباره:ان الذی يثبت للإنسان وجوده،و يعرفه بمصلحته،و هو ايمانه بربه، فالإيمان يمنحه الاستقلال و يعطيه الرؤيه السليمه تجاه نفسه و الثقه بها،و هذه من مميزات بصائر القرآن التی تحرر البشر من سلطه الهوی و هيمنه الشهوات،و عبوديه الطغاه و المترفين الذی يمنّونه بالهوی،و يرهبونه بصده عن الشهوات،كلا..

المؤمن يتجاوز هواه ليكرس وجوده و لا يستسلم لجواذب الشهوه فيثبت استقلاله، و يتحدی سلطه المستكبرين ليعی ذاته،و يعود الی كيانه،بينما الثقافه الجاهليه بألوانها و اتجاهاتها تفقده هذه القيم،و تحدوه إلی الذوبان فی محيطه،فيضل عن سواء السبيل.

أُولٰئِكَ هُمُ الْفٰاسِقُونَ الذين خرجوا عن حصن القيم فتخطفتهم ذئاب الهوی و سباع الطغيان.

[۲۰]بلی.نسيان اللّه يسبب الضلال،و يجعل الإنسان من أهل النار،لأن أصحاب الجنّه هم الذين تتوفر فيهم الخصال الثلاث(تقوی اللّه،و الاستعداد للآخره،و الإحساس برقابته)،و كما يختلف الفريقان فی الدنيا فی صفاتهم فإنهم يختلفون فی العقبی فی مصائرهم.

لاٰ يَسْتَوِی أَصْحٰابُ النّٰارِ وَ أَصْحٰابُ الْجَنَّهِ أَصْحٰابُ الْجَنَّهِ هُمُ الْفٰائِزُونَ

ص:۲۷۱

إذا فلنبحث عن صفات هذا الفريق و نسعى لتقمصها،و نبحث عن تجمعهم فننتمى اليه حتى نفوذ معهم فى الدنيا و الآخره.

و هكذا تتوالى آيات الذكر تبصرنا بمدى تميّز المؤمنين عمن سواهم لكى لا يغرنا إبليس بأنهما سواء.كلا..لا تستوى الجنّه و النار،و لا تستوى الحسنه و السيئه، و لا يستوى النور و الظلام،و لا الظل و لا الحرور،كذلك لا يستوى الصالحون أصحاب الجنه،و المسيئون أصحاب النار،بالرغم من أنهما فى الدنيا يتعايشون فى بلد واحد،و ربما تحت سقف واحد،و يتراءى للمعاين أنهما سواء،بل و يحاول المسيئون تمييع الفرق بينهم و بين الصالحين،و الدعايه بأنهم ما داموا فى الدنيا لا يؤاخذون بسوء أفعالهم فهم فى الآخره كذلك بمنجى منها،كلا..إنهما ليسوا سواء،و معرفه هذه الحقيقه تساهم فى بعث الإنسان الى الصلاح.

[۲۱]و إذا كان أصحاب الجنه هم الفائزين،فكيف نبلغ درجاتهم؟إنما بالقرآن الذى لن يأتى مثله مذكرا للإنسان بربه،و مربيا له على روح الإيمان و التقوى،ذلك أنه لو نزل على الجبال لتصدعت فكيف لا يستجيب له قلب الإنسان؟! لَوْ أَنْزَلْنا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خٰاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَهِ اللّٰهِ و التدبر فى هذه الآيه يهدينا إلى عده حقائق:

الأولى:أنه تعالى أضاف اسم الاشاره«هذا»الى القرآن.لماذا؟ربما لأنه أراد أن يذكّر قارئ القرآن بأن المعنى بالكلام هو كتابه الذى بين يديه،و أنه يتضمن من الآيات و الحقائق ما يصدع القلب،فإذا لم يخش تاليه ربه بسببه فليعلم

أن قلبه أقسى من الجبال.

و إذا كانت الاشاره متوجهه إلى القرآن كلّه فهى تشير بصوره خاصه إلى ذات الآيات القرآنيه التى تقع فى سياقها من سوره الحشر-بصفه أخص-و كيف لا تكون كذلك و هى تشتمل على تجلّ للّه للمؤمنين بأسمائه الحسنى؟! الثانيه:جاء اسم القرآن بالذات فى هذا السياق لماذا؟ربما لأن بلوغ الخشيه و النفع بالآيات يكون بتلاوتها و كونها مقروءه،و ليس بمجرد اقتنائها أو التزين بها، فالجبل يخشع و يتصدع لو أنزلت عليه الآيات التى تقرأ.

الثالثه:أن الجبل لا يخشع و لا يتصدع من القرآن بحروفه و ورقه،إنما يصير الى ذلك نتيجه المضامين العظيمه التى تشتمل عليها آياته،و أهمها و أعظمها انطواؤها على تجلّى الخالق عزّ و جلّ.لذلك كان القرآن هو المنزل،بينما كانت الخشيه من اللّه سبحانه.اذن فعظمه القرآن مكتسبه من ذلك التجلى،الذى ظهر بصوره أخرى للجبل فاندك و خرّ موسى صعقا.

وَ تِلْكَ الْأَمْثٰالُ نَضْرِبُهٰا لِلنّٰاسِ و لنا ان نهتدى من هذا المثل الى تصور مدى القسوه التى ينبغى أن يبلغها قلب الإنسان حتى لا يتأثر بالوحى خشيه و تقى.لا شك أنه سيكون أشد قسوه من الحجاره،« وَ إِنَّ مِنَ الْحِجٰارَهِ لَمٰا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهٰارُ وَ إِنَّ مِنْهٰا لَمٰا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمٰاءُ وَ إِنَّ مِنْهٰا لَمٰا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَهِ اللّهِ » (۱)هكذا يضرب اللّه الأمثال للناس.

لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ

ص:۲۷۳

۱- ۱) البقره۷۴/

فيهتـدون إلى عظمه كتاب ربهم،فتلين به قلوبهم،و تأكيـد القرآن على إثاره العقل بالتفكير لـدليل واضـح إلى أنه ليس بديلا عن عقل الإنسان إنما هو مكمل و مرشـد له الى الحق فى أقوم صوره.و هـذه الآيه تهـدينا إلى أن عظمه القرآن لا تتكشف لأحـد إلا بـالتفكر بآياته و أمثاله،ذلك أنه كلما تقـدم بالإنسان الوعى و العلم كلما عرف عظمته و أحس بالحاجه إليه،و أن الرساله الالهيه جـاءت لتحرك عقول البشـريه،و ترفع تخلفهـا الفكرى،ذلك أن الحركه الحضاريه الحقيقيه تبـدأ باسـتثاره العقل و ترتكز عليه،و العقول التى لا يحركها القرآن نحو التفكر و الخشيه من اللّه و هو أعظم محرك لهى أقرب إلى الموت من الحياه.

[۲۲]أسـماء اللّه وسائـل معرفته،و معرفه اللّه سبيـل قربه،و القرب من اللّه غـايه كمال الإنسان،و إنما خلق اللّه أسـماءه لكى نـدعوه بها،و لولا تلك الأسماء كيف كان يتسنى لنا معرفته؟ هكذا

جاء فى حديث شـريف عن الإمام الرضا-عليه السـلام -يسأله ابن سنان عن معرفه اللّه بنفسه،و متى خلق أسماءه؟فيقول:«هل كان اللّه عزّ و جلّ عارفا بنفسه قبل ان يخلق الخلق؟قال:نعم،قلت:يراها و يسمعها؟قال:

مـا كـان محتاجا الى ذلك لأنه لم يكن سألها و لا يطلب منها،هو نفسه،و نفسه هو، قـدرته نافـذه فليس يحتاج أن يسـمى نفسه،و لكنه اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها،لأنه إذا لم يدع باسمه لم يعرف » (۱).

و لكن كيف نـدعو اللّه بأسـمائه؟انمـا يتم ذلـك حينمـا نجعلهـا وسـيله الى معرفته، فلا نجمـد عنـد حروفها،و لا نـدعو بالأسـماء كأسـماء،بـل نجعلها سبيلا الى ذلك الرب الـذى نشـير اليه ب«هو»ذلك الـذى تجلت آياته فى كل شـىء،و لكن تعالت ذاته عن العقول.

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۵ ص ۲۹۵

و هكذا

جاء فی حديث مأثور عن الإمام الصادق(عليه السلام) حين يجيب هشام بن الحكم حين يسأله عن أسماء اللّه و اشتقاقها:«يا هشام!اللّه مشتق من إله،و إله يقتضی مألوها،و الاسم غير المسمی،فمن عبد الاسم دون المعنی فقد كفر و لم يعبد شيئا،و من عبد الاسم و المعنی فقد أشرك و عبد اثنين،و من عبد المعنی دون الاسم فذاك التوحيد » (۱).

و يبدو لی ان كثيرا من البشر يضلّون حين يجمدون علی حدود الأسماء و الحروف الدالّه عليه أو علی حدود آيات اللّه دون أن ينفذوا ببصائرهم و حقائق إيمانهم إلی المعنی،و لعل أساس طائفه من أقسام الشرك هو هذا الجمود،و من هنا جاءت آيات الذكر لتوجهنا الی اللّه بإشارات فطريه.

هُوَ اللّٰهُ الَّذِی لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ و سيأتی إنشاء اللّه بعض التدبر فی هذه الكلمات المضيئه.

عٰالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهٰادَهِ

جاء فی الحديث المأثور عن الإمام الباقر(عليه السلام) :«الغيب ما لم يكن، و الشهاده ما كان » (۲).

و إحاطه الله بالغيب علما آيه قدرته النافذه،أو لم يقل ربنا سبحانه:« وَ عِنْدَهُ مَفٰاتِحُ الْغَيْبِ لاٰ يَعْلَمُهٰا إِلاّٰ هُوَ.. الآيه» (۳).

أو تدری كيف نستدل علی ان ربنا عالم الغيب؟لأنه تعالی قبل أن يخلق

ص:۲۷۵

۱- ۱) المصدر/ص ۲۹۶

۲- ۲) المصدر

۳- ۳) الانعام۵۹/

الخلائق علم کیف یخلقها بلا مثال سبق،و لا نقص لحق،فلو لا علمه السابق کیف کان یخلقها بهذه الدقه و المتانه؟ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِیمُ وسعت رحمته کل شیء،و تفضل علی المؤمنین برحمه خاصه.

[۲۳]فی کل أفق و مع کل شارقه و غاربه،و علی کل صغیره و کبیره آیاته، فمن هو و ما هی صفاته؟أنی ألقیت ببصرک شاهدت آثار ملکه و عظمته،و أیّ شیء رأیت أنبأک بقدرته و حکمته،و ای حدث شاهدت لامست تجلیات عزته و جبروته،فمن هو و ما هی أسماؤه؟ سؤال یرتسم علی کل شفه،و بکل مناسبه،و یأتی الجواب:انه«هو» و یلتقط الفکر هذه الإشاره لیجمع بها خیوط معارفه،بلی.هو غیب کل شاهد، و باطن کل ظاهر،هو نور کل ظلام،و خالق کل مخلوق.

«هو»و کفی بذلک تذکره لمن کان له قلب،أو لیس فی القلب فطرته،و فی أغوار کل فؤاد أشعه من نور معرفته؟ و لکن ما هی أسماؤه الحسنی؟أولا:«اللّه»فهو الإله الحق،الذی اجتمعت فیه کل صفات الألوهیه،فأشرنا الیه ب(الألف و اللام)و قلنا:«اللّه»و لم نقل:

«إله»فهو الإله الحق الذی لا یحق لغیره ادعاء الألوهیه،و هکذا تکون الأسماء التالیه تفسیرا لاسم«اللّه»و بالذات الجمله التالیه له.

هُوَ اللّٰهُ الَّذِی لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ فلأنه«لا اله الا هو»فهو«اللّه»و لا غیره إله،و لکن ما هی مظاهر ألوهیته

و تجلیاتها؟ أولا:إنه«الملک»یملک ناصیه القدره فی کل شیء،فلا حول لشیء و لا قوه له إلا به،و لا یقع حدث إلاّ فی دائره علمه و قدرته،و له مفاتح الغیب لا یعلمها إلا هو..تصور نمله صغیره فی غابه واسعه تنتقل فی لیله ظلماء من موقع لآخر،یعلم اللّه بسرها و هدفها،و حرکه الروح بین أضلعها،و وساوس الشهوه فی قلبها،و انبعاث الغرائز فی نفسها..یعلم کل ذلک و یحیط بها ملکوته.

إن الله یملک حرکه الأشیاء،و یملک ذاتها،فله ملکوت السموات و الأرض، تعالی ربنا و عظم ملکه.

انه ملک لا یزول ملکه،و لا تحدده الحدود الجغرافیه،و لا تقیّده المعادلات الکونیه.هل سمعت قصه المأمون العباسی عند ما دنت منه الوفاه کیف أشرف علی معسکره العریض،و تنفس الصعداء،و قال:یا من لا یزول ملکه ارحم من زال ملکه؟! هکذا قهر ربنا الجبار عباده بالموت و الفناء،حتی وضع الملوک علی رقابهم نیر العبودیه فهم من سطواته مشفقون،و من عزته خائفون.

ثانیا:للقدره حین تکون عند البشر سکرها،و سکر القدره أعظم من أیّ سکر، و حین تلعب برأس المقتدرین خمره القدره یفسقون عن حدود المشروع،و ینسابون فی الأرض انسیاب الأفعی یزرعون السمّ و الموت،و قد قال ربنا سبحانه: إِنَّ الْإِنْسٰانَ لَیَطْغیٰ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنیٰ (١)و قال سبحانه: فَهَلْ عَسَیْتُمْ إِنْ تَوَلَّیْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِی الْأَرْضِ وَ تُقَطِّعُوا أَرْحٰامَکُمْ (٢)و لکن ربنا سبحانه قدوس منزّه عن

ص:٢٧٧

١- ١) العلق٧/

٢- ٢) محمّد٢٢/

الظلم و الحيف،و القدوس الطاهر،و سمی الدلو عند أهل الحجاز ب(القدس)لأنه يتطهر به.و لعل معنی القدوس:أنّه سبحانه طاهر بذاته،و مطهّر لغيره،كما نقول فی قيوم:أنّ معناه القائم بذاته الذی تقوم به الأشياء.

ثالثا:و من تجلّيات اسم القدوس أنّه سلام،فهو لا يعتدی علی أهل مملكته، و لا يؤاخذ أهل الأرض بألوان العذاب،أما إذا التجأ اليه العبد فإنّه يجد دار السلام،حيث يحيطه من فضله بسكينه فی قلبه يمنحه بها سلامه من وساوس الشيطان،و سلامه من همزاته و دفعاته،و سلامه من الخوف و القلق و التردد،و سلامه من الحقد و الحسد و ظن السوء،و يحيطه من فضله بعافيه فی حياته و سلام من الأخطار،إلاّ حسبما تقتضيه حكمته من ابتلائه و فتنته،و يرجيه من فضله بعاقبه حسنی،فيها كل أمنه و سلام.

و هكذا

جاء فی الدعاء :

«اللهم أنت السلام،و منك السلام،و إليك يعود السلام ».

رابعا:و يشتق من السلام اسم«المؤمن»حيث يؤمن من التجأ إليه من شرّ نفسه و شرّ الشيطان و شرّ كل ذی شرّ هو آخذ بناصيته.

و لولا الأمان الذی وفره رب الرحمه و القدره لهذا الإنسان-و لكل الخلائق- كيف كان ينمو هذا المخلوق الضعيف عبر الأطوار المتلاحقه من حيث كان نطفه من منیّ يمنی،حتی خلقه فی رحم أمه علقه فمضغه فعظاما،حتی جعله خلقا سويّا،و الی أن أحاطه برعايه أمه و عنايه أبيه،و وفر له الحمايه بالحفظه الذين ساقهم بين يديه و من خلفه حتی قال ربنا سبحانه: إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمّا عَلَيْها حافِظٌ (1)و هذا أقرب معنی لكلمه«المؤمن»،و قد استشهدوا عليه بقول النابغه:

ص:۲۷۸

۱- ۱) الطارق/۴

و المؤمن العائذات الطير يمسحها ركبان مكه بين الغيل و السلم

ای قسما بالذی أعطی الأمان للطيور التی عاذت بالبيت الحرام فاذا بالحجيج يمسحون عليها بين غابات الشوك و كثبان الرمل.

و قال بعضهم:ان معنی«المؤمن»:انه سبحانه شهد أنه لا إله الا هو،و روی عن ابن عباس قوله:«إذا كان يوم القيامه أخرج أهل التوحيد من النار،و أول من يخرج من وافق اسمه اسم نبی حتی إذا لم يبق فيها من يوافق اسمه اسم نبی قال اللّه تعالی لباقيهم:أنتم المسلمون و أنا السلام،و أنتم المؤمنون و أنا المؤمن فيخرجهم من النار ببركه هذين الاسمين» (۱).

خامسا:و لكن هل يؤمن الناس من الشرور الا المليك المقتدر الذی استوی علی عرش القدره تماما؟ كذلك ربنا سبحانه فهو«المهيمن»الحفيظ الرقيب،الذی لا يضيع عنده أحد.

و قد قالوا فی معنی«المهيمن»أنه الأمين،و قيل:الشاهد،و قيل:هو المؤمن فی المعنی،لأن أصل اللفظ المؤيمن،إلاّ أنه أشدّ مبالغه فی الصفه،و قيل:هو الرقيب علی الشیء،يقال:هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيبا علی الشیء» (۲).

و يبدو أن أصل معنی المهيمن المسيطر،و أنّ سائر المعانی مشتقه منه،فإن من سيطر كان رقيبا و شاهدا و حفيظا..

سادسا:و هيمنه اللّه علی الخليقه بلا معارض أنه يقهر و لا يقهر،و يسأل و لا يسأل،و يجير و لا يجار عليه،و هو المنيع الذی لا يرام،و هو شديد المحال..و كل هذا ينبئ عن عزته،و هی غايه الهيمنه.كما ان فی الهيمنه كما الإيمان.

۱- ۱) مجمع البيان/ج ۹ ص ۲۶۷

۲- ۲) القرطبی/ج ۱۸ ص ۴۷

و الايمان قمه السلام.

سابعا:هل تريد ان ترى تجليا لاسم«العزيز»؟انظر الى جبروت الخالق، و كيف انه قهر خلقه بما ألزمهم من سننه،فهم لا يخرجون عن الحدّ الذى رسم لهم الا بما شاء،فلا يملك أحد يوم ولادته و لا ساعه وفاته،و لا ما قدر له من رزق، و لا ما سيّر عبره من قضاء..انه اللّه«الجبار».

و«الجبار»اسم من الجبر،و هو القهر و السلطه،و إذا أطلق على عباد اللّه كان ذمّا،لأن الحاكميه المطلقه للّه،أما خلقه فخير صفاتهم الالتزام بحاكميه اللّه،اما إذا قهروا الناس فقد اعتدوا عليهم،و نازعوا اللّه سلطانه.

و قيل:ان معنى الجبار الذى يجير الكسير،و يبدو أن المعنى الأول أظهر.

ثامنا:و ليست صفه الجبار كامنه عند اللّه،و لكنها تتجلى فى تكبره حيث لا يدع أحدا يعتدى على سلطانه الا بقدر ما تقتضيه حكمه الابتلاء،فهو «المتكبر»،و لذلك

جاء فى الحديث القدسى المأثور عن رسول اللّه(صلّى اللّه عليه و آله) :«الكبرياء ردائى،و العظمه إزارى،فمن نازعنى فى واحد منهما قصمته،ثم قذفته فى النار » (1).

و

جاء فى حديث مأثور عن الإمام الصادق(عليه السلام)انه قال :«و الكبرياء رداؤه فمن نازعه شيئا من ذلك أكبه اللّه فى النار » (2).

هذه هى أسماء اللّه التى لو تدبر فيها الإنسان و تفتح قلبه على نورها ازداد ايمانا بربه و عرفانا.

1- 1) القرطبى/ج 18 ص 47

2- 2) نور الثقلين/ج 5 ص 298

اَلْمَلِکُ الْقُدُّوسُ السَّلاٰمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَیْمِنُ الْعَزِیزُ الْجَبّٰارُ الْمُتَکَبِّرُ فهل فی خلقه أحد یمکن ان یدّعی هذه الأسماء،حتی یکون شریکا له فی ملکه؟کلا..

سُبْحٰانَ اللّٰهِ عَمّٰا یُشْرِکُونَ هل أنبأت عن إله مثل رب العزه فی أسمائه الحسنی یشرک به؟کلا..إنما هم مخلوقون مربوبون عاجزون محدودون فانی یذهبون؟! تری بعضهم یعبد بقره،و الآخر یعبد طاغوتا،هو أقل شأنا من البقره؟و الثالث یعبد صنما أصمّ.أ فلا یعقلون؟! حقا!ان الذین یشرکون بربهم لا یعرفون اللّه بأسمائه و صفاته،و لو عرفوا شیئا منها لأدرکوا تفاهه من یشرکون به ربهم و سفاهه عقول من یشرک.

و

قد جاء فی الأثر المروی عن الإمام علی(علیه السلام) فی معنی و فضیله (سبحان اللّه)أنه سأل رجل عمر بن الخطاب،فقال:یا أمیر المؤمنین:ما تفسیر (سبحان اللّه)؟فقال:إنّ فی هذا الحائط رجلا إذا کان سئل أنبأ،و إذا سکت ابتدأ،فدخل الرجل و إذا هو علی بن أبی طالب،فقال:یا أبا الحسن!ما تفسیر (سبحان اللّه)؟قال:«هو تعظیم جلال اللّه عزّ و جلّ و تنزیهه عما قال فیه کل مشرک،فإذا قالها العبد صلّی علیه کلّ ملک » (1).

[۲۴]ذکرت الآیه المتقدمه بصفات اللّه،و یبدو أن هذه الآیه تذکر بأفعاله

ص:۲۸۱

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۹۷

الحميده،و تلک الأسماء المشتقه منها.

اولا:الخلق،و یبدو ان معناه صنع الأشیاء بعد ابتداعها،و لذلک یمکن أن یسمی غیر اللّه خالقا،و قد قال ربنا: فَتَبارَکَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِینَ (۱)و قال سبحانه: وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّینِ کَهَیْئَهِ الطَّیْرِ (۲).

ثانیا:و نحن إذ نصنع شیئا فانما نغیر شیئا موجودا من صوره لأخری،بینما ربنا سبحانه أنشأ الخلق انشاء،و ابتدعه ابتداعا،لا من شیء کان احتذی به،و یبدو أن هذا هو معنی«الباریء»حیث قال المفسرون:ان معناه المنشیء المبتدع، و بهذا صرح طائفه من اللغویین أیضا.

و قال بعضهم:إن أصل معنی برأ شوفی من مرض،ثم توسع لیشمل من یصنع شیئا بلا نقص أو عیب،و علی هذا فان«الباریء»هنا الذی اتقن خلقه فلم یدع فیه ثغره أو فطورا.

ثالثا:و قد خلق اللّه الأشیاء بعد ان ابدعها،و بعد أن قدرها تقدیرا حسنا، و لعل هذا هو معنی«المصور»فقد قدّر فی علم الغیب العالم بما شاء ثم أبدع ماده العالم لا من شیء،ثم خلقه و صنعه بأحسن الصنع سبحانه.

و قیل: ان التصویر هو التشکیل و التخطیط،و هو یتم بعد الإنشاء و الصنع، فیکون المعنی انه سبحانه أحسن صنع الأشیاء،و أحسن صورها.

رابعا:لیست أسماء اللّه محدوده بهذه الکلمات علی عظمتها،بل« لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنی »جمیعا.أ فلیست الخلائق آیاته؟أو لیست آیاته تجلیات أسمائه،فهو نور

۱- ۱) المؤمنون۱۴/

۲- ۲) المائده۱۱۰/

السموات و الأرض،و له المثل الأعلى؟!و إذا نظرت الى آيه من آيات قدرته و عظمته و بهائه و جلاله فاتخذها وسيله الى معرفه ربك،و ادعه بها لأن الذى تدعوه..

هُوَ اللّٰهُ الْخٰالِقُ الْبٰارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ و

جاء فى الحديث المأثور عن رسول اللّه(صلّى اللّه عليه و آله) :«للّه عزّ و جلّ تسعه و تسعون أسماء من دعا اللّه بها استجاب له،و من أحصاها دخل الجنه » (١)إنّ معرفه اللّه بأسمائه الحسنى تحصن الإنسان من الإلحاد فيها،و التنكّب عن صراطه القويم،ذلك أن جهاله الإنسان،و وساوس الشيطان تدفعه نحو تقديس غير اللّه،أو اتباع الشركاء من دونه،مما يهلكه و يجعله من الخاسرين،و إنّما النجاه عن ضلاله الشرك الظاهر و الخفى بتسبيح اللّه و تقديسه،و ذكر أسمائه الحسنى،فإذا عظم الخالق فى قلب الإنسان تلاشى عنه غيره.أو ليس النور نجاه من الظلام كذلك التوحيد نجاه من الشرك.

و حين نقدس-نحن البشر-ربنا العزيز فإنّنا ننسجم مع سنه العالم،فكل ما فى السموات و الأرض يسبح له،و هكذا تخدم سنن العالم من يسبح اللّه و يوحده،بينما الذى يشرك به يبقى وحده فيتخطفه الشيطان و يلقيه فى سواء الجحيم.

يُسَبِّحُ لَهُ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ و هكذا تختم السوره بتسبيح اللّه كما افتتحت به،و بين تلك الفاتحه و هذه

١- ١) نور الثقلين/ج ۵ ص ٢٩٩

الخاتمه رفعت آياتها الكريمه أهل البصائر الى آفاق المعرفه التى تتصل فيها معرفه المجتمع و ما فيه من صراع بين الكفر و الإيمان بمعرفه آفاق السموات و الأرض و ما فيها من أسماء اللّه الحسنى.

و لهذه الآيات الثلاث الأخيره من سوره الحشر فضل كثير حسب النصوص المأثوره.أو ليست تهدينا الى أسماء اللّه الحسنى التى بها خلق ربنا سبحانه السّموات و الأرض،و بها صلح أمر الأولين و الآخرين؟تعالوا نستمع الى النبى (صلّى اللّه عليه و آله)و الى أوصيائه(عليهم السلام)كيف يعظمون شأن هذه الأسماء،التى لو قرأها المرء بتدبر و وعى،و جعلها وسيله لدعاء ربه فانها تصنع الكرامات.

روى عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله انه قال :«من قال حين يصبح ثلاث مرات:أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم،و قرأ الثلاث آيات من آخر الحشر،و كل اللّه به سبعين ألف ملك يصلّون عليه حتى يمسى،فإن مات فى ذلك اليوم مات شهيدا،و من قال حين يمسى كان بتلك المنزله » (۱).

و

روى عن أبى هريره قال سألت خليلى أبا القاسم صلى الله عليه و آله عن اسم اللّه الأعظم؟فقال:«يا أبا هريره!عليك بآخر سوره الحشر فأكثر قراءتها،فأعدت عليه فأعاد علىّ،فأعدت عليه فأعاد علىّ » (۲).

و

روى عن الإمام الصادق(عليه السلام)أنه قال لعبد اللّه بن سنان: يا بن سنان!لا بأس بالرقيه و العوذه و النشره (۳)إذا كانت من القرآن،و من لم يشفه القرآن فلا شفاء له،و هل شىء أبلغ من هذه الأشياء من القرآن؟أليس اللّه تعالى

۱- ۱) المصدر/ص ۲۹۳

۲- ۲) القرطبى/ج ۱۸ ص ۴۹

۳- ۳) نور من الرقيه

يقول جل ذكره« لَوْ أَنْزَلْنا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خٰاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ » (۱).

و قد وردت نصوص كثيره فى الاستشفاء بهذه الآيات من مختلف الأمراض (۲)و يجدر بنا أن نستمع فى خاتمه هذه السوره الكريمه إلى قلب نابض بالتوحيد، تنساب من ثناياه معرفه الرب،ذلك

علىّ بن أبى طالب(عليه السلام)الذى انعكست عليه آيات الكتاب حتى انغمست نفسه فى بحار المعرفه فقال:«و اللّٰه لو كشف لى الغطاء ما ازددت يقينا ».

تعالوا نستمع إليه و هو يخطب فى مسجد الكوفه فينبهر الناس من حسن صفته،فيقول:الحمد للّٰه الذى لا يموت،و لا تنقضى عجائبه،لأنّه كلّ يوم فى شأن، من إحداث بديع لم يكن،الذى لم يولد فيكون فى العزّ مشاركا،و لم يلد فيكون موروثا هالكا،و لم تقع عليه الأوهام فتقدّره شبحا ماثلا،و لم تدركه الأبصار فيكون بعد انتقالها حائلا،الذى ليست له فى أوّليته نهايه،و لا فى آخريّته حدّ و لا غايه،الذى لم يسبقه وقت،و لم يتقدّمه زمان،و لم يتعاوره زياده و لا نقصان،و لم يوصف بأين و لا بما و لا بمكان،الذى بطن من خفيّات الأمور،و ظهر فى العقول بما يرى فى خلقه من علامات التدبير، الذى سئلت الأنبياء عنه فلم تصفه بحد و لا ببعض،بل وصفته بأفعاله،و دلّت عليه بآياته،لا تستطيع عقول المتفكّرين جحده،لأنّ من كانت السموات و الأرض فطرته و ما فيهن و ما بينهن و هو الصانع لهن فلا مدفع لقدرته،الذى بان من الخلق فلا شىء كمثله،الذى خلق الخلق لعبادته،و أقدرهم على طاعته بما جعل فيهم،و قطع عذرهم بالحجج،فعن بيّنه هلك من هلك،و عن بيّنه نجا من نجا،و للّٰه الفضل مبدءا و معيدا،ثم إنّ اللّٰه-و له الحمد-افتتح الكتاب بالحمد

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۵ ص ۲۹۴

۲- ۲) راجع ذات المصدر/ص ۲۹۴-۲۹۵

لنفسه،و ختم أمر الدنيا و مجیء الآخره بالحمد لنفسه،فقال:« وَ قُضِیَ بَیْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ قِیلَ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ .

الحمد للّه اللابس الکبریاء بلا تجسد،و المرتدی بالجلال بلا تمثیل،و المستوی علی العرش بلا زوال، و المتعالی عن الخلق بلا تباعد،القریب منهم بلا ملامسه منه لهم،و لیس له حد ینتهی إلی حده،و لا له مثل فیعرف بمثله،ذلّ من تجبر عنه، و صغر من تکبّر دونه،و تواضعت الأشیاء لعظمته،و انقادت لسلطانه و عزّته، وکلّت عن إدراکه طروف العیون،و قصرت دون بلوغ صفته أوهام الخلائق، الأول قبل کل شیء،و الآخر بعد کل شیء،و لا یعد له شیء،الظاهر علی کل شیء بالقهر له،و المشاهد لجمیع الأماکن بلا انتقال إلیها،و لا تلمسه لامسه، و لا تحسه حاسه،و هو الذی فی السماء إله و فی الأرض إله و هو الحکیم العلیم، أتقن ما أراد خلقه من الأشیاء کلها بلا مثال سبق إلیه،و لا لغوب دخل علیه فی خلق ما خلق لدیه،ابتدأ ما أراد ابتداءه،و أنشأ ما أراد إنشاءه علی ما أراد من الثقلین(الجن و الانس)لتعرف بذلک ربوبیته،و یمکن فیهم طواعیته » (۱).

۱- ۱) موسوعه بحار الأنوار/ج ۴ ص ۲۶۵-۲۶۶

سوره الممتحنه

اشاره

ص:۲۸۷

بسم اللّه الرحمن الرحیم

فضل السوره:

فی کتاب ثواب الأعمال بإسناده عن علیّ بن الحسین(علیهما السلام)قال :

«من قرأ سوره الممتحنه فی فرائضه و نوافله امتحن اللّه قلبه للإیمان،و نوّر له بصره،و لا یصیبه فقر أبدا و لا جنون فی بدنه و لا فی ولده» نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۹۹

الإطار العام

الصوره المثلی التی تبشّر بها رسالات اللّه لحضاره الإنسان فی المستقبل،هی صوره ذلک المجتمع المبدئی الذی یتعالی عن مؤثرات الماده السلبیه،لیسمو إلی أفق القیم الربانیه،آنئذ تنصهر کل القوی فی بوتقه الوحی،بعیدا عن عصبیه الإقلیم و القوم، و حزازات الطائفه و الطبقه و الحزب.

و لکی تسعی البشریه نحو تحقیق هذه الصوره المثلی فإنّ الوحی یصنع نموذجا بشریّا رائعا ممن یسمیهم بحزب اللّه أو الأمه الشاهده و الصفوه الخالصه..لکی تکون سیرتهم قدوه لغیرهم،و لکی یکونوا کما الدرع الواقیه تحیط بالأمه و تمنعها عن التمزق و التشرذم..

أ رأیت کیف جعل اللّه الجبال أوتادا للأرض تحمیها من القواصف و العواصف و الهزات و الزلازل،کذلک حزب اللّه المنتشرین فی أوساط الأمه یمنعونهم من التقاتل تحت ضغوط المصالح و الأهواء،و عن الاختلاف و التمزق.

ص:۲۹۱

و يبدو أنّ سوره الممتحنه تربى فى الأمه تجمّع حزب اللّه ثم الأمثل فالأمثل ممّن يتبع نهجهم و يقتدى بسيرتهم،و هكذا الخطاب يتوجه فى فاتحتها الى المؤمنين لكي يبتعدوا عن موده الكفار المعادين للرسول و لكم لأنكم قد تفرغتم للجهاد فى سبيل اللّه،و لأنكم تبحثون عن مرضاته،و لأن اللّه يعلم سركم و نجواكم،و لأنّ هذه الموده ضلال عن الصراط السوي،و لأنّهم قد يتظاهرون اليوم بالموده و لكنهم إن يأخذوكم يشبعونكم أذى بألسنتهم و أيديهم،و أخيرا:لأنّهم لا يزيدونكم عند اللّه إلاّ خبالا، هنالك إذ يتميّز المؤمنون عن الكافرين.

و لمزيد من التحريض على الكفار المعادين يرغّب الرب المؤمنين بالتأسى بإبراهيم -عليه السلام-و المؤمنين فى عهده الذين تبرّأوا من قومهم الكافرين،و نابذوهم العداء،و توكلوا على اللّه.

إنّ هذا الموقف الصلب قد يجعله اللّه سبحانه سببا لانتصار المسلمين على الكفار أو لتحييدهم لا أقل مما يسمح للمؤمنين يومئذ بموده من يشاءون منهم لأنّ اللّه لا ينهى عن المبره إلى غير الأعداء من الكفار و القسط إليهم لأنّ اللّه يحب المقسطين.

و ينعطف السياق الى الحديث عن المهاجرات،ربما لأنّ المعروف التحاق المرأه بالرجل بينما صله الدين أقرب من علاقه الزوجيه،و هكذا كانت المرأه تترك زوجها للالتحاق بأبناء دينها،و لكن يأمر القرآن امتحانها،فإذا عرف منها الإيمان انفصلت عن زوجها،و من جهه ثانيه إذا آمن الرجل لم يجز له الإبقاء على زوجته الكافره.

و بعد بيان جمله أحكام تخص هذه المفارقه يبيّن القرآن بنود بيعه النساء،و أبرزها نبذ الشرك(و الذى يعنى نبذ كل حاكميه مخالفه لحاكميه اللّه)،و الأمانه فى المال و العرض،و المحافظه على الأولاد،و التورع عن اتهام أحد(فيما يتصل ظاهرا

بالأمانه فى النسب)،و الطاعه للقياده.

و فى خاتمه السوره يذكّرنا الرب بضروره الطالعه للقياده الرشيده،و ينهى عن اتباع القيادات الضاله.

ص:۲۹۳

[سوره الممتحنه (۶۰): الآیات ۱ الی ۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ . یٰا أَیُّهَا اَلَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تَتَّخِذُوا عَدُوِّی وَ عَدُوَّکُمْ أَوْلِیٰاءَ تُلْقُونَ إِلَیْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَ قَدْ کَفَرُوا بِمٰا جٰاءَکُمْ مِنَ
اَلْحَقِّ یُخْرِجُونَ اَلرَّسُولَ وَ إِیّٰاکُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ رَبِّکُمْ إِنْ کُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهٰاداً فِی سَبِیلِی وَ اِبْتِغٰاءَ مَرْضٰاتِی تُسِرُّونَ إِلَیْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَ
أَنَا أَعْلَمُ بِمٰا أَخْفَیْتُمْ وَ مٰا أَعْلَنْتُمْ وَ مَنْ یَفْعَلْهُ مِنْکُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوٰاءَ اَلسَّبِیلِ (۱) إِنْ یَثْقَفُوکُمْ یَکُونُوا لَکُمْ أَعْدٰاءً وَ یَبْسُطُوا إِلَیْکُمْ
أَیْدِیَهُمْ وَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَ وَدُّوا لَوْ تَکْفُرُونَ (۲) لَنْ تَنْفَعَکُمْ أَرْحٰامُکُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُکُمْ یَوْمَ اَلْقِیٰامَةِ یَفْصِلُ بَیْنَکُمْ وَ اَللّٰهُ بِمٰا تَعْمَلُونَ
بَصِیرٌ (۳) قَدْ کٰانَتْ لَکُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِی إِبْرٰاهِیمَ وَ اَلَّذِینَ مَعَهُ إِذْ قٰالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنّٰا بُرَآؤُا مِنْکُمْ وَ مِمّٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ کَفَرْنٰا
بِکُمْ وَ بَدٰا بَیْنَنٰا وَ بَیْنَکُمُ اَلْعَدٰاوَةُ وَ اَلْبَغْضٰاءُ أَبَداً حَتّٰی تُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَحْدَهُ إِلاّٰ قَوْلَ إِبْرٰاهِیمَ لِأَبِیهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَکَ وَ مٰا أَمْلِکُ لَکَ مِنَ
اَللّٰهِ مِنْ شَیْءٍ رَبَّنٰا عَلَیْکَ تَوَکَّلْنٰا وَ إِلَیْکَ أَنَبْنٰا وَ إِلَیْکَ اَلْمَصِیرُ (۴) رَبَّنٰا لاٰ تَجْعَلْنٰا فِتْنَةً لِلَّذِینَ کَفَرُوا وَ اِغْفِرْ لَنٰا رَبَّنٰا إِنَّکَ أَنْتَ اَلْعَزِیزُ
اَلْحَکِیمُ (۵) لَقَدْ کٰانَ لَکُمْ فِیهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ کٰانَ یَرْجُوا اَللّٰهَ وَ اَلْیَوْمَ اَلْآخِرَ وَ مَنْ یَتَوَلَّ فَإِنَّ اَللّٰهَ هُوَ اَلْغَنِیُّ اَلْحَمِیدُ (۶)

اللغه

۲[یثقفوکم]:فی المفردات:أن الثّقف:الحذق فی إدراک الشیء،و ثقفت کذا إذا أدرکته ببصرک لحذق فی النظر، و فی المصباح:ثقفت الشیء أخذته،و ثقفت الرجل فی الحرب:

أدرکته،و ثقفته:ظفرت به،و ثقفت الحدیث فهمته.

۴[أسوه]:الاسوه بالضم أو الكسر:القدوه،و تأسيت به و اتسيت به:اقتديت،و زاد الراغب فى مفرداته:و هى الحاله التى يكون الإنسان عليها فى اتباع غيره إن حسنا و إن قبيحا، و إن سارا و إن ضارّا.

ص:۲۹۵

لاٰ تَتَّخِذُوا عَدُوِّی وَ عَدُوَّکُمْ أَوْلِیٰاءَ

هدی من الآیات:

لکی تتکامل نفس المؤمن،و تصفو من شوائب الشرک و الشک،و تتعالی عن المؤثّرات المادیه،و بالتالی لکی تتهیّأ للقاء اللّه و نیل جنّاته و رضوانه،فإنّ علیه أن یجتاز بنجاح امتحان الولاء،و تتمحّض علاقاته فی الإیمان،و قد یدعوه ذلک إلی قطع و وشائج الولاء عن أقرب أرحامه فیقاوم تیّار عواطفه الجیّاشه تجاههم،و یتحمّل مضاعفات العزله عنهم و ضغوط الحیاه دونهم.

و ذلک من أصعب ما یتعرّض له الإنسان،و لکنّ القرآن یعالج ذلک علاجا موضوعیّا من شأنه تهوین الأمر فی نفوس المؤمنین،و دفعهم لخوض الامتحان بنجاح،ببیان الحقائق التالیه:

أوّلا:إن الکفّار لا یوادّون المؤمنین أبدا،بل یکنّون ضدهم الحقد و العداء،و إذا کانوا یتظاهرون بالمودّه أحیانا فإنّما لأسباب و ظروف و مصالح،فحیث لا یجدون

القدره علی إظهار العداء للمؤمنین الذین قویت شوکتهم یخفون کلّ ذلک،أمّا لو یظفرون بهم فإنّهم، لاٰ یَرْقُبُونَ فِی مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَ لاٰ ذِمَّهً وَ أُولٰئِکَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (۱)، و دلیل ذلک أنّهم أخرجوا من قبل الرسول صلی الله علیه و آله و المؤمنین من مکّه المکرمه، و استحلّوا حرماتهم و أموالهم.

ثانیا:المهم عند المؤمن الآخره فعلیه أن یعمل فی الدنیا ما ینفعه یوم القیامه، و لیس تنفعه تلک الولاءات شیئا،فلما ذا التشبّث بها؟ ثالثا:إنّ المقاطعه التی یفرضها اللّه علی المؤمنین لیست أمرا مستحیلا،فهناک من عمل بها و هو نبیّ اللّه إبراهیم علیه السلام و المؤمنون معه،حیث ضربوا المثل الأعلی فی البراءه من قومهم المشرکین و من آلهتهم المزیّفه،و فی الکفر بهم،و إظهار العداوه و البغضاء ضدّهم،و ما أروعها أسوه لکلّ مؤمن یرجو رضی ربّه،و یؤمن بالحیاه الأخری.

بینات من الآیات:

[۱]/قالوا فی شأن نزول الآیه:«لقد کانت قریش تخاف أن یغزوهم رسول اللّه صلی الله علیه و آله فصاروا إلی عیال حاطب-بن أبی بلتعه،و کان قد أسلم و هاجر تارکا أهله بمکّه-و سألوهم أن یکتبوا إلی حاطب یسألونه عن خبر محمّد هل یرید أن یغزو مکّه؟فکتبوا إلی حاطب یسألونه عن ذلک، فکتب إلیهم حاطب:إنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله یرید ذلک،(و فی روایه):من حاطب بن بلتعه إلی أهل مکّه:

إنّ رسول اللّه یریدکم فخذوا حذرکم (۲)و

دفع الکتاب إلی امرأه تسمّی صفیّه، و قیل:ساره مولاه أبی عمرو بن صیفی بن هشام،و کانت قد أتت رسول اللّه صلی الله علیه و آله

۱- ۱) التوبه/۱۰

۲- ۲) مجمع البیان/ج ۹-ص ۲۶۸

بعد بدر بسنتين فقال لها رسول اللّه صلى الله عليه و آله :أ مسلمه جئت؟قالت:لا،قال:فما جاء بك؟قالت:كنتم الأصل و العشيره و الموالى،و قد ذهب موالىّ فاحتجت حاجه شديده فقدمت عليكم لتعطونى و تكسونى و تحملونى،قال:فأين أنت من شباب مكّه؟-و كانت مغنّيه نائحه-قالت:ما طلب منى بعد وقعه بدر أحد-حيث فجعوا بأبطالهم و أخذهم الحزن و الغم-فحثّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله بنى عبد المطلب فكسوها و حمّلوها و أعطوها نفقه،و كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يتجهّز لفتح مكّه،و أتاها حاطب بن أبى بلتعه فكتب معها إلى أهل مكّه،و أعطاها عشره دنانير،و قيل عشره دراهم،و كساها بردا على أن توصل الكتاب إلى أهل مكّه» (۱)فوضعته فى قرونها و مرّت،فنزل جبرئيل على رسول اللّه و أخبره بذلك،فبعث رسول اللّه أمير المؤمنين عليه السلام و الزبير بن العوّام فى طلبها،«و قيل:معهم عمّار،و عمر بن الزبير،و المقداد بن الأسود» (۲)،فلحقوها فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام :أين الكتاب؟فقالت:ما معى شيء،ففتشوها فلم يجدوا معها شيء،فقال الزبير:ما نرى معها شيئا،فقال أمير المؤمنين عليه السلام :و اللّه ما كذبنا رسول اللّه صلى الله عليه و آله ،و لا كذب رسول اللّه على جبرئيل،و لا كذب جبرئيل على اللّه عزّ و جلّ ثناؤه، و اللّه لتظهرن الكتاب أو لأردن رأسك إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله ،فقالت:تنحّيا عنى حتى أخرجه،فأخرجت الكتاب من قرونها،فأخذه أمير المؤمنين عليه السلام و جاء به إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله ،و قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله :يا حاطب ما هذا؟فقال حاطب:و اللّه يا رسول اللّه ما نافقت، و لا غيّرت،و لا بدّلت،و إنّى أشهد أن لا إله إلاّ اللّه،و أنّك رسول اللّه حقّا،و لكنّ أهلى و عيالى كتبوا إلىّ بحسن صنيع قريش إليهم فأحببت أن أجازى قريشا بحسن معاشهم- و فى روايه أخرى -قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله :ما حملك على ما صنعت؟ فقال يا رسول اللّه!و اللّه ما كفرت مذ أسلمت،و لا غششتك مذ نصحتك،

۱- ۱) المصدر بتصرّف طفيف

۲- ۲) المصدر

و لا أحببتهم مذ فارقتهم،و لكن لم يكن أحد من المهاجرين إلاّ و له بمكّه من يمنع عشيرته،و كنت عريرا(أی غريبا)و كان أهلی بين ظهرانيهم فخشيت علی أهلی فأردت أن أتخذ عندهم يدا،و قد قلت:إنّ اللّه ينزل بهم بأسه،و إن كتابی لا يغنی عنهم شيئا،فصدّقه رسول اللّه(صلّی اللّه عليه و آله)و عذره» (1)فأنزل اللّه عزّ و جلّ علی رسول اللّه(صلّی اللّه عليه و آله) (2):

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَتَّخِذُوا عَدُوِّی وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِيٰاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ و الولی هو الذی يجعله الإنسان أولی به من سائر الناس بحبه وصلته و طاعته، و إنّما ينهی اللّه المؤمنين عن تولّی الأعداء من المشركين و الكفّار،لأنّ ذلك يناقض تولّيه عزّ و جلّ الذی يقتضی البراءه من أعدائه حيث لا يحتمل القلب الواحد ولائين متضادين،قال تعالی لاٰ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوٰادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كٰانُوا آبٰاءَهُمْ أَوْ أَبْنٰاءَهُمْ أَوْ إِخْوٰانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ (3).

و لم يقتصر القرآن علی بيان عداوه أولئك للّه،بل أثبت عداوتهم للمؤمنين،مع أنّ المحور هو العداوه للّه،و أنّ كلّ عدوّ له هو عدو للمؤمنين به،و ذلك ليؤكّد عداوتهم العمليه و المباشره لهم،و التی تظهر فی مواقفهم السياسيه و الاجتماعيه و الاقتصاديه من المؤمنين،كإخراجهم الرسول(صلّی اللّه عليه و آله)و المؤمنين من بلادهم و المشار إليه فی الآيات(۱،۸،۹)،فإنّ العدوّ للّه عدو للمؤمنين،و لكنّه قد لا يجد سبيلا للتعبير عمليّا عن عداوته لهم،إنّما يحفظها ظغائن فی صدره.و المؤمن قد يلقی بالموده للأعداء نتيجه العواطف أو الانهزام النفسی تجاههم،و سواء هذا أو ذاك

۱- ۱) تفسير القمی ج ۲ ص ۳۶۱

۲- ۲) المصدر ۳۶۱

۳- ۳) المجادله/۲۲

فإنّه نوع من الضعف النفسى الذى ينبغى التعالى عنه.و لعلّ الباء فى قوله«بالموده» جاء بمعناه الحقيقى على أن يكون المفعول لقوله:«تلقون»متروكا ليفيد الإطلاق، فلا يجوز إلقاء أىّ شىء بسبب الموده،فلا يجوز السلام بالموده،و لا الكلام بالموده، و لا التعاون بالموده،و لا أىّ شىء آخر بالموده،بلى.قد يجوز كلّ ذلك للضروره أو المصلحه،و ليس بالحب و الموده،و اللّه العالم.

و لكن لماذا كلّ ذلك؟للأسباب التاليه:

أوّلا:الصراع المبدئى بينكم و بينهم.

وَ قَدْ كَفَرُوا بِمٰا جٰاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ فهم لا يعترفون بالأمّه الإسلاميه و حقّها فى الوجود،لأنّ الاعتراف بأىّ مجتمع يبدأ من الاعتراف بقيمه و مبادئه و قد كفروا بهما حينما كفروا بالرساله الإلهيه، و لا ريب أنّ هذا اللون من الكفر ينطوى على التحدى و العداء،بل هو استهزاء بمقدّسات المؤمنين،فهل يصح بعدئذ للمؤمنين أن يوادّهم؟كلاّ..

ثانيا:محاربتهم للقياده الرساليه و للمؤمنين،عداوه للّه،و ترجمه عمليه لصراعهم مع الحق.

يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَ إِيّٰاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ رَبِّكُمْ إنّهم لا يريدون إلاّ الباطل الذى يبرّر وجودهم،و يوصلهم إلى شهواتهم،و هذا هو السبب لمحاربتهم المؤمنين،و ليس ما تعكسه وسائل إعلامهم من ضلالات يبرّرون بها بغيهم و فسادهم،و ليس بالضروره أن يبادر الظلمه إلى اعتقال المؤمنين و طردهم من بلادهم مباشره،إنّما يصطنعون أجواء الكبت و الإرهاب التى

تضطرهم إلى الهجره.و تسأل:لماذا يلجأ الظلمه على مرّ التاريخ لإخراج المؤمنين من بلادهم؟و الجواب:لأنّهم يخشون أن يستجيب المجتمع لمبادئهم الحقّه،و يتبع قيادتهم،و ينتمى إلى تجمّعهم،و بالتالى يصيرون بديلا عن أنظمتهم الفاسده، و قيادتهم. و لا ينبغى للمؤمن الذى يريد اللّه له العزه و بالذات من تعرّض لأذى الكفّار و الظلمه كالتهجير و الاعتقال أن ينسى جراحه،و يودّ عدوّه.

ثالثا:لأن موادتهم نقيض لأهم قيمتين عند المؤمنين و هما الجهاد فى سبيل اللّه، و ابتغاء مرضاته.بلى.الجهاد لإعلاء كلمه اللّه،و تحرير البلاد و العباد من ربقه الجبت و الطاغوت هو صبغه العلاقه بين المؤمنين و أعداء الرساله،و هو بحاجه إلى الشده منهم،بينما حبّهم و تولّيهم يفرّغ الجهاد من هذه الروح،ثم لماذا موادتهم و توليهم،هل لنيل رضاهم فإنّ ذلك لا يرضى اللّه عزّ و جلّ؟لأنّ السبيل إلى رضاه باتجاه مناقض تماما لسبيل رضى أعدائه،كما تشير الآيه إلى ذلك فى نهايتها.

إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهٰاداً فِي سَبِيلِي وَ ابْتِغٰاءَ مَرْضٰاتِي و ينطوى هذا المقطع على بيان عميق لمعنى الهجره فى سبيل اللّه عزّ و جلّ فى مفهوم القرآن،حيث تعنى الانقطاع التام عن الأعداء،و هجرتهم ماديّا و معنويّا.

أو ليس مقياس المؤمن هو الدّين،يحبّ عليه،و يبغض عليه،حتى

ورد عن الإمام الصادق(عليه السلام) :

«كلّ من لم يحب على الدين،و لم يبغض على الدين فلا دين له » و حيث يريد اللّه أن يستخلص قلوب المؤمنين له وحده نهاهم بصوره غير مباشره حتى عن مجرد الموده الخفيه التى يلقيها إليهم بعيدا عن علم الآخرين، و ذلك ببيان

إحاطه علمه بها.

تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّهِ وَ أَنَا أَعْلَمُ بِمٰا أَخْفَيْتُمْ وَ مٰا أَعْلَنْتُمْ و عبثا يظن بعض الناس بأنّ مواده الأعداء تصير به إلى مصلحه حقيقيه فى الدينا أو فى الآخره،كلا..

وَ مَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوٰاءَ السَّبِيلِ يعنى النهج و الطريق السليم الذى يوصل الإنسان إلى أهدافه و مصالحه،فإنّ ذلك فى اتباع كتاب اللّه و تولّى أوليائه،و ليس فى مواده أعدائه.

[۴-۲]/و يبيّن القرآن كيف أنّ من يواد الأعداء أو يتولهم يضل سواء السبيل:

أولا:لأنّ موادتهم لا تغيّر شيئا من عدائهم المبدئى للمؤمنين و لدينهم،فلربما تظاهروا بحب المؤمنين و لكنّهم يكنّون العداء لهم،و يستهدفون القضاء على الحقّ و أهله،فهم لو غلبوا المؤمنين أذا قوهم ألوان العذاب.

إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدٰاءً و الآيه توحى بأنّ الكفّار يسعون للتسلط على المؤمنين و الظفر بهم،و أنّهم إنّما يتظاهرون بقبول الموده ما دام المؤمنون ندا لهم فى القوه أو أقوى منهم،أمّا لو انعكست الموازين لصالحهم فلن يدخروا جهدا فى إبداء الحقد و العداوه.

وَ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ يعنى بألوان الأذى المادى كالقتال و التنكيل،و المعنوى كالحرب الإعلاميه،

ص:۳۰۲

و قد نزلت هذه الآيات فی المدینه بعد ما قویت شوکه المؤمنین،لذلک یفترض تعالی تمکّن المشرکین منهم افتراضا،و یعزّز صدق قوله عزّ و جلّ أنّهم أخرجوا الرسول (صلّی اللّه علیه و آله)و المؤمنین منذ قبل من بلادهم مکه حیث کانوا أقویاء.

کما أنّ الأعداء لا یعترفون بأنّ المؤمنین أمّه ممیزه،بل تجدهم یسعون إلی إعادتهم إلی ربقه الکفر.

وَ وَدُّوا لَوْ تَکْفُرُونَ هکذا یکشف الوحی طبیعه الأعداء،و لعلّنا نستفید من الآیه بأنّ موالات الکفّار و مودتهم تنطوی علی خطر عظیم قد یقع فیه من یفعل ذلک و هو الکفر باللّه سبحانه.

ثانیا:ثم إنّ المؤمن الحق هو الذی یعتبر الإیمان بالآخره و التفکیر فیها حجر الزاویه فی سلوکه،و الصراط المستقیم«سواء السبیل»هو أن یقدم الإنسان علی ما ینفعه فی الآخره،و لیس ینفع المؤمن ولاؤه للکفّار إذ تتلاشی یومئذ کلّ الروابط غیر الإیمانیه.

لَنْ تَنْفَعَکُمْ أَرْحٰامُکُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُکُمْ و هم أقرب الناس إلی الإنسان فکیف بالآخرین؟و السبب أنّه لا تبقی صله بین الناس لأنّها متأسسه علی الإیمان باللّه و الیوم الآخر،أمّا الأخری المصلحیه و العاطفیه فهی محدوده بالدنیا و تنتهی عند حدودها.

یَوْمَ الْقِیٰامَهِ یَفْصِلُ بَیْنَکُمْ و هنا لک یتضح الانفصال الحقیقی بین المؤمنین و الکافرین،و بین الأرحام

بعضـها،و بين الآبـاء و الأولادـ.و يحـذّر اللّه من طرف خفى بـأنّ المنـاوره لاـ تنفع فى الالتفاف على أحكامه و حكومته،كأن يودّ المؤمن أحدا من الكفّار أو يتولاّه ثم يبرّر هذا الانحراف بأنّه رحم أو ما أشبه.

وَ اللّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ثالثا:إنّ سواء السبيل هو خط الأنبياء و الـذين آمنوا،و قـد تبرّأوا من أعـدائهم و عادوهم و بغضوهم لوجه اللّه،و قـد ضـرب أبو الأنبياء إبراهيم(عليه السـلام) و المؤمنون معه المثل الأعلى فى هـذا الجانب فأصـبحوا خير أسوه على امتـداد الزمن، فـإنّهم لم يقطعوا حبل الموده و الولاء عن الأبعـدين و حسب،بل قطعوها عن أقرب الناس إليهم و هم قومهم و أرحامهم و آباؤهم.

لقد كان إبراهيم يتيما يحتاج إلى الحمايه الاجتماعيه و الاقتصاديه،و لكنّه لم يخضع لعمّه آزر طمعا فى شىء من ذلك،بل مضى قدما على نهجه الحنيف،فلم يتحدّ الكفّار اعتمادا عليه و لا على قومه،بل تحدّى قومه بدءا من عمّه،و تحدّى كلّ الشرك بدءا من قـومه،فأصـبح أسـوه المـؤمنين،و هكـذا تتحوّل حيـاه الأنبيـاء أسوه حسـنه للأجيـال المؤمنه من بعـدهم،و يتعزّز دور إبراهيم(عليه السلام)و الذين معه كأسوه للمخاطبين بهذه السوره حينما ندرك ظرف نزولها فى المدينه حيث تحوّلت الأمه الناشئه إلى مجتمع مسـتقل،و ذى قوّه لاـ يسـتهان بهـا،فإذا قسـنا ذلك الظرف بما عاشه المؤمنون فى عهـد إبراهيم كانت المسافه عريضه،حيث قاطع إبراهيم و المؤمنـون معه تلـك الفئه القليله المستضـعفه مجتمـع الشـرك مقـاطعه جـذريه شـامله،فكيـف يزعم البعض من مؤمنى المدينه و من كان مثلهم أنّ مقاطعه الكفر غير ممكنه؟!كلاّ..

أولئك أسوه لنا و حجّه علينا.

قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَهٌ حَسَنَهٌ فِى إِبْراهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ

ص:۳۰۴

لماذا عبّر القرآن الحكيم بهذه الصيغه مع تأكيد على شخص إبراهيم،و كان من الممكن أن يقول تعالى:قد كانت لكم أسوه حسنه في المؤمنين على عهد إبراهيم؟ربما ليؤكّد على دور القائد إبراهيم(عليه السلام)لأنّه هو الأسوه أوّلا و إنّما المؤمنون أتباع له،و هذا تأكيد من قبل اللّه على الدور الريادى للإنسان الفرد في التاريخ.

و هذا هو أبو الأنبياء و المؤمنون معه يعلنون موقفهم الحازم و الراسخ تجاره قومهم المشركين و ضد قيمهم الضاله،لم تثنهم قلّتهم،و لم تلجؤهم الضغوط إلى الركون و الخضوع لهم.

إِذْ قٰالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنّٰا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَ مِمّٰا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ و بذلك تحدّوا الأشخاص و المبادئ معا لما ينطويان عليه من الضلال،و كم يكون الأمر صعبا و التحدى مكلّفا إذا كان المتبرّأون هم الأقليه الضئيله،ذلك أنّ العزله عن الآخرين مكلّفه حتى و لو كانت من الأكثريه للأقليه،فكيف بالعكس؟!بلى.إنهم أعلنوا البراءه من قومهم،و هجروهم،و اشتروا ألوان المحن بقيمه تحديهم،و صبروا على الحق،و هكذا ينبغى للإنسان الحر أن يختار طريقه، بعيدا عمّا يجد عليه قومه و مجتمعه،و بالذات المؤمن الذى يعتبر الحق هو المقياس الأوّل و الأخير.و لعلّ القول«إذ قالوا»لا يعنى مجرد الكلام،إنّما يشمل كلّ ما من شأنه التعبير عن موقفهم و براءتهم ماديّا و معنويّا،فلقد أعلنوا بكلّ الوسائل براءتهم منهم..

كَفَرْنٰا بِكُمْ فلا نؤمن بنهجكم في الحياه،و لا نتخذكم مقياسا لمعرفه الحقّ و الباطل،و الكفر

بالباطل هو الوجه الآخر لولاء الحق،و قد أكّد اللّه ذلك فى قوله: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَهِ الْوُثْقىٰ لاَ انْفِصٰامَ لَهٰا (1)،و يجب أن لا يكتفى المؤمنون بمجرّد الكفر الباطن،إنّما ينبغى ترجمه ذلك عمليّا فى واقع الحياه،كما كان إبراهيم(عليه السلام)و المؤمنون معه.

وَ بَدٰا بَيْنَنٰا وَ بَيْنَكُمُ الْعَدٰاوَهُ وَ الْبَغْضٰاءُ هذه هى الصوره الحقيقيه و السليمه التى يجب أن تكون عليها علاقه المجتمع المؤمن بأعداء اللّه عزّ و جلّ،متمثله فى إعلان العداء على الاستمرار،لا تقطع ذلك عاطفه و لا شهوه أو مصلحه.

أَبَداً بلى.إذ اهتدى المشركون و الضالون إلى الإيمان بالحق،لا يبقى بعدئذ مبرّر لموقف البراءه(الكفر،إظهار العداوه و البغضاء)،ذلك أنّ المؤمن لا يعادى أحدا لعنصريه أو قوميه أو بسبب أحقاد متوارثه أو مصالح متضاربه،إنّما تقوده المبادئ فى كلّ مواقفه،و كما يقول أمير المؤمنين على(عليه السلام)فى صفته:«قد أمكن الكتاب من زمامه فهو قائده و إمامه يحل حيث حلّ ثقله،و ينزل حيث كان منزله».

حَتّٰى تُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَحْدَهُ و هذا المقطع يفسّر قوله تعالى فى الآيه(٧): عَسَى اللّٰهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الَّذِينَ عٰادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّهً بأنّ الموده بين المؤمنين و الأعداء تكون إذا آمن أولئك و نبذوا الأنداد و الضلال أو سلّموا لقياده المؤمنين.

١- ١) البقره٢٥٦/

ثم یستثنی القرآن لقطه واحده من حیاه إبراهیم(علیه السلام)یعالجها و یرفع ما حولها من غموض،فیقول:

إِلاّٰ قَوْلَ إِبْرٰاهِیمَ لِأَبِیهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَکَ وَ مٰا أَمْلِکُ لَکَ مِنَ اللّٰهِ مِنْ شَیْءٍ و لهذه الآیه تفسیران:

الأوّل:بأن تکون هذه اللقطه من حیاه إبراهیم(علیه السلام)مستثناه من عموم التأسی،فلا ینبغی لمؤمن أن یأتم به فیها.قال بعضهم ذلک،و برّر بأحد الأمرین:

الأوّل:أنّ اللّه سبحانه قد خصّ بذلک إبراهیم(علیه السلام)و أمره به لأسباب یعلمها و لمده محدوده،کما أجاز لنبیه(صلّی اللّه علیه و آله)الزواج بأکثر من أربع،حیث أنّ إبراهیم(علیه السلام)لم یقف عند حدود الوعد بل استغفر له، قال تعالی یحکی عنه: وَ اغْفِرْ لِأَبِی إِنَّهُ کٰانَ مِنَ الضّٰالِّینَ (1).

ثانیا:أو لأنّ القرآن یشیر بعض الأحیان إلی التراجعات التی تحدث فی حیاه الأنبیاء لکی لا یتحوّلوا إلی آلهه فی نظر المؤمنین بهم و أتباعهم،بالذات و أنّ هناک سابقه فی الاستغفار عند النبی نوح(علیه السلام)حیث قال: رَبِّ إِنَّ ابْنِی مِنْ أَهْلِی وَ إِنَّ وَعْدَکَ الْحَقُّ وَ أَنْتَ أَحْکَمُ الْحٰاکِمِینَ* قٰالَ یٰا نُوحُ إِنَّهُ لَیْسَ مِنْ أَهْلِکَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَیْرُ صٰالِحٍ فَلاٰ تَسْئَلْنِ مٰا لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّی أَعِظُکَ أَنْ تَکُونَ مِنَ الْجٰاهِلِینَ .

الثانی:التفسیر الذی نختاره حیث نعتبر اللقطه مما یتأسی به فی حیاه إبراهیم (علیه السلام)و لکن الوحی استثنی لإلفات الأنظار الی هذه اللقطه و علاجها،

1- 1) الشعراء86/

بالـذات و أنّ فهمها الخاطئ قـد يجرّ المؤمنين إلى سـلوكيات خاطئه فى علاقتهم مع أعـداء اللّه،كأن تكون مبرّرا لموادّه الأرحام منهم و موالاتهم،فإنّ إبراهيم (عليه السـلام)حينما وعـد عمّه آزر بالاسـتغفار و اسـتغفر له لم يكن قـد أظهر عـداوته للّه،إنّما كان ظاهره الشـرك الموروث،أو العـداء الشخصـى الموجّه ضـد إبراهيم(عليه السـلام)نفسه،أو لعلّ آزر كان فى بيئه الحنفيه كما هى أسـره إبراهيم (عليه السـلام)و لكنّه أنهار أمام ضغط المجتمع،و صار إلى الشرك شيئا فشيئا حتى تمحض فى الضلال عن الحق و العداء للّه و لإبراهيم(عليه السـلام)،و إلاّ فالاسـتغفار للمشـركين محضور حتى على الأنبياء،قال تعالى: مٰا كٰانَ لِلنَّبِيِّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَ لَوْ كٰانُوا أُولِي قُرْبىٰ مِنْ بَعْدِ مٰا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحٰابُ الْجَحِيمِ* وَ مٰا كٰانَ اسْتِغْفٰارُ إِبْرٰاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاّٰ عَنْ مَوْعِدَهٍ وَعَدَهٰا إِيّٰاهُ فَلَمّٰا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّٰهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرٰاهِيمَ لَأَوّٰاهٌ حَلِيمٌ (۱).

من هذه الآيه يظهر أنّ الاستغفار له قبل أن يتبيّن موقفه النهائى جائز،و يتأوّل إلى طلب هدايته،كما

كان الرسول(صلّى اللّه عليه و آله)يطلبها لقومه بقوله:

«اللهم اهد قومى فإنّهم لا يعلمون »،أمّا إذا تبيّن موقف المشرك و أنّه قد أصبح من أصحاب النار بجحوده و إنكاره فإنّ الواجب يومئذ البراءه منه بصراحه.

كما أنّ الاستغفار ليس بمعنى التحتيم على اللّه سبحانه حيث قال إبراهيم (عليه السلام):

وَ مٰا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ و لم يكن إبراهيم(عليه السـلام)و الذين معه أقوياء و أشداء،حتى لا تكون البراءه بالنسبه إليهم تحديا صعبا،إنّما كانوا فى غايه الضعف ماديا،و لذلك جأروا

ص:۳۰۸

۱- ۱) التوبه۱۱۳/-۱۱۴

إلى اللّه فی لحظه البراءه،و أساسا الدعاء الحقیقی إنّما ینطلق من الإنسان عند الإحساس العمیق بالحاجه إلی العون.

رَبَّنا عَلَیْکَ تَوَکَّلْنا وَ إِلَیْکَ أَنَبْنا و الإنابه هی الرجوع و الاستغفار،و فی هذه الکلمه إشاره إلی أنّ المؤمنین لا یترکون الضلال و المجتمع الفاسد إلی الفراغ،إنّما إلی بدیل إیجابی هو الهدی و تجمّع المؤمنین،فإن إبراهیم و الذین معه تبرّأوا من قومهم المشرکین لیرجعوا إلی ربّهم،و ذلک یوحی بأنّ الذی یهجر مجتمعا منحرفا بحاجه إلی التطهر بالتوبه إلی ربه،و الرجوع إلی صراطه المستقیم،و نهجه القویم فی الحیاه..

و بعد التوکل علی اللّه و العوده إلیه یجب علی المؤمن أن یکمل ذلک بالتسلیم المطلق لإرادته،و القبول بما یرضاه له.

وَ إِلَیْکَ الْمَصِیرُ [۵]/و لکن لا یعنی ذلک أن لا یسأل المؤمنون ربّهم السلامه.

رَبَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَهً لِلَّذِینَ کَفَرُوا أی موضع ابتلائک لهم،کنایه عن أذاهم للمؤمنین،فإنّهم إذا تمکّن الکفّار منهم عذّبوهم،و أظهروا تجاهم عداوتهم للحق،کما صنع الظلمه بأصحاب الأخدود.

و تبقی نفوس الصالحین توّاقه إلی التوبه.

وَ اغْفِرْ لَنا رَبَّنا إِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ

و هذا الوله إلى التوبه ينطلق من شعورهم بالتقصير فى جانب اللّه عزّ و جلّ،و عدم بلوغهم حدّ الإشباع فى التسليم له.و من الناحيه الواقعيه لا يضمن المؤمن عدم الوقوع فى الأخطاء مائه بالمئه،لذلك يجعل التوبه ذريعه لتصحيحها و اتقاء سلبياتها.

أمّا نهايه الآيه فهى غايه فى أدب الدعاء حيث لا يصح أن يحتّم الداعى على ربه ما يريد،إنّما يدع الإجابه رهن مشيئته،فإن شاء استجاب لهم بعزته،و إن شاء لم يستجب لهم بحكمته،فإنّه قادر على نصره المؤمنين و منع الكافرين عن أذاهم بعزّته،كما أنّه قد يجعلهم فتنه للكافرين بحكمته.و ليس من تناقض بين حكمه اللّه و عزّته. و المؤمن الحقيقى هو الذى يسلم مصيره لربه مهما كان قضاؤه.

[۶]/و فى خاتمه الدرس يؤكّد القرآن دعوته للإقتداء بإبراهيم(عليه السلام) و المؤمنين معه،ليكشف لنا أهميه التبرّى من المشركين،و ضروره الأسوه فى مسيره الإنسان المؤمن.

لَقَدْ كٰانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فليس المهم أن يختار الواحد أسوه فى الحياه و حسب،بل الأهم أن ينتقى أحسن الأسوات و سنامها ليقتدى بها،و إبراهيم و المؤمنون معه خير أسوه لمن أراد البراءه الحقيقيه من أعداء اللّه،و لكن دون التأسى بهم ألوان التحديات و المصاعب التى تحتاج مقاومتها إلى الإراده الصلبه و الاستقامه،و كلّ ذلك يستمدّه المؤمن من إيمانه بربّه و بالجزاء.

لِمَنْ كٰانَ يَرْجُوا اللّٰهَ ناصرا يتوكّل عليه،و وليّا ينيب إليه.

ص:۳۱۰

وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ حيث يلقاه و عنده يجد رضاه و ما يرضيه من الجزاء و الثواب.

وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَنِيُّ لا يحتاج إليه.

اَلْحَمِيدُ و فى الآيه إنذار مبطّن لمن يتولّى بأنّه الذى يخسر،و ليس اللّه سبحانه.

و كلمه أخيره:

إنّ صراع إبراهيم مع عمّه آزر-و الذى يشير إليه الوحى فى بعض السور-لم يكن صراعا شخصيّا بين الأجيال،إنما كان صراع المبادئ،لذلك نجد أنّه (عليه السلام)كان يودّ بحمله و قلبه الواسع لو يرى عمّه مؤمنا،و هذه من اللقطات الحساسه فى حياه الأنبياء(عليهم السلام).

ص:۳۱۱

[سوره الممتحنه (۶۰): الآیات ۷ الی ۱۳]

اشاره

عَسَى اَللّٰهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ اَلَّذِينَ عٰادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَ اَللّٰهُ قَدِيرٌ وَ اَللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۷) لاٰ يَنْهٰاكُمُ اَللّٰهُ عَنِ اَلَّذِينَ لَمْ يُقٰاتِلُوكُمْ فِي اَلدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيٰارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اَللّٰهَ يُحِبُّ اَلْمُقْسِطِينَ (۸) إِنَّمٰا يَنْهٰاكُمُ اَللّٰهُ عَنِ اَلَّذِينَ قٰاتَلُوكُمْ فِي اَلدِّينِ وَ أَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيٰارِكُمْ وَ ظٰاهَرُوا عَلىٰ إِخْرٰاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولٰئِكَ هُمُ اَلظّٰالِمُونَ (۹) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا إِذٰا جٰاءَكُمُ اَلْمُؤْمِنٰاتُ مُهٰاجِرٰاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِإِيمٰانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنٰاتٍ فَلاٰ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى اَلْكُفّٰارِ لاٰ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَ لاٰ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَ آتُوهُمْ مٰا أَنْفَقُوا وَ لاٰ جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذٰا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَ لاٰ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ اَلْكَوٰافِرِ وَ سْئَلُوا مٰا أَنْفَقْتُمْ وَ لْيَسْئَلُوا مٰا أَنْفَقُوا ذٰلِكُمْ حُكْمُ اَللّٰهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَ اَللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (۱۰) وَ إِنْ فٰاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوٰاجِكُمْ إِلَى اَلْكُفّٰارِ فَعٰاقَبْتُمْ فَآتُوا اَلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوٰاجُهُمْ مِثْلَ مٰا أَنْفَقُوا وَ اِتَّقُوا اَللّٰهَ اَلَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (۱۱) يٰا أَيُّهَا اَلنَّبِيُّ إِذٰا جٰاءَكَ اَلْمُؤْمِنٰاتُ يُبٰايِعْنَكَ عَلىٰ أَنْ لاٰ يُشْرِكْنَ بِاللّٰهِ شَيْئاً وَ لاٰ يَسْرِقْنَ وَ لاٰ يَزْنِينَ وَ لاٰ يَقْتُلْنَ أَوْلاٰدَهُنَّ وَ لاٰ يَأْتِينَ بِبُهْتٰانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ وَ لاٰ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبٰايِعْهُنَّ وَ اِسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اَللّٰهَ إِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۲) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اَللّٰهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ اَلْآخِرَةِ كَمٰا يَئِسَ اَلْكُفّٰارُ مِنْ أَصْحٰابِ اَلْقُبُورِ (۱۳)

اللغه

۹[ظاهروا]:عاونوا و عاضدوا،و فی المنجد:ظاهر مظاهره و ظهارا عاونه،و تظاهر القوم:تعاونوا،و منه قیل:تظاهر الناس تظاهره:أی اجتمعوا و خرجوا الی الشوارع متعاونین، یطالبون بأمر یریدونه،و الظهیر:المساعد.

ص:۳۱۲

۱۰[عصم الکوافر]:لا- تمسکوا بنکاح الکافرات، و أصل العصمه المنع،و سمی النکاح عصمه لأن المنکوحه تکون فی حبال الزوج و عصمته،و العاصم:المانع،و المعصوم:الممنوع من الخطأ و السهو و الزلل،و اللّه یعصم الرسول من أن یتناوله الکفار،و العصمه شبه السوار،و لذلک سمی السوار معصما.

ص:۳۱۳

هدی من الآیات:

فی هذا الدرس ترسم الآیات الکریمه المنهج السلیم للعلاقه بین المؤمنین و الکفار،و إنما قدّم اللّه التأکید علی ضروره المقاطعه،و التأسّی بخلیله إبراهیم (علیه السلام)لأنها الأصل،و هنا ینثنی السیاق لعلاج الموضوع فی بعض تشعباته الأخری.

فبعد أن یؤمّل المؤمنین الذین صمدوا أمام الرغبه الجامحه فی تولی الکفار أو مودتهم،و صبروا علی الضغوط المتواصله من قبلهم،یؤمّلهم بالعاقبه الحسنی، المتمثّله فی تحطیم عناد الکفار علی صخره الصمود فینهزمون،و هنا لک یسمح لهم بإقامه العلاقات الاعتیادیه،ثم ینهی عن ای لون من الولاء للمحاربین منهم، سواء الذین یحاربون مباشره،أو الآخرین الذین یعینون علی محاربه الحق و أهله، و یعدّ من یتولاهم ظالما.و فی الآیتین(الثامنه و التاسعه)دلاله واضحه حتی علی

ص:۳۱۴

حرمه البر و الإقساط لهم.و الى جانب هذا التفريق بين الصنفين(المحاربين و المسالمين)هناك موقف واحد من قبل الإسلام تجاههما فی الحقل الاجتماعی و الأسری،و بالتحدید فی موضوع هجره المؤمنات الی الإسلام و المجتمع المؤمن،فإنّه لا یعتبر ولایه الزوج عقبه فی قبول هجرتهن إذا تبین منهن الصدق،بل و یحرم علی المؤمنین إرجاعهن لأزواجهن الکفره،و هذا لون من الحمایه التشریعیه و الاجتماعیه،فإنّه لیست للکافر الولایه علی المؤمنه،کما لا یجوز للمؤمن أن یتزوج الکافره بالأصل أو بالردّه،و یبیح الدین الزواج من الکافرات إذا آمنّ لأن الإسلام یجبّ ما قبله.

و لکن لا تضیع فی هذا المجال الحقوق المالیه،إنما یحفظها الإسلام حتی للکفار حیث یقرر لکلّ ما أنفق.للکافر الذی أسلمت زوجته،و للمؤمن الذی کفرت زوجته،و ذلک شاهد عدل اللّه و حکمته.

بینات من الآیات:

[۷] عَسَی اللّٰهُ أَنْ یَجْعَلَ بَیْنَکُمْ وَ بَیْنَ الَّذِینَ عٰادَیْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً أی تتحول العلاقه بین الفریقین من العداء الی المودّه،إمّا بدخول أولئک الإسلام،أو بتحولهم من حاله المحاربه إلی حاله السلم،فالإسلام اذن لا یحارب الکفار کعنصر إنما یحاربهم لموقفهم السلبی من الحق و أهله،و نهتدی من الآیه الکریمه إلی فکرتین:

الأولی:أنّ السلام الذی ینشده الإسلام هو السلام المدعوم بالقوه و العزه،لذلک یدعو أتباعه لمقاطعه العدو و تحدیه حتی یسلموا أو یستسلموا،ذلک لأن الخضوع له لیس سبیلا الی الإسلام الحقیقی الدائم،و إنما المقاطعه التی تکشف عن العزه

الإسلاميه وسيله لفرض الإسلام.

الثانيه:أما كيف يتحول عداء الكفار الى موده للمؤمنين، فإن الإنسان حينما ينبهر بقوه قاهره يتحسس بالود تجاهها،حتى لقد ثبت فى علم النفس الاجتماعى أنّ الشعوب المغلوبه تود القوى القاهره،و تقلدها فى الأفكار و السلوكيات فى الغالب،و حيث كانت القوه فى بادئ الأمر للكافر كان يخشى أن يميل المؤمنون إليهم بالموده ميلا،و بالذات لأنّ فيهم الأرحام و الأقارب،أمّا إذا تحول ميزان القوى لصالح المسلمين بالغلبه و القوه فإنّ الموده ترتجى أن تكون من قبل الكفار لهم،و لعل التعبير ب«منهم»يشير إلى ذلك.

و«عسى»هنا تفيد الرجاء القريب،مما يحيى روح الأمل باللّه فى النفوس المؤمنه،و يلاحظ أنّ القرآن يعبّر بعسى و لعلّ فى مواضع كثيره،دون أن يقطع و يحتم،مع أنّ كثيرا من الأمور هى واقعه فى علم اللّه،و ذلك يهدينا إلى أنّ الطبيعه ليست جامده،و إنما تخضع لأمرين:المشيئه الإلهيه،و إراده الإنسان،و لم يحتّم ربنا نصر المؤمنين،و تحول ميزان القوى لصالحهم فى المستقبل حتى لا يتواكلوا،أو ينتظروا الإراده الإلهيه تغيّر الأمور بوحدها.

وَ اللّٰهُ قَدِيرٌ على صنع ذلك فيستسلم المشركون لأوليائه أو يهديهم إلى الإسلام،فتعود الموده بين الفريقين.

وَ اللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ و من غريب ما قاله المفسرون فى هذه الآيه هو تأويلهم لها فى أبى سفيان،بأنه من المعنيين بقوله تعالى عَسَى اللّٰهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ ،مع أنّ الآيات نزلت قبل

ص:۳۱۶

فتح مكه،قبل أن ينطق أبو سفيان بالشهادتين فكيف أصبح مصداقا للآيه؟! [٨]و يحدّد لنا القرآن الموقف المطلوب تجاه المسالمين من الكفار-الذين لا يحاربوننا و لا يؤذوننا-حيث يبيح التعامل معهم إنسانيّا على أساس البر و القسط،فيقول:

لاٰ يَنْهٰاكُمُ اللّٰهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقٰاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيٰارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ لأنهم مسالمون،و يجمع المسلمين معهم إطار الإنسانيه،و هذا يعنى أن الإسلام دين السلام،فهو لا ينشد الحروب و العداوات بذاته،إنما دعوته للتبرى و المقاتله تكون موجهه ضد الكفار المحاربين،و قائمه على أساس موقفهم السلبى ضد الدين و أتباعه.

و البر عموم الإحسان،و منه التواصل،و تبادل الاحترام،و مقابله الإحسان بمثله،أما القسط فقد قيل:هو اقتطاع بعض المال و إعطائه لهم قرضا أو غيره.

و الأظهر أنه العداله الظاهريه و الباطنه التى هى أسمى درجات العدل (١)و هذا الحكم الإلهى يبين كيف أنّ مجرد الكفر و اعتناق المبادئ المغايره للدين ليس وحده مبرّرا لاستباحه حرمه الإنسان ماله و عرضه و نفسه،و فى نهايه الآيه يحث ربنا على الإقساط إذ يقول:

إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ و يريد للمؤمنين به أن يكونوا كذلك،و لعل قوله « يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ »تخصيص للقسط بالذات على وجه الترجيح له على البر.و حيث يبيح ربنا هذا اللون من

١- ١) مر كلام مفصل حول العلاقه بين العدل و القسط فى سوره الحجرات.

العلاقه مع الكفار المسالمين فانه لا يفرض قيدا محدّدا على المؤمنين،و ذلك يعنى أنهم (قياده،و مجتمعا)هم الذين يشخصون الموقف،و طبيعه العلاقه المطلوبه حسب متغيرات الواقع.و قد جاء فى الأثر:أنّ أسماء بنت أبى بكر سألت النبى (صلّى اللّه عليه و آله):هل تصل أمها حين قدمت عليها مشركه؟قال:«نعم» (۱)[۹]و يعود السياق ليؤكّد الأمر بالمقاطعه و ينهى عن التولى:

إِنَّمٰا يَنْهٰاكُمُ اللّٰهُ عَنِ الَّذِينَ قٰاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ أَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيٰارِكُمْ وَ ظٰاهَرُوا عَلىٰ إِخْرٰاجِكُمْ بالتحالف مع الأعداء المحاربين،أو إعانتهم بأيّه صوره و وسيله،فإنّه محرّم عليكم أن تتولّوهم أو تبرّوهم،و من يتولهم يشاركهم فى كلّ ظلم يصل إلى المؤمنين من قبلهم،و يناله العذاب من عند اللّه،و يجب على المؤمنين فى الدنيا احتسابه من الجبهه المعاديه،و الوقوف منه كموقفهم من الظالمين أنفسهم.

أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظّٰالِمُونَ و بالمقارنه بين الآيتين(الثامنه و التاسعه)نتوصل إلى التالى:

۱-إنّ إباحه البرّ و القسط تجاه غير المحاربين من الكفار،و عدم تعرض الآيه لذكر التولى لا يعنى أنّه سائغ،كلّا..إنّما يعنى بأنّ حدّ الإباحه هو البر و القسط دون التولى.

۲-إنّ مجرد البر و الإقساط للكفار المحاربين محرم على المؤمنين،و لكن لماذا؟

ص:۳۱۸

۱- ۱) القرطبى/ج ۱۸ ص ۵۹

أولا-لأنّ القسط ليس ضروريا مع المحاربين،لأن دمهم و مالهم حلال.أو ليس يستحلون ذلك منا؟و ثانيا:إنّ القسط هنا ليس بمعنى العداله إنّما هو فوقها،و هو فى الحقوق يشبه الإيثار فى الأخلاق،و لذلك كان حكمه الإباحه«لا- ينهى»حتى مع المسالمين،بينهما العداله فهى واجبه تجاههم(أى غير المحاربين)و مثل هذا التعامل غير مناسب مع المحاربين،حتى و لو كانت العداله واجبه تجاههم فى بعض الجوانب.

[۱۰]و يمضى بنا السياق شوطا آخر فى الحديث عن ضروره التمحض فى العلاقات الإيمانيه فيبين أنّ الصلات الزوجيه لا ينبغى أن تكون حاجزا دون الولاء الإيمانى،لأنّه أسمى من كلّ علاقه،و هو يفصل بين المؤمنه و زوجها الكافر،كما يفصل بين المؤمن و زوجته الكافره،بالرّغم من أن أكثر الناس يزعمون أنّ الزوجه تابعه لزوجها فى كل شيء حتى فى دينها و ولائها،بينما يؤكّد القرآن استقلالها فى القضايا المتصله بمصيرها،فلا- يحق لها أن تبقى رهينه إراده الزوج الكافر لو اختارت الإسلام عن وعى و قناعه،و لا يجوز للمؤمنين أن يرفضوها أو يرجعوها إلى زوجها فإنها حرام عليه،إذ لا ولايه لكافر على مؤمن و لا على مؤمنه.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ بهدف معرفه صدق نواياهن و خلوصها عن أى هدف مادى،كأن تكون الواحده قد هاجرت هربا من العصمه الزوجيه أو طمعا فى مؤمن،و تأتى أهميه الامتحان من أنّ المجتمع المؤمن ينبغى أن ينتقى أفراده انتقاء،و بالذات عند ما يواجه التجمع الإيمانى محاولات التسلل و الاختراق من قبل أعداء الدين،أمّا كيفيه الامتحان فإنّ القرآن لا يحددها،بل يترك الأمر للمؤمنين أنفسهم يجتهدون على

أساس معطيات الظروف،و لكن يجب أن لا يدفعهم ذلك إلى الظنّ السىء،أو التمنع من قبول انتماء الآخرين إلى صف المجتمع المؤمن بحجه الخوف من الاختراق ممّا يسبّب فى حاله الانطواء و الانغلاق،فإنّ الشخصيه الواقعيه للناس لا يعلمها إلّا اللّه.

اَللّٰهُ أَعْلَمُ بِإِيمٰانِهِنَّ فإنهن إذا خدعن المؤمنين فلن يخدعن اللّه،و هكذا يجب أن يأخذون الامتحان الالهى بعين الإعتبار،و ربما ظنّ الواحده منهن أنّها قادره على اللعب على المؤمنين فهل تفلت من عداله اللّه أيضا؟كلّا..و إنّما يجب على المؤمنين الاجتهاد و الحكم على أساس المعطيات العلميه الممكنه.

أمّا عن كيفيه امتحان الرسول لهنّ فقد جاء فى مجمع البيان:قال ابن عباس:

صالح رسول اللّه صلى الله عليه و آله بالحديبيه مشركى مكه على أنّ من أتاه من أهل مكه رده عليهم،و من أتى أهل مكه من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله فهو لهم و لم يردوه عليهم، و كتبوا بذلك كتابا و ختموا عليه،فجاءت سبيعه بنت الحارث الأسلميه مسلمه بعد الفراغ من الكتاب،و النبى صلى الله عليه و آله بالحديبيه،فجاء زوجها مسافر من بنى مخزوم، و قال قاتل:هو صيفى بن الواهب فى طلبها و كان كافرا،فقال:يا محمد اردد علىّ امرأتى فإنّك شرطت لنا أن تردّ علينا من أتاك منا،و هذه طينه الكتاب لم تجف بعد،فنزلت:«يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذٰا جٰاءَكُمُ الْمُؤْمِنٰاتُ مُهٰاجِرٰاتٍ من دار الكفر إلى دار الإسلام فامتحنوهن»،قال ابن عباس:امتحانهن ان يستحلفن ما خرجت من بغض زوج،و لا رغبه عن أرض إلى أرض،و لا التماس دنيا انما خرجت حبا للّه و لرسوله فاستحلفها رسول اللّه صلى الله عليه و آله ما خرجت بغضا لزوجها و لا عشقا لرجل منا، و ما خرجت الا رغبه فى الإسلام،فحلفت باللّه الذى لا اله الا هو على ذلك،فأعطى

رسول اللّه صلى الله عليه و آله زوجها مهرها و ما أنفق عليها و لم يزدها عليه،فتزوجها عمر بن الخطاب،و كان رسول اللّه صلى الله عليه و آله يرد من جاء من الرجال و يحبس من جاء من النساء إذا امتحن و يعطى أزواجهن مهورهن.قال الجبائى:لم يدخل فى شرط صلح الحديبيه الا رد الرجال دون النساء و لم يجر للنساء ذكر،و ان أم كلثوم بنت عتبه بن أبى معيط جاءت مسلمه مهاجره من مكه فجاء أخواها الى المدينه و سألا رسول اللّه صلى الله عليه و آله ردها عليهما،

فقال صلى الله عليه و آله : ان الشرط بيننا فى الرجال لا فى النساء،فلم يردها عليهما ،قال الجبائى:و انما لم يجر هذا الشرط فى النساء لان المرأه إذا أسلمت لم تحل لزوجها الكافر،فكيف ترد عليه و قد وقعت الفرقه بينهما؟ (١).

فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنٰاتٍ بعد الامتحان فحينئذ لا يجوز ردّهن لأنه لا مبرر لذلك،و لأن المجتمع المؤمن ليس حكرا على أحد دون أحد.

فَلاٰ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفّٰارِ لاٰ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَ لاٰ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ و السؤال:لماذا ذكر الحرمه من الطرفين مع أنّ نفيها من جهه قد يفيد نفيها من الجهه الثانيه؟ و الجواب:لعل الحلّيه هنا بمعناها الأول و هو الانسجام الذى يعتبر هدفا و شرطا أساسيا فى الزواج،و مراد الآيه الكريمه تأكيد انعدامه ليس من طرف واحد بحيث يمكن علاجه و الصبر عليه،بل من الطرفين معا مما لا يمكن علاجه أبدا.

و حيث تبين المؤمنه من زوجها الكافر يتحمل المؤمنون إعطاءه ما أنفق عليها،

١- ١) نور الثقلين/ج ۵ ص ٣٠۴-٣٠۵

لأنّ المهر ليس موضوعا للوطأ الأوّل بل للعلاقه المستمره الدائمه،و حيث خسرها بغير إرادته يجب أن يعوّض،و لعل التعويض منصرف للكافر غير المحارب،أو فی حال الهدنه،و هذا من صميم العداله فی الإسلام.و فی إيتاء الكفار ما أنفقوا قيمه معنويه هی أن لا تبقی لكافر يد علی مؤمن أو مؤمنه.

و تعويض الزوج الكافر يتحمله بيت مال المسلمين،و لذلك جاء الخطاب موجّها للمؤمنين عامه،و هو يحلل المرأه المؤمنه من زوجها الكافر فقط،و ليس يجعلها حلاّ للمؤمنين إلاّ إذا أعطوا لها المهر.

وَ لاٰ جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذٰا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ و كما تحرم المؤمنه علی الكافر كذلك تحرم الكافره علی المؤمن،سواء بالأصاله أو بالرده لما فی ذلك من اثار سلبيه علی حياه المؤمن و تربيه الأولاد...إلخ.

وَ لاٰ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوٰافِرِ و الفقهاء استفادوا من هذه الآيه حكما قاطعا بحرمه الزواج من الكافره،أو الاستمرار فی الزواج عند إسلام الزوج دون زوجته.و قد طلّق المسلمون زوجاتهم المشركات بعد نزول الآيه،و جاء فی التاريخ أنّ عمر بن الخطاب طلّق بعد نزول الآيه امرأتين له كانتا فی مكه مشركتين،إحداهما قريبه بنت أبی أميه،فتزوجها معاويه بن أبی سفيان و هما علی شركهما بمكه،و أم كلثوم بنت عمر الخزاعيه (۱)، و هكذا تنفصم العصمه التی كانت بينهما، لأنّ عصمه الإسلام من عصمه النكاح.

ص:۳۲۲

۱- ۱) القرطبی/ج ۱۸ ص ۶۵

و السؤال:هل الآیه تشمل أهل الکتاب فتکون ناسخه للآیه التی نزلت فی سوره المائده،و هی قوله سبحانه اَلْیَوْمَ أُحِلَّ لَکُمُ الطَّیِّبٰاتُ وَ طَعٰامُ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتٰابَ حِلٌّ لَکُمْ وَ طَعٰامُکُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَ الْمُحْصَنٰاتُ مِنَ الْمُؤْمِنٰاتِ وَ الْمُحْصَنٰاتُ مِنَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتٰابَ مِنْ قَبْلِکُمْ .؟ قال بعضهم:بلی،و استدلوا ببعض الأحادیث المأثوره عن أئمه أهل البیت (علیهم السلام)،و أبرزها الحدیث الموثّق التالی

المأثور عن ابن الجهم قال:قال لی أبو الحسن الرضا(علیه السلام) :یا أبا محمد ما تقول فی رجل یتزوّج نصرانیه علی مسلمه؟قلت:جعلت فداک و ما قولی بین یدیک؟قال:لتقولن فإنّ ذلک تعلم به قولی،قلت:لا یجوز تزویج نصرانیه علی مسلمه و لا علی غیر مسلمه،قال:و لم؟ قلت:لقول اللّه عزّ و جل: وَ لاٰ تَنْکِحُوا الْمُشْرِکٰاتِ.. إلخ،قال:فما تقول فی هذه الآیه: وَ الْمُحْصَنٰاتُ مِنَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتٰابَ ؟قلت:قوله:و لا تنکحوا المشرکات نسخت هذه الآیه،فتبسم ثم سکت..

و هناک روایات أخری مشابهه،و فی کثیر منها الإشاره إلی أنّ آیه الممتحنه قد نسخت آیه المائده،مما جعل العلامه الشیخ حسن النجفی-صاحب موسوعه الجواهر-یجد مأخذا علیها بقوله:إنّ التحقیق الجواز مطلقا(أی جواز نکاح أهل الکتاب بصفه مطلقه)وفاقا للحسن و الصدوقین علی کراهیه متفاوته فی الشده و الضعف.و أضاف:کما أومأت إلی ذلک کلّه النصوص التی ستسمعها:لقوله تعالی: وَ الْمُحْصَنٰاتُ.. الی آخرها التی هی من سوره المائده المشهوره(فی)أنّها محکمه لا نسخ فیها..

و ساق طائفه من النصوص التی تدل علی أنّ هذه السوره هی آخر سوره نزلت

و هی محکمه لا نسخ فیها،منها

حدیث مأثور عن رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و آله)أنّه قال :«إنّ سوره المائده آخر القرآن نزولا فأحلّوا حلالها و حرّموا حرامها » (۱).

ثم ساق طائفه کبیره من النصوص عن أئمه أهل البیت(علیهم السلام) و استدل بها علی أنّ نکاح أهل الکتاب جائز و لکنه یصبح مرغوبا عنه و مکروها فی حالات معینه،مثل

صحیح ابن وهب المروی فی الکافی و الغنیه عن الإمام الصادق (علیه السلام) فی الرجل المؤمن یتزوّج النصرانیه و الیهودیه،قال:إذا أصحاب المسلمه فما یصنع بالیهودیه و النصرانیه؟فقلت:یکون له فیها الهوی؟فقال:إن فعل فلیمنعها من شرب الخمر،و أکل لحم الخنزیر،و اعلم أنّ علیه فی دینه فی تزویجه إیّاها غضاضه (۲)و یبدو من هذه الروایه تأویله سائر الروایات علی الکراهیه،لا الحرمه.

و کما یلزم الإسلام المؤمنین بإیتاء الکفار ما أنفقوا علی زوجاتهم اللائی آمنّ فإنّه یعطی للمؤمنین الحق فی المطالبه بما أنفقوا علی زوجاتهم اللواتی یکفرن.

وَ سْئَلُوا مٰا أَنْفَقْتُمْ وَ لْیَسْئَلُوا مٰا أَنْفَقُوا ذٰلِکُمْ حُکْمُ اللّٰهِ یَحْکُمُ بَیْنَکُمْ وَ اللّٰهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ و ما دام ذلک حکم اللّه و لیس حکم أحد من البشر فهو یجب التقید به تقیدا توقیفیا،فکیف و قد وضعه اللّه العلیم الحکیم و رب العالمین،و لا ینبغی أن یدفعکم بغضکم للمشرکین و عداؤکم المبدئی إلی تجاوز حقوقهم العادله.

[۱۱] وَ إِنْ فٰاتَکُمْ شَیْءٌ مِنْ أَزْوٰاجِکُمْ إِلَی الْکُفّٰارِ فَعٰاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِینَ ذَهَبَتْ أَزْوٰاجُهُمْ مِثْلَ مٰا أَنْفَقُوا

۱- ۱) المصدر/ص ۳۰ نقلا عن کتب الحدیث و منها الدر المنثور/ج ۲ ص ۲۵۲

۲- ۲) المصدر/ص ۳۶

و لهذه الآیه تفسیرات ثلاث:

الأول:إذا ترکت زوجاتکم دار الإسلام إلی دار الکفر،و أعقبتم الکفّار بغزوه بعد أخری حتی هزمتموهم و غنمتم منهم الغنائم،فأعطوا الذین ترکتهم زوجاتهم من الغنائم،و هذا ما ذهب إلیه أغلب المفسرین.

الثانی:إذا«فاتکم»أی لم یعطکم الکفار ما أنفقتم علی زوجاتکم اللاتی کفرن،فخسرتم ذلک،و عاملتموهم کما عاملوکم عقابا لهم فلم تسلموا لهم ما أنفقوا علی زوجاتهم اللائی هاجرن و آمنّ، فلیس ذلک مسقطا للمسؤولیه تجاه الذین فاتت زوجاتهم،بل یجب علیکم أن تعطوهم ما أنفقوا علیهن من مال المسلمین.

الثالث:إنّ معنی التعاقب«فعاقبتم»أراد الذی فاتت زوجته النکاح مجدّدا، و فی ذلک

جاء الحدیث المأثور عن الإمام الباقر و الإمام الصادق(علیهما السلام) فیما رواه یونس عن أصحابه،قال :قلت:رجل لحقت امرأته بالکفّار و قد قال اللّه عزّ و جلّ فی کتابه: وَ إِنْ فٰاتَکُمْ شَیْءٌ مِنْ أَزْوٰاجِکُمْ إِلَی الْکُفّٰارِ فَعٰاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِینَ ذَهَبَتْ أَزْوٰاجُهُمْ مِثْلَ مٰا أَنْفَقُوا ما معنی العقوبه هاهنا؟قال:إنّ الذی ذهبت امرأته فعاقب علی امرأه أخری غیرها یعنی تزویجها،فإذا هو تزوج امرأه أخری غیرها فعلی الإمام أن یعطیه مهر امرأته الذاهبه،فسألته:فکیف صار المؤمنون یردون علی زوجها المهر بغیر فعل منهم فی ذهابها،و علی المؤمنین أن یردوا علی زوجها ما أنفق علیها مما یصیب المؤمنین؟قال:«یردّ الإمام علیه أصابوا أو لم یصیبوا، لأنّ علی الإمام أن یجبر حاجه من تحت یده » (۱).

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۳۰۶

و سواء كان معنى(عاقبتم)حصلتم على الغنيمه عبر تعاقب الحرب مع الكفار،أو التقاصى من الكفار و عدم اعطائهم المهر،عقابا لهم لأنهم لم يدفعوا المهر،أو إراده الزواج المجدّد(زواجه الأول)،أقول:سواء كان المعنى واحدا من الثلاث فإنّ الذى فاتته زوجته إلى الكفّار يحصل على مهره من بيت المال،و قد نقل المفسرون أنّ النبى دفع لسته من المسلمين مهر أزواجهن اللائى فاتن إلى الكفار (۱).

وَ اتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِی أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ من أن يدّعى أحد بأنّه أنفق على زوجته أكثر مما أنفق بالفعل لكى يستغل هذا القانون استغلالا سلبيا،أو أن يستهين النظام الإسلامى بحقوق هذا الفريق فلا يؤتيهم ما أنفقوا،كما يأتى التأكيد على التقوى باعتباره المرتكز فى التكافل الاجتماعى،فكلّما كانت التقوى عميقه كلّما أصبح التكافل أكثر و أعمق.

[۱۲]و فى سياق حديث السوره عن الولاء و عن أن الولاء المبدئى أعظم من الولاء للزوج أو الأرحام يبيّن السياق استقلاليه المرأه فى مبايعتها و اختيارها للقياده،فهى ليس كما يتصوّر بعض الرجال أو كما تظن بعض النساء تابعه للرجل فى كلّ شىء،كلّا..إنّها يحقّ لها بل يجب عليها أن تختار قيادتها بنفسها،و أن تظهر الولاء و تنشئ عقد الطاعه بينها و بين قيادتها،و هنا تشير الآيه إلى أهم مفردات عقد البيعه مع القياده الرساليه من قبل المرأه،و الواجب التزامها بها.

يٰا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذٰا جٰاءَكَ الْمُؤْمِنٰاتُ يُبٰايِعْنَكَ عَلىٰ أَنْ لاٰ يُشْرِكْنَ بِاللّٰهِ شَيْئاً

۱- ۱) راجع القرطبى/ج ۱۸ ص ۷۰

فلا يخضعن لسياده غير السياده الإلهيه بالتسليم المطلق للأزواج و الأقارب، إنّما يجب أن يخلصن الولاء و الطاعه للقياده الرساليه وحدها،و هذا هو أصل الولاء، و هو التجلّى الحقيقى للتوحيد فى حياه الفرد،و لعل هذه البصيره تهدينا إلى ضروره مشاركه المرأه فى الحقل السياسى انطلاقا من واجبها فى إقامه حكم اللّه،و مناهضه قوى الشرك و الضلال،و عليها أن تنتخب الولىّ الشرعى بمحض إرادتها و كامل حريتها.

وَ لاٰ يَسْرِقْنَ من أزواجهنّ أو من أبناء المجتمع.

وَ لاٰ يَزْنِينَ و لعل هذين الشرطين موجهين بالخصوص للمهاجرات اللائى تركن أزواجهن، لأنّهنّ فقدن المنفق فقد تدعوهن الحاجه إلى السرقه،أو تضطرهن شهوه الجنس إلى الزنا،بينما الآيه بلفظها مطلقه تشمل كل امرأه مسلمه.

وَ لاٰ يَقْتُلْنَ أَوْلاٰدَهُنَّ معنويّا و لا ماديّا،و لعل الإجهاض من مفردات القتل المنصرفه إليها الآيه الكريمه.

وَ لاٰ يَأْتِينَ بِبُهْتٰانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ و هاتان المفردتان تتصلان بموضوع الزنا اتصالا مباشرا،فإنّ الزانيه التى تتورّط بالحمل تجد نفسها أمام خيارين:فأما تتخلّص من عار الزنا بقتل حملها،و أما ترمى به أحدا بأنّه اغتصبها،و لعل هذه الصفات(السرقه،و الزنا،و إتيان البهتان)مما

عرفت به المرأه فی الجاهلیه،کما أنّها بصوره عامه من أبرز المفردات الخلقیه و السلوکیه التی یمکن أن تتورط فیها المرأه،و بالذات البهتان،فإنّ موقع المرأه الحساس فی المجتمع المسلم یجعلها أمضی أثرا فی النیل من شخصیات الآخرین و أعراضهم،کما أنّها مرهفه الإحساس فقد تظن السوء فی رجل نظر إلیها من غیر قصد.

و قد أجمع أشهر المفسرین علی أنّ المقصود هو الحمل باعتباره یقع بین الیدین و الرجلین،و بینهما ینشأ و یرتضع.

وَ لاٰ یَعْصِینَکَ فِی مَعْرُوفٍ بل یسلمن تسلیما مطلقا للقیاده الرسالیه،باعتبارها السلطه الشرعیه و الولیّ الأکبر فی المجتمع المسلم،فلا یجوز للمرأه أن تجعل لأحد مهما کان(زوجها أو أبوها أو أخوها)ولایه فوق ولایه قیادتها،أو أن تعصیها و لو فی معروف واحد.

و المعروف هو عموم الواجبات و الخیرات،

قال الإمام أبو عبد اللّه الصادق علیه السلام :

هو ما فرض الله علیهن من الصلاه و الزکاه،و ما أمرهن به من خیر (۱)،و لعلّنا نستشفّ من قوله«فی معروف»أنّ الولایه الحقیقیه للقیاده واقعه فی حدود ولایه اللّه،فلو أنّها-جدلا-أمرت بغیر المعروف لا یجوز اتباعها،بل یکون عصیانها هو الأولی،و هذا الأمر محتمل فی غیر القیادات المعصومه.

و هذه المفردات التی یفرضها الإسلام شروطا للبیعه مع القیاده الرسالیه تظهر اهتمام الدّین بالمرأه،باعتبار أن صلاح المجتمع متأسّس علی صلاحها.و إذا قبلت المؤمنات تلک الشروط و التزمن بها هنا لک تبایعهن القیاده.

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۳۰۸

فَبَايِعْهُنَّ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ و استغفار الرسول لهنّ الأخطاء السابقه و الجانبيه التى قد يتورّطن فيها،و هذه الآيه تعطى المعنى الحقيقى للهجره بأنّه ليس مجرد الانتقال من مجتمع إلى آخر صالح،أو الانفصال المادى عن المجتمع الضال،إنّما هو التطهّر من السلوكيات المنحرفه التى كانت سائده على المجتمع الضال،كالسرقه و الزنا و البهتان و..و..

التى تعرضت الآيه لذكر أهمّها.

[۱۳]و فى ختام السوره يؤكد ربنا أمره بمقاطعه أعداء اللّه فيقول:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَهِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ إنّ محور الإنسان المؤمن هو رضى اللّه عزّ و جلّ،فهو لا يضع ولاءه إلاّ عند أهله، أما الذين يسخطون اللّه بأعمالهم من الظلمه و الضالين فإنّه براء منهم.و قد تعددت أقوال المفسرين فى بيان هويّه المعنيّين ب« غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ »فذهب أكثرهم إلى أنّهم اليهود،لقوله تعالى غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لاَ الضّالِّينَ و ما ورد فى تفسيرها و تأويلها من الأخبار،و الذى يظهر أنّهم كل من يعمل ما يستحق غضب اللّه، و لعلّهم أناس من داخل المجتمع الإسلامى كالمنافقين و الحكام الظلمه و العلماء الفسقه،و تشبيه اللّه لهم بالكفّار يهدى إلى أنّهم غير الكفار بل هم الذين يحاولون السيطره على مقاليد الحكم فى البلاد الإسلاميه بغير حق !

سوره الصّف

اشاره

ص:۳۳۱

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضل السوره:

فی کتاب ثواب الأعمال بإسناده عن أبی جعفر-علیه السلام-قال :«من قرأ سوره الصف و أدمن قراءتها فی فرائضه و نوافله صفّه اللّه مع ملائکته و أنبیائه المرسلین» نور الثقلین/ج ۵ ص ۳۰۹

ص:۳۳۳

الإطار العام

ما هی صبغه التحرک الرسالی و استراتیجیته؟نستلهم من سوره الصف خمسه بصائر هی تحدد لنا ذلک:

أوّلا:إنّ الحرکه الرسالیه ربّانیّه الصبغه کما قال ربنا سبحانه« صِبْغَةَ اللّٰهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّٰهِ صِبْغَةً »، و لذلک فهی لا تخضع لأطر عنصریه أو إقلیمیه أو حزبیّه،إنّما تتسامی إلی حیث المؤمنون کالجسد الواحد،یشدّ بعضهم بعضا.

و هذه الصبغه تتجلّی فی تسبیح اللّه تعالی فی فاتحه السوره،فکلّ ما فی السماوات و الأرض یسبّح اللّه وحده فهو وحده القدّوس،أمّا غیره فیستمد قداسته و شرعیته منه و بقدر قربه منه و من قیم الوحی.

ثانیا:انعدام المسافه بین النظریه و التطبیق،بین القول و الفعل،لأنّ هذه هی مسافه المقت و الفشل،و ثغره یتسرب منها النفاق إلی ضمیر الحرکه،کما یتسلّل منها العدو إلی کیانها.

ص:۳۳۵

ثالثا:الوحده فی الظاهر و الباطن،کما البنیان المرصوص،لا تری فیه فطورا یذهب بصلابته،و لا خدشا ظاهرا یجعل العدو یطمع فی هدمه.

رابعا:التسلیم للقیاده الإلهیه المتمثله فی رسول اللّه و أوصیائه -علیه و علیهم سلام اللّه-باعتبارها وسیله إلی اللّه،و محور لوحده عباده المؤمنین.

خامسا:الجهاد فی سبیل اللّه باعتباره یمثّل حاله التحدی الشجاع لأعداء الرساله.

و لعلّ الجهاد محور هذه السوره التی سمیت لذلک بالصف،و لکنّ الحدیث عنه یدور حول ثلاثه محاور:

ألف/أن یکون الجهاد تحت رایه القیاده و بصفّ مرصوص.و هذا أهم المحاور الثلاث.

باء/إنّ اللّه یظهر دینه علی الدّین کلّه،ممّا یعطی المجاهدین الأمل،و یزوّدهم بروح النصر،کما یرسم لهم استراتیجیات المستقبل و ألاّ یکون الجهاد ذا أهداف محدوده.

جیم/التحریض علی الجهاد بما یوحی إلی ضروره التفرّغ له حتی تتم الصفقه الرابحه بین العبد و ربّه.

ص:۳۳۶

[سوره الصف (۶۱): الآيات ۱ الى ۷]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . سَبَّحَ لِلّٰهِ مٰا فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي اَلْأَرْضِ وَ هُوَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ (۱) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مٰا لاٰ
تَفْعَلُونَ (۲) كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اَللّٰهِ أَنْ تَقُولُوا مٰا لاٰ تَفْعَلُونَ (۳) إِنَّ اَللّٰهَ يُحِبُّ اَلَّذِينَ يُقٰاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيٰانٌ مَرْصُوصٌ (۴) وَ
إِذْ قٰالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ يٰا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَ قَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اَللّٰهِ إِلَيْكُمْ فَلَمّٰا زٰاغُوا أَزٰاغَ اَللّٰهُ قُلُوبَهُمْ وَ اَللّٰهُ لاٰ يَهْدِي اَلْقَوْمَ
اَلْفٰاسِقِينَ (۵) وَ إِذْ قٰالَ عِيسَى اِبْنُ مَرْيَمَ يٰا بَنِي إِسْرٰائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اَللّٰهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمٰا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ اَلتَّوْرٰاةِ وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي
مِنْ بَعْدِي اِسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمّٰا جٰاءَهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ قٰالُوا هٰذٰا سِحْرٌ مُبِينٌ (۶) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ اِفْتَرىٰ عَلَى اَللّٰهِ اَلْكَذِبَ وَ هُوَ يُدْعىٰ إِلَى
اَلْإِسْلاٰمِ وَ اَللّٰهُ لاٰ يَهْدِي اَلْقَوْمَ اَلظّٰالِمِينَ (۷)

اللغه

۳[مقتا]:المقت:البغض الشديد،و مقيت و ممقوت:

البغيض المبغوض،و كان يسمى تزوج المرأ زوجه أبيه نكاح المقت.

۴[مرصوص]:الرص إحكام البناء،يقال رصصت البناء أى أحكمته،و أصله من الرصاص،أى جعلته كأنّه بنى بالرصاص لتلاؤمه و شدّه اتصاله.

ص:۳۳۷

يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا

بيّنات من الآيات:

[١]كلّ شىء يسبّح للّه تكوينيّا و بالقول،تكوينيّا لأنّ فى كلّ شىء آيه هاديه إلى قدرته و عظمته و جلاله،فنقصه يهدينا إلى كمال خالقه،و حاجه بعضه إلى بعض تهدينا إلى صمدانيته،و أنّه الذى يؤلّف بين الأشياء و يزوّجها و يكاملها..و هو يسبّحه بالقول و لكنّنا لا نعى ذلك لانعدام اللغه المشتركه بيننا و بين الطبيعه.

و التسبيح هو البصيره الأصليه التى تنبثق منها سائر بصائر الوحى،و هو أعلى مراتب العرفان باللّه، كما أنّ الجهاد أعلى درجات العمل،و القلب المسبّح هو الذى يبعث صاحبه على الجهاد،و يجعله مقاتلا مصلحا فى الأرض،يسعى بكلّ خير، لا مفسدا و لا أشرا و لا بطرا.و التذكير بتسبيح كلّ شىء يهدى الإنسان إلى أن عدم تسبيحه أو طاعته له عزّ و جل ليست معصيه لأمره و حسب بل شذوذا عن سنن الطبيعه و مسيرتها.

ص:٣٣٩

سَبَّحَ لِلّٰهِ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ و لیس التسبیح یصنع منه إلها(کما هو الأمر بالنسبه للآلهه المزیّفه التی یصنعها الناس بانبهارهم بها)بل هو بذاته إله لا یزیده تسبیح أحد شیئا و لا ینقصه عدمه أمرا!لأنّه لم یزل عزیزا حکیما.

وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ تتجلّی عزّته و حکمته علی مسرح الخلائق کلّها،و فی ساحات الجهاد بالذات، ذلک أنّ نصره العزیز للمؤمنین به مظهر لعزّته،أمّا حکمته فإنّها تتجلّی حین لا ینصر إلا من نصره و اتبع نهجه.

[۲]و ینهر السیاق المؤمنین عن صفه من صفات النفاق ألا و هی الطلاق بین القول و العمل،و قد تساءل بعض المفسرین:کیف تخاطب المؤمنین و تنهرهم عن الازدواجیه فی النفاق؟أو لیسوا مؤمنین بینما تلک الحاله من صفات المنافقین؟! بلی.بید أنّ المؤمن لو لم یکن حذرا وقع فی حفره من حفر النفاق،و باستثناء الکملین یحمل کلّ فرد(و حتی المؤمنین)بعض صفات النفاق،کالخلف، و الکذب،و إذا ما بلغ الأمر إلی حد سیطره هذه الصفات علی مجمل حیاته لحق بالمنافقین،و قبلئذ یبقی المؤمن یجاهد نفسه لتطهیرها من صفات النفاق جمیعا.

و التناقض بین القول و الفعل،بین الشعار و الواقع،هو من أسوأ ما یتورّط فیه المؤمن، لأنّ ذلک یضعف شخصیته فی المجتمع،و ثقه الآخرین به،بل وثقته بنفسه أیضا، لذلک حذّر للّه منه فقال:

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مٰا لاٰ تَفْعَلُونَ و کان هذا بعد واقعه بدر حیث عمّق النبی صلی الله علیه و آله حب الشهاده فی من حوله،

و بيّن مناقب الشهداء و منازلهم فى الجنه،فتمنّى الشهاده بعض المسلمين-الذين لم يحسنوا إلاّ التمنى-و قالوا:لو هيّأ اللّه لنا قتالا نفرغ وسعنا فيه،و نبذل أرواحنا و أموالنا فى سبيل اللّه،فنحصل على مراتب المجاهدين و الشهداء،و سرعان ما حدثت واقعه أحد،فلم يفوا بما قالوا،إنّما انهزموا و تركوا النبى فى الميدان، فنزلت حينها هذه الآيات الكريمه.

و لعلّنا نهتدى من الآيه اللاحقه إلى أنّ بلوغ الإنسان درجه الاتحاد بين القول و الفعل من أعلى رتب الإيمان،و من أصعب الأعمال،و ذلك يحتاج إلى سعى عظيم و مستمر.و الجهاد الذى تحدّثنا الآيات التاليه عنه و ترغّبنا فيه من أبرز مصاديق هذا السعى،و بالذات إذا كان تحت رايه الوحده.

[۳]و ما أعظمها سيئه عند اللّه أن يقول المؤمن ما لا يفعل،بلى.لو صدر ذلك من المنافق فهو من طبعه،أمّا أن يدّعى أحد الإيمان ثم يتلبّس صفات النفاق فإنّه يضع نفسه هدفا لمقت اللّه.

كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ أَنْ تَقُولُوا مٰا لاٰ تَفْعَلُونَ قال الراغب:المقت البغض الشديد لمن تراه تعاطى القبيح (۱)،و يقابله الحب،و يبدو لى أنّه البغض المقارن للاحتقار،و لا ريب أنّ الذين لا يحترمون كلمتهم و عهودهم و مواعيدهم و..و..يتخلّفون و يذلون و تحتقرهم الدنيا،بل و يحتقرون أنفسهم.و هل تتخلّف الأمم إلاّ بالعهود المنقوضه و اختلاف القول عن العمل؟!و نحن ينبغى أن نبحث عن جذور تخلّفنا،و أسباب انحطاطنا على ضوء هذه الآيه الكريمه،و التى لا ريب نجدها فى التمنى البعيد عن العمل،و القول المجرّد عن السعى،و العهد المنقوض،و الوعد المخلف،و اليمين الكاذب.و إذا

۱- ۱) مفردات الراغب/باب المقت

أرادت الأمه الإسلاميه أن تعود إلى عزّها و مجدها،و تبنى حضارتها،فلا بد أن تردم الفجوه بين ما تقول و ما تفعل،بأن تنعكس قيمها على مجمل حياتها.

و لا شك أنّ مقت اللّه على من يقول ما لا يفعل يزداد كلّما عظم الأمر الذى ينقض فيه كلامه و عهده،و حيث أنّ عهد المؤمن بالتسليم للقياده الرساليه هو أكبر المواثيق فى الحياه بعد التوحيد فإنّه يكون عرضه لأشد ألوان المقت الإلهى عند نقضه العهد معها.فلا غرابه إذن أن نقرأ تأويلا لهذه الآيه فى غدير خم،لأنّه أعظم المواثيق التى أخذها اللّه و رسوله صلى الله عليه و آله على المؤمنين إلى يوم القيامه.

و الآيه تعمّ كلّ مصداق للقول دون العمل به كالمواعيد،

قال الإمام الصادق عليه السلام :«عده المؤمن أخاه نذر لا كفّاره له،فمن أخلف فبخلف اللّه بدأ، و لمقته تعرّض،و ذلك قوله:الآيتين ۲/۳ » (۱).

[۴]و هناك مثل أجلى للفجوه بين القول و الفعل نجده فى قضيه القتال فى سبيل اللّه.

إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ كلّ من يفى بوعده،و يقف عند كلمته،و لكن عند ما تكون كلمه المؤمن فى القتال من أجل اللّه،ثم يفى بها وفاء تامّا و كاملا(بالقتال ضمن شروطه الشرعيه)فإنه آنئذ فردا و جماعه و أمّه يكون موضع حبّ اللّه بصوره خاصه،وحب اللّه يعنى توفيقه و كرامته لأهل حبه فى الدنيا و الآخره و نصره لهم.

اَلَّذِينَ يُقٰاتِلُونَ فِى سَبِيلِهِ

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۵-ص ۳۱۰

و ليس الذين يرفعون شعارات الجهاد و حسب.و القتال(الجهاد)قمّه العمل الصالح حيث يعرّض المؤمن نفسه لألوان المخاطر فى سبيل ربّه.ثم إنّ أحبّاء اللّه لا يقاتلون ليبلغوا مصالحهم و شهواتهم الماديه،إنّما يجاهدون مخلصين فى إطار الحق و لتحقيق أهدافه النبيله متمحّضين لذلك،فلا ترى بينهم أدنى حقد ضد بعضهم، و لا ثغره فى جبهتهم الواحده،إنّما يقفون كما يصفهم اللّه:

صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيٰانٌ مَرْصُوصٌ فوحدتهم ظاهره كالبنيان المتصل ببعضه،و هى حقيقه لأنّها متينه فى الواقع، فليست كأىّ بناء إنّما كالبنيان المتماسك تماسكا متينا،و قيل:كالبنيان المبنى بالرصاص.و لا تعنى هذه الآيه أنّه لا يوجد أىّ اختلاف بين المؤمنين،لأنّ الخلاف طبيعى،و لكنّه لا يتحوّل إلى صراع بينهم،ثم إنّه يتلاشى عند ظروف التحدى فتراهم جميعا ينصهرون فى بوتقه الوحده لتصبح الجهود و الطوائف و الجماعات كلّها أمه واحده لا يجد الأعداء فيها ثغره ينفذون منها.و يحثّ المؤمنين للتوحّد صفّا واحدا فى القتال علمهم بمدى أثر عامل الوحده و اجتماع الجهود فى ترجيح ميزان الصراع لمصلحه الحق.و ليس من شىء يوحّد الناس كما يوحّدهم الوحى و الإمام العامل به إذا سلموا لهما،و هكذا يحدّثنا السياق فيما يلى عن ثلاثه من أعظم أنبياء اللّه -عليهم السلام-.

[۵]إنّ شرط الإنتصار أن يكون القتال صفّا واحدا،و شرط الصف أن يكون القتال تحت رايه القياده الرساليه،و إنّما يكون للقياده اعتبارها العملى حينما يسلّم لها المجتمع،لذلك فإنّ أعظم ما يمكن أن يلحق القياده من الأذى هو عدم الطاعه لها،و هذا ما لقيه نبى اللّه موسى-عليه السلام-من قومه،و هم يعلمون أنّ نبيهم هو صاحب الولايه الشرعيه من عند اللّه سبحانه و أنّ طاعته مفروضه عليهم.

وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَ قَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ و هذا التناقض بين علم بنى إسرائيل بضروره التسليم للرسول،و بين موقفهم الفعلى حيث العصيان و الأذى،هو صوره للازدواجيه المقيته عند اللّه عزّ و جل التى حذّر اللّه المسلمين منها،و لعل أوضح صوره لها تتمثل فى قصه البقره.و قد حذّرهم موسى-عليه السلام-من عواقب هذا الانحراف لكنّهم أصرّوا و استمروا فسلبهم اللّه الهدى.

فَلَمّا زاغُوا أَزاغَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ وَ اللّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ و هذه نتيجه طبيعيه لعصيان القياده الرساليه،ذلك أنّ هدى اللّه يتجلّى للناس عبر أوليائه و الذى يحاربهم أو لا يسلّم لهم لن يهديه اللّه أبدا.و إزاغه القلب تعكس مدى الضلال الذى وقعوا فيه،فهم فى بادئ الأمر آذوه-عليه السلام-و لكن بقى فى قلبهم علم بكونه رسول اللّه،أى أنّ سلوكهم العملى منحرف و هم على شيء من الهدى معنويّا،و لكنّهم حينما أصروا على الزيغ سلبهم اللّه تمام الهدى، و انطفأت البقيه الباقيه من شعله الإيمان فى قلوبهم،فصاروا كلّيّا على الضلال و الفسق.

و لقد اعترض البعض على هذا التفسير و قالوا:إنّه لا يمكن أن يهدى اللّه أحدا ثم يضله،إنّما المعنى:حوّلهم مما كانوا يحبون من النصر إلى ما كانوا يكرهون من الهزيمه،و كانوا يحبون الراحه فأشقاهم.و لا داعى لهذا الاعتراض و التأويل لأنّ التفسير الأول موافق لظاهر القرآن و حقائقه.

[۶]و يؤكّد القرآن حقيقه الخط الواحد فى رسالات الأنبياء على لسان نبى اللّه

عیسی ابن مریم-علیه السلام-،الذی أعلن لبنی إسرائیل أنّه یشکّل امتدادا لرسالات الأنبیاء،فقد سبقه موسی و سوف یلحقه محمد-صلّی اللّه علیه و آله-، فهم صف واحد.و هکذا ینبغی أن تلتحم مسیره المؤمنین بهم،و یجتمعوا تحت رایه النبوه و قیاده من یحمل تلک الرایه.

وَ إِذْ قٰالَ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ یٰا بَنِی إِسْرٰائِیلَ إِنِّی رَسُولُ اللّٰهِ إِلَیْکُمْ مُصَدِّقاً لِمٰا بَیْنَ یَدَیَّ مِنَ التَّوْرٰاهِ إذن لیس هناک أی تناقض بین الرسالات و القیادات الإلهیه،إنّما یکمل بعضها بعضا،فعیسی-علیه السلام-مصداق للقیم التی جاءت بها التوراه، و رسالته مصدّقه لها،و لکن لا تعنی التوراه تلک التی بین أیدی الناس الیوم فإنّها محرّفه،و قد لعبت بها أهواء الیهود الذین سرّبوا إلیها الثقافه العنصریه.

وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ یَأْتِی مِنْ بَعْدِی اسْمُهُ أَحْمَدُ و أحمد علی صیغه أفعل فهو أحمد للّه من سواه.

قالوا:الأنبیاء کلهم حامدون للّه،و نبینا محمد أکثرهم حمدا،و قد نقلت الکلمه من صیغه(أفعل للتفضیل)إلی الاسم.

و بالرغم من أنّ ید التحریف امتدت إلی العهدین المقدّسین عند الیهود و النصاری إلاّ أن هناک إشارات لا تزال تشهد بأنّ عیسی-علیه السلام-قد بشّر بالنبی محمد..و منها النص التالی:«لکنّی أقول لکم الحق إن انطلق،لأنّه إن لم أنطلق لا یأتیکم(البیرکلتوس)،و لکنّی إن ذهبت أرسله إلیکم».و یقول:إنّ لی أمورا کثیره أیضا لا أقول لکم،و لکن لا تستطیعون أن تحتملوا الآن،و أمّا متی جاء ذاک روح الحق فهو یرشدکم إلی جمیع الحق،لأنّه لا یتکلّم من نفسه بل کل

ما يسمع يتكلم به،و يخبركم بأمور آتيه،و يمجّدنی لأنّه یأخذ ممّا لی و یخبرکم (۱).

علما بأنّ کلمه(البیرکلتوس)تعنی فی الیونانیه:الـذی له حمد کثیر ممّا یطابق کلمه أحمد،علی أنّ الترجمه الحالیه للإنجیل حرّفوها إلی بارقلیطا و ترجموها ب(المسلّی)،بینما الأصل الیونانی الموجود غیر ذلک.

و علی أیّ حال فإنّ النصاری کـذّبوا به و بالإسـلام مـدّعین التمسک بدین عیسـی،کما سـبقهم إلی ذلک الیهود بالعصبیه لما فی أیدیهم من التوراه.

فَلَمّا جاءَهُمْ النبی-صلّی اللّه علیه و آله-.

بِالْبَیِّناتِ قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِینٌ

قال أبو جعفر علیه السـلام :لم تزل الأنبیاء تبشّـر بمحمّد-صـلّی اللّه علیه و آله- حتی بعث اللّه تبارک و تعالی المسـیح عیسی بن مریم،فبشّـر بمحمد صـلی الله علیه و آله ،و ذلک قوله تعالی: یَجِدُونَهُ یعنی الیهود و النصاری مَکْتُوباً یعنی صـفه محمد صـلی الله علیه و آله «عندهم»یعنی فی التوراه و الإنجیل...و بشّر موسی و عیسی بمحمد کما بشّر الأنبیاء-صلوات اللّه علیهم-بعضهم ببعض (۲).

[۷]و البشـاره بـالنبی صـلی الله علیه و آله موجوده لـدی أهـل الکتاب لکنّهم أنکروه و رفضوا التسـلیم لما جاء به حسـدا من عند أنفسهم،فارتکبوا بذلک وزرین،وزر التکذیب بالدین و النبی الجدید،و وزر الافتراء بتمثیل الدین السابق لتبریر موقفهم من الحق.

۱- ۱) للتفصیل راجع تفسیر الفرقان للدکتور الصادقی/ج ۲۸-ص ۳۰۶

۲- ۲) نور الثقلین/ج ۵-ص ۳۱۵

وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَ هُوَ يُدْعىٰ إِلَى الْإِسْلاٰمِ فهو إذن يحارب الدين باسم الدين،و يرفض الحق بالافتراء على اللّه.

وَ اللّهُ لاٰ يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰالِمِينَ لأنّه إنّما يهدى الذى يسعى للهدايه و يأخذ بأسبابها،أمّا الظالم الذى يفترى على اللّه الكذب فإنّه يرفض اتباع الهدى فيضلّه اللّه.

ص:۳۴۷

[سوره الصف (۶۱): الآیات ۸ الی ۱۴]

اشاره

يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اَللّٰهِ بِأَفْوٰاهِهِمْ وَ اَللّٰهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ اَلْكٰافِرُونَ (٨) هُوَ اَلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَ دِينِ اَلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى اَلدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ اَلْمُشْرِكُونَ (٩) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلىٰ تِجٰارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذٰابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجٰاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اَللّٰهِ بِأَمْوٰالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ يُدْخِلْكُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ وَ مَسٰاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنّٰاتِ عَدْنٍ ذٰلِكَ اَلْفَوْزُ اَلْعَظِيمُ (١٢) وَ أُخْرىٰ تُحِبُّونَهٰا نَصْرٌ مِنَ اَللّٰهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ وَ بَشِّرِ اَلْمُؤْمِنِينَ (١٣) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصٰارَ اَللّٰهِ كَمٰا قٰالَ عِيسَى اِبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوٰارِيِّينَ مَنْ أَنْصٰارِي إِلَى اَللّٰهِ قٰالَ اَلْحَوٰارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصٰارُ اَللّٰهِ فَآمَنَتْ طٰائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرٰائِيلَ وَ كَفَرَتْ طٰائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا اَلَّذِينَ آمَنُوا عَلىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظٰاهِرِينَ (١۴)

اللغه

٨[بأفواههم]:«فوه»إذا اقترنت بالقول فهى كنايه عن الكذب مثل قوله:« ذٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوٰاهِكُمْ »و قوله:

« كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوٰاهِهِمْ »و قوله:« يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوٰاهِهِمْ ».

ص:۳۴۸

هدى من الآيات

مهما تكن للباطل من جوله فإنّ الدوله للحق،و النصر و الفتح للمؤمنين المجاهدين و هم أنصار اللّه و جنده،و لكن هذه الحقيقه لا يمكن أن تحدث فی الفراغ و بعيدا عن السنن الإلهيه الحاكمه فی الحياه،و منها سنه الصراع ضد الكفر و الشرك و مجاهدتهما،فلا بد أن تنبری للحق فئه تقاتل فی سبيل اللّه صفّا،و تحت رايه القياده الرساليه،و تتاجر مع اللّه(تبيع نفسها و تشتری رضوانه و الجنه و الفتح)، كما فعل الحواريّون الذين التفّوا حول عيسی ابن مريم-عليه السلام-و نصروا الحق فأصبحوا ظاهرين بإذن اللّه.

و حينما نتدبر آيات هذه السوره المباركه فإنّنا نجدها تعبق بشذی الولايه الإلهيه،ففی البدايه كان الكلام عن الأذی الذی لقيه كليم اللّه من قومه،و ربما كان ذلك الأذی متمثّلا فی رفضهم لأخيه و وصيه هارون(عليهما السلام)لمّا استخلفه و ذهب إلی مناجاه ربه،ثم عبادتهم للعجل رمز القياده المنحرفه فی

المجتمع آنذاك،كما أنّ عيسى-عليه السلام-بشر بقياده الرسول صلى الله عليه و آله و لكنّ الكفار و المشركين من الناس رفضوا التسليم له،ثم إنّ القرآن يؤكّد بأنّ اللّه سوف يتمّ نوره رغما على الكفّار و المشركين الذين يسعون لإطفائه.و لا ريب أنّ القياده الرساليه مشكاه نور اللّه و وحيه، و التى لا يحصل الإنسان على الكمال الإلهى إلاّ بالتسليم لها.

بينات من الآيات:

[۸-۹] يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللّٰهِ بِأَفْوٰاهِهِمْ و النور لا يطفؤه نفخ الإنسان عليه،فكيف إذا كان ينبعث من عند مليك السماوات و الأرض؟و هذا التعبير من بلاغه القرآن و بديعه فى تقريب المعنى إلى ذهن المتدبر.و كلمه الأفواه يستخدمها القرآن للدلاله على الكلمات الكاذبه التى لا تنطلق من القلب و لا تملك رصيدا من الواقع،كالثقافات الجاهليه و الدعايات المضلّله التى تبثّها أجهزه الاعلام الطاغوتيه ضد الحق و رموزه و أتباعه.

و قد اختلف أقوال المفسرين فى بيان مصداق النور الإلهى،فقال بعضهم:إنّه الرساله المتمثله فى القرآن و سائر كتب اللّه،و قال آخرون:إنّه الرسول صلى الله عليه و آله ،كما أوّلته بعض روايات أهل البيت فى الإمامه و صاحب الأمر-عجل اللّه فرجه-، و الذى يظهر لى أنّ الحقائق الكبرى تتواصل فيما بينها،فمثلا العقيده بالتوحيد مبعث للعقيده بالعدل،و هذه تبعثنا نحو الإيمان بالآخره،و كلّ هذه الحقائق تتركّز فى الإيمان بالولايه،و هكذا يحدّثنا الكتاب عن الحقائق الكبرى بلا فصل بينها و لا تمييز، ممّا نجد لها أكثر من مصداق،فمثلا عند ما يأتى فى القرآن ذكر لحبل اللّه أو نور اللّه فإنّنا نجد له أكثر من مصداق،فحبله كتابه،و كذلك القياده التى تمثّل امتداده فى المجتمع،لا ينفصل أحدهما عن الآخر،و لا يؤدى دوره العملى بتمامه

من دونه،و هكذا فسرّنا قوله سبحانه:« وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيعاً »بأنّه الوحى الإلهى و القياده التى تمثّله،و هكذا أوضح الرسول-صلّى اللّه عليه و آله-فى حديث الثقلين(كتاب اللّه و عترته)أنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض،و كذلك هنا لا يوجد أىّ تعارض بين أقوال المفسرين،فنور اللّه واحد و لكن له تجلّيات عديديه،فهو يتجلّى فى كتابه كما يتجلى فى الرسول و فى الإمام الذى يخلفه،حسبما مرّ فى تفسير آيه النور (١).

وَ اللّٰهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكٰافِرُونَ إذن فنوره لا يتم بطوع الناس كلّهم،إنّما فى ظروف من التحدى و الصراع بين إراده الحق و أتباع الباطل،ينتصر فيها حزب اللّه رغم أعدائه،و رغم كرههم و سعيهم لإطفاء نوره بشتّى الوسائل و الطرق،فهو ليس محايدا فى الصراع بين الحق و الباطل،و إن كانت حكمته تقتضى امتحان المؤمنين و تعريضهم للفتنه بعض الأحيان.و لكنّ السؤال:هل أنّ نوره تعالى كان يشكو النقص حتى يكتمل؟ كلاّ..فلما ذا قال أنّه سيتم نوره؟ و الجواب:إنّ للنور كمالين:الأول فى ذاته،الثانى فيما يتصل بانتشاره،و نور الدين كامل فى ذاته،و لكن إنما يتم كمالا بانتشاره فى آفاق المعموره،و ذلك بإسقاط كل الحجب التى تمنع اتصال الناس بنور اللّه.و لعلّ من مصاديق إتمام النور أن تلتحم مسيره العقل المزكّى بالوحى المنزل،فيتحوّل القرآن إلى برامج و مناهج عمليه مفصّله تحكم الحياه و تسير البشريه على سبيل الهدى و الصواب.أ فتدرى كيف؟بأن يتكامل عقل الإنسان بزياده علمه فى كافه الحقول حتى يكتشف المزيد من أسرار الدين و يقتنع الجميع بأنّه منزل من عند اللّه،فيصبح الدين ضروره

ص:٣٥٢

١- ١) هنا لك تجد بيانا للعلاقه بين قوله تعالى: اَللّٰهُ نُورُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ و بين قوله: فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللّٰهُ أَنْ تُرْفَعَ.. .

علميه بعد أن كان ضروره نفسيه و اجتماعيه،و هنا لك يكشف اللّه الغطاء عن وجه وليّه الأعظم مهديّ هذه الأمّه الذى وعد الرسول بظهوره فى آخر الزمان فيملأ الأرض قسطا و عدلا بعد أن ملئت ظلما و جورا.

إذا كتاب اللّه كامل و إنّما الناس بحاجه إلى الارتفاع إلى مستواه بالتدبر و التعلم حتى يتم اللّه نوره.

و هذه الآيه و التى تليها تحلاّن جدلا حول مسيره البشريه هل هى نحو التكامل أو الانحطاط،فحسب النظريه الدينيه قال بعضهم:إنّها تتجه نحو الانتكاس، و احتجوا على ذلك بأنّ حوادث القيامه التى تطوى بها صفحه الحياه الدنيا إنّما تقع نتيجه لوصول البشريه إلى منتهى الانحراف،و نقل البعض

عن النبى ما نصه :

«إنّ خير القرون قرنى،ثم الذين يلونهم،ثم الذين يلونهم حتى يأتى أناس همج رعاع أتباع كل ناعق »،و

رووا عن الرسول-صلّى اللّه عليه و آله-قوله :«إنّما تقوم الساعه على كل لكع ابن لكع »،و انطلقوا من ذلك فى تقييم مسيره الأجيال و أنّها تسير نحو الانحطاط.

و قال آخرون:بل الحياه تسير نحو التكامل،و هذا ما نستلهمه من آيات القرآن و من بينها هاتان الآيتان،فإنّهما تنطويان على بشاره بأنّ الكمال ينتظر البشريه فى المستقبل،و أنّ نور اللّه سوف يتم يوما من الأيّام ليشمل كلّ الأرض و يهيمن على الناس جميعا.و هكذا جعل ربنا خاتم أنبيائه أفضلهم.و لا غرابه حينئذ لو قرأنا الأخبار القائله بأنّ آخر أوصيائه الاثنى عشر من ولده هو الذى ينهض بأعباء تلك النهضه العالميه نحو قمه السعاده و الكمال.

قال على بن إبراهيم القمّى(رض):« وَ اللّٰهُ مُتِمُّ نُورِهِ »بالقائم من آل محمد صلى الله عليه و آله حتى إذا خرج يظهره اللّه على الدين كله،حتى لا يعبد غير اللّه،و هو

قوله-علیه السلام -:«یملأ الأرض قسطا و عدلا کما ملئت ظلما و جورا » (۱)، و

قال أمیر المؤمنین علیه السلام :«حتی لا- تبقی قریه إلاّ- و ینادی فیها بشهاده أن لا إله إلاّ اللّه و محمد رسول اللّه بکره و عشیّا »بلی.لو قسنا مسیره البشریه بالساعات و الأیّام فقد نجد بعض أمارات التراجع،و ربما واجهتنا بعض الانتکاسات،و لکن المحصّله النهائیه القائمه علی أساس الأرقام الإستراتیجیه(بالأجیال و القرون) تهدینا إلی أنّ المسیره تتجه نحو الأمام،فلیس من شک أنّ حال البشریه الآن خیر ممّا کانت علیه قبل قرنین من الزمن لو اتخذنا مجمل القیم الدینیه مقیاسا، کالتقدم العلمی،و الرفاه،و الحریه و..و..

و نجد فی الآیتین الکریمتین بیانا لمسیره الصراع بین الأفکار و الأمم،ففی المرحله الأولی یدور الصراع بین الفلسفات الدینیه و القیم البشریه،و فتنتصر الفکره الدینیه علی الأخری.و ها نحن نلاحظ بشائر عوده الناس إلی الدین،و نبذها للکفر باللّه عزّ و جل،و أظهر تلک البشائر ما نجده الیوم من تراجع سریع و واسع للمدّ الإلحادی (و منه الشیوعیه)فی سائر أنحاء العالم،و سوف یستمر هذا التحوّل حتی یأتی الیوم الذی تعود البشریه بمعظمها إلی اللّه و الدین.فتبدأ المرحله الثانیه و التی یدور فیها الصراع بین الدین الخالص و الأدیان المحرّفه،و قد تکفّل ربنا بإظهار دینه الحق علی کلّ الأدیان. (۲)

هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدیٰ وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ و علی خاتمه هذه المرحله ینتصر اللّه بولیّه الأعظم الإمام الحجه بن الحسن -عجل اللّه فرجه-لدینه الخالص.و حیث حدثتنا الآیه الثامنه عن المرحله الأولی

۱- ۱) تفسیر القمی/ج ۲ عند الآیه.

۲- ۲) مجمع البیان عند تفسیر الآیه.

جاءت خاتمتها:« وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ »،بينما اختتم الآيه التاسعه بالقول:« وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ »لأنّ الذين يعاكسونهم إنّما هم أتباع التوحيد الخالص من دنس الشرك و الارتياب! [۱۰-۱۳]و لأنّ هذا التكامل يتحقّق عبر عشرات الألوف من المواجهات الممتده عبر قرون متطاوله فإنّه لا يخص عصرا أو طائفه أو جهه،إنّما هى سنّه إلهيه،كسنّه الضياء الذى ينبعث من الشمس و يهزم جيوش الظلام من كل بقعه.. فهى لا تخص زمانا أو مكانا أو تجمّعا.

و هكذا تكون هذه البصيره القرآنيه شعله أمل فى أفئده المؤمنين باللّه فى كلّ مواجهه لهم مع الكفر،و الطغيان،و تعطيهم روح النصر،و تزوّدهم بوقود الاستقامه و الصبر.

و هكذا كانت هذه البصيره-ضمن السياق القرآنى-تعبئه روحيه لمن يريد التجاره مع اللّه و التفرغ للجهاد فى سبيله،بأنّه آنئذ يصبح ضمن تيار حركه التاريخ فى اتجاه التكامل و إتمام نور اللّه و إظهاره على الدين كله.

بلى.هذه الحقيقه تهدينا أيضا إلى أنّ ذلك الأمل يتحقّق على أيدى المؤمنين و بما يبذلونه من تضحيات.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلىٰ تِجٰارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذٰابٍ أَلِيمٍ و النجاه من النار أعظم طموحات المؤمنين لعلمهم بأنّ الإنسان واقع فى العذاب ما لم يسعى للخلاص منها.و يحدّد القرآن طريق النجاه فى الالتزام بثلاثه شروط أساسيه هى:الإيمان باللّه،و التسليم للقياده الإلهيه،و الجهاد بالمال و النفس من

أجل الحق.

تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُجاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اللّهِ بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ و یبدو أنّ اللّه قدّم الجهاد بالمال علی النفس لأنّ الإنسان یبدأ بالجهاد بالمال فیصعد درجات فی الإیمان إلی أن یصل إلی الجهاد بالنفس،کما أنّ الجهاد بالمال یهیء وسائل الجهاد بالنفس.هل رأیت حربا أو مقاومه إلاّ و یسبقها الإعداد لهما بالسلاح و العتاد و الزاد و الاعلام،و کلّها لا تتحقّق إلاّ بالمال.. و حیث یعتبر البعض الجهاد خساره للأمه یؤکّد القرآن بأنّه خیر عظیم للمجتمع،و أی خیر أعظم من العزه،و الاستقلال،و الحریه،و إقامه حکم اللّه،و هی کلّها من ثماره و نتائجه.

ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ و خیر الجهاد یعمّ الإنسان و المجتمع المجاهد فی الدارین:فی دار الآخره متمثلا فی الغفران،و سکنی الجنه و هو أعظم الخیر..

یَغْفِرْ لَکُمْ ذُنُوبَکُمْ وَ یُدْخِلْکُمْ جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَ مَساکِنَ طَیِّبَهً فِی جَنّاتِ عَدْنٍ ذلِکَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ

جاء فی تفسیر هذه الآیه خبر مأثور عن رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-أنّه قال :«قصر من لؤلؤ فی الجنه،فی ذلک القصر سبعون دارا من یاقوته حمراء،فی کلّ دار سبعون بیتا من زمرّده خضراء،فی کل بیت سبعون سریرا،علی کل سریر سبعون فراشا من کل لون،علی کل فراش امرأه من الحور العین،فی کل بیت سبعون مائده،علی کل مائده سبعون لونا من الطعام،فی کل بیت سبعون

وصيفه،و قال:و يعطى اللّه المؤمن من القوه فى غداه واحده ما يأتى على ذلك كلّه » (1).

و فى دار الدنيا متمثلا فى النصر و الفتح و التحرّر..

وَ أُخْریٰ تُحِبُّونَهٰا نَصْرٌ مِنَ اللّٰهِ وَ فَتْحٌ قَرِیبٌ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِینَ قيل:بشّرهم بالنصر لما فى ذلك من السرور و رفع المعنويات،و يبدو لى أنّ البشاره هنا تنصرف أيضا إلى أشياء أخرى غير الجنه و النصر،من أبرزها لقاء اللّه و رضوانه.و هنا ملاحظه نستوحيها من أمر اللّه للرسول بتبشير المؤمنين هى أنّ على القائد أن يثبّت روح الأمل و الرجاء فى صفوف أتباعه على الدوام،ليرفع من معنوياتهم،و لكى لا يفقدوا حماسهم و أملهم بسبب التحديات التى فى الطريق.

و هذه الآيات الكريمه تحدّد الإستراتيجيات الأساسيه للجهاد،فهو على صعيد الآخره و قبل كل شىء يجب أن يستهدف النجاه من النار و غفران اللّه و كذلك الجنه،و على صعيد الدنيا النصر و الفتح،و الفتح أشمل من النصر،فالنصر هو هزيمه العدو عسكريّا و قد يكون محدودا،بينما الفتح هو الإنتصار الشامل و فى كلّ الأبعاد.

و تأكيد ربنا على أنّ الهدف الأخروى هو الغايه العظمى للجهاد من شأنه السمو بروح المؤمنين إلى سماء القرب من اللّه،و علاج أى حاله من حالات التوقف التى قد يبتلى بها المجاهدون بسبب اليأس من طول الإنتصار،فإنّ الجهاد ليس موضوعا للانتصار على العدو و حسب بل لنيل رضوان اللّه،و هو واجب شرعى و فريضه كالصلاه و الصيام لا يسقطها عن كاهل المجتمع أو التجمعات الرساليه مجرد أن

١- ١) نور الثقلين/ج ٥-ص ٣١٨

یکون الإنتصار صعبا أو بعید المنال.

[۱۴]و تأتی خاتمه السوره لتشیر إلی المراحل الأساسیه فی الحرکات الرسالیه، و هی أربع مراحل:

الأولی:انبعاث القائد الرسالی فی المجتمع،و الذی یمثل البذره الأولی و الأساسیه للحرکه و التغییر.

الثانیه:التفاف مجموعه من الناس حوله،و إیمانهم بفکره،و تسلیمهم لقیادتهم،و هم الطلائع.

الثالثه:توسّع دائره الحرکه و تیّارها فی المجتمع،الأمر الذی یقسمه إلی جبهتین:جبهه الحق،و جبهه الکفر،ممّا ینتهی به إلی الصراع.

الرابعه:انتصار الحق و أهله علی جبهه الباطل کعاقبه نهائیه للصراع.

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُونُوا أَنْصٰارَ اللّٰهِ کَمٰا قٰالَ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ لِلْحَوٰارِیِّینَ جمع حواری و هم الخلّص الخواص من أتباعه،قیل:سمّوا حواریین لأنّهم کانوا قصّارین حیث أنّ اللّه-حسب هذا القول الذی ذهب إلیه قتاده-أمر عیسی -علیه السلام- فقال:إذا دخلت القریه فأت النهر الذی علیه القصّارون فاسألهم النصره،فأتاهم عیسی و قال:من أنصاری إلی اللّه؟قالوا:نحن ننصرک، فصدّقوه و نصروه. (۱)

۱- ۱) القرطبی/ج ۱۸-ص ۹۰ و لعل القصّار الذی یبذل قصاری جهده..و سمّوا بذلک لمبالغتهم فی العباده و الطاعه للّه.

و قيل:أصل الكلمه من الحور و هو البياض،و إنّما سمّوا كذلك لبياض قلوبهم أو نقاء قلوبهم و صفائها فى الولاء لعيسى،و يبدو أنّ هذا أقرب و أبلغ دلاله على معناها المصطلح الذى يدل على أقرب الناس من الرسل و الأوصياء،و هذا المعنى يقابل النفاق و يرادف معنى المخلص.

و قيل أنّ عيسى-عليه السلام-بعث كلّ واحد من الحواريين إلى منطقه فى أنحاء المعموره لإبلاغ الرساله،ممّا يعكس مدى تفانيهم فى سبيل الدعوه حيث أنّ الواحد منهم كان يمثّل أمه فى دفاعه عن الحق و تحديه للباطل. (١)

مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللّهِ قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللّهِ فَآمَنَتْ طائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ وَ كَفَرَتْ طائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظاهِرِينَ و هذا الشاهد من التاريخ يهدينا إلى أنه تعالى يؤيّد المجاهدين فى سبيله، و ينصرهم على عدوّه و عدوهم.

ص:٣٥٩

١- ١) راجع المصدر تاريخ الطبرى/ج ٣-ص ٧٣٧(طبعه أوروبا).

سوره الجمعه

اشاره

ص:۳۶۱

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضل السوره:

فی کتاب ثواب الأعمال بإسناده عن أبی عبد اللّه-علیه السلام - «الواجب علی کلّ مؤمن إذا کان لنا شیعه أن یقرأ فی لیله الجمعه بالجمعه و سبح اسم ربک الأعلی،و فی صلاه الظهر بالجمعه و المنافقین،فإذا فعل ذلک فکأنّما یعمل بعمل رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله-و کان جزاؤه و ثوابه علی اللّه الجنه».

نور الثقلین/ج ۵ ص ۳۲۰

قال رسول اللّه-صلی اللّه علیه و آله- :«من أدمن قراءتها کان له أجر عظیم،و آمنه ممّا یخاف و یحذر،و صرف عنه کلّ محذور»
ثواب الأعمال/ص ۲۰۹

الإطار العام

تذكّرنا سوره الجمعه بفضل اللّه الأكبر المتمثل فی رسالات اللّه و التی سببت إصلاحا شاملا لحیاه البشریه،و بالذات الذین تنزّلت فی محیطهم آیات اللّه، فبالرساله طهّر النبی أتباعه من أرجاس الجاهلیه و أغلالها،و علّمهم الکتاب و الحکمه،و رسم خطا إصلاحیا ممتدا عبر الزمان و المکان،و لولا الرسول لکان البشر یعود إلی جاهلیته الأولی.

لأنّ حمله الرساله و ورثه علمها قد خانوا مسئولیاتهم،یتعرّض السیاق إلی الذین لم یتحملوا مسئولیه التوراه بعد أن حملوها مشبّها لهم بالحمار الذی یحمل أسفار العلم دون أن ینتفع بها فی شیء،و فی ذلک تحذیر من طرف خفی للمسلمین ألاّ یصبحوا مصداقا آخر لهذا المثل.

و إذا یذکّر بشیء من واقع الانحراف لدی الیهود-الذین من أبرز صفاتهم التشبث بالماده و الحیاه الدنیا وَ لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النّاسِ عَلیٰ حَیٰاهٍ (۱)-یعطینا

ص:۳۶۵

۱- ۱) البقره۹۶/

مقیاسا دقیقا لمعرفه الداعیه للحق عن المدّعی له و هو أن من یحمل الرساله و یؤمن حقّا بمحتواها لا یبالی بالموت دفاعا عنها.

ثم یؤکّد أهمیه صلاه الجمعه لیرکز فی المؤمنین التوجه نحو القیم بدل اللهو و الماده،و لکی یثبت للأمه الناشئه تمیّزا عن الأمم الاخری و شخصیه مستقله بفرضها مناسبه دینیه اجتماعیه فی مقابل سبت الیهود و أحد النصاری.

و عند ما نتعمق فی تدبرنا نجد علاقه وثیقه بین ابتداء السوره بالتسبیح و انتهائها بالدعوه إلی الصلاه و الصبر علیها أمام إغراء التجاره و اللهو،ذلک أنّ الصلاه هی أظهر مصادیق التسبیح فی حیاه المؤمن.

ص:۳۶۶

[سوره الجمعه (۶۲): الآيات ۱ الى ۱۱]

اشاره

بِسْمِ اَللّهِ اَلرَّحْمنِ اَلرَّحِيمِ . يُسَبِّحُ لِلّهِ مٰا فِي اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِي اَلْأَرْضِ اَلْمَلِكِ اَلْقُدُّوسِ اَلْعَزِيزِ اَلْحَكِيمِ (۱) هُوَ اَلَّذِي بَعَثَ فِي اَلْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيٰاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ اَلْكِتٰابَ وَ اَلْحِكْمَةَ وَ إِنْ كٰانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاٰلٍ مُبِينٍ (۲) وَ آخَرِينَ مِنْهُمْ لَمّٰا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَ هُوَ اَلْعَزِيزُ اَلْحَكِيمُ (۳) ذٰلِكَ فَضْلُ اَللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشٰاءُ وَ اَللّهُ ذُو اَلْفَضْلِ اَلْعَظِيمِ (۴) مَثَلُ اَلَّذِينَ حُمِّلُوا اَلتَّوْرٰاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهٰا كَمَثَلِ اَلْحِمٰارِ يَحْمِلُ أَسْفٰاراً بِئْسَ مَثَلُ اَلْقَوْمِ اَلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِ اَللّهِ وَ اَللّهُ لاٰ يَهْدِي اَلْقَوْمَ اَلظّٰالِمِينَ (۵) قُلْ يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ هٰادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيٰاءُ لِلّهِ مِنْ دُونِ اَلنّٰاسِ فَتَمَنَّوُا اَلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ (۶) وَ لاٰ يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمٰا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَ اَللّهُ عَلِيمٌ بِالظّٰالِمِينَ (۷) قُلْ إِنَّ اَلْمَوْتَ اَلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلىٰ عٰالِمِ اَلْغَيْبِ وَ اَلشَّهٰادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۸) يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا إِذٰا نُودِيَ لِلصَّلاٰةِ مِنْ يَوْمِ اَلْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلىٰ ذِكْرِ اَللّهِ وَ ذَرُوا اَلْبَيْعَ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۹) فَإِذٰا قُضِيَتِ اَلصَّلاٰةُ فَانْتَشِرُوا فِي اَلْأَرْضِ وَ اِبْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اَللّهِ وَ اُذْكُرُوا اَللّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۱۰) وَ إِذٰا رَأَوْا تِجٰارَةً أَوْ لَهْواً اِنْفَضُّوا إِلَيْهٰا وَ تَرَكُوكَ قٰائِماً قُلْ مٰا عِنْدَ اَللّهِ خَيْرٌ مِنَ اَللَّهْوِ وَ مِنَ اَلتِّجٰارَةِ وَ اَللّهُ خَيْرُ اَلرّٰازِقِينَ (۱۱)

اللغه

۵[أسفارا]:الأسفار الكتب،واحدها سفر،و إنّما سمّى بذلك لأنّه يكشف عن المعنى بإظهاره،يقال سفر الرجل عمامته إذا كشفها،و سفرت المرأه عن وجهها فهى سافره،و منه:

«و الصبح إذا أسفر».

وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰابَ وَ الْحِكْمَهَ

بينات من الآيات:

[۱]لأنّ اللّه خلق الخلق للعباده فقد أودع فی ضمیرهم الحاجه إلیه،و فطرهم علی الإحساس بما هو مرتکز فیه من النقص و العجز،و المهم المعرفه به حیث لا حدّ و لا نقیصه و لا ضعف،لذلک فإنّ الخلق لا یرون لأنفسهم وجودا من دون فضله و لطفه و هباته،و لا هدفا أسمی من التقرب إلیه عبر تنزیهه و تسبیحه و الاستزاده من فضله بذکر أسمائه الحسنی،لذلک فالخلیقه فی تسبیح دائم له عز و جل.

یُسَبِّحُ لِلّٰهِ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ کلّ بلغته و طریقته،هذه هی مسیره الکائنات و وجهتها،و إذ یضع القرآن الإنسان أمام هذه الحقیقه الکبری فلکی یدفعه نحو الالتحاق بها،و یبیّن له أنّ عدم خضوعه للّه شذوذ خطیر یضعه فی مسیره معاکسه لإراده ربه و للخلیقه جمیعا،و بالتالی فإنه یواجه تحدیات کبیره تسحقه و تؤدی به إلی الدمار،فلا طریق للنجاه منها

و الوصول إلی الأهـداف و التطلعات إلاّ بمسایره الوجود بقیمه و سـننه فی مسـیرته الصواب،من خلال الاعتراف بالعجز و النقص المرتکز فیه و المعرفه بکمـال ربّه المطلق،و من ثمّ تسبیحه و الخضوع له.و لأنّه تعـالی لاـ تـدرک ذاته الأبصـار و لا العقول و لا الأوهام فقد جعل أسماءه وسیلتنا إلیه و ذکّرنا بها فقال:

اَلْمَلِکِ الْقُدُّوسِ الْعَزِیزِ الْحَکِیمِ

قال أبو جعفر(علیه السلام) :«خلقها وسیله بینه و بین خلقه،یتضرعون بها إلیه،و یعبدونه،و هی ذکره » (1)و

عن الرضـا(علیه السـلام)قـال :«هو نفسه، و نفسه هو،قـدرته نافـذه فلیس یحتـاج أن یسـمّی نفسه،و لکنّه اختار لنفسه أسـماء لغیره یدعوه بها،لأنّه إذا لم یدع باسمه لم یعرف » (2)و إذا کنّا نرید معرفته بأسمائه فلا بد أن نتیقن بأنّها غیر ذاته سبحانه،

ففی الخبر عن الصـادق(علیه السـلام) :«فلو کـان الاـسم هو المسـمّی لکـان کـلّ اسم منهـا إلها،و لکنّ اللّه معنی یـدلّ علیه بهـذه الأسـماء و لکنّهـا غیره » (3)،و لاـ بـد أن یتـذکر الإنسـان هـذه الحقیقه و هو فی طریق العرفان بربه حتی لا تـذهب به المـذاهب، فیحـاول کمـا فعـل بعض الفلاسفه و المجسـمه أن یتصور ربه بوهمه أو بعقله المحـدود فیضـلّ عنه إلی خلقه،فقـد«تاهت هناک عقولهم،و استـخفت حلومهم،فضـربوا له الأمثال،و جعلوا له أندادا،و شـبّهوه بالأمثال،و مثّلوه أشباها،و جعلوه یزول و یحول،فتاهوا فی بحر عمیق لا یـدرون ما غوره،و لا یـدرکون کنه بعـده» (4)، فسـبحان اللّه عمّا یصـفون و یشـرکون.و أنّی للإنسان أن یتصوّر خالقه؟!

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۲۹۵

۲- ۲) المصدر

۳- ۳) المصدر

۴- ۴) المصدر عن الإمام الکاظم علیه السلام

بلى.نحن نقول الملك و القدوس و العزيز و الحكيم و لكن دون حدّ و تشبيه،فهو واسع الملك،عظيم القداسه،دائم العزه،و نافذ الحكمه.و تتجلّى هذه الأسماء حينما يعود الإنسان إلى نفسه يتفكر فيها أو يرمى ببصره فى الآفاق من حوله.

نعم.إنّ ربنا الملك الذى لا حدّ لملكه،و إنّما يملك كلّ شىء ملكا،يملك شهوده و غيبه،حاضره و مستقبله،و يهيمن عليه بجميع أبعاده،و لا يملك شىء و لا شخص شيئا إلاّ بما يملّكه.و كلّ هذا آيات ملكوته و أكثر من هذا مما لا يمكن لنا أن نتصوره.

و هو قدوس بمعنى النزاهه المطلقه من كلّ نقص و عيب و حد،فليس شىء و لا أحد أولى منه بالتسبيح و العباده.كما أنّه القادر بالعزه على ما يشاء،و الذى لا يذل أو يحتاج إلى غيره.و حيث نسبّحه أو يدعونا إلى تسبيحه فليس لحاجه منه إلينا و لا إلى ذلك،لأنّه سبّوح و عزيز و ملك و قدوس بذاته،و إنّما بحكمته تفضّل علينا بأن جعل تسبيحه طريقا لنا إلى رضوانه و ثوابه و هو الحكيم.و هناك علاقات متينه بين الأسماء الحسنى المذكوره فى الآيه الكريمه بعضها مع بعض،فالملك الحق لا بد أن يكون نزيها و قويّا و حكيما،لكى يكون مهيمنا على ملكه.و العزه لا تكون إلاّ بالملك،كما لا يكون الملك إلاّ بها،و هكذا توجب القداسه العزه.و لم يقل تعالى عزيزا و حسب بل ذكر الحكمه أيضا فهو ملك ذو قوه فى حكمه،لا يدبّر الحياه بالقوه وحدها إنّما يهيمن عليها بالقوه و يدبّرها بالحكمه.

و هنا ينبغى التأكيد على مسأله مهمه و هى أنّ ما تقدم من التحقيق حول أسماء اللّه لا يعدو كونه محاوله محدوده لتقريب معانيها ليس أكثر،و إلاّ فإنّ الإنسان لا يستطيع أن يفى بالمعنى حينما يتحدث عنها.

[۲]و الأسماء الأربعه الحسنى للّه تجلّت عند ما انبعث إلى الناس رسولا من أنفسهم فجاء ليهديهم من الضلال و يعيدهم إلى مسيره الكائنات بعد الابتعاد

عنها،و هكذا انطلقت مسيره المجتمع الإصلاحيه حيث تحوّل من الشتات إلى الألفه،و من الضعف إلى القوه،و من الجاهليه و التخلف إلى العلم و الحضاره.

هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ رَسُولاً مِنْهُمْ قال كثير من المفسرين أنّ«الأميين»هم الذين ينتسبون إلى مكه أم القرى، و يحتمل أنّهم المتفرقون أمما و قيما،و الأظهر أنّهم الجاهليون،إلاّ أنّه ينبغى القول بأنّ الأمى و الجاهلى ليس الذى لا يقرأ و لا يكتب فإنّ ذلك هو المعنى الحرفى الظاهر للكلمه،فقد ينسب العالم الذى يقرأ و يكتب إلى الجاهليه و الأميّه لأنه لا يتفاعل مع معارفه (1)،و عدم القراءه و الكتابه مظهر واحد من مظاهر التخلف و الجهل، و للجاهليه مظاهر شتى تصدق عليها جميعا كلمه الأمى التى يبدو أنّها غلبت لتشمل كلّ أبعاد الجاهليه،و نستوحى ذلك من استخدام القرآن الحكيم لها فى سياق حديثه عن أهل الكتاب و هم يقرءون و يكتبون و فيهم دعاه العلم إذ قال: وَ مِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاٰ يَعْلَمُونَ الْكِتٰابَ إِلاّٰ أَمٰانِيَّ وَ إِنْ هُمْ إِلاّٰ يَظُنُّونَ (2)،و لكن لماذا بعث اللّه فى الأميين بالذات؟ /1إذا أخذنا بالتفسير الأول(أنّهم أهل مكه)فذلك تجلّ لحكمه اللّه حيث يبعث رسله فى مركز البلاد و أكبر مدنها و أهمها و حيث بؤره الفساد و الضلال،فإنّ ذلك أكبر أثرا فى التغيير.

/2و على التفسير الأظهر(أنّهم الجاهليون)نهتدى إلى أنّ اللّه يستنقذ البشريه

1- 1) قال الصادق(عليه السلام) :«كانوا يكتبون و لكن لم يكن معهم كتاب من عند اللّه،و لا بعث إليهم رسول فنسبهم اللّه إلى الأميين» نور الثقلين ج 5 ص 322

2- 2) البقره78/

حینما تتجه حضارتها نحو الدمار و الانتهاء.

ثم إنّ اللّه حین بعث رسوله فی هذا الوسط المتدنی فی العلم عرفنا بأنّ الرساله لم تکن تکاملا ذاتیا وصلت إلیه البشریه و المدنیه،کلّا..إنّها کالغیث الذی ینزل من السماء علی أرض جرداء فیملأها خصبا و جمالا.إنّها کما أشعه الشمس تهبط علی و دیان الظلام فتنشر علیها الضیاء و الروعه.إنّها تأتی من خارج إطار السیاق التاریخی فتحدث فیه ثوره بدیعه و تحولا عظیما لا نجد له أیّ تفسیر إلاّ فی الرساله، و لیس کما یدّعی البعض بأنّها حجر و عامل مساعد لعوامل حضاریه لدی العرب، فإنّ الدلائل التاریخیه کلها تشیر إلی وجود جاهلیه(أمیه)شامله فی کلّ الأبعاد فی المحیط الذی بعث فیه الرسول(صلّی اللّه علیه و آله)

عبرت عنها فاطمه بنت محمد (علیها السلام)بقولها عن أبیها :«ابتعثه اللّه إتماما لأمره،و عزیمه علی إمضاء حکمه،و إنفاذا لمقادیر حکمته،فرأی الأمم فرقا فی أدیانها،عکّفا علی نیرانها، عابده لأوثانها،و منکره للّه مع عرفانها،فأنار اللّه بأبی محمّد(صلّی اللّه علیه و آله) ظلمها، و کشف عن القلوب بهمها،و جلی عن الأبصار غممها،و قام فی الناس بالهدایه،فأنقذهم من الغوایه،و بصّرهم من العمایه،و هداهم إلی الدین القویم،و دعاهم إلی الصراط المستقیم » (1)،و

قالت(علیها السلام) :«و کنتم علی شفا حفره من النار مذقّه الشارب،و نهزه الطامع،و قبسه العجلان، و موطئ الأقدام،تشربون الطرق،و تقتاتون القدّ،أذلّه خاسئین،تخافون أن یتخطفکم الناس من حولکم » (2).

و هناک سؤال:لماذا سمّی النبی أمّیّا،و قال الذکر« رَسُولاً مِنْهُمْ »فما هی النعمه فی أن یکون النبی أمیا؟قال الماوردی:الجواب من ثلاثه أوجه:أحدها لموافقته ما تقدّمت به بشاره الأنبیاء،الثانی:لمشاکله حاله لأحوالهم فیکون أقرب

۱- ۱) الاحتجاج/ج ۱ ص ۹۹

۲- ۲) المصدر/ص ۱۰۰

إلى موافقتهم،الثالث:لينتفى عنه سوء الظن فى تعليمه ما دعا إليه من الكتب التى قرأها و الحكم التى تلاها (۱).

بيد أنّ الجواب الأفضل هو ما ذكر فى حديث شريف مأثور عن الامام الباقر (عليه السلام)كما سيأتى.

و هناك شبهه حاول البعض أن يدسّها عند قول اللّه عن الرسول (صلّى اللّه عليه و آله):«منهم»إذ نسبوا إلى النبى الأكرم الأميه و الجهل،و أئمه الهدى من جهتهم سعوا لدفعها بصوره منطقيه،

فقد قيل للإمام الباقر عليه السلام :إنّ الناس يزعمون أنّ الرسول(صلّى اللّه عليه و آله)لم يكتب و لا يقرأ،فقال:«كذبوا لعنهم الله.أنّى يكون ذلك و قد قال عزّ و جلّ: هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ..

وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتٰابَ وَ الْحِکْمَهَ فيكون يعلّمهم الكتاب و الحكمه و ليس يحسن أن يقرأ أو يكتب؟»،فسئل:فلم سمّى النبى الأمى؟قال:«نسب إلى مكه، و ذلك قوله عزّ و جل: وَ لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُریٰ وَ مَنْ حَوْلَهٰا فأم القرى مكه،فقيل أمى لذلك » (۲)و

قد جاء فى حديث مأثور عن الإمام الصادق(عليه السلام) :أنّ تسميه العرب بالأميين كان بسبب حرمانهم عن كتاب إلهى ،و على هذا فإنّ نسبه الرسول إلى ذلك كان بسبب انتمائه إلى ذلك القوم جغرافيّا و نسبيّا،و ليس لأنّه شخصيّا لم ينزل عليه الكتاب،فقد نزل عليه أحسن الكتب فكيف يكون أميا بهذا المفهوم؟!و السؤال هنا:ما هو منهج الرسول فى الإصلاح و السير بالإنسان نحو الحضاره و الهدى؟ [۱]هدايه الناس إلى اللّه عزّ و جل،ببثّ آياته بينهم و بيانها لهم آيه تلو آيه، و الذى من شأنه تفجير الطاقات الخيره الكامنه داخل النفس البشريه،و من أهمها

۱- ۱) القرطبى/ج ۱۸ ص ۹۲

۲- ۲) نور الثقلين/ج ۵ ص ۳۲۲

استثاره العقل فی البحث عن الطریق لأنّ الآیات تبیّن معالم الطریق و هی أساس الهدی،إلاّ أنّ هنالک حاجه إلی تتمیمها بتذکره الإنسان بها مما یقوم به الأنبیاء (علیه السلام)،و هکذا نهتدی إلی أن أوّل ما یجب علی الحرکات الرسالیه القیام به هو بث الثقافه الصحیحه بین الناس لکی یقتنعوا بالإصلاح و یتحسسوا ضرورته.

و لعلّ الآیه الکریمه تشیر أیضا إلی میزه الرسالات الإلهیه عن الدعوات البشریه و هی کونها تبدأ من اللّه لتنتهی إلیه.

یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیٰاتِهِ [۲]تطهیر الناس من عقد النفس و أغلالها التی تمنع انطلاقهم نحو الهدی کما قال تعالی: وَ یَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلاٰلَ الَّتِی کٰانَتْ عَلَیْهِمْ (۱)و لا یمکن لأمه مثقله بعقد الأحقاد و الأضغان،و الأغلال و الحسد و الاستئثار،و أصر الخوف و التهیّب و الانطواء،لا یمکن لمثل هذه الأمه أن تنهض بمسؤولیه الإصلاح و التقدم أو أن تکون أهلا لوحی اللّه و هداه،لذلک عمد الرسول(صلّی اللّه علیه و آله)و هو ینشد النهضه بذلک المجتمع إلی تطهیره من أدران الشرک و التخلف و الجاهلیه.

وَ یُزَکِّیهِمْ قال ابن عباس:یجعلهم أزکیاء القلوب بالإیمان،و قال بعضهم:یعنی یأخذ زکاه أموالهم،و هو بعید.

۳-و إذا ما تفاعل المجتمع مع الآیات،و اهتدی بها إلی غایاتها،و تزکّی بها

۱- ۱) الأعراف۱۵۷/

و بتوجیهات المصلح،أصبحت لدیه القابلیه العقلیه و النفسیه لتلقّی تعالیم الرساله و التفاعل معها،و لعلّه لذلک تقدّمت تلاوه الآیات و التزکیه علی التعلیم.

وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ و الکتاب هو القرآن الذی کان رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و آله)أوّل مفسر و مؤوّل لمعانیه،و ما أحوجنا و بالذات مجامیعنا العلمیه أن نتعلّم و نعلّم کتاب اللّه الذی هو حبله و بابه إلی الهدی و الفلاح.إنّ الرسول(صلّی اللّه علیه و آله)طهّر النفوس و العقول من الأغلال و العقد،ثم راح یعلّم الأمه معانی الکتاب بعد تلاوته علیهم، و یستخرج لهم منها مناهج الحیاه،فی السیاسه و الإقتصاد و الاجتماع و العسکریه، حتی أصبح القرآن بدیلا حضاریّا شاملا عن المناهج الجاهلیه الضاله بقضّها و قضیضها.و الیوم حیث نریده العوده إلی الإسلام باعتباره الحل الأمثل للمشاکل المعوزه التی لا تستطیع البشریه الفرار منها لا بد أن نعود من الباب الذی ولجه المعلّم الأوّل للرساله نبیّنا الکریم(صلّی اللّه علیه و آله)،فنشرع بآیات اللّه نتلوها علی الناس،و نذکّرهم بربّهم حتی ینصهروا جمیعا فی بوتقه الوحده الربّانیه،ثم نعلّمهم کتاب ربهم حتی یتشبعوا بقیمه المتسامیه،و یتسلّحوا برؤاه و بصائره،و ینبعثوا من آیاته فی کافه تصرفاتهم و مواقفهم.

لیکن القرآن أهم ماده دراسیه فی مجامیعنا العلمیه و مدارسنا و جامعاتنا و مراکز دراستنا حتی ننظر من خلاله إلی کلّ شیء و نصبغ بصبغته کلّ عمل و موقف.

و حیث یرید الرسول لمن حوله أن یقودوا الحیاه عملیّا بالقرآن علّمهم الحکمه أیضا،لیحسنوا فهمه و تطبیقه علی الواقع حسب اختلاف الظروف و تقدم الحیاه و تطورها،فبالحکمه تستنبط الحلول لمشاکل الحیاه و مفرداتها.و لو کان الرسول

(صلّى اللّه عليه و آله)يقتصر على تعليم نصّ القرآن للمسلمين و حسب دون إرشادهم لأصول الاجتهاد و مناهجه لكانوا يقعون فى مشاكل لا تنتهى.

و يبدو أنّ الحكمه الإلهيه تستوحى من الآيات المحكمه التى يردّ إليها كل آيات القرآن و كل الحوادث الواقعه فى الحياه،ذلك لأنّ محكمات القرآن هى التى تذكّر الإنسان بالقيم الفطريه المرتكزه فى ضميره،و تثير دفائن عقله بالحقائق الكبرى التى يعرفها بذاته بعد التبصير بها..و بكلمه:المحكمات القرآنيه هى مرتكزات العقل الإنسانى كالتوحيد و العدل و الحريه و المسؤوليه و ما أشبه،و هى التى تعتبر مصدرا للتشريع الإلهى،كما يزعم المشرّعون الوضعيّون أنّهم يعتمدونها فى تشريعاتهم.

و حينما يبلغ الإنسان درجه متقدمه من الوعى بهذه المرتكزات،و يعقلها عقل درايه،و يتعمّق فى معرفتها،هنا لك يصبح فقيها قد أوتى الحكمه،و آنئذ يستطيع أن يستنبط سائر أحكام الشريعه منها،كما يتمكن من اعتمادها فى مواقفه السياسيه و الاجتماعيه المتغيره.

و أعرف الناس بالحكمه،و أقدرهم على استنباط الأحكام الفرعيه منها، و أوعاهم لبصائرها،هو الجدير بحكم الأمه،لأنّه أقرب إلى القرآن من غيره،و لأنّ القرآن هو الحاكم الأوّل فى الأمه الإسلاميه،و إنّما يمثّله أوعى الناس له و أقرب الناس إليه..

لذلك فإنّ الحكمه هنا تعنى الولايه الإلهيّه و القياده الشرعيه،لأنّها وعاء الحكمه،و عيبه المعارف الربّانيه،و مرتكز البصائر القرآنيه.

من هنا جاءت النصوص المأثوره عن أئمه أهل البيت(عليهم السلام) تفسّر من جهه الحكمه بالولايه،و تبيّن من جهه أخرى أنّ الحكمه هى التفقّه فى الدين.

قال الإمام الصادق(عليه السلام) فی تفسیر قوله سبحانه:« وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً »:«طاعه اللّه،و معرفه الإمام » (١)و

قال الإمام الصادق(علیه السلام)فی تفسیر الآیه ذاتها :«إنّ الحکمه المعرفه و التفقّه فی الدین،فمن فقه منکم فهو حکیم،و ما أحد یموت من المؤمنین أحب إلی إبلیس من فقیه » (٢)و

روی عن النبی(صلّی اللّه علیه و آله)أنّه قال :«إنّ اللّه آتانی القرآن،و آتانی من الحکمه مثل القرآن،و ما من بیت لیس فیه شیء من الحکمه إلاّ کان خرابا.

ألا تفقّهوا و تعلّموا و لا تموتوا جهّالا » (٣)و

فی تفسیر آخر مأثور عن الإمام الصادق(علیه السلام) :«و الحکمه هی النجاه،و صفه الحکمه الثبات عند أوائل الأمور،و الوقوف عند عواقبها،و هو هادی خلق اللّه إلی اللّه » (۴)و تکاد کلمات المفسرین فی الحکمه تکون واحده،فقد فسرها مالک بن أنس أنّها الفقه فی الدین،و قال بعضهم:و یعلّمهم الحکمه فیدرکون حقائق الأمور، و یحسنون التقدیر،و تلهم أرواحهم صواب الحکم و صواب العمل،و قال آخر:

الکتاب:الوحی،و الحکمه:العقل،و قال آخر:إنّ الحکمه هی العلم الذی یعمل به فیما یجتبی أو یجتنب من أمور الدّین و الدنیا..

و هکذا تتواصل تفسیراتهم للحکمه لتوضح أنّها بلوغ مستوی من علم الدین

١- ١) نور الثقلین/ج ١ ص ٢٨٧

٢- ٢) المصدر

٣- ٣) المصدر

۴- ۴) المصدر/ص ٢٨٨

یمکّن الإنسان من معرفه متغیرات الشرائع و هو الفقه.بلی.لا ـ یمکن فقه الإسلام بعمق من دون فقه الزمن،لأنّ حکم اللّه یختلف من حادثه لأخری و واقعه و ثانیه و إنّما أصبح الفقهاء مرجعا لأحکام الدین لأنّهم یعرفون الدین،و یعرفون شروط الزمن و متغیرات الحوادث،فیستنبطون أحکامها منه،و لذلک

جاء فی الحدیث الشریف :«و أمّا الحوادث الواقعه فارجعوا فیها إلی رواه حدیثنا ».

و هکذا کانت الحکمه هی العقل المزکّی بالدین،و هی لا تتأتّی عاده إلاّ بعد الإلمام بسائر أحکام الشریعه و قیم الوحی.

و لأنّ القرآن آخر رساله بعثها الربّ إلی عباده،و هی التی تستمر حتی قیام الساعه برغم تطور الظروف،فإنّ البشریه احتاجت إلی الحکمه المرتکزه فی أئمه الدّین لملاحقه المتغیرات.

و هکذا دعا إبراهیم(علیه السلام)ربّه أن یبعث فی العرب من یعلّمهم الحکمه و الکتاب،فقال هو و ابنه إسماعیل:« رَبَّنٰا وَ ابْعَثْ فِیهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیٰاتِکَ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتٰابَ وَ الْحِکْمَهَ وَ یُزَکِّیهِمْ إِنَّکَ أَنْتَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ »..

و استجاب اللّه لإبراهیم و بعث النبی محمدا(صلّی اللّه علیه و آله و سلّم)إلی أولئک الأمیین فجعلهم اللّه به فی مستوی رفیع،حتی

قال فی بعضهم الرسول (صلّی اللّه علیه و آله) :«علماء حکماء کادوا أن یکونوا من الفقه أنبیاء » (1)وَ إِنْ کٰانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلاٰلٍ مُبِینٍ

۱- ۱) المصدر/ص ۲۸۸

لقـد بلغوا من الضـلال أبعـد مـدى حيث اتسـموا بـالتخلف فى جميع شؤونهم،فمن وأد البنـات إلى قتـل الأولاـد و إلى التنـاحر و التطـاحن،إلى الفقر و المسـكنه،و هكـذا كـانت حركه الرسـاله التى أنقـذتهم من تلـك الوهـده العميقه حركه من خارج السـياق التـاريخى لمجتمعهم.و لو كـانت مجرد تكامـل طبيعى داخلى لمـا اسـتطاعت القفز بهم إلى تلـك القيم السامقه و بتلك السـرعه الخياليه..

[۳]من غياهب ذلك التخلف البعيـد و ذلك الضـلال المبين تعالى ذلك الصوت الميمون يـدعو العالمين إلى ولاده جديـده،إلى الانبعـاث من ضـمير الجـاهليه،إلى حيـاه الحضور الفاعـل،و سوف تتواصـل أمواج الملتحقين بـالركب من شـعاب الأرض و على امتـداد التاريخ لأنّها ليست دعوه مكيه للعرب،و لا دعوه قريشـيه لقريش،و لا دعوه سياسـيه لذلك العصـر.إنّها دعوه إلهيه تتجاوز الجغرافيا و العنصر و الزمن..إنّما دعوه رسول اللّه ربّ العالمين إلى الناس كافّه..

و سوف تتزود المسيره الحضـاريه من القيم التى جاءت بها،و تظل تأخـذ بيـد الإنسانيه نحو الهـدى و الخير،كما تتزود من الخط الرسالى و القياده الشـرعيه التى تشـكّل الامتداد الحقيقى للرسول قياده و ذكرا،و هو لا ينقطع فى كلّ زمان و جيل، حيث لا تخلو الأرض من حجّه إلهيّه،و لـذلك يبقى الالتحاق بمـدرسه النبى (صلّى اللّه عليه و آله)مركبه مسـتمرا مدى الحياه.تنتشـر رسالته و تتوسع أمته بين الناس.

وَ آخَرِينَ مِنْهُمْ لَمّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ من هم الآخرون الـذين يتوقّع التحاقهم بركب الرساله؟ قالوا:إنّهم سائر العرب الذين آمنوا من بعد.و جاء فى حديث مستفيض مأثور

عن رسول اللّه أنّهم قوم سلمان الفارسی..

الحدیث یقول:عن أبی هریره قال :کنّا جلوسا عند النبی(صلّی اللّه علیه و آله)إذا نزلت علیه سوره الجمعه،فلمّا قرأ:

« وَ آخَرِینَ مِنْهُمْ لَمّا یَلْحَقُوا بِهِمْ »قال رجل:من هؤلاء یا رسول اللّه؟فلم یراجعه النبی(صلّی اللّه علیه و آله)حتی سأله مرّه أو مرتین أو ثلاثا،قال:و فینا سلمان الفارسی،قال:فوضع النبی(صلّی اللّه علیه و آله)یده علی سلمان،ثم قال:«لو کان الإیمان عند الثریّا لناله رجال من هؤلاء » (۱)و

جاء فی حدیث آخر عن الرسول(صلّی اللّه علیه و آله) :«إنّ فی أصلاب أمتی رجالا و نساء یدخلون الجنه بغیر حساب،ثم تلا هذه الآیه » (۲) و قد اختتمت الآیه الکریمه باسمی العزیز و الحکیم لأنّ لحاق الآخرین بمسیره الأمه الإسلامیه،و امتداد الرساله فیهم عبر الزمن،مظهر لهذین الاسمین،إذ یعزّ اللّه بهم دینه بین الأمم فی سائر الأزمان،و تتجلّی فیهم عزّته بین الناس،کما أنّ من حکمته أنّه لم یجعل امتداد المؤمنین برسالته فی المجتمع المعاصر للرسول و حسب،إنّما جعله عبر الأجیال و الأزمان أیضا لیبقی مشعل الحق یحمله اللاحقون بعد السابقین،تتوسع بهم الأمّه و تستمر مسیرتها.

و من تجلّیات اسم الحکمه لربنا العزیز أنّه لم یخص الجیل المعاصر للرسول بفضل الإسلام بل جعل الآخرین شرکاءهم فی الفضل بقدر درجاتهم الإیمانیه و مساعیهم الحمیده،و هو القائل: «کُلُّ نَفْسٍ بِما کَسَبَتْ رَهِینَهٌ ».

[۵-۴]و تنتظم الآیه الرابعه فی هذا السیاق لتلغی أیّ تصوّر محدود عرقی أو قومی للرساله بأنّها تخص أهل مکه أو العرب فقط،مؤکّده بأنّ الهدایه إلی الحق

۱- ۱) القرطبی/ج ۱۸ ص ۹۲

۲- ۲) المصدر/ص ۹۳

مکرمه إلهیّه یهبها الباری لمن یشاء من خلقه.

ذٰلِکَ فَضْلُ اللّٰهِ أمّا اللغه و اللون و الحسب و سائر الصفات و المقاییس المادیه فلیست فضلا بذاتها حتی یفتخر العربی علی العجمی،أو الأبیض علی الأسود،أو ذی القرابه علی البعید،کلاّ..و حیث یختص هذا الفضل باللّه عزّ و جل و هو صاحب الخیره الذی لا یسأل عمّا یفعل فلیس لأحد أن یدّعی اختصاصه به من دون الناس،کما صنعت الیهود و النصاری،و اختلقت لذلک ألوانا من الفلسفات الشرکیه التی تصوّر اللّه مغلولا أو رهن إرادات خلقه،سبحانه عمّا یصف المشرکون.

یُؤْتِیهِ مَنْ یَشٰاءُ وَ اللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ فی إنقاذ الناس من الجاهلیه و الضلال المبین إلی نعمه الطهاره و العلم و الهدی، و لیس ما زعمها البعض فی تحلیله للتغیّر الحضاری الذی حدث فی تاریخ شبه الجزیره بأنّه راجع إلی حاله من التکامل الطبیعی الذی یقع عند الأمم،کلاّ..بل هو فضل إلهی،و ینفی قوله:« یُؤْتِیهِ مَنْ یَشٰاءُ »أنّ التاریخ لیس بالضروره فی مسیره هابطه،کما زعم البعض اعتقادا منهم أنّ الجیل الأوّل یکون أبدا أفضل الأجیال،کلاّ..إنّ ربّنا ذو فضل عظیم،فأیّ جیل فی أیّ عصر و فی أیّ بقعه اتجه إلی اللّه عمّه اللّه بفضله الکبیر.

و هذه الآیه من جهه أخری مدخل لانعطاف السیاق نحو الحدیث عن الیهود، الذین زعموا بأنّ فضل اللّه(رسالته و رسله)خاص بهم،و لم یتحمّلوا مسئولیه الرساله،إنّما راحوا یتشبثون بالقشور،و جعلوا مجرّد اختیار اللّه لهم لرسالته فضل،

يفتخرون به،و يتهرّبون باسمه من الالتزام بمسؤوليّاتهم..بلى.إنّ رساله اللّه فضل عظيم،و لكنّ أحدا لا يبلغ الفضيله و الكرامه بها إلاّ بالعمل و تحمّل المسؤوليه،أمّا أن يكتفى العرب بمجرد أنّ الرسول كان منهم،و أنّ الآيات تنزّلت بينهم،فإنّه أمر خطير ينتهى بهم إلى ما انتهى إليه اليهود من قبلهم فصاروا كما وصف اللّه تعالى:

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرٰاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهٰا كَمَثَلِ الْحِمٰارِ يَحْمِلُ أَسْفٰاراً تحتوى العلم و لكنّه لا ينتفع بها شيئا،و فى هذا التشبيه دقه بالغه،فإنّ حمل الرساله ليس باقتناء نصوصها فى الجيب و رفوف المكتبه أو بجمعها و حملها على الرأس و الكتف،كلاّ..و إلاّ فالحمار أقدر على حمل عدد أكثر و وزن أكبر من أسفار الرساله،إنما حمل الرساله بتطبيقها و الالتزام بها فى الحياه،لأنّها قيم و ليست ماده.و لعل المثل موجّه إلى علماء السوء الذين لم يرعوا أمانه العلم و الدين،بل استغلّوها فى الوصول إلى المصالح الشخصيه و الشهوات،لأنّهم أبرز مصاديق المحمّلين لمسؤوليه الرساله،و ليس من أحد يشك فى أنّ الانحراف الذى وصل إليه اليهود،و لا زالوا مرتكسين فيه،كان بسبب أدعياء العلم و الدين.أو ليسوا اليوم يحاربون الإسلام باسم التوراه؟أو ليسوا ينتهكون حرمه المسجد الأقصى باسم الدين و بفتاوى الأحبار؟أو ليسوا يمارسون الظلم و الإرهاب ضد الناس؟بلى.فليست التوراه إذن هى التى تملى عليهم ذلك،لأنّها رساله اللّه-رساله الألفه و المحبّه و السلام-.إنّ اللّه كرّم الإنسان على كثير ممّن خلق و فضّله تفضيلا،و لكن بأىّ شىء؟هل بضخامه جسده و قوته الماديه؟كلاّ..فإنّ كثيرا من الأحياء أقوى منه جسدا و أكبر،و لكن إنّما كرامه الآدمى بالعقل و باتباع رسالات اللّه،فما ذا بقى لدعاه التوراه و هم يخالفون هدى العقل،و يكذّبون رساله اللّه،سوى أن يشبّهوا

بالحمار؟ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللّهِ و حيث أنّها النهج الذى يقود الإنسان إلى الصلاح و قيم الخير(الهدى)فقد ضلّوا الطريق إلى ذلك،و تخبطوا فى الضلال و الظلم،و قد نظّم الشعراء فى هذا المثال شعرا لعلّ أطرافه قول بعضهم:

إنّ الرواه على جهل بما حملوا مثل الجمال عليها يحمل الودع

لا الودع ينفعه حمل الجمال له و لا الجمال بحمل الودع تنتفع

وَ اللّهُ لاٰ يَهْدِى الْقَوْمَ الظّالِمِينَ لما ذا اعتبر هؤلاء من الظالمين؟يبدو أنّ السبب أنّ مثل هؤلاء-تجّار الدّين و أدعياء العلم-إنّما يتركون تطبيق روح الآيات،و يكذّبونها،و يحرفونها عن مواضعها،ليحصلوا على دراهم معدودات من المترفين و المستكبرين،فيلحقون بهم عند اللّه،و يعتبرون من الظالمين.و لأنّ اللّه لا يهدى الظالمين فإنّهم يخرجون من إطار العلماء باللّه،و لا يمكن أن يكونوا سفراء بين اللّه و عباده المؤمنين، و لا تكون آراؤهم حجّه شرعيه،لأنّها تنبعث من وساوس الشيطان و ليس من وحى الرحمن،و من هنا لا يعتبر الشرع المقدّس الفقيه غير العادل فقيها أبدا.

[۷-۶]و لقد تورّط اليهود فى التكذيب و الظلم بالآيات فكانوا مصداق مثل اللّه فيهم« كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً »، و لكنّهم سعوا للاحتفاظ بعلاقه ظاهريه مع رساله اللّه ليستغلّوا السذّج من الناس باسمها،فزعموا أنّ الدّين حكرا عليهم،و أنّهم وحدهم يمثلون الشرعيه الدينيه،و أنّ من يجرأ على الكلام فى

فضائحهم إنّما هو مارق يجب قتله،فهم من دون الناس شعب اللّه المختار،بيد أنّ القرآن يضعهم أمام محك وجداني ليفضح مزاعمهم،بامتحانهم من خلال أعمق الصفات تجذّرا فى نفوسهم ألا و هى حب الحياه و البقاء، وَ لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النّاسِ عَلى حَياةٍ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ (١)قُلْ يا أَيُّهَا الَّذِينَ هادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِياءُ لِلّهِ مِنْ دُونِ النّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ و السؤال:هل يصلح هذا التحدى محكّا لمعرفه صدقهم أو عدمه،فهب أنّهم سألوا اللّه الموت فهل يثبت ذلك أنّهم أولياء اللّه؟و نجيب أنّ هذا التحدى يحمل على ثلاثه معانى:

الأوّل:أنّ اليهود الذين باهلهم الرسول(صلّى اللّه عليه و آله)يومئذ كانوا يموتون لو تمنّوا الموت تلك اللحظه،

قال رسول اللّه :«لو تمنّوا الموت لماتوا عن آخرهم » (٢).

الثانى:أنّ أولياء اللّه بصدق يموتون لو طلبوا منه لقاءه بالموت لثقل دعائهم فى ميزانه عزّ و جل.

الثالث:أنّ التمنى هنا مقياس من زاويته الوجدانيه،و ليس مجرد الحديث عنه،بينما اليهود أشبعوا فى قلوبهم حبّ الدنيا و حبّ البقاء بحيث لم يكن يتمنّى أحدهم الموت أبدا،و ذلك بسبب كفرهم بالآخره و علمهم بأنّهم لا يملكون فيها شيئا،و هذا مقياس يميّز أولياء اللّه عن غيرهم،فإنّه مكتوب فى التوراه:

١- ١) البقره/٩٦

٢- ٢) تفسير البصائر/ج ۴۶ ص ١٨٧

أولياء الله يتمنون الموت (۱)،و

فی الخبر عن أبی عبد اللّه(علیه السلام) قال :«جاء رجل إلی أبی ذر فقال:یا أبا ذر ما لنا نکره الموت؟فقال:لأنّکم عمّرتم الدنیا و خرّبتم الآخره،فتکرهون أن تنتقلوا من عمران إلی خراب » (۲)،أمّا الأولیاء الذین عمروا آخرتهم فهم یحبون الانتقال إلیها، و لیس الیهود کذلک.

وَ لاٰ یَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمٰا قَدَّمَتْ أَیْدِیهِمْ و کیف یتمنّون الموت و هو الجسر الموصل إلی لقاء اللّه و الجزاء من عنده و قد قدّموا الخطایا و الذنوب؟إنّ أعمالهم و أفکارهم تؤکّد فیهم حبّ الدنیا و حبّ البقاء، و من جانب آخر تکرّه لهم لقاء اللّه و الآخره و إذا استطاعوا أن یخدعوا الناس بأنّهم أولیاء للّه و یخفوا حقیقتهم عنهم فإنّهم لن یخدعوا اللّه أبدا.

وَ اللّٰهُ عَلِیمٌ بِالظّٰالِمِینَ و إذا کانت هذه الصفه تصدق فی سائر الیهود المنحرفین عن التوراه فإنّها أصدق فی أحبارهم الذین کانوا متشبثین بحیاه.أیّه حیاه،فی مقابل أیّ ثمن؟!حیاه الذل و التبعیه و المهانه،و بثمن فقدان دینهم و عزّتهم،و ربما راحتهم.و أعوذ باللّه عند ما یصبح العالم جبانا،فإنّه لا یجعل نفسه فقط تابعا ذلیلا للجبّارین،بل و أیضا یجعل من أتباعه مجموعه ذلیله و خاضعه لکلّ حاکم ظالم،و یرسم خطّا انهزامیّا تبریریّا فی واقع المجتمع بما یبثّه من أفکار سلبیه و بما یحرّفه من نصوص دینیه.

و هذه السنه جرت فی علماء الیهود و النصاری و فی بعض علماء المسلمین الذین

ص:۳۸۶

۱- ۱) تفسیر القمی/ج ۲ عند الآیه

۲- ۲) نور الثقلین/ج ۵ ص ۳۲۴

ما زالوا متسكّعين على أبواب الملوك سرا و علنا،يوقّعون على جرائمهم بكلّ الأصابع، و يكيلون لهم سيل الفتاوى الكاذبه أنّى شاؤوا،و يزوّرون إراده الجماهير،و يحرّفون نصوص الدين.إنّهم بحق قطّاع طريق اللّه،كما جاء فى حديث قدسى،و إنّ خطرهم على الإسلام أشدّ من خطر ألف سيف و ألف بندقيه،« هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قاتَلَهُمُ اللّهُ أَنّى يُؤْفَكُونَ ».و ليعلم هؤلاء أنّهم مهما خدعوا الناس أو أنفسهم فإنّ اللّه عليم بهم،و سيقدّمهم للحساب حسب علمه سبحانه لا حسب خداعهم أو التباسهم، و سيلقيهم فى الجحيم و هم مهانون.

[٨] قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ و

فى الخبر خطب أمير المؤمنين على بن أبى طالب(عليه السلام)الناس فقال:

«أيّها الناس!كلّ امرء لاق فى فراره ما منه يفرّ،و الأجل مساق النفس إليه، و الهرب منه موافاته » (١)،و

قال الصادق(عليه السلام) :«تعدّ السنين،ثم تعد الشهور،ثم تعد الأيّام،ثم تعد الساعات،ثم يعد النفس،فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعه و لا يستقدمون » (٢).

و هكذا الإنسان و كلّ حيّ لعلى موعد مع الموت،و إنّما العمر مطيه تحثّ بنا الخطى نحو ميعادنا المصيرى،و إنّ كلّ لحظه تمرّ بنا لهى تنتقص من أجلنا بقدرها، فعلينا ألاّ نحسب تقادم الأيّام طولا فى أعمارنا،فنقول مثلا فلان طويل العمر عمره سبعون عاما أو ثمانون،و إنّما الحقيقه أنّه انتقص من عمره هذا القدر.ثم هل ينتهى بالبشر المطاف عند الموت حتى يطلق لنفسه العنان،و يسير فى الحياه حيث يريد؟!إنّما الموت قنطره إلى الحساب و الجزاء،و المحاسب هو اللّه الذى لا يخفى

١- ١) تفسير القمى/ج ٢ عند الآيه

٢- ٢) نور الثقلين/ج ۵ ص ٣٢۴

علیه شیء،أمّا الحیاه الدنیا فإنّها لیست حیاه اللهو و اللعب،إنّما هی عرصه المسؤولیه و الالتزام أمام اللّه بما یأمر به و ینهی عنه.

ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلیٰ عٰالِمِ الْغَیْبِ وَ الشَّهٰادَهِ فَیُنَبِّئُکُمْ بِمٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ و حریّ بالإنسان الـذی یواجه تحـدّی الزمن و الموت أن یتسلّح بالإیمـان و العمـل، لأنّهما الطریق الوحیـد لانتهاز فرصه العمر،و إذا کان البشـر عاجزا عن الفرار من الموت فهو لا ریب قادر علی اختیار العاقبه الحسنی بالعمل الصالح،الذی هو سفینه النجاه و المیزان الأوحد عند اللّه،لا الحسب و النسب أو الانتماء الظاهر.

[۹]و هکـذا مهّـد اللّه-بالآـیه السـابقه-للحـدیث عن الجمعه و اعتبارهـا عیـدا للأمه،و یؤکّـد اسـتقلالها فی شـعائرها بالإضافه إلی اسـتقلالها فی رسالتهـا عن الأمم الأخری،کالنصاری و الیهود الـذین لهم رسالتهم(التوراه و الإنجیل)وعیـدهم (السـبت و الأحـد) (۱)،و یعطی القرآن فی هـذه السوره صـلاه الجمعه و یومهـا الموقع و المفهوم الحقیقی فی منهـج الإسـلام،فالجمعه علی الصـعید الخارجی رمز الاستقلال، و علی الصعید الداخلی رمز الوحده و الائتلاف.

و من هـذه الحیثیّات و أخری غیرها تأتی الـدعوه الإلهیّه بالسـعی لصـلاه الجمعه و ترک کلّ ما سواها لهوا أو بیعا أو ما أشـبه من شؤون الـدنیا،و هکـذا أصـبح السـعی إلی الجمعه لـدی بعض المسـلمین(مـذاهب و علمـاء)أمرا مفروضا بإجماع الأمه عنـد توافر شروطها،و

جـاء فی کتـاب من لاـ یحضـره الفقیه مروی :إنّه کـان بالمـدینه إذا أذّن المؤذّن یوم الجمعه نـادی منـاد حرم البیع،لقول اللّه:«آیه الجمعه » (۲).و قال

۱- ۱) و هناک إشارات لهـده الفکره فی الأخبار: قال رسول اللّه صـلی الله علیه و آله :«کیف أنتم إذا تهیّأ أحدکم الجمعه عشیّه الخمیس کما تهیّأ الیهود عشیه الجمعه لسبتهم؟» تفسیر البصائر/ج ۴۶ ص ۳۴۵

۲- ۲) نقله نور الثقلین/ج ۵ ص ۳۲۵

الإمام الباقر(عليه السلام) يصف اهتمام الرعيل الأوّل من المسلمين بالجمعه:

«و اللّه لقد بلغنى أنّ أصحاب النبى(صلّى اللّه عليه و آله)كانوا يتجهّزون للجمعه يوم الخميس » (۱)، و

عن جابر بن عبد اللّه قال :أقبل عير(جمال محمّله)و نحن نصلّى مع رسول اللّه(صلّى اللّه عليه و آله)فانفضّ الناس إليها فما بقى غير اثنى عشر رجلا أنا فيهم،فنزلت الآيه:«۱۱ » (۲)،و

قال الحسن أبو مالك :أصاب أهل المدينه جوع و غلاء سعر فقدم دحيه بن خليفه بتجاره زيت من الشام،و النبى (صلّى اللّه عليه و آله)يخطب يوم الجمعه،فلمّا رأوه قاموا إليه بالبقيع خشيه أن يسبقوا إليه،فلم يبق مع النبى(صلّى اللّه عليه و آله)إلّا رهط،فنزلت الآيه،فقال (صلّى اللّه عليه و آله):«و الذى نفسى بيده لو أنّه تتابعتم حتى لا يبقى أحد منكم لسال بكم الوادى نارا » (۳).

إلّا أنّ كثيرا من فقهاء الإسلام اعتبروا وجود الحكم الإسلامى و الإمام العادل شرطا لإقامه صلاه الجمعه،و لعلّ ذلك مرتكز على كونها من الشعائر الدينيه السياسيه التى ينبغى أن لا ينتفع منها الظلمه فى تضليل الناس و تمكين أنفسهم، فهى من أهم و أبرز المناسبات التى يجتمع فيها المسلمون ممّا يسمح للطغاه اتخاذها منبرا جماهيريا لتضليل المجتمع،و نحن نقرأ فى التاريخ كيف أصبحت خطبها مركزا لحرب أولياء اللّه،كما فعل ذلك الحزب الأموى تجاه الإمام على و أهل البيت (عليهم السلام)،كما ترى اليوم كيف حوّل علماء السوء خطبتى الجمعه بوقا من أبواق الطغاه إلى حدّ صاروا يتسلّمون خطبهم من الحكومات نفسها،و يستلمون لذلك الأجر.

۱- ۱) المصدر/نقلا عن الكافى

۲- ۲) المصدر

۳- ۳) المصدر

و هکذا

جاء فی الحدیث المأثور فی کتاب الدعائم عن علی(علیه السلام)أنّه قال :«لا یصلح الحکم و لا الحدود و لا الجمعه إلاّ للإمام أو من یقیمه الإمام » (۱).

و هکذا

روی سماعه فی موثّقه عن الإمام الصادق(علیه السلام)قال :

سألت أبا عبد اللّه عن الصلاه یوم الجمعه،فقال:أمّا مع الإمام فرکعتان،و أمّا من یصلی وحده فهی أربع رکعات،و إن صلّوا جماعه (۲)و

فی خبر مأثور عن الإمام الرضا(علیه السلام)قال :«فإن قال:فلم صارت الصلاه الجمعه إذا کان مع الإمام رکعتین،و إذا کان بغیر إمام رکعتین رکعتین؟ قیل لعلل شتی،منها:إنّ الإنسان یتخطّی إلی الجمعه من بعد،فأحبّ اللّه عزّ و جلّ أن یخفّف عنهم لموضع التعب الذی صاروا إلیه،و منها:إنّ الامام یحبسهم للخطب،و هم منتظرون للصلاه،و من انتظر الصلاه فهو فی صلاته فی حکم التمام،و منها:إنّ الصلاه مع الإمام أتم و أکمل لعلمه و فقهه و عدله و فضله،و منها:إنّ الجمعه عید و صلاه العید رکعتان،و لم تقصر لمکان الخطبتین.فإن قال:فلم جعل الخطبه؟قیل:لأنّ الجمعه مشهد عام فأراد أن یکون للإمام سبب إلی موعظتهم،و ترغیبهم فی الطاعه،و ترهیبهم من المعصیه، و توفیقهم علی ما أراد من مصلحه دینهم و دنیاهم،و یخبرهم بما ورد علیه من الأمان من الأهوال التی لهم فیها المضره و المنفعه.فإن قال:فلم یجعل الخطبتین؟قیل:

لأن یکون واحده للثناء و التمجید و التقدیس للّه تعالی،و الأخری للحوائج و الإعذار و الإنذار و الدعاء و ما یرید أن یعلّمهم من أمره و نهیه و ما فیه الصلاح و الفساد » (۳).

۱- ۱) موسوعه جواهر الکلام ج ۱۱ ص ۱۵۸ الطبعه الثانیه

۲- ۲) المصدر/ص ۱۶۰

۳- ۳) المصدر/ص ۱۶۵

و هکـذا نقـل العلاّـمه الشـیخ حسن النجفی إجمـاع الطـائفه علی اشتراط الإمام العادل(الحاکم)حتی بلغ أربعین شـهاده علی هـذا الإجماع (۱)،منها:قول الکرکی:یشرک لوجوب الجمعه السلطان العادل و هو الإمام أو نائبه عموما أو فی الجمعه.بإجماعنا (۲).

و لکـنّ السـؤال:هـل هـذا الإجمـاع یـدل علی أنّ شـرط وجـوب الجمعـه وجـود إمـام عـادل أنّی کـان أم إمـام معصـوم من أهل البیت(علیهم السـلام)خصوصـا؟یبـدو لی أنّ القضـیه تتصـل بموضوع الولایه العامه للفقهاء العـدول،فمن رأی أنّهم امتـداد لحکم المعصومین(علیهم السـلام)ینوبون عنهم نیـابه عـامه،و أنّ علیهم تطبیق کـلّ واجبات الشـریعه من إقامه الحـدود،و فرض الجهاد و الزکاه،و.و.،و الظاهر أنّ الجمعه لیست أعظم من اقامه الحدود،و الدفاع عن حرمات المسلمین،فهی الأخری من شؤون ولیّ الفقیه الحـاکم،امّا الـذین لا یتصورون إقامه حکومه إسـلامیه فی غیبه الإمام المعصوم فإنّهم لا یرون الجمعه فیها أیضا لأنّهم فی الأغلب یشترطون إذن الإمام فیها،و یعتبرونها من شؤونه کالحدود و القصاص و الجهاد.

بلی.مسوّغ أغلب الفقهاء اختیار الجمعه بالمجتهـد العادل أو حتی بإمام جماعه عادل فی ظروف الحریه،و مع عـدم وجود حکومه إسلامیه عادله،من هنا قال فی المعتبر:

السـلطان العـادل أو نـائبه شـرط وجـوب الجمعه،و هو قول علمائنـا.و قـال أبو حنیفه:یشـترط وجود إمـام و إن کـان جـائرا.و قـال الشـافعی: لا یشترط.و ردّه بأنّ معتمـدنا فعل النبی فإنّه کان یعیّن لإمامه الجمعه-و کـذا الخلفاء بعـده-کما یعیّن للقضاء،و کما لا یصح للإنسان أن ینصب نفسه قاضیا من دون إذن الإمام کذا

۱- ۱) راجع المصدر/ص ۱۵۶

۲- ۲) المصدر/ص ۱۵۴

إمـامه الجمعه.ثم قـال:و هـل للفقهـاء المؤمنين–حـال الغيبه–و التمكّن من الاجتماع و الخطبتين صـلاه الجمعه؟أطبق علماؤنا على عدم الوجوب،و اختلفوا فى استحباب إقامتها فالمشهور ذلك (۱).

و يوم الجمعه يوم عيد للمسلمين و هو سيّد الأيام،و ليلتها ليله عباده و تهجّد، و يندب فيها المزيد من الابتهال إلى اللّه،و الانشغال بالمستحبات،و زياره القبور لتذكر الموتى و التحريم عليهم و الإعتبار بصـيرهم،و بالذات قبور أئمه الهدى (عليهم السلام)و مرقد سيد الشـهداء أبى عبد اللّه الحسـين(عليه السـلام)،و تجديد العهد مع الرسول و آل بيته و الإمام الحجه(عليهم السـلام)بالاسـتقامه على خطّ الرساله.

كما ينبغى صله الأرحام،و التوجّه إلى المساكين،و التزاور مع الإخوان،فى هذا اليوم الشريف.

كما ينبغى محاسبه الذات لتجديد العزم على متابعه الخطط السليمه و مقاومه الانحرافات و الضلالات.

و عمومـا فـإنّ يوم الجمعه ليس يوم اللعب و اللهو و الانشـغال بـالتوافه،و إنّمـا هى فرصه المؤمنين للتفرّغ للعبـاده و ذكر اللّه بخير الأعمال يومئذ حيث صلاه الجمعه المتميّزه بفروضها و خطبتها و مظهرها الاجتماعى.و هذا نداء اللّه و دعوته للالتزام بها و إقامتها إذ يقول:

يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذٰا نُودِيَ لِلصَّلاٰةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَهِ فَاسْعَوْا إِلىٰ ذِكْرِ اللّٰهِ وَ ذَرُوا الْبَيْعَ

۱- ۱) المصدر/ص ۱۵۳

فكلّ مؤمن إذن مكلّف بالامتثال لهذا الأمر الإلهی ما لم يمنعه مانع مشروع عند اللّه،و حيث يدعو اللّه للصلاه جمعه كلّ أسبوع فإنّ هذه الفريضه تبقى مقياسا لوحده الأمه و مصداقيه إيمانها بنسبه التفاعل مع هذا التكليف الربّانی الحكيم.

و إذا ينادی الوحی المؤمنين بالسعی للفضيله و ذكر اللّه-سعيا بالروح قبل الجسد-فلا بد لنا أن نتحرّر من شتى الأصر و القيود التی تثقلنا و تشدّنا إلی الأرض أوّلا،أنّی كانت ماديه أو معنويه،و هذه الفكره تفسير لنا العلاقه بين الدعوه للسعی إلی ذكر اللّه و بين الأمر بترك سائر شؤون الدنيا كالبيع وقت صلاه الجمعه.

و قد أفتی كثير من فقهاء المسلمين بحرمه البيع حينها،بل قال بعضهم ببطلان العقد أساسا إذا صارت الجمعه واجبه لازمه بتوافر شروطها،قال المحقّق فی الشرائع:إن باع(عند النداء)أثم و كان البيع صحيحا على الأظهر.ثم قال العلاّمه الشيخ حسن النجفی عن هذا الحكم:الأشهر بل هو المشهور نقلا و تحصيلا (1).

و لعلّ الإنسان يتحسس للوهله الأولی الذی يقع فيها فكره على هذا الحكم الإلهی أنّه يخالف مصالحه،و لكنّه إذا ما درسه من أبعاده المختلفه،و ارتقى درجه فی الوعی بحقائق الحياه، وجده منطويا على خير الدنيا و الآخره بالنسبه له،كما وصف القرآن:

ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ و من ذلك الخير وحده المجتمع المسلم،و ما يتلقّاه من الوعی و الهدی فی شؤون الدين و الدنيا حيث خطبتی الصلاه،و كذلك التوفيقات الإلهيه التی يختص بها

۱- ۱) الجواهر/ج ۱۱ ص ۳۰۶

المصلين المستجيبين لدعوته.و هذه بعض الأخبار التی تبيّن جانبا من فضائل الجمعه:

قال رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و آله) :«أفّ لرجل لا يفرّغ نفسه فی كلّ جمعه لأمر دينه فيتعاهده و يسأل عن دينه » (١).

و

قال(صلّی اللّه علیه و آله) :«إنّ لكم فی كلّ جمعه حجه و عمره،فالحجه الهجره إلی الجمعه،و العمره انتظار العصر بعد الجمعه » (٢).

و

قال الإمام الباقر(علیه السلام) :«إذا كان يوم الجمعه نزل الملائكه المقرّبون معهم قراطيس من فضه و أقلام من ذهب،فيجلسون علی أبواب المسجد علی كراسی من نور،فيكتبون الناس علی منازلهم الأوّل و الثانی حتی يخرج الإمام،فإذا خرج الإمام طووا صحفهم،و لا يهبطون فی شیء من الأيّام إلاّ فی يوم الجمعه » (٣).

و

قال الإمام الصادق(علیه السلام) :«ما من قدم سعت إلی الجمعه إلاّ حرّم اللّه جسده علی النار(و قال):من صلّی معهم فی الصفّ الأوّل فكأنّما صلی مع رسول اللّه(صلّی اللّه علیه و آله)فی الصفّ الأوّل » (۴) و

قال(علیه السلام) :

«و إنّكم تتسابقون إلی الجنه علی قدر سبقكم إلی الجمعه،و إنّ أبواب السماء لتفتح بصعود أعمال العباد » (۵)[١٠]و لأنّ الإسلام جاء منهجا كاملا و شاملا لأبعاد الحياه الإنسانيه جعله

١- ١) تفسير البصائر/ج ۴۶ ص ٣۴٣
٢- ٢) المصدر/ص ٣۴۶
٣- ٣) المصدر/ص ٣۴٣
۴- ۴) المصدر/ص ٣۴۶
۵- ۵) المصدر٣۴۴/

اللّه متوازنا فی أصوله و أحكامه بحيث لا يتضخم بسببه جانب فی حياه الإنسان على حساب جانب آخر،فهو منهج الدنيا و الآخره،و الدين و السياسه،و الروح و الجسد،و حيث تتكامل شخصيه الإنسان بالوصول إلى المصالح المشروعه من جانب و بالتزام الواجبات المفروضه من جانب آخر فقد دعاه الدين إلى مصالحه جنبا إلى جنب دعوته للالتزام بواجباته،و لم يجعل فروضه بديلا عمّا يطمح إليه الناس من المصالح و التطلعات،و لذا نجد القرآن فور ما يأمر بالسعی إلى صلاه الجمعه يأمر بالانتشار لممارسه الحياه الطبيعيه و بلوغ المآرب و الأهداف،و الحصول على الرزق و لقمه العيش.و إنّ الدعوه للصلاه يوم الجمعه و تحريم البيع حينها هی منهجيه لتأسيس انتشار الإنسان المؤمن لابتغاء فضل اللّه على هدى القيم و الإيمان.

فَإِذٰا قُضِيَتِ الصَّلاٰةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ كلّ إلى مقصده.و هذه الدعوه المنطويه على الأمر بالسعی لشؤون الدنيا تهدينا إلى أنّ الصلاه و العباده ليست بديلا عن ممارسه الحياه الطبيعيه و الاجتماعيه،كما فهمها بعض المتصوّفه،فالدين منهج لتوجيه الإنسان و قياده الحياه،يجد الناس فيه فرصه للعباده و منهجا للسعی و العمل،و

قد قال الإمام الصادق(عليه السلام)يفسّر هذه الآيه :«إنّی لأركب فی الحاجه التی كفاها اللّه. ما أركب فيها إلاّ التماس أن يرانی اللّه أضحی فی طلب الحلال.أما تسمع قول اللّه عزّ اسمه:الآيه أ رأيت لو أنّ رجلا دخل بيتا و طيّن عليه بابه ثم قال:رزقی ينزل علی أ كان يكون هذا؟أما إنه أحد الثلاثه الذين لا يستجاب لهم،قال الراوی قلت من هؤلاء؟ قال:...و الرجل يكون عنده الشیء فيجلس فی بيته فلا ينتشر،و لا يطلب،و لا يلتمس حتی يأكله،ثم يدعو فلا يستجاب له » (1)بلی.إنّ فضل اللّه و رزقه ينال بالسعی و العمل الحثيث من أجله،لذلک يقول تعالی بعد الدعوه للانتشار:

١- ١) نور الثقلين/ج ٥ ص ٣٢٧

وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّهِ أی أنّکم حینئذ فی موضع یرتجی فیه الفضل و الرزق أو تجدون أنفسکم أمام فضل من اللّه تصیبون منه رزقکم.

وَ اذْکُرُوا اللّهَ کَثِیراً لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ و أهمیه الاستمرار فی ذکر اللّه للإنسان حیث ینتشر فی الأرض و یبتغی من فضل اللّه أنّه یجنّبه الانحراف و الوقوع فی الأخطاء بسبب نسیان اللّه،فإنّ ذاکر اللّه لا یسعی نحو الحرام،و لا یسلک الطرق الملتویه،و لا یغشّ الناس و یضرّهم،فهو یرتجی له الصلاح و الفلاح.

و من اللطائف الوارده فی هذه الآیه أنّه تعالی قال: فَإِذا قُضِیَتِ الصَّلاهُ ببناء الفعل للمجهول بینما یفترض أن یقول:فإذا قضیتم الصلاه،وصلا بخطابه الآنف للمؤمنین،إلاّ أنّ هذه الصیغه للفعل تعطی حرمه لوقت الصلاه بالذات، بحیث یکون المفهوم أنّ البیع وقت صلاه الجمعه المستوفیه شروطها حرام لمن شهد الصلاه مع المسلمین و لمن لم یشهدها عمدا،و لو جاء التعبیر للمعلوم:فإذا قضیتم الصلاه لکان الحکم منحصرا للمصلین فقط و لا یشمل غیر المصلین.

[۱۱]و بعد أن یرسم الوحی للمؤمنین الموقف المطلوب تجاه صلاه الجمعه-و هو السعی لذکر اللّه و ترک البیع وقتها-ینثنی السیاق القرآنی لنقد ظاهره الانفضاض إلی شؤون الدنیا و تقدیمها علی الصلاه،ممّا یشیر إلی وجود ضعف فی الإیمان لدی المجتمع،و انخفاض فی مستوی التفاعل مع شعائر الدین و برامجه.

وَ إِذا رَأَوْا تِجارَهً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَیْها وَ تَرَکُوکَ قائِماً

خوف أن يفوتهم ذلك أو يسبقهم الآخرون إليه،و هـذه الظاهره تنطوى على هزيمه أمام جموح النفس و ميلها العظيم للدنيا،ممّا يكشف عن ضعف الإيمان الـذى يريـده الإسـلام مقـدّما و مـا يتصـل به على كـلّ شـىء فى حيـاه أبنائه.و قـد اسـتفاد الفقهاء و المفسـرون حكما باستحباب الوقوف أثناء خطبتى الجمعه من هذه الآيه إذ وصفت الرسول قائما بعد الانفضاض.و عن أبى بصير أنّه سئل عن الجمعه:كيف يخطب الإمام؟قال:يخطب قائما فإنّ اللّه يقول: وَ تَرَكُوكَ قائِماً (۱).

و يعالـج القرآن هـذه الظـاهره السـلبيه التى تنمّ عن ترجيـح التجاره و اللهو على حضور الصـلاه ببيان أنّ ما عنـد اللّه الـذى يتأتّى بالتزام مناهجه خير من ذلك كلّه.

و الآيه نفسـها فضـح للاعتقاد بالتناقض بين الالتزام بالـدين و بين الدنيا،و الذى يقع فيه البعض عمليّا فلا يرون إمكانيه الجمع بين الإـثنين فيرجّحون الـدنيا باعتبارهـا الأـجر المقبوض على الآـخره المؤجّله.و الحقيقه أنّ خير الاـلتزام بمناهـج اللّه فى الحيـاه ليس مقتصرا على الآخره فقط،بل يشمل الدنيا أيضا.

قُلْ ما عِنْدَ اللّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَ مِنَ التِّجارَهِ وَ اللّهُ خَيْرُ الرّازِقِينَ فالـذى يريـد كلّ الخير معنويّا و ماديّا،و فى الـدنيا و الآخره«ما عند اللّه»فإنّ سبيله اتباع نهجه القويم،و أىّ خير فى تجاره لا تقوم على هـدى الوحى و تقوى اللّه؟ إنّها تزرع الطبقيه المقيته،و الفقر،و تسبّب الانحطاط فى الإقتصاد.

و فى ترتيب كلمات الآيه الكريمه ملاحظه جـديره بالالتفات،ففى البدايه عند ما أراد اللّه بيان ظاهره الانفضاض عن الصـلاه قدّم التجاره-و هى الأهم-على اللهو،و ذلك ليبيّن مدى ترجيح البعض لأمور الدنيا على شؤون الدين،فهم ليس

۱- ۱) المصدر/ص ۳۳۰

تستخفهم التجاره و حسب بل يتأثّرون بما هو أبسط و أقلّ شأنا منها و هو اللهو.

و حيث أراد التأكيد على أنّ ما عنده أفضل ممّا ينفضّ له الناس قدّم الأدنى على الأهم تدرّجا، فما عند اللّه ليس خيرا من اللهو بل حتى ممّا هو فوقه كالتجاره.

بلى.إنّ البعض و منهم التجّار لا يلتزمون بالشعائر الدينيه خشيه الخساره أو أن تفوتهم أرزاقهم،و لكنّ اللّه يؤكّد لهم العكس و هو أنّ الصلاه و بالذات صلاه الجمعه تجلب الرزق،باعتبارها صله الإنسان بضامن الرزق و معطيها،بل بخير الرازقين.

ص:۳۹۸

سوره المنافقون

اشاره

ص:۳۹۹

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضل السوره:

قال رسول اللّه-صلى اللّه عليه و آله- :«من قرأها برىء من الشرك و النفاق فى الدّين».

ثواب الأعمال و عقابها/ص ٢١٠

ص:۴٠١

الإطار العام

فی هـذه السوره یفضـح الوحی خطّ النفـاق فی الأمّه،و ذلـک ببیـان معالم مسـیرتهم، حیث التکلّف فی إظهار الإیمان و الطاعه للقیاده الرسالیه،و العیش بوجهین و شخصـیتین:إحـداهما التظاهر بالإیمان المؤکّد بالإیمان و الاهتمام بالمظاهر الدینیه و المظاهر المختلفه،و الأخری الکفر العملی المبطّن،فهم یسـتنکفون الاعتراف بالقیاده و الذهاب إلیها لتستغفر لهم،و هکذا یصدّون أنفسهم عنها لإضـعاف مرکزها بشتی الطرق و الأسالیب،و من بینها الحرب الاقتصادیه ضـدها لفضّ الناس عنها و تعطیل مشاریعها.و لکنّ الآیات تترکّز عند نقطه محوریه هی موقفهم من الحیاه الرسالیه مبدئیا و نفسیّا و اجتماعیّا و اقتصادیّا.

و یقـف السـیاق فی نهـایه السـوره ضـد هـذه الخطـه الغـادره لیـدفع المـؤمنین نحـو حرکـه معـاکسه و مضـاعفه ضـد مکر المنـافقین،بـدعوتهم لعـدم التلهّی بالأموال و الأولاد عن ذکر اللّه و الجهاد فی سبیله(کما یریـد المنافقون)لما فی ذلک من عظیم الخسـاره،و بتحریضـهم من جهه أخری علی سـبق الأجـل بالإنفـاق من مـال اللّه فی سبیله،بصوره تضـعهم فی سـیاق التحـدی مع الموت و العدو،سباقا معطیاته(الأجل

القـادم،و الفرصه الوحيـده القليله،و المصـير الحـاسم،فإمّـا الانتمـاء للخاسـرين حيث العـذاب،و إمّا الانتماء لفريق الصالحين حيث الجنه)،و هكذا سباق لا يدّخر العاقل فيه جهدا،و لا يضيع فرصه أبدا.

و نقرأ فى آيات هذه السوره بيانا لجانب من ركائز النفاق كمخالفه القياده الرساليه،و الاسـتكبار على من حولها من المستضـعفين و الفقراء،و الاغترار بما عنـدهم من الأموال،و هنا يطرح السؤال التالى نفسه:لماذا هذا الحديث العريض عن النفاق و المنافقين فى كثير من مواضع القرآن إلى حدّ يخصّص اللّه سوره باسمهم؟ و الجواب كما يبدو لى لثلاثه أمور رئيسيه:

الأوّل:لتحـذير المؤمنين من خطر الوقوع فى النفـاق،بالـذات و أنّ المؤمن أقرب للتورط فى مرض النفاق منه إلى الكفر،إذن فهو بحاجه لمعرفه حدود هذه المنطقه الخطره،و صفات أهلها،و سبل تجنّب الدخول فيها للخلاص من شرورها.

الثانى:لتوجيه اهتمام القياده الرساليه و المجتمع الإسلامى إلى خطر هذا الفريق على مسيره الأمه و مستقبلها.

الثالث:ثم أنّ تنوّع الحـديث عن النفاق فى القرآن الكريم ضـروره يفرضـها البحث فى هذه القضـيه،فالنفاق كما أعتقد هو انهزام الإنسان أمام الحقيقه،فلا هو يقبلها بإخلاص،و لا هو يردّها بصـراحه،و هذه الحاله تختلف باختلاف الحقائق،فهناك نفاق يقع فيه الذين لا يؤمنون باللّه عزّ و جل،و آخر فى مواجهه القياده الرساليه،بل هناك نوعه منه فى مواجهه بعض التشريعات الإلهيه.

و بتعبير آخر:النفاق هو الاتجاه المعاكس للإيمان،و باعتبار الإيمان يمتـد على مساحه الحقائق كلها فان النفاق يمتـد بالتضاد على المسافه ذاتها،و تناول القرآن لموضوع النفاق فى سور كثيره يستهدف معالجته من جوانبه المختلفه علاجا شاملا.

ص:۴۰۴

[سوره المنافقون (۶۳): الآيات ۱ الى ۱۱]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . إِذٰا جٰاءَکَ اَلْمُنٰافِقُونَ قٰالُوا نَشْهَدُ إِنَّکَ لَرَسُولُ اَللّٰهِ وَ اَللّٰهُ يَعْلَمُ إِنَّکَ لَرَسُولُهُ وَ اَللّٰهُ يَشْهَدُ إِنَّ اَلْمُنٰافِقِينَ
لَکٰاذِبُونَ (۱) اِتَّخَذُوا أَيْمٰانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اَللّٰهِ إِنَّهُمْ سٰاءَ مٰا کٰانُوا يَعْمَلُونَ (۲) ذٰلِکَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ کَفَرُوا فَطُبِعَ عَلىٰ
قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاٰ يَفْقَهُونَ (۳) وَ إِذٰا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُکَ أَجْسٰامُهُمْ وَ إِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ کَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ کُلَّ صَيْحَةٍ
عَلَيْهِمْ هُمُ اَلْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قٰاتَلَهُمُ اَللّٰهُ أَنّٰى يُؤْفَکُونَ (۴) وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمْ تَعٰالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَکُمْ رَسُولُ اَللّٰهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَ رَأَيْتَهُمْ
يَصُدُّونَ وَ هُمْ مُسْتَکْبِرُونَ (۵) سَوٰاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اَللّٰهُ لَهُمْ إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يَهْدِي اَلْقَوْمَ اَلْفٰاسِقِينَ (۶)
هُمُ اَلَّذِينَ يَقُولُونَ لاٰ تُنْفِقُوا عَلىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اَللّٰهِ حَتّٰى يَنْفَضُّوا وَ لِلّٰهِ خَزٰائِنُ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ لٰکِنَّ اَلْمُنٰافِقِينَ لاٰ يَفْقَهُونَ (۷)
يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنٰا إِلَى اَلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ اَلْأَعَزُّ مِنْهَا اَلْأَذَلَّ وَ لِلّٰهِ اَلْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لٰکِنَّ اَلْمُنٰافِقِينَ لاٰ يَعْلَمُونَ (۸) يٰا أَيُّهَا
اَلَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تُلْهِکُمْ أَمْوٰالُکُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُکُمْ عَنْ ذِکْرِ اَللّٰهِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِکَ فَأُولٰئِکَ هُمُ اَلْخٰاسِرُونَ (۹) وَ أَنْفِقُوا مِنْ مٰا رَزَقْنٰاکُمْ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَکُمُ اَلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْ لاٰ أَخَّرْتَنِي إِلىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَ أَکُنْ مِنَ اَلصّٰالِحِينَ (۱۰) وَ لَنْ يُؤَخِّرَ اَللّٰهُ
نَفْساً إِذٰا جٰاءَ أَجَلُهٰا وَ اَللّٰهُ خَبِيرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ (۱۱)

اللغه

۲[جنّه]:أى وقايه،و الجنّه هى السّتره المتخذه لدفع الأذيه كالسلاح المتخذ لدفع الجراح،و الجنّه البستان الذى يجنّه الشجر ،و الجنّه الجنون الذى يستر العقل.

ص:۴۰۵

۵[لوّوا رؤوسهم]:أمالوها إعراضا عن الحق،و قيل:

إكثار التحريك لها بالهزء.

ص:۴۰۶

بينات من الآيات:

[۱]حينمـا يهـدف الحـديث عن المنـافقين فضـيحتهم تتركز الآيـات عن علاقه هـذا الفريق بالقيـاده الرسـاليه،لأنّها أظهر شاخص يميّزهم عن غيرهم،إذ من السـهل أن يخضع الإنسان لمجموعه من الشـعائر و التقاليد،كصـلاه الركوع و السجود، و صوم الجوع و العطش،و يتقن التستر بها على نواياه الحقيقيه،و لكن من الصـعب جدا أن يخضع فى سـلمه و حربه،و فى اقتصاده و سياسته،و فى اجتمـاعه و أسـرته،و فى كـافّه جوانب حياته اليوميه،لقياده إلهيه خضوعا دائما و شاملا دون تكلّف أو تناقض أو تمرّد.ثم إنّ أبرز دوافع المنافقين السـعى وراء السـلطه،و أهم استراتيجيه يسـعون لتحقيقها هى الوصول إلى مركز القياده فى الأمه الإسلاميه،بالتأثير على قراراتها،أو بالسيطره التامه عليها،و هم يتحركون لتحقيقها بكلّ مكر و حيله.

و من وسـائلهم فى ذلـك التظـاهر بالإخلاص لها و القرب منها بالملق و التكلف،من هنا تراهم أكثر الناس تظاهرا بالولاء للقياده، يخفون به ما تنطوى عليه قلوبهم من

ص:۴۰۷

النوایا الخبیثه تجاهها،و لا بـد من الیقظه التامه لکی لا یصـدّعوا جبهه الحق فی الساعات الحرجه عند ما یخضون حربا أو یعیشون حـاله التحـدی أو تعیش الأـمه فراغـا قیادیّا یشـغلونه لمصـلحتهم أو فراغا توجیهیّا فیحرّفون مسـیرتها،من هنا قرعت الآیات الأولی جرس الإنذار بقوه.

إِذٰا جٰاءَکَ الْمُنٰافِقُونَ فهم قـد یتعنّون قاصـدین القیاده دون أیّه مناسـبه تسـتدعی تجدیـد الولاء و البیعه لیشـهدوا للرسول بالقیاده بتکلّف و ملق.

قٰالُوا نَشْهَدُ إِنَّکَ لَرَسُولُ اللّٰهِ و هنـا ثلاـثه تأکیـدات لفظیه:(نشـهد)و(إن)،و(اللاـم)،إذ کـان من الممکن أن یقولوا(إنّک رسول اللّه)فقط،إلاّ أنّهم أضافوا کلمه«نشهد»بغرض التأکید.و کلّ ذلک لا یضیف شیئا فی الواقع،بلی.لو صدرت هذه الشهاده من مؤمن صادق فهی تضیف شیئا جدیدا باعتبارها تدفعه إلی المزید من التسلیم للقیاده،و تکشف عن ارتقائه فی الإیمان درجه،و هی حاله الشهود و الحضور عند حقیقه الرساله و التی تستدعی البوح بها و تحمّل مسئولیاتها و تحدی الأعداء من أجل ترسیخها.

بید أنّ المنافقین کاذبون فی ادعائها فلن تنفعهم شیئا.

وَ اللّٰهُ یَعْلَمُ إِنَّکَ لَرَسُولُهُ إذن فشهادتهم لم تضف إلی الواقع شیئا کما لم تضف إلی حیاتهم شیئا جدیدا.

ص:۴۰۸

وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ و فى الآيه ملاحظه أدبيّه رفيعه حيث لم يقل اللّه مباشره:« وَ اللَّهُ يَشْهَدُ.. »، إنّما قدّم قوله:« وَ اللَّهُ يَعْلَمُ.. »،و ذلك ليؤكّد رساله نبيه بعلمه من جهه،و ليؤكّد كذب المنافقين فى ادعائهم الإيمان و الولاء من خلال شهادتهم بشهادته دون نفى ما شهدوا عليه.فليس الكذب هنا بمعنى مخالفه الكلام للواقع،إذ رساله النبى حق و هم عبروا عنها،و لكنّ الكذب بمعنى مخالفه لازم الكلام لواقعهم و هو اعتقادهم بالرساله و بلوغهم مستوى الشهاده عليها،و لكن لماذا لم يقل ربنا:(و اللّه يشهد إنّك لرسوله)؟ربما لأن علم اللّه كله علم حضورى بالغ مستوى الشهاده،بينما الشهاده عندنا كبشر تختلف عن العلم إذ لها مفهوم أوسع منه،لأن العلم يحصل بطرق مختلفه،أمّا الشهاده فلا تكون إلّا بالحضور و المعاينه و هو مستوى رفيع من العلم.

[۲]الكذّاب يحتاط لنفسه بمبالغه لفظيه يغطى بها خواء كلامه،و الدّين لا يعترف بالادعاءات و التمنّيات لأنّه دين الواقعيات و المصاديق (۱)،و لذلك يمكن فضح كل دعوى كاذبه يصطنعها المنافقون (۲).

و لأنّ الكذب هو مخالفه الكلام أو الادعاء مع الحقيقه فإنّ المنافقين كاذبون، لأنّهم لا يلتزمون بمقتضيات الولاء للقياده و الإيمان بها،بل يخالفون شهادتهم فى سلوكهم تجاه القياده الرساليه.

اِتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ جُنَّهً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

ص:۴۰۹

۱- ۱) حينما نراجع ماده(صدق و الصادقين)و نقرأ الآيات التى وردت فيها هذه المفرده تتضح لنا هذه الحقيقه و هى أنّ الإسلام لا يكتفى بمجرد الادعاء بل يطالب بالمصداق و يضع كل مدّع و لو كان مؤمنا أمام المحك العملى و الامتحان،« لِيَسْئَلَ الصّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ »الأحزاب/۸

۲- ۲) هناك بحث للمؤلف حول شهاده اللّه تجده فى كتاب الفكر الإسلامى مواجهه حضاريه ص ۲۵۸

و الجنه هی الترس و الستر،و المنـافقون یتـدرّعون بکثره القسم و الأیمان المغلظه فی إظهار الإیمان بهـدف إخفاء ما هم علیه من الکفر و الانـحراف،و هـذه من طبیعتهم فی کـلّ زمان و مکان،و لیس الأیمان منحصـره فی صـیغ القسم المتعارفه:و اللّه، و باللّه،و تـاللّه)بـل هی شامله لکل ما من شأنه تأدیه نفس الغرض من کلام أو سـلوک یقوم به الإنسان لیصـدقه الناس و لیطمئنوا إلیه،مثل رفع الشـعارات المتطرفه و المبـالغه فی الاهتمـام بـالقشور،فمثلاـ:نجـد بعض الأـنظمه العمیله للغرب ترفع شـعارات یساریه متطرفه لإخفـاء واقعها المناقض،کما نجـد بعضـها تبالغ فی بناء المساجـد و اتهام الآخرین بالمروق من الـدین،فیما نجـد هـذا النظام کما ذاک متورطا حتی النخاع فی العماله و الخیانه و الفسق.

و قد سـمّی القرآن الأیمان جنّه لیس لأنّها تستر حقیقه المنافقین بل لأنّهم یتحصـنون بها عن ردّات فعل المؤمنین و المجتمع التی تتوجه ضدهم لو انکشفت لهم حقیقه هذا الفریق الضال.

و ثمّه دور خبیث و خطیر یقوم به المنـافقون فی الخفـاء هو صـد النـاس عن سبیـل اللّه المتمثـل فی القیم الرسـالیه،و المتمثله هی بـدورها فی حزبه و خطه فی المجتمع، و کلاهما یتجلّیان فی نقطه مرکزیه هی القیاده الرسالیه فهی سبیل اللّه (1).و مع ما یتکلّف المنـافقون إظهاره بمختلف الإیمان من الإیمان بها إلاّ أنّهم یحاربونها و یصـدون الناس عنها.و ما شـهاداتهم و أیمانهم المعلنه إلاّ فخاخ الشیطان،و هذه صوره لکذبهم الذی یشهده اللّه.

إِنَّهُمْ سٰاءَ مٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ

۱- ۱) هناک اخبار کثیره تفید هذا المعنی، قال الامام ابو الحسن علیه السلام :«و السبیل هو الوصی» نور الثقلین/ج ۵ ص ۳۳۴

و تأتی هذه الخاتمه لتؤكّد بأنّ المنافقین یحسنون صناعه الکلام و الشعارات البرّاقه،و یبرعون فی إظهار الولاء للقیاده،و لکن ینبغی أن لا ینخدع المؤمنون بهم فإنّ أعمالهم مناقضه لأقوالهم بالکامل.و هاتان الآیتان تعطیان صوره واضحه للنفاق و المنافقین یمکن التعبیر عنها بعمله ذات وجهین:أحدهما المظهر الحسن و الآخره المخبر السیء،أحدهما الورده النضره الجمیله و الآخره الشوکه السامّه.

و من منهجیه القرآن فی نقد الأعمال و الأشخاص أنه عند ما یذکر عملا سیئا (کالصد عن سبیل اللّه)یؤکّد سوءه حتی لا یصبح القائمون به مثلا یحتذی به،بل أمثوله یحذر منها.و لعل کلمه«ساء»تهدی إلی أنّ أعمال المنافقین تترک آثارا سیئه فی أنفسهم و فی المجتمع.

و لیس بالضروره أن یتحقّق الصد فی لا وعی الناس،بل یکون أحیانا فی نتیجه الضغوط المختلفه التی یمارسها المنافقون ضدهم،کالإرهاب البدنی و الفکری و السیاسی و الضغط الاجتماعی و الاقتصادی جنبا إلی جنب الإشاعات المؤذیه و نشر الثقافه السلبیه التی هی وسائل الطغاه و المنظمات العمیله لتضلیل الناس و محاربه القیادات الرسالیه،و إنّ أخطر فئات المنافقین علی الدین و الناس هم علماء السوء.

و قد أكّد أمیر المؤمنین علی-علیه السلام-هذه الحقیقه لأنّهم یتلبّسون بمظاهر الإسلام لیخدعوا الناس،

قال-علیه السلام -:«و إنّما أتاکم الحدیث عن أربعه لیس لهم خامس:رجل منافق یظهر الإیمان،متصنّع بالإسلام،لا یتأثّم و لا یتحرّج أن یکذب علی رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-متعمّدا،فلو علم الناس أنّه منافق کذاب لم یقبلوا منه و لم یصدق،و لکنّهم قالوا هذا صحب رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-و رآه و سمع منه و أخذ عنه و هم لا یعرفون حاله،و قد أخبر اللّه تعالی عن المنافقین بما أخبره و وصفهم فقال عزّ و جل: وَ إِذٰا رَأَیْتَهُمْ تُعْجِبُکَ أَجْسٰامُهُمْ وَ إِنْ یَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ،ثم بقوا بعدهم فتقرّبوا إلی

أئمه الضلال و الدعاه إلی النار بالزور و الكذب و البهتان،فولّوهم الأعمال، و حمّلوهم علی رقاب الناس،و أكلوا بهم الدنیا،و إنّما الناس مع الملوك و الدنیا إلاّ من عصم اللّه،فهذا أحد الأربعه » (۱).

[۳]و نستفید من خاتمه الآیه السابقه أنّ النفاق الذی وصل إلیه هذا الفریق لم یكن ولید لحظته،إنّما كان نتیجه تراكمات لسوابق أعمالهم السیئه التی لم یتطهّروا منها حینما دخلوا دار الإسلام،و هذه الفكره تقودنا إلی التأمل فی قوله عزّ و جل: إِنَّ اللّٰهَ یُحِبُّ التَّوّٰابِینَ وَ یُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِینَ (۲)،فلا تستقیم مسیره الإنسان العاكف علی الخطایا فی ردح من عمره إلاّ بالتطهّر عن السوابق السیئه بالتوبه المستمره،لأنّ آثار الذنب تهدّد بالانحراف فی أیّ لحظه.لذلك یقول ربنا سبحانه:

ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا فهم حین اختاروا الإیمان ربما كان ذلك نتیجه نفحه إلهیه تعرّضوا لها و لحظه إشراق عمّت صدورهم و قرّروا الإیمان (۳)،و لكنّهم لم یكنسوا من أنفسهم رواسب الضلال السابقه فنمت من جدید إلی حدّ غیّرت مسارهم إلی الطریق الآخر.

ثُمَّ كَفَرُوا و كان ینبغی لهم أن یرسخوا الإیمان فی قلوبهم و سلوكهم و یعمدوا إلی التطهّر من سوابق الضلال و دواعیه فلم یفعلوا فعادوا إلی الكفر اتباعا للأهواء و المصالح،أو كان إیمانهم إیمانا سطحیّا دعتهم إلیه الظروف و المصالح فلمّا وجدوا الفرصه

۱- ۱) المصدر نقلا عن أصول الكافی.و إنّه لجدیر بنا أن ندرس تاریخنا و واقعنا علی أضواء هذه الروایه العظیمه

۲- ۲) البقره/۲۲۲

۳- ۳) لقد مرّت الإشاره إلی هذه الفكره عند تفسیر الآیتین:۱۷-۲۰ من سوره البقره فراجع

المناسبه رجعوا إلى شخصياتهم الحقيقيه.

و حينما يتمادى الإنسان فى الانحراف و يصر على الكفر يصل إلى درجه تموت فى نفسه جذوه الإيمان،و ينطفئ عنها نور الهدى(العقل و الفطره و الإيمان)فلا يحدث نفسه بالهدايه و لا يرتجى له ذلك.و هذه المرحله يسمّيها القرآن بالطبع.

فَطُبِعَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ و لكن لم يكن هذا الطبع جبرا من اللّه فرض عليهم،و إنّما كان نتيجه اختيارهم الحر للكفر بعد الإيمان و التمادى فيه.و لأنّ حكمه الخلق كانت الرحمه الإلهيه إِلاّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَ لِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ (۱)فإنّ اللّه لا يطبع على قلب أحد إلاّ إذا علم أنّه يستحق ذلك،و لا يمكن أن يهتدى فى المستقبل.و الطبع فى أحد وجوهه لون من العذاب فى الدنيا بسلب حلاوه الإيمان و الهدى،أمّا فى الآخره فإنّه يؤدى إلى الخلود فى العذاب الأليم.

و فى هذه الآيه بيان المراحل الانحطاط التى يمرّ بها المنافقون و هى ثلاث:

الإيمان،الكفر بعده،الطبع على القلوب)،كما تنطوى على تحذير للمؤمنين بأنّهم معرضون للوقوع فى النفاق عبر تلك المراحل.أو ليس أولئك بدأوا مؤمنين و انتهوا إلى منافقين؟إذن فكل مؤمن يمكن أن يصبح منافقا فى يوم من الأيّام إن لم تبق أسباب إيمانه،لأنّ الإيمان كيان متكامل قائم على أساس مجموعه من العقائد و السلوكيات و الأعمال،و الكفر هو الكيان المناقض له،فكلّما انسحب الإنسان خطوه من دار الإيمان و كيانه دخل بقدرها دار الكفر و كيانه،فالصدق و الأمانه و الوفاء من الإيمان،و الكذب و الخيانه و الخلف من الكفر،و التعبير الحسن عن هذه الحقيقه نجده فى نصوص الروايات أنّ الخلق الفلانى شعبه من النفاق أو خصله من

۱- ۱) هود/۱۱۹

خصال المنافقين،و

جاء فى حديث نبوى عن رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-قوله :

«أربع من كنّ فيه كان منافقا خالصا،و من كانت فيه خصله منهنّ كانت فيه خصله من النفاق حتى يدعها:إذا ائتمن خان،و إذا حدّث كذب،و إذا عاهد غدر،و إذا خاصم فجر » (۱).

فإذا تمحّض أحد فى الشر صار كافرا،و إذا أصرّ على الشر المحض طبع على قلبه (۲)،و قد طبع على قلوب المنافقين بالكفر و النفاق إلى حدّ لم تبق معه وسيله حسيه و لا عقليه يهتدون بها إلى الإيمان و الصلاح أو يفرّقون بها بين الكفر و الإسلام.

فَهُمْ لاٰ يَفْقَهُونَ أى لا يفقهون دلالات الآيات فيهتدون إلى الحق،ليس لأنّ اللّه يسلبهم السمع و الأبصار و الأفئده فهى موجوده و لكن لا ينتفعون بها،كما وصفهم اللّه بقوله:

لَهُمْ قُلُوبٌ لاٰ يَفْقَهُونَ بِهٰا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لاٰ يُبْصِرُونَ بِهٰا وَ لَهُمْ آذٰانٌ لاٰ يَسْمَعُونَ بِهٰا أُولٰئِكَ كَالْأَنْعٰامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولٰئِكَ هُمُ الْغٰافِلُونَ (۳).

و إذا تعطّل العقل عند الإنسان،و فقد الوعى و القدره على التمييز، فهل يبقى منه سوى مظهره الخارجى و صورته الماديه؟و ما هو الفرق إذن بينه و بين الحيوان أو الجماد؟!و لا عجب أن يشبّه القرآن المنافقين آنئذ بالخشب المسنّده.

[۴]و يعرض السياق لبيان جانب من الصفات اللصيقه بالشخصيه المنافقه،

ص:۴۱۴

۱- ۱) القرطبى/ج ۱۸ ص ۱۲۲

۲- ۲) و قد وردت فى الروايات تحذيرات كثيره من الاغترار بالإيمان،قال رسول اللّه صلى الله عليه و آله :«العلماء كلهم هلكى إلاّ العاملون،و العاملون كلهم هلكى إلاّ المخلصون،و المخلصون على خطر عظيم» تنبيه الخواطر/ص ۳۵۸

۳- ۳) الأعراف/۱۷۹

و التی یتمیز بها المنافقون عن غیرهم فی المجتمع،و هی:

١-المزید من الاعتناء بالمظاهر الدینیه بهدف خداع الناس و إثاره إعجابهم، فقد تراهم و قد أکلت ثفنات السجود جباههم و رکبهم،أو تسابقوا إلی حضور المسجد و القیام فی الصفّ الأول من الجماعه،و یتماوتون فی صلاتهم،و یقصرون ثیابهم،و یطلقون اللحی،و یتراءون بسمات البطوله و الشهامه..و هکذا تلاحق عقده المظهر المنافقین أینما کانوا لإحساسهم الملحّ بأهمیه المظهر،فهم لا یملکون جوهرا سلیما فلا بد أن یبحثوا عما یسترون به خبثهم و کفرهم،بالذات و هم یعیشون فی مجتمع المسلمین.

وَ إِذٰا رَأَیْتَهُمْ تُعْجِبُکَ أَجْسٰامُهُمْ و لعلّ الجسم أعمّ من البدن،فهو کلّ ما یتصل بکیان الإنسان المادی.

٢-الکلام المنمّق،فالمنافقون یحسبون لکلّ کلمه تصدر منهم حسابها و یفکرون فی کلامهم قبل نطقه کثیرا،أولا:لکی لا یحکی ما یخبّئون.أو لیس المرء مخبوء تحت لسانه؟أو لم یقل ربّنا سبحانه و تعالی عنهم: وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِی لَحْنِ الْقَوْلِ ؟و ثانیا:لکی یدعموا آراءهم الباطله التی لا رصید لها من حقائق الواقع شیئا فیعوّضون نقص الأدله بزخرف الکلام،و ینتقون مفرداته واحده واحده، لیتمکّنوا من قلب السامع فیضلّونه،فظاهر کلامهم الطیب و الحلاوه و لکنک إذا تطلّعت علی خلفیاته و ما بین سطوره تجد السمّ الذعاف.

وَ إِنْ یَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ و القول کل ما یحاکی به الإنسان الآخرین کالکلام و الکتابه،و ما أکثر الأفواه و الأقلام المأجوره التی ترقی منابر المسلمین،و تقبع فی دوائر التثقیف و الاعلام،

ص:۴۱۵

تضلل الناس،و تمكّن الطغاه منهم،مستفيده من الوسائل الدعائيه المتقدمه و الإمكانات الكبيره لتسخير أسماع الناس و اهتمامهم.و ما أكثر الشعارات البرّاقه (التقدم..الديمقراطيه..الرفاه..العدل)التى يطلقها الحكام المنافقون لخداع الناس،و بالخصوص فى المناسبات السياسيه و الاجتماعيه العامه،و لكنك تطلع على الخواء و السراب عند ما تواجه الواقع! كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَهٌ و الخشب هى الأغصان اليابسه التى لا ينتظر منها نماء و ثمرا،و لا ينفعها تعديل أحد،بلى.إنّها تنفع لو تحوّلت سقفا أو بابا أو وقودا أو أىّ شىء يستفيد منه الإنسان فى حياته،و لأنّ القرآن شبّه المنافقين بالخشب قال عنها:«مسنّده»لينفى أدنى دور إيجابى لهم فى المجتمع الإسلامى.

٣-الهزيمه النفسيه أمام الانتقاد،لأنّ المنافقين لا يستطيعون مواجهه الحقيقه الواقعيه،و موقف القياده و المجتمع من شخصيتهم الاخرى،كما أنّ دورهم الخبيث يعتمد كلّيا على مظهرهم الخادع،و لو أنّهم افتضحوا لفشلوا فى الوصول إلى مآربهم و لنبذهم الناس.و قد أكّد العلم الجنائى وجود هذه الصفه فى كلّ مجرم،بل اعتبرها المحقّقون و علماء النفس مرتكزا فى معرفه المجرمين،و أسسوا عليها منهجا فى التحقيق الجنائى الحديث.و مضى القول:(كاد المريب أن يقول خذونى).

يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَهٍ عَلَيْهِمْ إنهم يعلمون حقيقه أنفسهم و أعمالهم السيئه،لذلك تراهم يهبّون للدفاع عن أنفسهم أمام أدنى اتهام أو انتقاد بصوره ملفته(كما يدافع المجرم عن نفسه فى المحكمه)بغضّ النظر إن كان الانتقاد ضدهم أو ضد غيرهم أو بصوره عامه.و من طرائف ما جاء فى قضاء أمير المؤمنين-عليه السلام-أنّه جىء له بعدّه أشخاص

مشکوک فی قیامهم بجریمه ما،فأمر بأن تعمل فی الجدار فتحات بعددهم،و أمرهم أن یضعوا رؤوسهم فیها و لا یخرجوها،ثم صاح بصوت عال:اضرب عنقه،فأخرج المجرم رأسه،و افتضح أمره.و عبّر القرآن عن هذه الصفه النفسیه للمنافقین فی موضع آخر بقوله تعالی: یَحْذَرُ الْمُنافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَیْهِمْ سُورَهٌ تُنَبِّئُهُمْ بِما فِی قُلُوبِهِمْ (۱).

و لکنّ المنهجیه الإسلامیه فی تقییم الأشخاص لا تعتمد علی المظاهر وحدها حتی تمر علیها أسالیب المنافقین و حیلهم،فکیف و هی مدعومه بعلم اللّه المطلق و توفیقه الدائم لأولیائه و المؤمنین به؟لذا لا یعبأ القرآن بشهادتهم عند الرسول و أیمانهم المغلظه،و لا بأجسامهم و أقوالهم،إنّما ینظر إلی حقیقتهم حیث الأعمال السیئه المعادیه للأمه و للقیاده الربانیه،و حیث النوایا الخبیثه المبیّته ضد الإسلام، و کلها صوره للعدو اللدود،و کذلک وصفهم اللّه:

هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ و نستلهم من هذه الکلمه بصیرتین:

الأولی:أنّ تظاهر المنافقین بالمحبّه و الودّ و ممارستهم للطقوس و الشعائر قد یفقد المؤمنین الجرأه علی اتخاذهم عدوّا،أو یشکّکهم فی کونهم من الأعداء،و قد أشار القرآن إلی صوره من الاختلاف فی الموقف تجاههم،قال تعالی: فَما لَکُمْ فِی الْمُنافِقِینَ فِئَتَیْنِ وَ اللّهُ أَرْکَسَهُمْ بِما کَسَبُوا أَ تُرِیدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللّهُ وَ مَنْ یُضْلِلِ اللّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِیلاً (۲)،فتأتی الآیه تبصّرنا بأنّهم هم العدو لرفع التردد بالقول الفصل.

الثانی:تحدّد الآیه الموقف العملی تجاه المنافقین،ففی البدایه ینبغی أن نؤمن

۱- ۱) التوبه۶۴/

۲- ۲) النساء۸۸/

بعداوتهم ثم نأخذ الحيطه و الحذر منهم و بالذّات القائد الذى تتوجّه إليه ضغوطهم المختلفه الهادفه إيقاعه فى فخاخهم،فإنّ من الخطأ الفظيع أن تتعامل قياده المسلمين سياسيه أو دينيه بصوره ساذجه أو مائعه مع هذا الخط الذى همّه-كما تقدّمت الإشاره- الالتفات حولها و تغيير آرائها و مسارها بالاتجاه الذى يخدم مصالحه.

قٰاتَلَهُمُ اللّٰهُ أَنّٰى يُؤْفَكُونَ و هذه الخاتمه من الآيه تعطى شرعيه للعداء معهم بل و مقاتلهم،فما دام اللّه يقاتلهم يجب على المؤمنين الذين هم جنده أن يقاتلوهم أيضا.و من قاتله اللّه فهو مهزوم لا ريب،أمّا الإفك فهو الكذب و الضلال،و يؤفكون هنا يصرفون عن الحق إلى الباطل،قال تعالى: إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (١)،فإلى أين و أىّ حدّ يصرف المنافقون عن الحق؟!و كأنّ فى الآيه إشاره إلى وجهه تضلّلهم كالشيطان و الزعامات المنحرفه التى يسيرون تحت لوائها،و يصنعون من أنفسهم عملاء أجراء لمصالحها.و هذه نتيجه طبيعيه،لأن المنافق لا يفقه شيئا بتعطيله ضميره و عقله،فليس ثمّه مقياس يميّز به الحق عن الباطل،و لا حدّ يقف عنده سوى المصالح و الأهواء التى لا تعرف لها نهايه.و قال المفسرون فى معنى« قٰاتَلَهُمُ اللّٰهُ »أنّه لعنه أى أبعدهم اللّه.

[۶-۵]و يبيّن القرآن صوره أخرى من حالات المنافقين و مواقفهم فيما يتصل بالقياده الرساليه،و هى رفضهم الاعتراف بشرعيتها،و بالتالى الصدّ عنها و الاستكبار عليها.إنّهم مستعدون للتظاهر بكثير من الشعائر الدينيه كالصلاه و الصيام و الحج لأنّها لا تكلّفهم مسئوليه كبيره،أمّا أن يخضعوا للقياده الشرعيه فذلك أمر لا تطيقه نفوسهم.و من هذا المنطلق أصبحت الطاعه للقياده الرساليه

۱- ۱) الذاريات/۸-۹

مقیاس الإیمان،کما قال تعالی: فَلاٰ وَ رَبِّکَ لاٰ یُؤْمِنُونَ حَتّٰی یُحَکِّمُوکَ فِیمٰا شَجَرَ بَیْنَهُمْ ثُمَّ لاٰ یَجِدُوا فِی أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّٰا قَضَیْتَ وَ یُسَلِّمُوا تَسْلِیماً (1).

وَ إِذٰا قِیلَ لَهُمْ تَعٰالَوْا یَسْتَغْفِرْ لَکُمْ رَسُولُ اللّٰهِ باعتباره(کما القیادات التی تمثّل امتدادا له)باب من أبواب رحمه اللّه.

لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ ماذا تعنی تلویه الرأس؟إمّا باعتبارها علامه للرفض،و إمّا لأنّه العضو الذی یحدّد به الإنسان وجهته،فهم یصرفون وجهتهم خلاف تلک الدعوه.

و بوضع هذه الآیه إلی جنب الآیه الأولی التی تحدّثنا عن تکلّفهم فی إظهار الإیمان بالرسول القائد نهتدی إلی أنّهم یعاشرون القیاده بوجهین:أحدهما وجه الإیمان و الصلاح الذی یظهرونه فی حضره الرسول،و الآخر وجه الصدّ و التکبر الذی یعیشون به فی المجتمع ضدّها.أو أن تکون الآیه الأولی تحکی ظاهرهم،و الرابعه تحکی واقعهم و حقیقتهم.ثم إنّ صدق الإیمان بالقیاده لا یثبت بالقول« قٰالُوا نَشْهَدُ إِنَّکَ لَرَسُولُ اللّٰهِ »،إنّما یثبت بالعمل،و لیس فی واقع المنافقین ذرّه من الشهاده بذلک،بل علی العکس تجدهم یحاربون الرسول.و بالمقارنه نجد فی الآیتین لفته لطیفه،فهناک قال اللّه: إِذٰا جٰاءَکَ الْمُنٰافِقُونَ ،و هنا قال:« وَ إِذٰا قِیلَ لَهُمْ تَعٰالَوْا »أی أنهم حین التظاهر بالشهاده و الإیمان هم الذین یتعنّون و یجیئون للقیاده، و لکنّهم عند العمل بها یستنکفون عن المجیء رغم دعوه الآخرین و إلحاحهم، فالشهاده کما یراها الإسلام لیست مجرد التلفّظ و القول،بل هی الشهاده للحقیقه بالقلب و القول و العمل،و مسیره المنافقین تناقض ذلک کلّه.

1- 1) النساء/65.

و نستوحی من الآیه أنّ المنافقین کانوا یتعاملون مع الرسول باعتباره قائدا سیاسیّا،یخشون صلوته،و یطمعون فی منائحه،و لیس باعتباره إنسانا ربّانیّا یوصلهم إلی ربّ العزّه و العظمه،و لذلک تراهم لا یقبلون حتی استغفاره لهم،بینما الاستغفار فی مصلحتهم،و یهدف تخفیف ذنوبهم.

وَ رَأَیْتَهُمْ یَصُدُّونَ وَ هُمْ مُسْتَکْبِرُونَ و هذا الموقف الجاحد تجاه الرسول(التمرّد و التحدّی)یمیّز المنافقین عن العصاه الذین لا یلبثون أن یعودوا إلی رشدهم و یستغفروا لدی القیاده.و لعلّ الصد و الاستکبار عن الخضوع للرسول نابع من تشرّبهم بالقیم الدنیویه و اتباعهم مقاییسها فی تشخیص القائد الحق،فالمنافقون و أکثرهم من أهل المدینه و من أصحاب المال و الجاه کانوا یرون الأولی بالزعامه هو ابن بلدهم(و لیس المهاجر من مکّه إلیهم)و یشرط أن یکون أکثرهم مالا و ولدا،و لیس تلک من صفه الرسول-صلّی اللّه علیه و آله-فصدّوا عنه و استکبروا علی قیادته،و ذلک لون من محاربه اللّه عزّ و جلّ و محاربتهم الوحی ممّا یجعلهم فی صفّ أعداء اللّه،و لیس تنفع أعداء اللّه شفاعه أحد و لو کان حبیبه محمّد-صلّی اللّه علیه و آله-.

سَوٰاءٌ عَلَیْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ یَغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ و نقرأ فی هذه الآیه عدّه أفکار تتصل بموقف الإسلام من قضیه الشفاعه:

الأولی:أنّ السعی الذاتی هو الرکیزه الأولی لتأثیر الشفاعه فی مسیره الإنسان عملیّا و فی مصیره عند اللّه،حیث أنّ الشفاعه تقبل فی من یکون أساس مسیرته سلیما،فتشفع له صالحاته،و یقبل فیه استغفار المقرّبین،أمّا لو کان منافقا أو کافرا أو مشرکا فلن یستغفر له المقرّبون،و لو فعلوا فإنّما یفعلون ذلک بصوره ظاهره،

لأنّ المقرّبين(الأنبياء و الأوصياء)يرضون بمرضاه اللّه و يسخطون لسخطه فلا يحبّون المنافقين و لا يرغبون فى نجاتهم إذا تبيّن لهم أنّهم أعداء اللّه،كما أنّ إبراهيم -عليه السلام-استغفر لأبيه قبل أن يتبيّن له أنّه عدو للّه فلمّا تبيّن له ذلك تبرّأ منه.كما أنّ مجرد استغفار الآخرين لا يحيل المنافق مؤمنا إذا لم يغيّر هو ما بنفسه، و لا يغفر اللّه له إذا لم يستغفر لنفسه.قال تعالى: وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جٰاؤُکَ(فَاسْتَغْفَرُوا اللّٰهَ)وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّٰهَ تَوّٰاباً رَحِيماً (۱).

الثانيه:أنّ الشفاعه فى التحليل العميق هى أنّ حسنه كبيره كحب الرسول و طاعته و العمل بما يقول تذهب بالسيئات التى لا تمس بجوهر الإيمان و أساسه.

الثالثه:أنّ الآيه توضّح الفاصل بين نظريه الفداء و شبيهاتها القائمه على الإيمان بتعدّد الآلهه،و أنّ بعضها يفرض رأيه على البعض الآخر،و التى ترى بأنّ شفاعه الأولياء و الملائكه تفرض على اللّه فرضا،و بين نظريه الإسلام التى ترى أنّها مجرّد دعاء من قبل المقرّبين،و للّه أن يتقبّله أو يردّه من دون فرض أو حتم.و الفارق المهم بين النظريتين أنّ الأولى تبرّر للإنسان عدم تحمّل المسؤوليه اعتمادا على اختلاف الملأ الأعلى و تعدّد إداره الكون،بينما تؤكّد الثانيه ضروره تحمّلها إذ ليس مؤكّدا أن يقبل اللّه شفاعه الآخرين و استغفارهم.

إِنَّ اللّٰهَ لاٰ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفٰاسِقِينَ و الآيه هذه تختصر المعادله كالتالى:إنّ اللّه لا يوفّق المنافقين لأنّهم فاسقون، و بالتالى لا يتمّ التحوّل الإيجابى فى حياتهم فلا يستغفر لهم الرسول -صلّى اللّه عليه و آله-،و إذا لم يستغفر لهم لن يغفر اللّه لهم.و بالتدبر فى خاتمه الآيه قد يتضح لنا أنّ مغفره اللّه تتجلّى فى هدايته للإنسان إلى الحق،و أنّ الفسق هو

۱- ۱) النساء/۶۴.

سبب النفاق،و أنّ من تجاوز حدود اللّه يقع فی تیه النفاق و الضلال.

[۷]و من أظهر مصادیق صدّ المنافقین و استکبارهم و فسقهم هو حربهم الاقتصادیه التی یشنّونها علی الرساله و الرسول،حیث لا یکتفون بعدم إنفاقهم إنّما یوجّهون الآخرین إلی عدم الإنفاق،بهدف إضعاف المسیره الرسالیه من خلال تفرّق الناس عن القیاده، و تعطیل مشاریعها نتیجه فقدان العامل الاقتصادی الذی هو جزء من القوانین الاجتماعیه.

هُمُ الَّذِینَ یَقُولُونَ لاٰ تُنْفِقُوا عَلیٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللّٰهِ حَتّٰی یَنْفَضُّوا و هذه سیاسه أعداء الإسلام عبر التاریخ،و لکنّها لا یتحقّق لهم ما یریدون لأسباب واقعیه،و أهمّها:

أوّلا:أنّ الذین حول القیاده الرسالیه من المؤمنین الصادقین لم یکن الدافع لهم نحو الانتماء إلی خطّها و الطاعه لها هو الإقتصاد،کما یتصوّر المنافقون المنهزمون أمام الماده،إنّما تبصّروا طریق الحق،و انّهم لعلی استعداد للبقاء معها حتی الشهاده بالسیف أو الموت جوعا،فهذا أحدهم(عبد اللّه بن حذاقه)و قد أسرته الروم و عرضت علیه التنصّر فأبی فأغلی الزیت فی إناء کبیر،و أتی برجل من أسری المسلمین فعرض علیه التنصّر فأبی فألقی فی الزیت المغلی،فإذا عظامه تلوح، ثم عرض علی عبد اللّه هذا النصرانیه فأبی،فأمر به أن یلقی فی الزیت المغلی فبکی،فقالوا:جزع،قد بکی!قال کبیرهم:ردّوه،فقال:لا تری أنّی بکیت جزعا ممّا ترید أن تصنع بی و لکنّی بکیت حیث لیس لی إلاّ نفس واحده یفعل بی هذا فی اللّه،کنت أحبّ أن یکون لی من الأنفس عدد کلّ شعره فیّ ثم تسلّط علیّ فتفعل بی هذا (۱).

ص:۴۲۲

۱- ۱) سفینه البحار/ج ۲ ص ۱۲۸

ثانیا:أنّ الموارد الاقتصادیه لیست حکرا علی المنافقین حتی یکون منعهم أو حصارهم سببا فی شلّ الحرکه الرسالیه،إنّما الموارد و أسباب الغنی موجوده فی الطبیعه و لها سبلها و مناهجها التی یمکن أن یأخذ بها المؤمنون فیستقلّون عن الآخرین.و إنّ اللّه الذی أغنی أولئک لقادر علی إغنائهم لو توکّلوا علیه و فتحوا خزائنه بالتسلیم له و العمل بمناهجه.

وَ لِلّٰهِ خَزٰائِنُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ و هذه الآیه و آیات أخری فی القرآن تشیر إلی أنّ المنافقین الذین ینتمون فی الأغلب إلی الطبقه المترفه یحاولون بما لدیهم من قوه اقتصادیه أن یؤثّروا علی مسیره الحرکات الرسالیه و المجتمع و تحریف مسیرتهما،و حیث یدعمون بعض المشاریع فلکی یجدوا من ورائها بعض المکاسب الاقتصادیه و الاجتماعیه و السیاسیه،و إلاّ فإنّهم غیر مستعدین للإنفاق المخلص لوجه اللّه فقط!و لذلک تراهم یتوقفون عن الدعم و یرفعون سلاح الإقتصاد فی وجه القیاده بمجرّد أن تکون مصالحهم و شهواتهم غیر مؤمّنه من قبلها.و تکفی هذه الآیه تحذیرا للقیاده الرسالیه من مکر المترفین و خططهم السیئه عند التعامل معهم.و لعلّنا نستفید من هذا السیاق تحریضا لطیفا للمؤمنین نحو وجوب الاستقلال و الاکتفاء الذاتی فی الإقتصاد باعتباره رکیزه الاستقلال السیاسی و العزّه،و ذلک کلّه کامن فی التوکّل علی اللّه و الاعتماد من بعده علی سواعد الرجال و ألبابهم التی یفتح اللّه بها خزائنه علیهم،حیث أنّ الحرب الاقتصادیه واحده من أسالیب صراع المستکبرین مع الرساله و علی حمله الرساله أن یستعدوا لهذه الحرب منذ البدایه بالاجتهاد فی جمع المال،و التقشّف فی صرفه، و الاکتفاء الذاتی فی مختلف الحقول.

و قد استطاع الرسول-صلّی اللّه علیه و آله-أن یبنی حرکه مستقلّه لا یضرّها المحاصره الاقتصادیه شیئا.و هذه الحقائق کلّها غائبه عن أذهان المنافقین لکونهم

لا يعلمون إلّا ظاهر الحياه الماديه،أمّا عمقها فهم بعيدون عن فهمه،لأنّه يحتاج إلى البصيره النافذه.

وَ لٰكِنَّ الْمُنٰافِقِينَ لاٰ يَفْقَهُونَ و لـذا تجـدهم يزعمون أنّ المؤمنين سوف تتوقّف حركتهم أو يموتون جوعا إذا لم ينفقوا عليهم من أموالهم،بينما تراهم قد حصلوا عليها عبر قوانين موضوعيه يمكن للمؤمنين أن يتبعوها فيحصلون على المال أيضا.

[۸]كما أنّهم يزعمون بأنّ عزّه المؤمنين فى المجتمع مستمدّه منهم،و بالتالى فهى رهن إرادتهم،بينما الحقيقه أنّ عزه المؤمنين هى من عزّه اللّه و بالقيم الحضاريه الجديده التى يؤمنون بها و يلتزمون بحدودها.

يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنٰا إِلَى الْمَدِينَهِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ و تأكيدهم على رجوع المدينه حيث يجدون القدره هناك لأسباب ثلاثه:

۱-لأنّهم اعتمدوا على القيم الوطنيه و حيث أنّ الرسول و المهاجرين من مكّه فهم ليسوا(حسب زعم هؤلاء المنافقين) وطنيين،فتراهم يقومون بإثاره الحس الوطنى لدى أهل المدينه و اعتماده مقياسا فى العزّه و الذلّه،و بالتالى إخراج الرسول و أصحابه باعتبارهم أجانب.

۲-لأنّهم حينذاك كانوا خارج المدينه و فى غزوه بنى المصطلق،بالذّات و أنّ الجيش يمثّله خلّص أصحاب الرسول-صلّى اللّه عليه و آله-المنضبطون فى تنفيذ أوامره،و بالتالى فأىّ محاوله هناك لمواجهه القياده ستؤدى إلى الفشل حيث لن يجدوا لهم أنصارا،أمّا فى المدينه حيث المجتمع العام فإنّهم يمكنهم تضليل البعض

و خداعه.

۳-کما تشیر الآیه إلی أنّ المنافقین قد بنوا لهم قاعده فی المجتمع حیث أعطوا الرجوع إلی المدینه تلک الأهمیه،لأنّهم یتحرّکون داخلها بجبهه عریضه هی جبهه النفاق و أنصارها.

و قد غاب عن أذهانهم وعی ذلک التحوّل العظیم فی القیم الذی أحدثه الإسلام فی المدینه،و کیف تسامی أهلها فوق قیمه الوطن و العشیره و المال و السنّ و کلّ القیم الجاهلیه الأخری،و استعاضوا عنها بالإیمان و الکفاءه و العلم،و هکذا أصبحوا لا یرون العزّه إلاّ من خلالها،فکیف یستطیع المنافقون إذن أن یمضوا خططهم و یصلوا إلی أهدافهم فی مجتمع هذه أفراده؟ وَ لِلّٰهِ الْعِزَّهُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِینَ و لیست العزّه بالمال فقط،فقد یکون تجمّع المؤمنین فقیرا نسبیّا و لکنّه مجتمع مستقل متماسک فاعل و یعتمد من القیم ما یعطیه القدره علی التوسع و الامتداد، و مجتمع المدنیه المؤمن لیس مستعدا للدفاع عن العظام البالیه،و لا عن الرجعیه المهترئه بما تعنیه من القیم الفاسده.

وَ لٰکِنَّ الْمُنٰافِقِینَ لاٰ یَعْلَمُونَ لقد تبدّلت الشرعیه فی مجتمع المدینه فأصبح محور المجتمع المدنی الوحی،فبینما کانت قائمه علی قیمه القبیله أصبحت الآن قائمه علی القیم الربانیه.إنّ اللّه قال کذا..و نحن عباده فیجب أن نطیعه و نعمل بقوله.و قد تمثلت هذه الشرعیه الجدیده فی موقف عبد اللّه بن عبد اللّه ابن أبی حیث منع أباه(رأس المنافقین)من دخول المدینه فلم یدخلها إلاّ بشفاعه الرسول-صلی اللّه علیه و آله-له،و أعظم من ذلک

أنّه جاء النبی-صلی اللّه علیه و آله-فقال:یا رسول اللّه إن کنت عزمت علی قتله فمرنی أن أکون أنا الذی أحمل إلیک رأسه،فو اللّه لقد علمت الأوس و الخزرج أنّی أبرهم ولدا بوالدی» (۱).و هذه صوره للتحول الحضاری الجدید،و طغیان الشرعیه الجدیده علی الشرعیه القدیمه التی لیس فیها أقرب من علاقه الابن بأبیه.

و نتساءل:لماذا اختتمت الآیه السابقه بأنّ المنافقین«لا یفقهون»بینما اختتمت هذه الآیه بأنّهم«لا یعلمون»؟الإجابه هی:أنّ معرفه القوانین الاقتصادیه،و أنّ المال یأتی نتیجه الجهود التی تستخرج خزائن اللّه فی الأرض،إنّ معرفه ذلک بحاجه إلی الفقه و هو الفهم العمیق،بینما لا تحتاج معرفه القوانین الاجتماعیه،و منها تبدّل القیم عند الناس إلی ذلک الفهم،بل یستطیع أیّ إنسان أن یعلمها.و هکذا نفت الآیه فقه المنافقین للقوانین الاقتصادیه،ثم نفت الثانیه علمهم(و هو أقل من الفقه)حتی من فهم التحوّلات الاجتماعیه.

[۹]و لأنّ المنافقین یسعون لتعمیق الروح المادیه فی المجتمع،و بالتالی تجییره فی صالح حربهم الاقتصادیه السیاسیه ضد الإسلام و القیاده الرسالیه،نجد القرآن ینمّی فی ضمیر الأمه القیم المعنویه التی تستلهم من الإیمان بالآخره،لکی لا یقع فی حبائل النفاق،و لکی یفشل خطط المنافقین ضد الإسلام.و الدعوه التالیه للمؤمنین فی ظروف المحنه و الحرب الاقتصادیه تغنی بصوره أکبر أغنیاءهم فإنّهم مسئولون، و الرساله تواجه هذا اللون من التحدی أن ینهضوا بأعباء المسؤولیه فی دعم مسیره القیاده و الدوله و الأمه الإسلامیه بالمزید من الإنفاق،و لا یمکن ذلک إلا إذا حلّق الإنسان فی سماء ذکر اللّه،و ترفّع عن شحّ النفس و التلهّی بالأموال و الأولاد.

یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تُلْهِکُمْ أَمْوٰالُکُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُکُمْ عَنْ ذِکْرِ اللّٰهِ

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۳۳۴

و هما زينه الحياه الدنيا و أجلى صورها،و المؤمن ينبغى أن يجعل ذكر اللّه محوره الذى يتحرّك ضمنه دون أن يخرجه عنه شىء.و الأموال هنا ليست الدراهم و الدنانير و الذهبات فقط،بل كلّ ما يملكه المجتمع من أرض و إمكانيه و مصلحه اقتصاديه و ما أشبه،و هكذا الأولاد ليسوا الأبناء وحدهم،إنّما المقصود هنا صله الإنسان بالماده وصلته بالآخرين و الأموال و الأولاد أظهر المصاديق للإثنين.و لعلّ الدعوه إلى عدم التلهّى بالأموال تقابل سياسه المنافقين الاقتصاديه ضد الرساله و الرسول(الآيه ٧)،بينما الدعوه إلى عدم التلهّى بالأولاد تقابل سياستهم العنصريه و الوطنيه التى أرادوا الاعتماد عليها بعد الرجوع إلى المدينه(الآيه ٨).

ثم يحذّر القرآن المؤمنين من عواقب السير فى ركاب المال و الأولاد فيقول:

وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْخٰاسِرُونَ و ليس الإسلام هو الذى يخسر،و خسارتهم بخساره معطيات الإنفاق حيث الطهاره و التزكيه،و بالمصير الوبيل فى الآخره حيث العذاب،و الحسره على التفريط فى جنب اللّه.و هذه الآيه تجتثّ جذور النفاق الذى يقوم على أساس المصالح الماديه و العنصريه،إذ تتجلّى بأبهى صورها فى علاقه الإنسان بماله الشخصى،و تتجلّى الثانيه بأظهر مصاديقها فى علاقته بولده.

[١٠]أمّا الطريق للتخلّص من شحّ النفس فهو بالإنفاق،و هذا ما تذكر به الآيات و تثيره فى أذهانهم،حيث تضع المؤمنين أمام حقيقه الدنيا أنّها فرصه قصيره حاسمه،كما تضعهم فى سباق خطر مع الأجل الذى يطوى صفحه الحياه ليلاقى الإنسان بعدئذ مصيره الأبدى فإمّا مع الصالحين فى الجنه و إمّا مع أصحاب النار فى العذاب.

وَ أَنْفِقُوا مِنْ مٰا رَزَقْنٰاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ

و حينئذ يواجه مصيره لوحده،و يقدم على اللّه فردا لا مال و لا أولاد و لا معين.

و إذ يـذكر القرآن الإنسـان بمسؤوليته الفرديه فلكى يفصـله عن المؤثّرات السـلبيه المـاديه و الاجتماعيه التى تمنعه من الإنفاق و الاسـتجابه لـدعوه اللّه..و لمـاذا يبخـل الإنسان بماله على ربّه الـذى رزقه إيّاه و هو منتقل عنه لا محاله بالموت؟! فَيَقُولَ رَبِّ لَوْ لاٰ أَخَّرْتَنِى إِلىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ الصّٰالِحِينَ إنّه حينئذ لا يطلب من اللّه التأخير لألف سنه،إنّما يريد أجلا قريبا كاللحظه لينقـذ نفسه مـن الحسـره و العـذاب،و هـذا يـدل فيمـا يـدل على أن باسـتطاعه الإنسـان أن يتغير جـذريّا بقرار واحـد و خلال لحظـه،فينتقـل نفسـه مـن جبهه الى أخرى،و من مصـير إلى مصـير.و نهتـدى من الآـيه الكريمه إلى أنّ الصـدقه(و الإنفـاق)معراج المؤمن إلى الصالحات و الصالحين،و هنا نجد إيحاء لقول اللّه تعالى: خُذْ مِنْ أَمْوٰالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِهٰا (۱).

[۱۱]و كما يكشف الوحى للإنسان واقعه المستقبلى و هو يعالـج سـكرات الموت،يؤكّد له أنّ الـدنيا هى الفرصه الوحيـده،و أنّ الموت هو نهايتها.

وَ لَنْ يُؤَخِّرَ اللّٰهُ نَفْساً إِذٰا جٰاءَ أَجَلُهٰا و هـذه حقيقه حاسـمه لو تفكّر فيها البشـر لاهتـدوا إلى الحق حيث الانصـياع لأوامر اللّه،و إنّ عـدم اسـتجابه اللّه لتمنّيات الإنسان بالتأخير تنطوى على حكمه هامه،فلو كان يسـتجيب لكان الناس يسـتبدلون السـعى بالمعنى،و العمل بالتسويف.كيف و اللّه يعلم بأنّهم لو ردوا لعادوا لما كانوا عليه من الأعمال؟!

۱- ۱) التوبه۱۰۳/

وَ اللّٰهُ خَبِيرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ فعلى افتراض أنّ اللّه يؤخّر أحدا فإنّه يعلم بأنّه سوف يعمل ما كان يعمله قبل الموت.

و فى ختام السوره ننقل القصه التاريخيه التى تناقلها المفسرون فى تفسير هذه السوره و سبب نزولها،قال صاحب المجمع:

نزلت الآيات فى عبد اللّه بن أبى المنافق و أصحابه،و ذلك أنّ رسول اللّه -صلّى اللّه عليه و آله-بلغه أنّ بنى المصطلق يجتمعون لحربه،و قائدهم الحرث بن أبى ضرار أبو جويريه زوج النبى-صلّى اللّه عليه و آله-،فلمّا سمع بهم رسول اللّه -صلّى اللّه عليه و آله-خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحيه قديد إلى الساحل،فتزاحف الناس و اقتتلوا،فهزم اللّه بنى المصطلق، و قتل منهم من قتل،و نقل رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-أبناءهم و نساءهم و أموالهم،فبينما الناس على ذلك الماء إذ وردت وارده الناس و مع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفّار يقال له جهجاه ابن سعيد يقود له فرسه،فازدحم جهجاه و سنان الجهنى من بنى عوف بن خزرج على الماء فاقتتلا،فصرخ الجهنى:يا معشر الأنصار!و صرخ الغفارى:يا معشر المهاجرين!فأعان الغفارى رجل من المهاجرين يقال له جعال و كان فقيرا،فقال عبد اللّه بن أبى لجعال:إنّك لهتّاك،فقال:و ما يمنعنى أن أفعل ذلك،و اشتد لسان جعال على عبد اللّه،فقال عبد اللّه:و الذى يحلف به لأزرنك و يهمك غير هذا،و غضب ابن أبى و عنده رهط من قومه فيهم زيد ابن أرقم حديث السن فقال ابن أبى:قد نافرونا و كاثرونا فى بلادنا،و اللّه ما مثلنا و مثلهم إلاّ كما قال القائل:سمن كلبك يأكلك،أما و اللّه لئن رجعنا إلى المدينه ليخرجنّ الأعز منها الأذل،يعنى بالأعزّ نفسه،و بالأذل

رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-ثمّ أقبل على من حضره من قومه فقال:هذا ما فعلتم بأنفسكم،أحللتموهم بلادكم،و قاسمتموهم أموالكم،أما و اللّه لو أمسكتم عن جعال و ذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم،و لأوشكوا أن يتحوّلوا من بلادكم،و يلحقوا بعشائرهم و مواليهم،فقال زيد بن أرقم:أنت و اللّه الذليل القليل المبغض فى قومك،و محمد-صلّى اللّه عليه و آله-فى عزّ من الرحمن،و مودّه من المسلمين،و اللّه لا أحبّك بعد كلامك هذا،فقال عبد اللّه:أسكت فإنما كنت ألعب.

فمشى زيد بن أرقم إلى رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-و ذاك بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر،فأمر رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-بالرحيل،و أرسل إلى عبد اللّه فأتاه،فقال:ما هذا الذى بلغنى عنك؟فقال عبد اللّه:و الذى أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك قط،و إنّ زيدا لكاذب،و قال من حضر من الأنصار:يا رسول اللّه شيخنا و كبيرنا لا تصدّق عليه كلام غلام من غلمان الأنصار عسى أن يكون هذا الغلام و هم فى حديثه،فعذره رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله- و فشت الملامه من الأنصار لزيد،و لمّا استقلّ رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله- فسار لقيه أسيد بن الخضير فحيّاه بتحيه النبوّه،ثم قال:يا رسول اللّه لقد رحت فى ساعه منكره ما كنت تروح فيها،فقال له رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-:أ و ما بلغك ما قال صاحبكم،زعم أنّه إن رجع إلى المدينه اخرج الأعزّ منها الأذل،فقال أسيد:فأنت و اللّه يا رسول اللّه تخرجه إن شئت،هو و اللّه الذليل و أنت العزيز،ثم قال:يا رسول اللّه ارفق به،فو اللّه لقد جاء اللّه بك و إنّ قومه لينظمون له الخرز ليتوّجوه،و إنّه ليرى أنّك قد استلبته ملكا.

و بلغ عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبى ما كان من أمر أبيه فأتى رسول اللّه -صلّى اللّه عليه و آله-فقال:يا رسول اللّه إنه قد بلغنى أنّك تريد قتل أبى فإن

كنت لا بـد فاعلا فمرنى به فأنا أحمل إليك رأسه،فو اللّه لقـد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبرّ بوالديه منّى،و إنى أخشـى أن تـأمر به غيرى فيقتله فلاـ تـدعنى نفسـى أن أنظر إلى قاتـل عبـد اللّه ابن أبى أن يمشـى فى النـاس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار،فقال:بل ترفق به و تحسن صحبته ما بقى معنا.

قـالوا:و سار رسول اللّه-صـلّى اللّه عليه و آله-بالناس يومهم ذلک حتى أمسـى، و ليلتهم حتى أصـبح،و صـدر يومهم ذلک حتى آذتهم الشـمس،ثم نزل بالناس فلم يكن إلاّ أن وجـدوا مس الأرض وقعوا نياما،إنّما فعل ذلک ليشـغل الناس عن الحـديث الذى خرج من عبـد اللّه بن أبى،ثم راح بالنـاس حتى نزل على مـاء بالحجـاز فويق البقيع يقـال له بقعاء،فهاجت ريـح شديـده آذتهم و تخوّفوهـا،و ضـلّت نـاقه رسـول اللّه-صـلّى اللّه عليه و آله-و ذلـک ليلاـفقـال:مـات اليوم منـافق عظيم النفـاق بالمـدينه،قيـل:من هو؟قـال:رفـاعه،فقـال رجـل من المنـافقين:كيف يزعم أنّه يعلم الغيب و لاـ يعلم مكـان نـاقته،ألا يخبره الـذى يأتيه بالوحى؟!فأتاه جبرئيـل فـأخبره بقول المنـافق و بمكان الناقه،و أخبر رسول اللّه-صـلّى اللّه عليه و آله- بـذلک أصـحابه،و قال:ما أزعم أنّى أعلم الغيب و ما أعلمه،و لكنّ اللّه تعالى أخبرنى بقول المنافق و بمكان ناقتى هى فى الشعب،فإذا هى كما قال فجاءوا بها و آمن ذلک المنافق.

فلمّا قـدموا المـدينه وجـدوا رفاعه بن زيد فى التابوت أحد بنى قينقاع،و كان من عظماء اليهود و قد مات ذلک اليوم.قال زيد بن أرقم:فلمّـا وافى رسول اللّه -صـلّى اللّه عليه و آله-المـدينه جلست فى البيت لمـا بى من الهمّ و الحيـاء.فنزلت سوره المنافقين فى تصـديق زيـد و تكـذيب عبـد اللّه بن أبى،ثم أخـذ رسول اللّه -صـلّى اللّه عليه و آله-بأذن زيـد فرفعه عن الرحل ثم قال:يا غلام صدق فوک، و وعت أذناک،و وعى قلبک،و قد أنزل اللّه فيما قلت قرآنا.

و كـان عبـد اللّه بن أبی بقرب المـدينه،فلمّا أراد أن يـدخلها جاءه ابنه عبـد اللّه بن عبـد اللّه بن أبی حتی أناخ علی مجامع طرق المـدينه فقال:مالك ويلك؟قال:و اللّه لا تدخلها إلاّ بإذن رسول اللّه،و لتعلمنّ اليوم من الأعزّ و من الأذلّ،فشـكا عبد اللّه ابنه إلی رسول اللّه-صلّی اللّه عليه و آله-فأرسل إليه أن:خلّ عنه يدخل،فقال:

أمّا إذا جاء أمر رسول اللّه-صـلی اللّه عليه و آله-فنعم،فدخل،فلم يلبث إلاّ أيّاما قلائل حتی اشتكی و مات،فلمّا نزلت هذه الآيات و بان كذب عبد اللّه قيل له:

نزل فيـك آی شـداد فـاذهب إلی رسـول اللّه-صـلّی اللّه عليه و آله-يسـتغفر لـك،فلـوّی رأسه،ثم قـال:أمر تمونی أن أؤمن فقد آمنت،و أمرتمونی أن أعطی زكاه مالی فقد أعطيت،فما بقی إلاّ أن أسجد لمحمد؟!فنزل: «وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمْ تَعٰالَوْا.. إلی قوله:

وَ لٰكِنَّ الْمُنٰافِقِينَ لاٰ يَعْلَمُونَ » (۱).

ص:۴۳۲

۱- ۱) مجمع البيان/ج ۱۰ ص ۲۹۳-۲۹۵

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیة.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراکز القائمة بتوفیر المصادر فی العلوم الإسلامیة وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحیاناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان إلی التوفیر الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثین فی العلوم الإسلامیة وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الکترونیة من الکتب والمقالات العلمیة والدراسات المفیدة وهی منظمة فی برامج إلکترونیة وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثین والمثقفین والراغبین فیها.

وتحاول المؤسسة تقدیم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمیة البحتة البعیدة من التعصبات الشخصیة والاجتماعیة والسیاسیة والقومیة وعلی أساس خطة تنوی تنظیم الأعمال والمنشورات الصادرة من جمیع مراکز الشیعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامیة وتعالیم القرآن وآل بیت النبیّ علیهم السلام

تحفیز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدینیة

تنزیل البرامج المفیدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثین والمحققین فی الحوازت العلمیة والجامعات

توسیع عام لفکرة المطالعة

تهمید الأرضیة لتحریض المنشورات والکتّاب علی تقدیم آثارهم لتنظیمها فی ملفات الکترونیة

السیاسات:

مراعاة القوانین والعمل حسب المعاییر القانونیة

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراکز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتینیة وتکرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.۴

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقیق أهدافنا وعرض المعلومات علینا.
عنوان المکتب المرکزی
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهید محمد حسن التوکلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البرید الالکترونی : Info@ghbook.ir
هاتف المکتب المرکزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵
هاتف المکتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱
قسم البیع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمین ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.